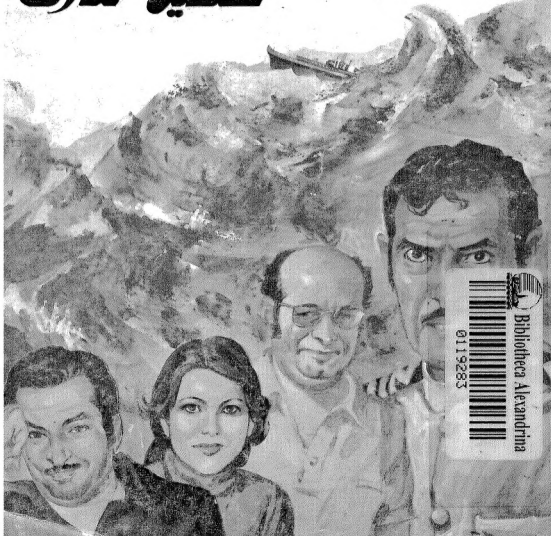


الكتاب

يوميّات سفينة هجنونة

حسين قدرى



Bibliotheca Alexandrina
0119283



یومیسات سلفینت مجنونته !

حسین قدری

الغلاف :

الفنان : هبة عنايت

سكرتير التحرير التنفيذي :

نزيه عبد الفتى



الاحياء ..

اليها ..
الى الانسانة الوحيدة التي تمنيت أن
تصحبني في هذه الرحلة ، وفي كل
رحلة ، بل في رحلة العمر كله ..
لكن الحياة فرضت على كل منا
رحلة في طريق يختلف عن طريق
الآخر ..

« حسين قدرى »

مقدمة ..

ياقوت ..
ماذا
فعلت
بأخيك ! ؟



ذهني أى شيء على الإطلاق وأنا ذاهب إلى الإسكندرية لأقضى فترة راحة واستجمام بعيدا عن القاهرة ، بعد فترة عمل طويلة شاقة أرهقتني إلى الحد الذي قررت فيه أننى - لأول مرة منذ ١٨ سنة - محتاج فعلا إلى أجازة حقيقية أرئدى فيها أقل قدر ممكن من الملابس وأجلس أمام البحر في استرخاء شديد ساعات طويلة ، وأنسى أن هناك مدينة إسمها القاهرة ، وأنسى أن هناك مهنة أسمها الصحافة ..

يوم واحد فقط أمام البحر ، بعده كدت أنشق من الملل والركود والرتابة والزهق .. فبدأت أبحث عن الأصدقاء السكندريين الذين اعتدت أن أراهم وألتقى بهم كلما جئت إلى الإسكندرية .. صديقى اللواء بحرى « عماد الدين مذكور » رئيس مجلس إدارة شركة مصايد أعالي البحار ، سألني ونحن ندرش عن مشروعات رحلات الصحافة لهذا الصيف ، قلت : « ولا حاجة أبداً ، خالى الذهن تماما من أية مشروعات في الوقت الحالى .. أنا في أجازة وباستريح ومش عايز أفكر في حاجة أبداً متعلقة بالشغل » .. رفع ساعة التليفون وطلب شخصا ما ، وتكلما قليلاً ، ثم قال له : « حاجى أزورك بكره ومعيا صديقى الصحفى حسين قدرى » ..

في اليوم التالى كنا معا - اللواء « عماد الدين مذكور » وأنا - نزور العميد بحرى « حسين زاهر ياقوت » في مكتبه : رئيس مجلس إدارة الشركة المصرية للملاحة البحرية .. كنت أظن أننى لا أعرفه ، لكننى تذكرته فوراً بمجرد رؤيته ، التقينا مرة من قبل : رجل ظريف وجوب وبسيط ودعمه خفيف ، وقصير ومكبر .. إنتهت الزيارة بأن وجدت نفسى « متدبسا » في هذه الرحلة ، التى لم أكن أنويها ولم أسع إليها ولم تكن على بالى على الإطلاق .. لكن « عماد مذكور » و « زاهر ياقوت » تقاذفانى بينهما ككرة ألتنس و « شقطنون لبعض » ، حتى خرجت في النهاية وأنا متورط في الموافقة على رحلة بحرية طويلة لم يعجبني فيها إلا إسمها فقط : الرحلة العذراء !! ..

« الرحلة العذراء » هى الرحلة الأولى لسفينة جديدة لنج تنزل البحر لأول مرة .. رحلة التششين .. رحلة زفافها إلى البحر ..

ويعبد . .

إذا كانت « الرحلة العذراء » قد تحولت بعد ذلك إلى « رحلة مجنونة » فإن الذنب في ذلك ليس ذنبي . . فإنني لم أختَر هذه الرحلة ، ولا اخترت هذه السفينة ، ولا اخترت هؤلاء الناس . . حظي ونصيبى هو الذى جعلنى معهم ، وحظهم ونصيبهم هو الذى جعلهم معى . . لكنهم على أى حال « عينة » لرجال البحر . . قد يكون (الصنف كله كده) ، وقد تكون العينة فقط . . للحظ السيء . . رديئة . . لكننى أعود فأكرر : لست أنا الذى أختَرتهم ، لكن ، حظى . . وحظهم . . جه كده !!

« حسين قدرى »

الفصل الأول

إلى
أوروبا ..
داخل
تابوت !.

كانت القاهرة قد

أصبحت بالنسبة لى فى الفترة الأخيرة جحيا لا يطلق . . لم أسافر خارج مصر منذ ما يقرب من سنة كاملة . . عمل فى مجلة (الإذاعة والتليفزيون) لم يعد فيه أى جديد على الإطلاق . . عمل فى الراديو روتينى وثقل الظل وعمل . . برنامجى الذى كنت أعده للتليفزيون زهقت منه فتركته . . ليس لى كتب معروضة فى السوق فى الوقت الحالى ، وكتبى الجديدة لا يبدو فى الأفق القريب أى جديد بشأنها . . الأصدقاء والأقارب المحيطين أصبحت من كثرة ما أراهم وألتقى بهم زاهدا فيهم وكأننى ألعب مباراة بنج بونج عائل على مائدة ضيقة جدا : يا راجين عند محمد وميمى ، يا هم جاين عندنا . . وسواء كنا عندهم أو كانوا عندنا فإن موضوعات الحديث بيننا لم يعد فيها جديد ، وتكاد لحظات الصمت فى لقاءاتنا وقعداتنا أن تكون أكثر من لحظات الكلام . . حتى دور السينما التى تعرض الأفلام الأجنبية الجديدة لم تعد تعرض شيئا يستحق أن يرى . . التليفزيون ليس فيه ما يضابق غير أنه موجود أصلا . .

وأصبح اليوم فى نظرى ٢٤٠ ساعة . . .

ينبغى أن أغير الجو الذى أعيش فيه الآن . . ينبغى أن أبتعد عن هذا الركود والملل والسام والأيام الصفراء الكالحة الباهتة

سأذهب إلى الإسكندرية . . .



حين جئت إلى الإسكندرية لم يكن فى ذهنى أى شيء على الإطلاق أكثر من أننى أحتاج فعلا إلى أجازة طويلة أبتعد فيها عن القاهرة وعن الصحافة تماما . . جئت وفى نيتى أن أقضى شهرا كاملا فى استرخاء شديد على الشاطئ أمام البحر طول النهار ، وأخرج وأسهر وأمرح كل مساء . .

ولكن . .

ظهر « عباد الدين المذكور » ، ومن بعده ظهر « ياقوت » . . . ومعها ظهر الشغل من جديد . . وظهرت فكرة الرحلة البعداء .



الرحلة هي « الرحلة العذراء » .. والسفينة هي « رمسيس الثاني » ..

« رمسيس الثاني » .. هي أول سفينة تبنيها الترسانة المصرية بالإسكندرية لحساب الشركة المصرية للملاحة ، وهي واحدة من ٦ شقيقات أخريات لها ، كلها بنفس التصميم وبنفس الطراز ، وكلها تحمل أسماء فرعونية : إيزيس ، نفرتيتي ، آمون ، تحتمس ، أمحس .. سفن كبيرة ضخمة تبنى في الترسانة المصرية بأيدى المهندسين والعمال المصريين .. السفينة « رمسيس الثاني » هي أول واحدة من مجموعة السفن الستة تتسلمها الشركة .. تسلمتها فعلا منذ أيام قليلة وتنتهى الآن لبدا رحلتها العذراء ..

عذراء ؟!

الرحلة الأولى لآى سفينة جديدة تنزل البحر لأول مرة يطلق عليها « الرحلة العذراء » .. تجربتها الأولى مع البحر الذى ستقترن به طوال عمرها ولا تتركه إلا إلى المعاش ، وقد لا تتركه على الإطلاق ويحتفظ بها في أعماقه إذا تحلى عنها الحظ في يوم ما ..

السفينة « رمسيس الثاني » تبدأ رحلتها العذراء في خلال أيام ، وطريقها إلى دول شمال أوروبا في بحر الشمال وبحر البلطيق ..

« ياقوت » يقترح أن أكون شاهدا على زفاف « رمسيس الثاني » إلى البحر .. أن أكون معها في رحلتها الأولى



لماذا قبلت هذه الرحلة إذا كانت لن تزيد عن كونها رحلة عادية إلى أوروبا ؟!

إستهوتنى فكرة « الرحلة العذراء » .. الرحلة الأولى لسفينة جديدة في البحر .. كنت أظن أنها سوف تكون رحلة لها مراسم خاصة وتقاليدها خاصة غير الرحلات العادية ، مراسم وتقاليدها ظريف أن أراها وأشاهدها وأحضرها وأسجلها بالقلم والصورة .. لم يحدث ذلك لصحفى مصرى من قبل - على قدر علمي - وأنا مغرم بالجديد دائما ، وهذا قطعاً شيء جديد ..

شيء آخر .. رحلاتي السابقة كلها التي نشرتها : إما رحلات بحرية تماما مثل (راكبان على السفينة) التي كانت على سفينة صيد سمك في المحيط الأطلنطي ، وكانت الرحلة تتناول حياة البحر ورجال البحر فقط .. وإما رحلات « برية » إذا استطعنا أن نسميها كذلك .. رحلات عادية إلى أوروبا ، مثل رحلاتي إلى جزر الكناريات وإلى جزيرة قبرص وإلى لندن وإلى بيروت وإلى الصحاري المصرية والسودانية والليبية وغيرها .. لكن هذه الرحلة تختلف .. هذه الرحلة (بحرية برية) .. مزيج بين البحر والأرض .. الرحلة على السفينة نفسها مادة للكتابة ، وفي البلاد التي سوف تزورها السفينة في رحلتها مادة أخرى للكتابة .. وفي المزج بين المادتين والكتابتين في البر وفي البحر شيء جديد لم أمارسه أنا من قبل ولم يعتاده القارىء المصرى من قبل ..



في الإسكندرية .. في الشركة المصرية للملاحة ..

« عبدى عبد المعطى » شكله يبدو معترضا على قيامى بهذه الرحلة .. هو مدير عام الشؤون الإدارية في الشركة ، « الشؤون الإدارية » فقط ، لكن واضح أن سلطانه أكبر من ذلك كثيرا .. الشركة تواجه في الفترة الحالية متاعب مع الصحافة التي تهاجمها وتضعها تحت الأضواء وتكشف عن كثير من الخلل والالتباس فيها ، ولا يريد أن يترك الفرصة لصحفى معروف بطول لسانه - مثلى - أن يتسرب إلى داخل الشركة ويرى ما فيها عن قرب أكثر .. « عبد المعطى » يعترض .. وأنا من ناحيتى أعتذر وأنسحب .. لكن « ياقوت » يصبر ويلح ويؤكد .. بل ويوافق أيضا على أن نكون ثلاثة صحفيين وليس صحفيا واحدا فقط : مساعدتى « سلمى » ، وأنا ، وزميل ثالث اختاره أنا ..



في القاهرة .. في مجلة (الإذاعة والتلفزيون) ..

رئيس التحرير يوافق على الرحلة فوراً بعد مناقشة قصيرة سريعة - قطعاً عزيز يخلص منى ويضيف من عنده بعداً جديداً للرحلة لم أكن أنا قد فكرت فيه : إذا كان ولابد وأن تأخذ معك زميلاً ثالثاً ، فلم لا تأخذ واحداً من الزملاء يكون السفر إلى أوروبا بعيداً عنهم تماماً بحكم طبيعة عملهم الصحفى ؟! .. « إعتزست للوهلة الأولى : آخذ معايها صحفى آخر ليه ؟ أمال أنا رايح أعمل إيه ؟ .. إذا حدث ذلك فإما أن أكتب أنا ويتفسح هو ويعمل « به » ، أو يكتب هو ويتفسح أنا وأعمل « به » .. والحالتين لا تعجباني .. لكن رئيس التحرير يبدو وكأنه لم يسمعنى ، يستطرد : « إيه رأيك تأخذ معاك خيرى شلى ؟! » .. ويلا تردد ، وافقت فوراً .. الفكرة لمعت وومضت في ذهنى بسرعة خاطفة .. « خيرى شلى » ناقد إذاعى محلى فقط لا غير ، كل إمكانياته الصحفية محصورة في نقد برامج الإذاعة المصرية ، وطبعاً ليس لديه أى فرصة للسفر إلى أوروبا على الإطلاق .. حاسافراً أوروبا يعمل إيه ؟ ينقد برامج الإذاعات الأوروبية من هناك باللغة العربية ؟! طبعاً مش معقول .. الشيء الثانى والأهم ، واللذى رشحه من أجله رئيس التحرير ، ومن أجله أيضاً وافقت أنا عليه فوراً : هو أن « خيرى شلى » فلاح (إدارى) .. فلاح غطيس .. فلاح بعبله ، لم تستطع القاهرة أن تغير فيه أكثر من ألوان قمصانه المزهزة .. ويرضه ألوان فلاشى .. أما غير ذلك فقد بقى « خيرى شلى » فلاح بعطينه .. والفكرة إذن أن نرى - رئيس التحرير وأنا - كيف يكون « رد فعل » أوروبا على الفلاح الفصيح « خيرى شلى » .. كيف سوف يتفاعل معها ويتعامل معها ، كيف سيراه وكيف سينبه بها وينبهل عليها .. كيف « سيفتاهم معها » وهو لا يجيد غير عدة لغات هى العربية والعربية والعربية والعربية !! .. كيف سيكون تأثير ذلك كله عليه .. كيف - فى النهاية - سيعود « خيرى شلى » من أوروبا ؟! .. فعلاً .. من الممكن أن يكون « خيرى شلى » وحده - كفاية - موضوعاً كاملاً لرحلة فى أوروبا ..

موافق



لكن «خيرى شلبى» لم يكن يحتاج إلى الوصول إلى أوروبا نفسها لكي يتفاعل معها .. فقد بدأ «رد الفعل» عنده بمجرد أن بلغه خبر اختياره للسفر معى ..

عاد «خيرى» إلى بيته بعد أن علم بخبر الرحلة وقد رسم على وجهه تكمشة الجذ والاهمية ، وقال لزوجته: «جهزى لى شطة هدموى علشان رايح لأوروبا» فققت زوجته بالصوت وولولت ، لأنها ظنت أنه قد تزوج عليها !!

وبعد أن طمانهم «خيرى» وشرح لهم حكاية الرحلة بالضبط وكيف أنها رحلة صحفية إلى أوروبا .. وأن أوروبا هذه بلد بعيدة جدا عن مصر لا يسافرون إليها بالسكة الحديد وإنما بالطائرات وبالسفن ، بلاد مليانة خواجهات ما بيعرفوش عربى ويتكلموا إنجليزى بس (!!) يعنى بلاد كلها سياح ومفهاش ولاد عرب .. واستوعبت زوجته وأولاده المسألة وفهموها خلاص وأطمأنوا .. فسأل «خيرى» إبنه : «تحب أجيب لك إيه من أوروبا؟» فرد الولد بلهفة : «بطيخ» !!

وكان لا بد وأن يسافر «خيرى» معنا إلى الإسكندرية لتركب السفينة من هناك ، وعند شباك الحجز لأوتوبيس الطريق الصحراوى أخرج «خيرى» من جيبه ٢٥ قرشا ووضعها أمام عامل الشباك .. فسأله عامل الشباك بدهشة شديدة : «هو سيادتك رايح فين بالضبط ١٩؟» ورد «خيرى» بثقة : «إسكندرية طبعاً» .. فقال له عامل الشباك وهو مندش أكثر : «طيب عايزين جنبه كمان» فأخرج «خيرى» الجنيه من جيبه وهو منزعج جدا وقال لعامل الشباك وهو يضعه أمامه بضيق شديد : «ليه؟ .. هى اسكندرية بعيدة أوى كده ١٩؟» ..

بدأت رحلة الفلاح الفصيح «خيرى شلبى» إلى أوروبا ونحن لا زلنا بعد فى ميدان التحرير !! ..



الإسكندرية مرة أخرى .. الشركة المصرية للملاحة ..

الرحلة على وشك أن تبدأ .. تحدد موعدنا فعلا .. وسأعود مرة أخرى إلى ممارسة تجربة السفر إلى أوروبا داخل صندوق .. ذلك السرير المزدوج ذى الدورين يبعلى أحس بذلك الإحساس : أنني أنام فى صندوق ، أو على رف داخل دولاى مغلق .. فى تابوت .. لو فردت ذراعى وأنا نائم فسوف يرتطم - بشدة - فى السقف الخشبي الذى يعلونى بأقل من طول ذراع .. لو فردت ساقى على راحتها فسترتطم بجدار الصندوق من الناحية الأخرى ، لو تقلبت فينبغى أن أعود نفسى على أن أقلب فى نفس المكان وإلا ارتطمت بالخائط من ناحية أو وقعت من فوق السرير من الناحية الأخرى .. تابوت فعلا على أن أوقلم نفسى على أن «أعيش» فيه طيلة الـ ٤٠ يوما القادمة ..

٤٠

يوما

.. نعم

.. هكذا قال لى « زاهر ياقوت » و « عدلى عبد المعطى » ... « وبالكثير خالص - استندركا زيادة فى الدقة - ٤٥ يوما ، علشان بس تبقى عامل حسابك » .. رحلة محسوبة وشركة كبيرة قديمة عريقة هى خليط من ٣ شركات كبيرة قبل التأميمات .. أولى وأقدم شركات الملاحة فى مصر ، يعنى لها نظم وتقالييد واضحة وأكيدة راسخة وعندها ٤٥ سفينة كبيرة ، يعنى مش ناس لسه جداد فى الكار واللا لسه بينظموا .. ناس عارفين شغلهم ولما يحددوا موعد يبقى هذا الموعد صحيح قطعاً .. الرحلة تبدأ يوم أول يوليو + ٤٥ يوما ، يعنى تنتهى يوم ٩ أغسطس .. وإذا كانت ٤٥ يوما فسنعود إلى الإسكندرية يوم ١٤ أغسطس على أكثر تقدير .. ومن عندى أنا كمان ١٠ ٪ احتياطى ، يعنى ٤ أيام أخرى ، يعنى بالكثير أوى يوم ١٨ أغسطس .. عندى دعوة ثانية من جهة أخرى لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية .. إرتبطت - إذن - بأن يكون موعد سفرى من مصر إلى الولايات المتحدة يوم ٢٠ أغسطس ..

ولكن : وتقدرون فتضحك الأقدار .. أو فتضحك الشركة المصرية للملاحة !!



الإسكندرية .. الشركة المصرية للملاحة ..

أول انطباعة : سيئة جداً .. أول موعد تمحدد للرحلة تأجل مرة ومرتين وثلاث مرات .. وكل مرة : النهاردة ، بكرة ، بعد ٣ أيام ، يوم الإثنين الجاى ، لأ يوم الخميس ... وتأجل الموعد ١٤ يوما كاملة .. أسبوعين كاملين .. نصف شهر .. واضح أن الوقت هنا ليس له أى قيمة .. ثانى انطباعة : سيئة جداً جداً .. أخيراً تمحدد الموعد بشكل قاطع .. وأخذنا حقائبنا وعزلنا وكاميراتنا وأفلاننا وصعدنا إلى السفينة فعلاً ، وتحركت السفينة فعلاً ، وغادرت الرصيف فعلاً ، والمودعين ودعونا فعلاً ولوحوا لنا بمناديلهم فعلاً ، واختفوا عن عيوننا واختفيوا عن عيونهم فعلاً ، وعادوا إلى بيوتهم فعلاً .. ثم ركنت السفينة فى عرض البحر داخل بוגاز ميناء الإسكندرية دون أن تسافر أو تبدأ رحلتها .. يومين كاملين !!

ثالث انطباعة : سيئة جداً جداً جداً .. فى أول لقاء لنا مع قبطان السفينة لتبادل التعارف ، فى غرفة مكتبه على السفينة .. القبطان يخلع فردة حذاءه ويلقى بها فى أعقاب شاب سمين ظريف طلع يجرى قداه .. ثم تلفتت إلينا ليقول ببساطة كأنه فعل شيئاً عادياً جداً .. أشعل سيجارة - شرب فنجان قهوة - رد على تليفون : « ده كبير الضباط بتاعنا .. الاستاذ على وزه » .. وزه ١١١٩ .. فيه كبير ضباط فى الدنيا ينضرب بالجزمة كده ، وكمان اسمه « وزه » ١١٩ !! .. شكل الإحترام هنا - منذ البداية - مفقود يا ولدى مفقود مفقود مفقود ..

وأخيرا .. أخيرا جدا .. تبدأ السفينة «رمسيس الثاني» رحلتها العذراء ..

رئيس مجلس الإدارة - « زاهر ياقوت » - جاء وشخط في القبطان وفي الناس هنا وقال لهم :
«فضحتونا قدام الصحفيين الى طالعين معاكم ، الله يكسفكم ، لازم تطلعوا النهارده بأى شكل» ..

وطلعت السفينة - فعلا - النهارده ، بأى شكل !!

□ □ □

وحين رفعت السفينة مخفافها من الماء واتجهت بمقدمتها إلى البحر الأبيض المتوسط لتبدأ رحلتها الأولى إلى دول شمال أوروبا .. كنا - « سلمى » - وأنا و « خيري » - نقف فوق سطحها نتأمل مبانى مدينة الإسكندرية وهى تبعد عنا .. ثم يدير « خيري » ظهره إلى الإسكندرية ويتجه إلى البحر بصدور عريض مفتوح ورأس مرفوع متحد وكأنه يقول : « ويا أوروبا فلتستعدي ، فهنا أنلد- خيري سلمى - قادم إليك » !! ...

الفصل الثاني

أمـد
السـفينة
رـمـسـيـس !

اليوم الثانى للرحلة

.. « خيرى » متهاكسك تماما لم يصبه دوار البحر ولم يؤثر فيه البحر على الإطلاق ، بالعكس ، زى الجن وطول الوقت رايع جاي فى أرجاء السفينة كأنه طفل صغير تعلم المشى لأول مرة فمش عايز يهد .. « خيرى » يقيم فى قمرة واحدة مع أصغر أفراد السفينة سنا : « عابد شكرى » .. طالب فى الكلية البحرية التجارية أمضى عامى الدراسة النظرية فى الكلية وعليه الآن أن يمضى ١٨ شهرا فى البحر كفترة تدريب عملى قبل أن يمتحن امتحانه النهائى ويتخرج ضابطا بحريا بصحيح ويحصل على شهادة (ضابط ثان لأعلى البحار) ، لكن « الشهادة » شىء و « الوظيفة » شىء آخر ، فقد جرت العادة عندنا فى البحرية التجارية المصرية وفى بحرية العالم كله أن يبدأ الضابط البحرى الجديد السلم من أوله - لاكتساب الخبرة والممارسة والمران - ك (ضابط رابع) ، ثم يرقى إلى (ضابط ثالث) ، ثم إلى (ضابط ثان) دون أن يؤدى امتحانات أخرى ، فقط مدة خدمته فى البحر تؤهله لهذه الترقيات كلها كانت هناك أماكن خالية فى الوظائف الأعلى .. لكنه لن يرقى إلى وظيفة (ضابط أول) أو (كبير ضباط) إلا إذا أدى امتحانا جديدا تعقد الأكاديمية العربية للنقل البحرى ، وبعد أن يجتازه يصبح من حقه أن يعين فى وظيفة (كبير ضباط لأعلى البحار) . وبعد سنتين آخرين فى البحر يتقدم لامتحان آخر ، هو آخر امتحان يؤديه كضابط بحر ، ليحصل على شهادة (ماستر) أو (ربان أعلى البحار) ، التى تؤهله ليكون قبطانا يتولى - شخصا - قيادة سفينة ..

« عابد شكرى » عمره الآن ٢٢ سنة ، سيتخرج ضابطا بحريا وعمره ٢٤ سنة .. لو أنه كان يعمل على سفن أجنبية فإنه غالبا سوف يصل إلى وظيفة (قبطان) وهو فى الثامنة والعشرين .. لكنه على السفن المصرية قد لا يستطيع أن يصبح قبطانا إلا وهو يقترب من الأربعين !!

وعلى العكس من

« خيرى » تماما كانت « سلمى » .. وذلك كان تقديرى وتصورى فعلا .. كنت أتصور أنها سوف تصاب بدوار البحر ونحن لا نزال فى ميدان محطة الرمل فى الإسكندرية .. لكنها تجلدت كثيرا وصمدت كثيرا وتحملت على نفسها كثيرا قبل أن تستسلم تماما للدوار بعد تحرك السفينة خارجة من ميناء الإسكندرية ب : عشرة دقائق كاملة ..

طبّت « سلمى » ساكنة لا تصد ولا ترد ولا تحط منطق ولا تأكل ولا تشرب ولا تعمل حاجة أبداً .. أعدها قطعاً: لأنى مررت بتجربتها - فى رحلتى الأولى فى البحر - وكنت أقل منها صموداً وأكثرها استسلاماً وتبعثرت تماماً ورقدت سطيحة لعدة ليال .. وظلّت « سلمى » هكذا طوال الرحلة بعد ذلك : طالما أن السفينة فى البحر فهي معتصمة بقمرتها لا تغادرها ، لكنها ما أن تعرف أننا مقبلون على ميناء وأن السفينة سوف ترسو على أرض ثابتة ، حتى تقوم من فراشها « فريّة » وتنهأ وتوضب نفسها وتزين وتجهز كاميراتها وأفلامها ، وتكون أول من ينزل على سلم السفينة إلى أرض الميناء بمجرد أن نرسو !! ..

« سلمى » شابة حسنة صغيرة الحجم ترانزستور فى الثالثة والعشرين .. بشعرها الأسود الفاحم الطويل وملامحها المصرية الوسمة وكائنها ويقظتها ودقة ملاحظتها ، نموذج للفتاة المصرية الحديثة التى لديها الإستعداد لأن تتحمل الصعاب فى سبيل العمل الذى تحبه : الصحافة .. قال لى أهلها : « البنت حاقوت .. نفسها تبقى صحفية » .. مجال الصحافة ليس متسعاً فى مصر فى السنوات الأخيرة .. طلبت منها أن تتعلم التصوير الفوتوغرافى كمدخل تدخل منه إلى عالم الصحافة ، فتصبح مصورة محررة تكتب موضوعاتها وتصورها .. فعادت لى بعد أسابيع قليلة - وكان ذلك منذ عام ونصف - وفى يدها حقبة جلدية صغيرة فيها كاميرا وفلاش ، وامتنحت نفسها فى شخص المتواضع .. ومنذ ذلك الحين تطوحت « سلمى » لتكون مساعداً فى عملى ، وأيضاً مصورق الصحيفة الخاصة ، على اعتبار أن التصاقها بى وقربها منى يتيح لها الفرصة لمشاهدة - على الطبيعة - كيف يكون العمل الصحفى .. تأثرت « سلمى » كثيراً قطعاً بالأفلام الأمريكية التى تدور حول الصحفيين الأجانب ومساعداتهم الحسانوات ، لكن من المؤكد أن نظام « المساعدات الصحفيات الحسانوات » هذا لم ينتشر فى مصر. بعد .. هى رائية فيه قطعاً !!

السفينة تشق البحر

الأبيض بالطول فى طريقها إلى مضيق جبل طارق الذى سوف نصل إليه بعد أسبوع تقريباً .. على يسارنا الآن السواحل المصرية ، بعدها تبدأ سواحل ليبيا .. حاسى البحرية - بعد ستة رحلات طويلة فى البحر - تجعلنى أشعر أن السفينة تسير ببطء نسبي .. نقلت تصورى الى كبير الضباط « على أبو طالب » فحاورنى وداورنى ووخنى فى البداية ، ثم اعترف بأن السفينة - فعلاً - تسير بسرعة ١١,٥ عقدة ، أو ١١,٥ ميل بحرى فى الساعة .. يعنى سرعتها كسرعة سيارة تسير فى الطريق الصحراوى بين القاهرة والإسكندرية - مثلاً يعنى - بسرعة ٢٠ كيلو مترًا فقط فى الساعة .. بتتمشى يعنى .. فلما أبديت لكبير الضباط د: « منى أن سفينة حديثة جداً مبنية هذا العام ولسه خارجة من الترسانة حالا وتكون سرعتها متواضعة جداً هكذا ، شرح لى « على » أن المفروض فى (بروتوكول) بناء السفينة - يعنى عقد الإنفاق على بنائها - وفى بيان تسليمها للشركة أن سرعتها هى ١٥ عقدة فى الساعة فعلاً ، لكن السفينة الجديدة فى أول رحلة لها ينبغى أن تسير على مهلها فى البداية أو بسرعة متوسطة ، ثم تزداد هذه السرعة تدريجياً بمعدل زيادة محدد ومعمول حسابه ، حتى تصل إلى سرعتها القصوى المتفق عليها - ١٥ عقدة - بعد

أن تكون السفينة قد قطعت كذا ألف ميل في البحر ولانت ماكيناتها ومحركاتها تدريجيا حتى تصل إلى حدّها الأقصى في التشغيل - غالبا - ونحن في مرحلة العودة من رحلتنا الأولى هذه بإذن الله . .
يدينا ويديك طولة العمر يا « على » يا (تشيف) . . .

سهره طويله مع

القبطان حتى الخامسة صباحا . . رجل ظريف ومسل جدا وفي غاية الظرف وخفة الدم ، حواديته وحكاياته لا تنتهي ويحكىها بطريقة مشوقة جدا وهو يمثل بيديه وبجسمه وبكل ملامح وجهه . . قطعاً كان نفسه يطلع مثل لكن ما جابش مجموع . . ويخرج من حكاية ليدخل في حكاية ثانية ثم ثالثة ورابعة وخامسة . . وتمضي السهرة وتنفضي الساعات ونحن مستمتعين - فعلا - بحديثه الشيق . . صحيح أن المسائل بتوسع منه شوية حين يريد أن يصور نفسه كبطل الأبطال والفارس الذي لا يشق له غبار في كل المجالات ، وأنه كان بطلا دوليا في كرة السلة وكرة القدم وكرة اليد وكرة الطاولة وكرة الماء وكرة الهوكي والكرة الطائرة وكل أنواع الكور الى في الدنيا ، وأيضا بطل مصر في السلاح وفي الملاكمة وفي المصارعة وفي حمل الأثقال - لفوق - وفي الفروسية وفي ضرب النار والخرطوش وفي الكروكية وفي السباحة وفي القفز وفي الغطس وفي التنس وفي جرى المسافات الطويلة والمسافات القصيرة والمسافات النص نص ، وموسيقار وملحن ومطرب ومعنى . . يعني باختصار هو بطل في كل شيء وفي أي شيء . . لكنه مع ذلك - مع حته المياسة الواضحة في كلامه - إلا أنه عموما شخصية ظريفة للغاية وتستحق الدراسة . .

وفى نهاية السهره

بدا كما لو أن القبطان يريد أن يكافئني على حسن استماعي إليه كل هذا الوقت ، فقد قرر أنه ، بإذن الله وإحنا راجعين في نهاية الرحلة ، سوف يهديني (فائزة) وطبق شيك جدا وغاليين جدا سوف يشتريهما من بولندا ، لأصهما في غرفة الصالون عندي في البيت !! . . وبينما أبحث في ذهني بسرعة عن كيف أشكره على هديته واعتذر له عن قبولها أو أقدم له هدية مماثلة لا تقل عنها حتى لا أصبح مدينا له بهدية من غير مناسبة وهو طرف في موضوع صحفى أقوم به ، إذا به يستطرد مكملًا : « بس على شرط » !! . . الله ، هي الهدية مشروطة ١٩ . . طيب أستنى بأه لما أشوف إيه الشرط : « ساعطى لك طبق وفائزة زيم تأخذهم لي معاك وانت خارج من الجمرك وتديهم لي برة الميناء . . يعنى يبقى في شطنتك إنت طبق وفائزة وفي شطنة سلمى طبق وفائزة » - كان كل واحد منكم مشترهم لنفسه !!

إكتشفت اليوم اكتشافا

ظريفا على السفينة في سهرة الليلة في صالون الضباط .. « محمود بيومي » المهندس الثاني : مطرب !! .. صحيح أغلب الناس الآن مطربين ، منهم من يغنى في الحما ويعجبه صوته فيشيع بين أصدقائه أنه مطرب ، ومنهم من يغنى في مكان آخر فينكشف يقول للناس .. لكن « بيومي » مطرب بصحيح ، مطرب معتمد وله أغاني مسجلة تدعيها إذاعة الإسكندرية المحلية .. طبعاً هذا إكتشاف ظريف سوف يسلينا ويسرى عنا طول الرحلة .. وظللنا - « سلمى » أنا و « خيري » - نتحايل على « بيومي » لمدة ساعة لكن يسمعا صوته ، وهو يعمل حركات مثل كبار المطربين بأنه « الليلة مش مستعد » و « مش جاهز » و « ماكتش عامل حسابى انى حاغنى الليلة » و « أصلى ما جيتش معايا العود بتاعى » .. وظل « بيومي » يتدلل ويتغلد من ناحيته ، ونحن نلح ونصر ونتحايل من ناحيتنا ، حتى رضى أخيراً ووافق ، وغنى .. وبمجرد أن قال « باليل » كففنا نحن عن الإلحاح والمحيلة ، بل وبطلنا نسهر مع المهندسين خاص من بعدها ولا نيجى ناحية صالون الضباط بالليل .

والحقيقة أن « محمود بيومي » راجل مهذب وشخصية ظريفة فعلاً ، وصوته كمان ظريف ، لكن العيب فينا إحنا ، إحنا اللي مش بتعرف نسمع !!

نوبة ألم فضيحة

في الكلى فاجأتني الليلة قرب الرابعة صباحاً وأنا أستعد للنوم .. ألم فظيع لا يحتمل - رغم أنني محول جداً عادة - تحملتها بمعاناة شديدة وظللت أتلوى من الألم وأتخبط في القمرة الضيقة الصماء كأسد حبيس مضروب ١٠ رصاصات ومتروك ليموت وحده (على راحته) .. وظل الألم يفترسنى طيلة نصف ساعة كاملة حتى أنقذنى النوم في النهاية ، فاستسلمت له على الكنية ولم أنم في فرائشى ..

هذه ثاثة مرة تحدث لى فيها مثل هذه النوبة ، وبين المرتين ٣ سنوات كاملة .. حدثت لى من قبل فى لندن .. كنت وحدى - للصدفة - فى البيت الذى كنت أسكن فيه مع أسرة باكستانية ، وكنت أتكلم فى التليفون حين فاجأتنى النوبة فسقطت الساعة من يدى وسقطت أنا على الأرض ابتلوى من الألم الفظيع وأنا أكتم صوت أنيى بكفى حتى لا يسمعه الطرف الآخر على الساعة الملقاة على الأرض جوارى ..

ما أتذكره الذى تتنابه مثل هذه الحالات المرضية وهو وحيد أو وهو فى الغربية بعيد عن أرض الوطن وعن أسرته وعن من يهتمون به .. قطعاً يكون أله مضاعفاً ..

« الخواجة »
أو
« الضابط »

الإدارى للسفينة « سعد سلامة » .. الضابط الإدارى ليس ضابطا بحريا ، بمعنى أنه لا يؤدي عملا بحريا ، لكن وظيفته إدارية .. هو - بأقرب تشبيه ممكن - مدير الشؤون الإدارية على السفينة .. كل الأعمال الإدارية مسئوليته .. هو المسئول عن مخازن تموين السفينة وعهدها .. هو المسئول عن مطعم السفينة ومطبخها وصالون الأكل .. هو المسئول عن السفرجية والطباخين والخبازين ، وهو المسئول عن رداءة الطعام الذى يقدم لأهل السفينة .. وهو المسئول عن صرف مرتباتهم فى الموانئ التى تتوقف عندها السفينة بعمليات هذه الموانئ .. وهو المسئول عن تزويد طاقم السفينة باحتياجاتهم من السجائر و (المنكر) طوال الرحلة ، وهو المسئول عن إجراءات البوليس واستخراج تصاريح النزول لأفراد طاقم السفينة إلى الموانئ الأجنبية .. وهو - فى هذه الرحلة بالذات - المسئول عن تكدي وعكنتى وتبويط أعصابى وإفساد متعتى بالرحلة وسيرى على أطراف أصابعى كراقصات البالية أو كزوج عائد إلى بيته متسجبا وش الفجر ، طيلة فترة هذه الرحلة ..

« الخوجة » - وهذا هو الاسم البحرى المصطلح عليه لوظيفة الضابط الإدارى - « الخوجة » واخذ معاه على السفينة فى هذه الرحلة بالذات - من سوء بختى ونحس طالمى - كلب (وولف) عمره ٣ شهور فقط ، لكنه يبدو على السفينة - على الأقل من وجهة نظرى أنا الذى أموت رعبا من أى كلب مهما كان عمره حتى لو كان لسه مولود الآن حالا ولم يفتح عينيه بعد ولسه مش بيعرف سيهو - لذا فإن كلب « الخوجة » يبدو على السفينة وكأنه أسد صغير تحت التمرين بملاطقات السفينة وعمراتها رعبا حين ينبج .. وهو لا يصادفنى فى مكان إلا ويشد جسمه الطويل ويمد رأسه مشمشيا نحوى أنا بالذات - إين الكلب - وهو ينظر إلى شذرا كأنه يعرف جيدا أننى مرعوب منه ، فأتسمر فى مكانى ولا أتقدم خطوة واحدة حتى يأتى الخوجة و (يحوشه عنى) ...

« الخوجة » مسمى كلبه « حسان » !! .. ليه (حسان) بالذات أنا مش فاهم .. لكن يبدو أن « الخوجة » بيكره حد معين اسمه « حسان » كرها شديدا ويعتنى لو أنه انسخط وصار كلبا .. لكن على العموم فقد أطلقت أنا على حسان الكلب لقب : (أسد السفينة رمسيس) ...

على
مائدة
الأفطار

صباح اليوم طلبت من السفرجى « أبو الغيط » أن يسأل لى فى المطبخ ما إذا كان يوجد شوية فول مدمس متبقية من أمس ، فسأل وعاد ليقول لى بغطرسه : « الطباخ يقول لك الفول يوم الفول بس » !! يا ولاد لإلايه يا غمادة ، دا أنا باطلب فول مدمس مش ديك رومى .. لكنه الطبخ الأصيل فى العامل المصرى وما فعلته به الإشتراكية

والمساواة : اذا استطاع أن ييصق في وجهك دون مناسبة وهو ضامن ألا يعاقب لفعل دون تردد !! .

وبمناسبة سفريجية وطباخين القطاع العام فإن (ميس الضباط) أو الصالون الذى تناول فيه الطعام يندر أن نجد نظيفا ، ونزول لتناول الغذاء فتجد أن بواقى فخايت الأكل المتخلفة عن وجبة الإفطار لا زالت على المفارش كما تركتها في الصباح . . ويتكرر ذلك في وجبة العشاء حين تجد متخلفات وجبة الغذاء لا زالت على المفارش . . حتى سألت وتحريت ودققت ، فعرفت أنه من باب التفتش وحتى لا تبلى المفارش بسرعة فإنهم لديهم تعليمات بأن ينقضوها مرة واحدة كل يوم خيس !! .

المفروض أن السفينة

سوف تقطع مشوارها من الإسكندرية إلى أول ميناء ترسو عنده في ألمانيا الشرقية في رحلة واحدة تستغرق ١٣ يوما دون توقف . . لكن الواضح الآن أننا سوف نكون مضطرين إلى التوقف ، وبشكل عاجل جدا ، في أقرب ميناء ونحن لم نكد نبتعد عن الإسكندرية إلا بأقل من يومين . . وأقرب ميناء إلينا الآن هو جزيرة مالطة على بعد نصف يوم آخر من الآن . .

السبب في ذلك هو اكتشاف وجود شرخ في خزانات المياه العذبة التي يشرب منها أهل السفينة ويغتسلون ويطبخ بها طعامهم . . الشرخ موجود في الخزانات وإن كان المهندسون على السفينة قد فشلوا في تحديد مكانه أو تحديد أسبابه ، لكنه موجود على أى حال ، موجود بنتيجته . . فإن رصيد المياه العذبة قد انخفض ٥٤ طنا كاملة في يوم ونصف يوم فقط ، والمفروض أن متوسط استهلاك السفينة من المياه في اليوم لا يزيد عن ٣ أطنان ، والكمية المفقودة - ٥٤ طنا - كان المفروض أن تكفينا طوال فترة المشوار من الإسكندرية إلى ألمانيا الشرقية ، وفيض منها كثير كيان . . وأصبحت الكمية الباقية في الخزانات لا تكفى للمجازفة بالإستمرار في الرحلة أبعد من مالطة ، لأنه من الممكن - طالما أننا مش عارفين أسباب تسرب المياه - أن تنتهى منا فجأة ونحن في وسط البحر بعيدين عن أية موانئ أخرى بمسافات أطول من أن تحملها السفينة بدون ماء عذب . .

وإذا لم يستطيع المهندسون أن يكتشفوا مكان الشرخ في خزانات المياه ، وعلاجه بسرعة ، فإن السفينة في هذه الحالة ، ومع استمرار وجود الرش والتسريب في الخزانات ، سوف تكون مضطرة إلى دخول ميناء جديد كل يومين ، لأخذ مياه جديدة بدل المياه المتسربة .

قال لى القبطان

، وكذلك كبير الضباط ، أن المسألة ليست مسألة « ثمن » المياه العذبة فقط ، التى سوف تشتريها من كل ميناء ندخله ، لكن رسوم دخول السفينة وخروجها من هذه الموانئ مكلف جدا وغالى جدا ، غير أجر الـ « بايلوت » أو المرشد الذى يتولى

قيادة السفينة وإرشادها في الدخول وفي الخروج ، وغير إيجار الرصيف الذى سوف نرسو إلى جانبه ، يعنى أن دخول ميناء ليس شيئا هينا على ميزانية الشركة أو تكاليف رحلة السفينة . . بالإضافة إلى ذلك كله - وهو الأهم - أن اليوم الواحد من أيام الرحلة تتكلف السفينة فيه ٢١٠٠ جنيه كاملة ، وكل يوم ضائع بلا مناسبة = ٢١٠٠ جنيه محسوبة بالخسارة على ميزانية الرحلة

هل المشكلة الآن - وسفینتنا جديدة وفي رحلتها الأولى - هى فقط مشكلة خزانات المياه السائبة المفتوحة على البحر تسرب إلى المياه العذبة بلا انقطاع ١٩ . . « لا - قال القبطان وقال كبير الضباط - ولكن الـ (جابرو) أو البوصلة الكهربائية أيضا عطلانة ، درجة حرارتها ترتفع كثيرا عن المعدل المفروض ، ونفشل في تبريدها فنضطر إلى إيقافها والإعتدال على البوصلة البدائية القديمة الموجودة معنا . . أيضا جهاز الرادار الذى يعتبر روح السفينة وحياتها ، به عطل جوهرى هام يجعلنا لا نستطيع الإطمئنان إليه أو الإعتدال عليه تماما . . وعموما - يستعرد القبطان ويستعرد كبير الضباط - فإن ٧٠٪ من أجهزة السفينة لا تعمل بطريقة صحيحة ولا مضبوطة . .

بأه ده كلام بالذمة ١٩ . . آمال في حكاية الترسانة المصرية والمهندسين المصريين والأيدى العاملة المصرية الى احنا طالعين معاكم علشان نشوف نتيجة عملهم في أحدث سفينة بنيت في مصر هذا العام وتم تسليمها منذ أقل من شهر واحد ١١٩ . .

شكل تعامل القبطان

مع ضباطه بشكل عام ، ومع كبير الضباط بشكل خاص ، رذل جدا وسىء جدا . دائما يتعمد أهائته وتحريجه أمام كل الناس على السفينة ، ويتهمه بالجهل وبأنه حمار وملغلف وما يفهمش في حاجة إلا الأكل فقط ، ومسميه « على وزه » ودائما يجرى وراءه وفردة حدائه في يده يريد أن يضربه بها ، وكثيرا ما فعل فعلا ، دائما ينقض عليه فجأة ليمسكه من رأسه ويشد شعره حتى ليكاد يطلع في إيديه . . ومرة صفعه - لنقل على « جانب رقبته » حتى أكون دقيقا - صفعة قوية حين كان « على » جالسا في صالون الضابطات يتناول عشاءه أمام كل صغار الضباط والمهندسين ، وأماننا - نحن الصحفيين - وكل ذلك بدعوى الحزاز طبعيا ، لكن أى مستوى من الحزاز هذا الذى تجرح فيه تخرامة الناس إلى هذا الحد ١٩ . . ودائما يسخف معلوماته ويحقرها ويتهمه بأنه جاهل وما يفهمش حاجة وما يفهمش ويطلب منه أن يعود إلى قراءة قوانين البحر . . ودائما كبير الضباط يرد بأنه واثق من معلوماته ومتأكد منها ، ثم ينتهى الموقف دائما بأن يستسلم « على » لرأى القبطان على اعتبار : « على العموم سيادتكم القبطان وإنتر حر . . ما دام إنت معلوماتك كده وشايف كده ، يبقى هو كده » !! . .

الله في خلقه شئون ، لكننى - في الحقيقة - لا أستطيع أن أكنتم دهشتى من ذلك الذى أراه هنا على هذه السفينة ، ولم أره من قبل لا في بر ولا في بحر ، ولار أظن أننى سوف أراه بعد ذلك ، يرضه لا في بر ولا في بحر . . .

فـسـ نـهـايـة الـيـوم

الثالث بعد بدء الرحلة تصرفت تصرفاً بدا لي في البداية أنه تصرف ظريف
ومعاملة رقيقة مني ، لكنني اكتشفت أنني - بذلك التصرف - قد ارتكبت الخطأ
الذي ظلمت أنذم عليه بعد ذلك طوال هذه الرحلة ، والذي كان - في الوقت نفسه - الخطأ الذي
جعل للرحلة طعماً بعد ذلك . . خطأ زى الفلفل والشطة والبهارات والمستردة والكاري : تشعوط
لسانك وتلهله صحيح ، وتتعب معدتك أحياناً صحيح ، لكنها الشيء الوحيد الذي يجعل للأكل
نكهة وطعماً لذيذاً مقبولاً !! ..

الفصل الثالث

كتايت مالطة ..
و برغوت باشا !.

وهكذا حين وضعت

«سلمى» و«خيري» خطواتها الأولى على شاطئ جزيرة مالطة، كانا يضعان أقدامهما على أرض أوروبا لأول مرة في حياتها.. والله وإن كتبت لك

ياخيري يابن شلبي!

كانت انطباعة كل منها مختلفة عن انطباعة الآخر.. «سلمى» كانت واقعية جدا.. كانت سعيدة للغاية وهي تضع قدمها الصغيرة على أرض الجزيرة وتضغط بها على الأرض في تأكيد وتقول في جدل: «واحد»!! فلما سألتها مندهشا ما إذا كانت تنوي أن تحصى عدد الخطوات التي ستمشيها في مالطة؟ قالت في سعادة: «أبدا.. ده أنا بأقول «واحد» على إن دي أول دولة أوروبية أزورها في حياتي.. وساعد ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ مع كل دولة جديدة في العالم أزورها، لغاية مايجي على - بإذن الله - اليوم اللي أقدر أقول فيه إن زرت كل دول العالم.. قول يارب.. تفاللة جدا «سلمى» ومنطقها واضح وبسيط وسهل..

أما «خيري» فقد نزل إلى شاطئ الجزيرة وهو شامخ الأنف يشيح بوجهه في كبرياء وعظمة، عمدة من الأرياف ينزل إلى البندر لأول مرة ورغم أنه خضوض ومبعثر جدا من الداخل إلا أنه يريد أن يثبت لكل الناس أن المسألة عادية جدا وأنه مش مهتم ولا حاجة.. نكشته: «إيه ياخيري؟ حاسس بإيه وأنت تضع قدمك لأول مرة في حياتك على أرض أوروبا؟... فرد بلا مبالاة: «هوانت بتعتبر دي أوروبا؟... أنا أوروبا في نظري لندن، باريس، روما...» وسكت «خيري» وقد ارتبكت نظراته، فإنه لم يتذكر من «أسماء» عواصم أوروبا غير هذه المدن فقط... لكن المهم أن أوروبا خيري هي التي يقرأ عنها في الصحف والمجلات...

معلش يا «خيري».. لسه الرحلة طويلة.....

وكانت السفينة قد

دخلت مالطة قرب الظهر.. ميناؤها شكله غريب جدا... على الأقل هكذا بدا في عيني.. أول مرة أرى ميناء بغير أرصفة ترسو الي جوارها السفن.. كل السفن ترسو في وسط الماء بعيدا عن الشاطئ بمسافة بسيطة: الشاطئ قريب جدا من السفن والسفن قريبة جدا من الشاطئ، والناس والسفن يتعايشان متقاربين ببساطة جدا:

بملايس الإستحمام يسبحون ويعومون قريبا جدا جدا من السفن إلى أقصى حد ، وحولها وإلى جوارها ... ولم تكن نحتاج كثيرا إلى النظارات المعظمة لكي نرى الحسناء ذات الجسم البرونزي المشوق جدا بالملايوه الأسود القطعة الواحدة وهي تسلم جسدها الفاخر للماء باسترخاء شديد وراحة ونعومة كأن العالم كله قد دان لها .. شكلها المرتاح جدا - المريح جدا - لأنظارنا !! - يوحى بمنتهى الأمان والسلام والاطمئنان ...

ويَدْعُونَا

مستتر

«جون»

جرايما John Grima وكبيل الشَّرْكة في مالطة إلى جولة في الجزيرة ، لأنه ما أن عرف أنني صحفي حتى قال لي أنه هو الآخر كان في بداية حياته صحفيا غرورا للشئون السياسية والرياضية - معا - وأنه ترك الصحافة حين وجد أن عمله الحالى أكثر ربحا ...

ويحدثني مستر «جون» - الذى لم ير مصر في حياته رغم أنه وكبيل لشركة مصرية هنا - يحدثني عن مدى التقارب بين اللغة المالطية واللغة العربية ، فيقول أن ٥٠٪ من اللغة المالطية ، وربما أكثر ، هي كلمات عربية صحيحة بنطقها المعتاد عندنا في اللغة العربية أو معرفة قليلا ، مثل : طبيب ، قال لي ، قميص ، سروال « وتقال عن سروال الطفل فقط » ، طفلة ، وللفتاة الصغيرة بين ١٥ و ١٧ سنة يقال هنا (طفيلة) ، شابة .. والشاب هنا يقال له (زعدوح) . عندك . ويقولون هنا « كيم » بمعنى كام ، و « إيريد » بمعنى أريد ، و « طيب » بمعنى ان هذا الشيء كويس . و « درج » عن السلم . و « سوکور » بدلا من سكر .. والألوان كلها بنفس تسمياتها باللغة العربية : أحمر أزرق وأصفر وأبيض .. والأرقام تكتب بالشكل الأوروبى 1 2 3 4 وتنطق باللغة العربية : واحد إثنين ثلاثة أربعة ...

ويقول مستر «جون» أيضا أن أى حد يتكلم اللغة العربية أمام أهل الجزيرة فهم يفهمونه تماما ، لكنهم إذا ردوا عليه لن يفهمهم هو لاختلاف شكل النطق .. وأن باقى مفردات اللغة المالطية هي خليط من اللغتين الإنجليزية والإيطالية ، ولذا فإنه - غالبا - أى مالطى يستطيع ببساطة جدا أن يفاهم باللغات الثلاث العربية والإيطالية والإنجليزية ، واللغة المالطية نفسها طبعاً

نستكمل

حديثنا

فى

مكتب مستر «جون» في منطقة حى الأعمال في «قالبينا» عاصمة مالطة .. المكتب يضم حوالى ١٥ موظفا أغلبهم من الحسناوات .. أكبر كمية من الشعر الأشقر رأها «خيرى» في حياته قطعاً .. كنت مضطرا بعد لحظات الى ان أعتذر لمستر «جون» بالنيابة عن صديقى بأنه أصيب بالتواء في رقبته نتيجة دوار البحر ، وأن ذلك هو السبب في أنه يجلس معنا الآن وهو يعطينا ظهره ووجهه متجه - عبر الحاجز الزجاجى - إلى الصالة الخارجية ، حيث الشعر الأشقر والعيون الزرق !!!

وتدخل السكرتيرة الحسنة الشقراء الفارغة لتقدم لنا الشاي ، فتهمل « سلمى » وتجاهلها تماما كأنها غير موجودة . وهي تقلبنا - « خيري » وأنا - بنظراتها الجريئة وابتسامتها الداعية كأنها تتساءل : « أليكم ؟ متى ؟ » .. يرتبك « خيري » وتضطرب عيناه من خلف نظارته البيضاء ، ويبدو واضحا أنه يصطدم لأول مرة في حياته بعجوة الفتاة الأوروبية .. لكن يبدو أن « خيري » ليس وحده الذي لديه مشكلة ، فإن مستر « جون » يرد على سؤال الذي وجهته إليه : « ماهي نوعية مشاكل الأبناء هنا في مالطة ؟ » .. مستر « جون » لديه ولد وبنت .. الولد عمره ٢٠ سنة وليس لديه أية مشاكل من ناحيته على الإطلاق ، لكن البنت التي عمرها الآن ١٨ سنة هي مشكلته الحقيقية ومصدر وجع القلب بالنسبة إليه ، لكثرة أصدقائها الشبان وكثرة خروجها معهم وتأخرها باستمرار في العودة إلى البيت ليلا عن الموعد الذي يمكنه أن يسمح به ويوافق عليه .. سألت مستر « جون » عن الموعد الذي يسمح به هو فقال كأنه يستشهد بـ : « منتصف الليل .. ليس ذلك موعدا مناسباً ؟ » قلت له على الفور : « يا شيخ حرام عليك .. عايز تقيم البنت من بدري كده زى الكتاكيت ؟ »

ويصل
مستر
« جون »

شريك مستر « جون » في المكتب ، ويرحب بنا جدا لأنه يحب المصريين الذين قضى بينهم ٣ أعوام يعمل في مدينة بورسعيد .. وحين عرف أننا جئنا على السفينة المصرية الجديدة (رئيس الثاني) في رحلتها العذراء ، يحكي لنا سعيدا جدا أنه عند زواجه سنة ١٩٤٩ قضى شهر العسل في مصر ، وأنه سافر إليها هو وعروسه على السفينة المصرية (نجمة السويس) وكانت هي الأخرى في رحلتها العذراء ..

« جون » الذي قارب الستين الآن ، رجل ظريف وجوب ومرح و « عشري » ..

مالطة
عبارة
عن ٣

جزر متقاربة هي - حسب الحجم والأهمية - (مالطة - Malta) ، و (جوزو - Goso) ، و (كومينو - Comino) .. مالطة هي الجزيرة الأكبر ، وهي عبارة عن مجموعة مدن متقاربة .. هم يسمونها هنا « مدنا » من باب التفضيم ليس إلا ، لكنها في الحقيقة ليست إلا مجموعة أحياء متقاربة جدا ومتداخلة ، حتى أنك تستطيع أن تلف الجزيرة كلها بأحياها أو بمدنها سمها كما شئت ، في أقل من نصف ساعة بالسيارة .. والعاصمة « فاليتا » Valletta هي مركز التجارة والأعمال في الجزيرة كلها .. وعدد سكان جمهورية مالطة جميعهم يقلون كثيرا عن عدد سكان أصغر حى في مدينة القاهرة ، بل يقلون كثيرا عن عدد سكان ضاحية صغيرة من ضواحي القاهرة ، كضاحية المعادى مثلا أو الزيتون .. فهم ٣٢٠ ألفا فقط غير .. وذلك لأن المالطيين بطبيعتهم شعب مهاجر .. كثيرون منهم عاشوا في مصر ، ويوجد الآن ١٨٠,٠٠٠ مالطى في أستراليا و ٨٠,٠٠٠ مالطى في كندا و ١٢٠,٠٠٠ في إنجلترا .. وهذه هي

، فقط ، الجاليات الماطلية الكبيرة المحسوبة في العالم ، وذلك معناه ببساطة أن تعداد الماططين في هذه الدول الثلاثة فقط : أستراليا وكندا وإنجلترا ، يزيد عن تعداد الماططين في الماطة نفسها بأكثر من ٦٠ ألفا !!!

التليفزيون فى ماطلة

أبيض وأسود حتى الآن . . ومطلة التليفزيون هنا تنبوع على قناة واحدة لمدة ٥ ساعات يوميا فقط : من ٦ مساء الى ١١ ليلا . . لكن اجهزة التليفزيون في الماطلة تستقبل بشكل جيد جدا إرسال التليفزيون الإيطالى بقناتيه ، لأن إيطاليا تقع في مواجهة ماطلة تقريبا وعلى بعد ٦٠ ميلا بحريا فقط عبر البحر الأبيض ، يعنى أقل من المسافة بين القاهرة وطنطا مثلا . . .

قبل سنة واحدة فقط كانت إذاعة ماطلة وتليفزيون ماطلة تابعين لشركة إنجليزية ، ثم أمتها الدولة في العام الماضى . . .

مستتر «چون» يضع

ساعة التليفون بعد أن انتهى من مكالمه سريعة ، ليسألنا ما اذا كنا نحب أن نזור السفارة المصرية هنا ؟ فنرحب على الفور طبعاً . . . ذاهب ليعرض على القائم بالأعمال المصرى شيئا متعلقا بسفينتنا (رئيس الثانى) . . دفتر إسمه الـ (لوج بوك) أو (دفتر أحوال السفينة) : طالما أن السفينة دخلت ميناء به سفارة مصرية أو قنصلية مصرية فلا بد وأن يعرض هذا الدفتر على السفير أو على القنصل ليراه ويضع توقيع عليه ، على اعتبار أنه يمثل الدولة المصرية هنا . . .

ونذهب إلى السفارة المصرية سيرا على الأقدام في شوارع ماطلة . . السفارة على بعد ١٠٠ متر فقط من مكتب «چون» ، وهو يريد أن يرينا شيئا تشتهر به ماطلة : شوارعها المائلة جدا : إما صاعدة جدا بزاوية يمكن أن تمثل ٦٠ درجة ، أو منحدرة جدا قال لنا «چون» مازحاً أننا يمكننا أن نزلق عليها كما لو كنا نزلق على الجليد

فى السفارة المصرية

يستقبلنا «حازم طاهر» السكرتير الثانى . . ويكون القائم بالأعمال قد عرف بوجودنا فياخذنا «حازم» إليه فوراً . . المستشار «سمير كامل» يستقبلنا مرحباً جداً . . فى الحقيقة أن ترحيب السفارة الشديد فى ماطلة بنا جعل سؤالا يلح على ذهنى كثيرا يقفز إلى لسانى فوراً لكننى منعه من الخروج : هل المسألة مسألة إختلاف فى طبيعة الأشخاص

بين سفير وسفير؟ أم أنه كلما كانت السفارة في دولة أجنبية عدد المصريين بها قليل كلما كان ترحيب السفير- والسفارة- بهم أكثر، والعكس أيضا صحيح : كلما كان عدد المصريين كبيرا في دولة ، وكانت مشاكلهم- بالتالي- كثيرة ، كلما قل الترحيب بهم في سفاراتنا المصرية ١٩٠٠

الشهادة لله : المستشار « سمير كامل » رحب بنا جدا واحتفى بنا كثيرا . . . وظللنا معه ساعة كاملة ، ولولم يكن الوقت أماننا قليلا ونريد رؤية باقي الجزيرة ، لم تركناه ولما تركنا . . رجل سهل بسيط فياض الحديث . . . في أقل وقت ممكن كانت أماننا - كصحفيين - كل الصور التي نريدها ونبحث عنها . . وأحمد المستشار بشدة على الموقع الفريد الرائع لمبنى السفارة ، موقع خللاب فعلا بإطلالته المثيرة على خليج « فاليتا » العاصمة مباشرة ، بشكل يجعل الجزيرة كلها عملا العينين بجبال فريد ساحر وعملا القلب بالتأثر والامتنان للخالق الذي أبدع كل هذه الروعة وكل هذا السحر . . أجمل موقع وأجمل منظر في الجزيرة كلها . . .

ويؤكد القائم بالأعمال تصوري أن أجمل سفارة في (فاليتا) كلها - عاصمة مالطا - هي السفارة المصرية ، وأنه كان من الإستحالة تماما على أى سفارة أخرى أن يسمح لها بهذه القليلة أو هذا القصر الصغير إلا لسفارة مصر بالذات ، لما لمصر من معزة خاصة وتقدير كبير عند الحكومة المالطية وعند الشعب المالطي الذي يجب ويحترم مصر والمصريين إحتراما كبيرا ، لأن هذا الموقع بالذات يحتل عند المالطيين جانبا عزيزا من ذكرياتهم التاريخية ، إذ أن الغزاة الأتراك - زمان - كانوا كلم أرادوا أن يهاجموا الجزيرة جاءوا بسفنهم ودخلوا في خليج « فاليتا » وضربوا الجزيرة بالقنابل ومدفعية السفن من هذا الموقع بالذات تحت السفارة مباشرة . . وكان المالطيون المدافعون عن جزيرتهم يكمنون للأتراك في هذا الموقع على سطح الهضبة المقامة عليها الآن السفارة المصرية . . ولقى القائد التركي « برغوث باشا » مصرعه في هذا المكان الذي نقف فيه الآن في آخر هجوم للأتراك على الجزيرة . . ومجته انحسر الغزو التركي وفشل ، ولم يعد الأتراك لمحاولاتهم هذه بعد ذلك حتى الآن . . .

المستشار
« سمير
كامل »

هو أول سفير لمصر في مالطة منذ افتتاح سفارة لنا هنا في اغسطس ١٩٧٢ بعد استقلال مالطة بنحو ٨ سنوات . . أسرته تعيش معه هنا : زوجته وابنته « منى » التي قضت كل فترة دراستها الجامعية في كلية الإقتصاد والعلوم السياسية بجامعة مالطة . . « منى » شغوية لطيب مصرية في القاهرة وسيتم زواجها بعد أن تنتقل الأسرة الى مصر بعد أسابيع قليلة . . « طارق » ابن القائم بالأعمال طالب أيضا في جامعة الجزيرة في كلية الهندسة ، باقى له في الدراسة ٣ سنوات سوف يكملها في القاهرة . .

ويقول لي المستشار « سمير كامل » ان الجالية المصرية هنا قليلة للغاية : مهندس مصري + ٢ مدرسين لغة عربية أحدهما في الجامعة والآخر مدرس ثانوى . . والحكومة المالطية هنا مهتمة جدا باللغة العربية وبتعليمها ، حتى أن أولوية التعيين في الوظائف الحكومية لمن يعرفون اللغة العربية . . لذا فقد قررت الحكومة تدريس اللغة العربية في كل المدارس الثانوية في الجزيرة . .

ونحن الآن - القائم بالأعمال هو الذى يتكلم - فى انتظار ٨ مدرسين لغة عربية سيصلون من القاهرة مع بدء العام الدراسى القادم .. كما أن الدكتور «حسن ظاها» الأستاذ بجامعة الاسكندرية قد أعبر الجامعة مالطة ليشرف على قسم اللغة العربية الذى تساهم حكومة الكويت فى تدعيمه ب ٧٠٠٠ جنيه استرلينى سنويا .. كل ذلك بالإضافة إلى برامج تعليم اللغة العربية التى تداع فى التليفزيون ، وفصول تعليم اللغة العربية المسائية المنشرة فى كل أرجاء الجزيرة ...

وعلى المستوى الرسمى

وعلى المستوى الشعبى : الحكومة هنا فى مالطة - المستشار «سمير كامل» يستطرد - نجد من كل أجهزتها التعاون الكامل فى أى موضوع تفكر فيه ، وهى تحترم مصر والمصريين إحتراما كبيرا ويكتون لنا تقديرا عظيما ... ومالطة الشعب ، مالطة الناس : عشرين جدا وشعب وفى جدا وعجب للعرب جدا ، ويشعرون من ناحية المصريين بالذات باحترام خاص أكثر من أى دولة عربية أخرى ، وذلك مرجعه لاجدادهم الذين عاش أغلبهم فى مصر لفترات طويلة ولهم ذكريات طيبة ...

❶ «هل هناك سياحة مصرية مالطية متبادلة بين مصر ومالطة» ...

- المالطيون ليسوا سياحا بطبيعتهم وإنما هم مهاجرون .. يسافرون خارج بلادهم للعمل و ليس للسياحة .. مالطة يأتى إليها كل سنة نصف مليون سائح أجنبى ، يعنى قدر عدد سكان الجزيرة نفسها مرة ونصف .. من بينهم ١٠٠٠ سائح لیبى على الأقل كل شهر .. لكن هذا النشاط السياحى اللیبى لا يقابله أى نشاط سياسى .. فى الوقت الذى يوجد فيه نشاط سياسى مصرى لا يقابله أى نشاط سياحى مصرى ، رغم أن مالطة تعتبر أرخص من أغلب المصايف المصرية نفسها : الشقة هنا ٤ غرف كبيرة مفروشة فرشاً جيداً إيجارها ٤٠ جنيتها فقط شهريا .. لذا فإن السفارة المصرية فى الجزيرة تسعى إلى تسير خط طيران مصرى : القاهرة - بنغازى - مالطة - مدريد ، فذلك الخط سيسهل كثيرا عملية جذب سياحة مصرية إلى مالطة ، وعتمل أيضا سياحة مالطية إلى مصر ، خصوصا أن مالطة أظرف كثيرا من قبرص التى يقبل المصريون على السياحة فيها ... وأيضاً لأن أغلب الخبراء الأجانب الذين يعملون فى مصر وليبيا تقيم عائلاتهم فى مالطة ...

❷ هذا عن السياحة .. ماذا عن التجارة المصرية هنا ؟ ...

- ليس لدينا هنا فى السفارة ملحق تجارى ، وأيضاً لا يوجد هنا تجار مصريون ولاتجارة مصرية .. مع أن التاجر المصرى ممكن أن يعيش هنا ويكسب كويس أوى والسوق مفتوح ١٠٠٪ ومهملاً لاستقبال أى حد جديد ... وكل مانتخيله ممكن تصديره من مصر إلى مالطة التى تستورد كل سنة بما يساوى ٨٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ، تستورد أغلبه من الصين ومن اليابان .. لكن مشكلتنا فى مصر أننا نعتبر أن السوق هنا فى مالطة صغيرة لاتستحق منا المجهود الذى سيبدل فيها !!

عن مستوى الحياة

هنا في مالطة يقول القائم بالأعمال المصري أنه أفضل مستوى في البحر الأبيض كله ، على الأقل المناطق من الدول المطلة على البحر الأبيض . . الحد الأدنى للأجور هنا هو ٦٥ جنيها مالطيا في الشهر (١٣٠ جنيها مصريا) + مكافأة كل سنة . . ومستوى التعليم - على النظام الإنجليزي - مرتفع جدا ولا تكاد تكون هنا نسبة أمية : ٢٪ أو ٣٪ على الأكثر . . . ومن بين سكان تعدادهم ٣٢٠ ألفا يوجد ٩٠ ألفا موظفين في حكومة مالطة ، الأغلبية منهم يعملون في الميناء وفي الصناعات المتعلقة بالسفن . . وقد دخلت مؤخرا صناعات جديدة لم تكن موجودة حتى سنوات قريبة . مثل صناعة الزجاج الملون والشوكولاته والمطاط . .

● « والمسلمون في مالطة ؟ » . . .

- مسجد واحد في مالطة لا يوجد غيره الآن - وبالمناخية : المسجد له مثذنة ١١ - والشيخ الذي فيه سوري وليس مصريا . . لكن ليبيا تبنى الآن مسجدا آخر . . . وهنا أيضا ٦٠ أسرة باكستانية أنشأوا شركة طيران مالطة ، لذا فإن أغلب الطيارين والفنيين باكستانيين مسلمين . . .

سألت المستشار « سمر كامل » ما اذا كان ممكنا أن يترتب لي لقاء مع رئيس الوزراء المالطي ، فنظر إلى ساعته ثم قال لي : « لو كنت جيت بلدى عن كده ساعة واحدة فقط لأمكننى تدبير موعدك عصر اليوم ، لكن رئيس الوزراء الآن في بيته في فترة راحة . وأنا أعرف أن لديه في المساء اجتماع مجلس وزراء . . . ولو أنك بقيت في مالطة الليلة فقط فسوف تلتقى به غدا صباحا ، وذلك فقط لأنك صحفي مصرى . . وبالمناخية ، فمعروف طبعا أن مالطة مقبلة على انتخابات لرئاسة الجمهورية في أكتوبر القادم . حيث تنتهى في ذلك الوقت مدة رئاسة رئيس الجمهورية الحالي . .

ويجب القائم بالأعمال

على سؤال لـ « سلمى » عن أشهر أكلة في مالطة ، فيقول أن الأكلة الشعبية المشهورة جدا في مالطة هي المكرونة ، ويسمونها « أيجين » بتعطيش الـ (ج) ، بمعنى « عججن » . . . والأكلة الشعبية الثانية إسمها « مينستروني » وهى عبارة عن خليط من أنواع الخضار المختلفة أقرب إلى الـ (تورى)

ويعد صمت طويل يفتح الله على « خيري شلبي » بسؤال واحد لم يوجه غيره إلى القائم بالأعمال على إمتداد الساعة التى بقيناها معه : « ماهى أخبار أحمد عدوية هنا ؟ وهل وصلت شهرته إلى مالطة ؟! »

وترسم على وجه القائم بالأعمال علامات الدهشة ، ثم يتسم ، ولايجيب !!

□ □ □

ولأن المستشار « سمر كامل » كان مرتبطا بعشاء دبلوماسى بعد ساعة ، فانه يتركنا في رعاية « حازم طاهر » السكرتير الثانى للسفارة و « طارق » طالب الهندسة ابن القائم بالأعمال ليأخذنا في

جولة طويلة بالسيارة نلف فيها الجزيرة كلها - بمدنها ، أو أحيائها ، سمها كما شئت - لم تستغرق أكثر من نصف ساعة . . ثم نسنكملها سيرا على الأقدام في شوارع الجزيرة الرئيسية : شارع « ريابليكا » أو شارع الجمهورية : الملىء بالمحلات والدكاكين والكافيتيريات ودور السينما والملاهي والكازينوهات التي تحتل الأرصفة كالعادة في أغلب دول أوروبا ، والساحات الواسعة و فرق الموسيقى تعزف في وسطها . . كل حى هنا له فرقة فنون شعبية خاصة به ، تخرج إلى شوارع وساحات وميادين - إلى كل يوم أحد لكي تعزف وتغنى ويدور الرقص في الشوارع ، وتقام في المساء مباريات بين الأحياء في إطلاق الصواريخ الملونة . . .

من الأساء العربية التي تطلق على الأحياء هنا - أو المدن ، برضه سمها كما شئت !! - شارع الرباط ، مدينة ، جزيرة ، عطارد ، سليمة ، مرفأ ، مرسى ، مليحة ، صافى . . شارع الهلس والمسخرة في الجزيرة هنا إسمه « شارع المسرح القديم » OLD THEATER STREET . . ومن المطاعم الشهيرة هنا مطعم إسمه HOLE IN THE WALL أو . . « ثقب في الجدار » !!



الذى تلتقى به هنا في شوارع مالطة ، لا يحمل مسدسا ولا جهاز لاسلكى ولا عصا صغيرة ولا حتى مسطرة ، ومع ذلك فهو رجل هام جدا وخطير جدا وكلمته ماشية جدا ، بعدالة واحترام . . والمنظر العادى لرجل البوليس هنا - وهو عادة شيك وحليوة ووسيم - هو أن تجده واقفا في أى شارع وحوله ٣ أو ٤ حسانوات يلاغينه ويلاغيههم ويضاحكونه ويضاحكهون وصوت « كركراتهن » جايب آخر الدنيا ، وليس في ذلك أى خروج على مقتضيات وظيفته الرسمية ولن يغضب ذلك المظر أحد من رؤسائه اذا مر ووجده هكذا !!



متواضعة جدا بما يتناسب مع شكل الحاية في الجزيرة . . فلان - العادى جدا - سافر وفلان - العادى جدا - عاد من السفر ، ذلك خبر هام ينشر في الصفحات الأولى في صحف الجزيرة ، وفلان إتكعبل وهو ماثى فاتزحلق وقع على الأرض خبر ينشر على أربعة أعمدة في الصفحات الهامة . . .

وحجم الصحافة هنا يتناسب أيضا مع حجم الجزيرة الصغيرة - (اه لو يعلمون حجم الصحافة عندنا في مصر) . . . عندهم جريدتين صباحيتين وجريدة واحدة مساءية باللغة المالطية + جريدتين صباحيتين باللغة الانجليزية (مالطة نيوز MALTA NEWS) و (تايمز أوف مالطة TIMES OF MALTA) وجميعها في حجم الـ « تابلويد » أى نصف حجم الجريدة

العادي عندنا في مصر + مجلة برامج الإذاعة والتلفزيون ، بالإضافة إلى أن الصحف المأطية اليومية تنشر صفحة كاملة كل يوم عن الإذاعة والتلفزيون لا يكتب فيها أحمد بهجت ...

□ □ □

ويضحك الشابان « حازم طاهر » و « طارق كامل » حين تأتي سيرة اللغة المأطية وعلاقتها باللغة العربية ، فيقولان أن المصريين هنا يقولون أن المأطيين يتكلمون اللغة العربية مثلنا ، لكن الذي علمها لهم واحد مسطول وأخنف . . لأن المأطيين يقولون نفس كلمات اللغة العربية لكن بنطق محرف قليلا يبدون فيه وكأنهم فعلا : خنف ويبتطوحوا!!!!

ويينما
كانت
السفينة

تبتعد عن الشاطئ وأضواء المطة الظرفية تخفت شيئا فشيئا ، كانت هناك ثلاث أيدي تلوح من هناك على الشاطئ البعيد : « حازم طاهر » و « طارق تامل » و « مستر جون » : زميلنا الذي كان صحفيا يوما ما

الفصل الرابع

كلب الليل !.

أمس ونحن فسي

مالطة حدث شيء ظريف جدا وغريب جدا : كنا قد اضطررنا إلى الدخول بالسفينة ميناء مالطة بسبب أن خزانات مياه الشرب عندنا قد ثبت أنها غير محكمة ، وأنها تسرب مياهها إلى البحر باستمرار ، حتى أننا فقدنا ١٠٠ طن من مياه الشرب في خلال يومين ونصف يوم ، بين استهلاك وتسرب بمتوسط ٤٠ طن في اليوم الواحد ، وذلك يساوي مثل استهلاك أى سفينة عادية ٢٠ مرة ، فإن أى سفينة في مثل حجم سفينتنا لاستهلاك أكثر من طنين فقط من مياه الشرب كل يوم . . وعلى هذا الأساس دخلنا مالطة بشكل عاجل جدا بعد أن أشارت مؤشرات خزانات المياه العذبة بأنه لم يبق أكثر من ٢٢ طنا وهي كمية لاتكفى لنصف يوم بالمعدل الذى نسير عليه ، وعلى ذلك فسنزود من مالطة بـ ١٠٠ طن مياه شرب ، وأيضا يتنهم المهندسون فرصة توقف السفينة ليكشفوا على خزانات المياه بحثا عن مكان العيب فيها وسرعة علاجه ، حتى لاتضطّر إلى دخول ميناء جديد كل يومين للتزود بمياه جديدة مملأ بها خزاناتنا المخرومة !!

لكن الذى حدث بعد أن دخلنا مالطة كان شيئا ظريفا وغريبا للغاية : ونحن جلوس عند القبطان في مكتبه جاء الرجل المالطى المسئول عن تزويد السفن بالمياه ليقول للقطبان أن خزانات سفينتنا لم تستوعب أكثر من ٤٠ طنا فقط ، فكيف يطلب منه أن يضع في الخزانات ١٠٠ طن ١٩ . . وثارت مناقشة حادة بينه وبين القبطان الذى يصر على أن الخزانات تستوعب ١٠٠ طنا فرد عليه الرجل المالطى بحدة أنه كان يمكن أن يريجه ويقول له أن الخزانات قد استوعبت ٥٠٠ طنا وليس ١٠٠ فقط ، ويبقى هو الكسبان ، لكنه في هذه الحالة لن يكون لصا يخشه ويخذه فقط ، لكنه أيضا سيكون حمارا ومش فاهم شغله . . وعلى أى حال فإن القبطان حر في أن يصدق أو لا يصدق ، لكن الذى حدث هو أن خزانات السفينة لم تحتمل أكثر من ٤٠ طنا فقط ثم (بظلت) المياه من فتحة تزويد الخزانات بالمياه ، دليلا على أن الخزانات لم تعد تستوعب أكثر من ذلك !!

فزورة المسألة دى . . . الواحد إحتار يصدق مين ويكذب مين !



ومع ذلك فتسى

لو صدقنا كلام الرجل المالطى ولم نصدق كلام القبطان ، فإن ذلك معناه أن السفينة تستهلك - أو الخزانات تسرب - ٢٠ طنا من مياه الشرب في اليوم الواحد ، وذلك - برضه - كثير - جدا ، لأنه يساوى ١٠ أمثال استهلاك أى سفينة عادية . . .

لكن الذى حدث اليوم كان شيئا مدهشا للغاية : رضينا بالر والمرش راضى : قفز استهلاك السفينة من المياه اليوم - بعد ٢٤ ساعة فقط من مغادرتنا مالطة - إلى ٣٠ طنا بدلا من ٢٠ !! وإذا استمر الحال على ذلك فيبدو أن سفينتنا ، الجديدة ، سوف تضطر إلى دخول كل ميناء والتوقف عند كل حنفية تقابلها في طريقها لكي تزود بمياه جديدة (بدل فاقد) .. وسنحسب موانى أوروبا كلها قبل أن نصل إلى وجهتنا ونهاية مشوارنا في ألمانيا الشرقية !!

وبناء عليه ، فقد

أمر القبطان بقفل المياه تماما عن مطبخ السفينة وعدم فتحها إلا نصف ساعة فقط قبل كل وجبة ، يعنى ساعة ونصف فقط طول اليوم . . .
وبناء عليه أيضا ، فقد تقرر أن ندخل صباح بعد غد ميناء « سوتا » فى مراكش ، وهى ميناء صغير على الساحل المغربى فى مواجهة جبل طارق ..

بحارة السفينة أطلقوا

على الزميل « خيرى » إسم : (الراكب الإنجليزي) لأنه ملون : أحمر الوجه والصلعة وبواقى الشعر وشكله خواجه ويضع نظارة نظير بيضاء ذات إطار مذهب إنجليزية الطراز يبدو فيها كموظفى المكاتب الإنجليز . . وأطلقوا على إسم « الرجل الصامت » لاني أستمع كثيرا وأتكلم قليلا . . على أى حال : أرحم !!
المهم أنهم يسمون « خيرى » : الراكب الإنجليزي ، وهو لا يعرف ولا كلمة إنجليزية !!

نزل القبطان الليلة

- لأول مرة فى الرحلة - إلى صالون الضباط أثناء العشاء ، فجلس ليتناول معنا ، لكنه صرخ مذعورا من وحاشة اللحم المقدم إلينا - والذى قدم إليه منه أيضا - والذى يبدو أنه من عينة (مجلّة الهواء) : يمضغ ولا يؤكل !! .. فنادى على السفريجى

وشخط فيه : « فين يابني اللحمه الكويسة ؟ » فرد السفرجى ببساطة عفوية : « أصل ماكناش عارفين إن سيادتك حاتاكل هنا الليلة !! »

وفعلا .. في ليلة تالية نزل القبطان إلى صالون الضابط ليتعشى معنا ، وطلب من السفرجى أن يحضر له « اللحمه المخصوص بتاعته » !! .. فذهب السفرجى وجاء له لطبق لحم ، لحم بصحيح ، ممكن أن يؤكل !! .. وببساطة شديدة الظرف جلس القبطان معنا على مائدة واحدة يأكل (اللحمه المخصوص بتاعته) واحنا - وباقى طاقم السفينه - نأكل اللحمه الكاوتش اللي ماتناكلشي !!

أسبوع كامل مر

علينا في البحر الآن منذ غادرنا الإسكندرية في مثل هذا اليوم من الأسبوع الماضي .. في الثامنة من صباح اليوم عبرنا جبل طارق : صدقى القديم الذى أحبه وأشعر باللفة والراحة دائما وأنا أمر عليه من البحر .. هذه المرة هي الثانية عشرة التي أمر فيها عليه ، حتى أنني أشعر كأنه يعرفني شخصيا ويمس بي وأنا أمر أمامه .. القبلات الفاخرة المتناثرة في حصن الجبل المغربى على يسارنا ، والدراڤيل السوداء بأجسامها القوية اللامعة تسابق السفينه وتسبقها .. و « الهيدروفيل » الطائر فوق سطح الماء يرمح كغزال رشيق بين السفن المحتشدة في مدخل المضيق بسرعة ٣٥ عقدة أو ميل بحرى في الساعة ، فيعبر مضيق جبل طارق بين قارتى أوروبا وأفريقيا - ٩ أميال - في نحو ربع ساعة فقط بين ساحل أسبانيا وساحل مراكش وبالعكس .. شيء عظيم قطعاً أن يستطيع الواحد أن يعبر بين قارتين في ١٥ دقيقة ، يعنى أسرع من مشوار فى الأوتوبيس بين ميدان رمسيس وأول شبرا ..

عدد قلييل جدا

من الدراڤيل ، أقل من المعتاد بكثير ، ظهر إلى جوار سفيتتنا ونحن نعبّر جبل طارق .. ويبدو أن الشركة صاحبة السفينه لم تخطر الدراڤيل بموعده وصولنا ، أو أنها لم تحجز عددا كافيا من الدراڤيل لتحتفى بنا عند عبورنا جبل طارق .. أو يمكن - والله وأعلم - تكون قد أخطرتها لكنها دراڤيل قطاع عام !! ..

بمجرد عبورنا جبل طارق أصبحنا في المحيط الأطلنطى الرهيب .. بحر الظلمات بأواجهه الرهيبة اللانهائية ومتاعبه ورعيه .. وعادت ذكرياتى القديمة في رحلتى السابقة على سفينة صيد السمك (برنيس) منذ عدة سنوات في الأطلنطى الرهيب بأواجهه العالية وعواصفه العنيفه القاسية .. لكننا في هذه المرة لم نتوغل كثيرا في داخل الأطلنطى ، إنما انحرفنا يمينا لتسير بجوار سواحل أسبانيا ثم سواحل البرتغال ثم سواحل أسبانيا مرة أخرى ، في طريقنا إلى خليج ال (باسكاي) الرهيب ، لتعبه وصولا إلى القتال الإنجليزية وبحر المانش ..

أصعب جزء في رحلتنا هذه المرة هو عبور خليج الـ (باسكاي) الرهيب على امتداد ٣٠ ساعة أو يوم وربع .. الـ (باسكاي) المربع ، مقبرة السفن !!

مسح التقشير الشديد

في استهلاك مياه الشرب ، وإغلافها عن المطبخ وصالون الطعام إلا ساعة ونصف فقط طوال اليوم كله ، أمكن للسفينة أن تستمر في رحلتها ٤ أيام كاملة دون أن تتوقف في موانئ أخرى ، وبذا تجاوزنا ميناء (سوتا) بمراكش دون أن نتوقف عنده .. لكن رغم ذلك فإن رصيد خزانات مياه الشرب قد عاد إلى التناقص بسرعة شديدة ، لذا قرر القبطان بعد عبورنا جبل طارق أن ندخل لشبونة عاصمة البرتغال غدا صباحا ..

الزميلان « سلمى » و « خيرى »

مرعوبين رعبا شديدا من تصور عبورنا لخليج الـ (باسكاي) ، بعد أن سمعنا عن قدرته الهائلة على ابتلاع أى سفينة مهما كان حجمها ، حتى أنه أطلق عليه اسم (مقبرة السفن) .. وبعد أن سمعنا أنا والقبطان نتحدث عن السفينة المصرية (العريش) التي فُتح الـ (باسكاي) فاه وابتلعها في لحظات حتى أنها لم يبق منها أى أثر فوق سطح الماء ولا قطعة خشب واحدة ، كأنها - كما يقول المؤلفون والكتاب في التعبيرات الروائية - « انشَق البحر وابتلعها » ، وذلك هو ما حدث فعلا .. فقد كانت السفينة (العريش) تحمل شحنة من قضبان السكك الحديدية من إنجلترا إلى مصر ، وكانت الشحنة موزعة على جانبي السفينة وغير مربوطة مع بعضها ربطا جيدا ، بحيث أنه مع (درفلة) السفينة أو ميلها على جانبيها وهي تعبر الـ (باسكاي) ، قد انحل رباط القضبان الحديد وأصبحت حرة الحركة ، فلما - مع هيجان البحر وارتفاع الأمواج في الـ (باسكاي) - مالت السفينة على أحد جانبيها ، فتدحرجت القضبان الحديدية من أحد الجانبين لتستقر كلها وتركز - بثقلها الكبير - في الجانب الآخر ، ولا تستطيع السفينة أن تتعدل ، وتأتى موجة تالية قوية فتلطشها في اتجاه المليل ، وتكون هي اللطشة ، وتفقد السفينة المسكينة تواًها تماما وتقلب على جانبيها دون أدنى مقاومة وتغرق فورا في لحظات .. حتى أن قبطانا يابانيا روى بعد ذلك بعد أن عرف بخبر غرق السفينة المصرية ، فقال أنه كان يعبر بسفينة خليج الـ (باسكاي) في نفس الوقت ، وكان يجلس الى جانب نافذة قمرة يشرب فنجانا من الشاي ، ونظر من النافذة المجاورة له فشاهد السفينة المصرية (العريش) تمر على مقربة من سفينة ، وانتهى من شرب فنجان الشاي ثم عاد ينظر من نافذة قمرة مرة أخرى فلم يجد السفينة (العريش) ، فدهش للأمر وقام ليخرج الى سطح سفينة ويطل على البحر العريض المتسع أمامه يبحث عن السفينة التي كانت تمر إلى جواره منذ لحظات ، لكنه لم يجد شيئا ولا حتى أى شيء طاف فوق سطح الماء يدل على أنها غرقت .. فظن أنه لا زال واقفا تحت تأثير الشراب من ليلة الأمس وأنه قد (خيل اليه) أنه رأى سفينة ولم تكن هناك سفينة ولا حاجة ، وإن كان اسمها :

الصحيح عن خير (اختفاء) السفينة المصرية (العريش) وعن أنها فقدت بعد أن تركت إنجلترا في طريقها إلى الإسكندرية عبر خليج الد (باسكاي) دون أن تتمكن من إرسال إشارة استغاثة واحدة - دليلا على أن غرقها لم يستغرق سوى لحظات قليلة جدا - عرف القبطان الياباني أنه لم يكن سكرانا ولا واقعا تحت تأثير الشراب ، وأن الد (باسكاي) الرهيب قد استطاع أن يتبلغ السفينة المصرية بأسرع مما شرب هو فنجان الشاي !! ..

ولا رأيتا - القبطان

وأنا - مدى الرعب الذي حاق بـ « سلمى » و « خيرى » لعلهما بأننا مقبلون على عبور الد (باسكاي) غدا ، وكلاهما يلتقي بالبحر لأول مرة في حياته ، فقد اتفقت أنا والقبطان وضباط السفينة الأربعة على أن نشيع أمام « سلمى » و « خيرى » أن القبطان قد عدل عن عبور الد (باسكاي) ، وأنه سيغير خط سير السفينة ليتبعد عنه حتى يصل إلى سواحل إنجلترا من الناحية الأخرى المطلة على الأطلسي - ، حتى يطمئنا ويهدأ ويوزل عنها الرعب الذي يعانيناه ..

ويبدو أننا لسنا

مقبلين على متاعب عبور الد (باسكاي) فقط ، لكننا مقبلون على نوع آخر من المتاعب أيضاً : القبطان مازال - كما لاحظنا من أول يوم في الرحلة - يتكلم كثيرا جدا ، يتكلم بشراهة جدا كأنه يعاني من كبت كلام وهو في الإسكندرية ولا يأخذ راحته ويتكلم بحريته إلا وهو بعيد عن بيته ، لذا فهو لا يكاد يتوقف عن الكلام ويتكلم كثيرا كثيرا كثيرا لدرجة تهزق وتثير أعصاب من يتعامل معه .. وهو قد عين نفسه في وظيفة المفتي في كل الشئون والمرجع الأخير في كل الأمور ، ابتداء من الأسباب الحقيقية وراء زواج « سعاد حسنى » من « على بدرخان » إلى هل مثل « فريد سمكة » مصر دوليا في أوليمبياد أمستردام سنة ١٩٢٨ أم لا ، إلى أن الترام في الإسكندرية يصبح بعد منتصف الليل بثلاثة طوابق بدلا من طابقين فقط ، وكيف أن أكبر أخطاء فرقة رضا الفنية هو وجود « محمود رضا » و « فريدة فهمى » بها ، لأن « فريدة » شكلها مش مصرى و « محمود » شكله من لشتنشتين الشهالية !!

وطبعي جدا أن من يتكلم كثيرا يغطي أحيانا ويلخبط في الكلام أحيانا ويلطش أحيانا .. وطبعي أيضا أن (الغربال الجديدة له شدة) ، لذا فما أن زالت (شدة) الشيء الجديد على السفينة ، وهو وجود ثلاثة صحفيين عليها ، حتى بدأ كل شيء على السفينة (يريح) ويعود ليأخذ وضعه الطبيعي المعتاد على سفينة مصرية قطاع عام عادية ، ومع قبطان شهيته للكلام مفتوحة عرض مستمر ٢٤ ساعة في اليوم .. وبدأت اللخطة مع « خيرى » في البداية .. كان « خيرى » يجلس مع القبطان في مكتبه يسمران ويدردشان معا ، وأمام « خيرى » زجاجة بيرة صغيرة يشربها ،

وفوجئ « خيرى » بالقبطان يقول له دون مناسبة : « اعمل حسابك إن قرازة البيرة بثمانية صاغ ونصف ، علشان تبقى تسدد ثمن البيرة الى نشرها والسجائر الى تاخذها طوال الرحلة قبل ما تنزل من على السفينة في آخر الرحلة » !! . . وحتى ولو هذا الكلام السخيف هزأراً فإن « خيرى » لم يتحملة ، وانفتح في القبطان وأوسع ثأنيها وتوبيخا وتقريعا ، وغسله تماما ، ثم تركه غاضبا ولم يكمل السهرة معه وعاد إلى قمرته . . وشكى لى القبطان في اليوم التالى ما حدث من « خيرى » ، فتدخلت لإعادة المياه إلى مجاريها بينا بعد أن نهبت « خيرى » إلى التحفظ قليلا في تعامله مع القبطان ، ونهبت القبطان أيضا إلى أن يكون حريصا في التعامل مع « خيرى » لأن « خيرى » - وأنا - لسنا من ضباطه الذين يجرى وراءهم وفردة حدائه في يده !!

بعد طول تفكير

وتدبير ، عدل القبطان عن دخول السفينة ميناء لشبونة في البرتغال لتعيد ملء خزانها بمياه الشرب ، وقرر أن يتوكل على الله ويتجه مباشر لنهر الد (باسكاي) في طريقنا إلى إنجلترا ، إعتادا على أن كمية المياه الباقية في الخزانات تكفى استهلاك السفينة فترة الـ ٥٤ ساعة انبى ستستغرقها السفينة حتى تصل إلى إنجلترا .
ياللا . . خيلنا بس نعبّر الد (باسكاي) على خير وبعدها ربنا يسهل . .

سفر جية سفينةتنا هنا

هم أصدق صورة لموظفى وعمال القطاع العام : تطلب حاجة يجيبوا لك حاجة تانية ويضعونها أمامك من سكات ويمشوا دون أى تعليق ، فإذا أخذت بالك ونبهتهم قالوا لك بصفاقة ونطاعة وبرود : « أصل ماعندناش الى سيادتك طلبت » ثم تكشف أن الشئ « الى سيادتك طلبته » موجود ، ويكثر ، لأنك لم تطلب لبن العصفور ولا جناح غملة يتيمة الأم ، لكن المسألة مسألة غتاة ورذالة مثل أى موظف أو عامل في الحكومة أو القطاع العام يشعرون بأحاساس : « وأنا أخدمك ليه ؟ هوانت أحسن منى في إيه ؟ » والإشترائية في نظرهم هى « أنا أمير وانت أمير وإن شالله ما حد خدم الحميم » . . أى أن الدولة عليها أن تستورد ناس من برة يخدموا الشعب المصرى كله ، وكلنا نقعد (بهوات) نحط رجل على رجل ونقبض مرتباتنا دون أن نقوم بعمل أو نفعل شيئا . . آمال إشترائية إيه !!؟ . .

كنت صباح اليوم قد تلقيت تصرفا غريبا جدا من « برهام » رئيس السفرجية - وهو رجل منظر وأبهة وشيك جدا وفاخر جدا وله كرش عظيم يتسوعب سفينة متوسطة الحجم - حين جلست إلى مائدة الإفطار صباحا وسألته بذك شديد ويأدب جدا كعادتي في التعامل مع العمال والناس الصغرين بشكل عام حتى لا يتصور أحد منهم أننى متكبر أو متعالي ، سألته : « ممكن نفطر دلوقتى والا أناخرننا عليك ؟ » فرد بجفاء وغطرسة وتأنف : « ممكن ، لكن ما تعملوش كده تانى » !!

وأعطاني ظهره متجها إلى المطبخ ليحضر الإفطار ، لكنني صرخت فيه بغضب شديد : « لا ماتكلش خاطرك .. مش عايز أفطر !! » .. وتركت المائدة وتركت الصالون كله دون أن أفطر فعلا !!

ولأنني أقول دائما أن السكرتيرة هي (صوت سيدها) ورأيها ، وأنا إذا وجدت رئيسها يتعامل مع شخص ما يفنور فإنها هي الأخرى تتعامل مع هذا الشخص بغلاصة لأنها تكون مطمئنة إلى أنه حتى لو اشتكاها فإن رئيسها لن يعاقبها وغالبا ما ينسب منها .. أما إذا رأت رئيسها يرحب بشخص ويحترمه فإنها هي الأخرى سوف تتعامل مع هذا الشخص كما يعامله رئيسها .. لذا فإنني أتصور أن « برهام » لم يكن ليتصرف هكذا إلا إذا كان مطمئنا إلى أن تصرفه هذا سوف يلقى من القبطان الرضا والارتياح .

الغريب - رغم - ذلك -

أنه ما من مرة صادفني فيها واحد من البحارة أو السفرجية في طرقات وممرات السفينة إلا واستوقفني ليطلب مني أن أكتب عن مشاكلهم ومتاعبهم !! . مشاكل إيه إلى هم عايزينني أكتب عنها ؟ .. الواضح الآن بعد معاشرتي لهم نحو عشرة أيام أنها مشاكل ناس يستحقون كل ما يجري لهم .. ناس عايزين يقعوا ويخطوا رجل على رجل ومش عايزين يشتغلوا ولا يعملوا حاجة أبدا .. وكان المفروض وهو يعرفون أنني موجود على سفينتهم في هذه الرحلة لكي أكتب عن حياة ناس البحر ومشاكل أهل البحر ، المفروض أنهم يريحوني آخر راحة ويتباروا في أظهار أحسن صورة لهم - قدامي على الأقل - وأنهم ناس شغيلة لكن الشركة لا تقدروهم قدرهم ولا تعطيههم حقوقهم رغم أن قلبهم ينفق في الشغل وعلشان الشغل ، لكن الواضح أنهم تنابلة ومش عايزين يعملوا حاجة أبدا .. كل شيء طلبته منذ أن وضعت قدمي على هذه السفينة منذ عشرة أيام لم ينفذ : طلبت النجار لكي يصلح (كوالين) ضلف الدواليب في قمرق التي لا تنقل وضلف الدواليب رايحة جاية تصطفيق وتترزع في القمرة طول الوقت ، فد يسأل عنى أحد .. طلبت أن يحضر أحد لتركيب الرف المكسور الذي يوضع عليه التليفون والرف مكسور ومرمي في أرض القمرة كالقتيل ، والتليفون نفسه موضوع على كرسي من الكورسيير الوحيدين الموجودين في القمرة والسلك بتاعه ممدود بالعرض وسادد السكة ومعطل الدنيا ومش عارف أروح ولا أجى منه ، وبرضه لم يسأل عنى أحد .. طلبت أنبوية بيروسلو لقتل الحشرات من أول يوم في الرحلة ، ولم تحضر حتى انتهت الرحلة .. طلبت - ١٠ مرات - جردل بلاستيك لأغسل فيه ملابسى ، وأصدر القبطان تعليماته ١٠ مرات ، وثار واخناق وهدد ١٠ مرات دون أن ينفذ أحد أوامره ولا عمل أى اعتبار لكلامه ، بطريقة : مش انت اشتكتك للقبطان ؟ طيب خلى القبطان ينفلك « وناقص أشتكى للأمم المتحدة وأطلب تدخلها لكي تحضرلى جردل بلاستيك أغسل فيه ملابسى .. طلبت أن تغسل ملابسنا في الغسالة الكهربائية المفروض أنها لطاغم السفينة كله لكن احتكرها لحسابها وحدهما القبطان وكبير المهندسين فقط ، ولم يرد على أحد على الإطلاق ولا عبرنى ولا كانى اتكملت .. ثم يتكلمون عن مشاكلهم ومتاعبهم ومنين ما يشوفوا في أى مكان على السفينة يقولون لى : « مشاكلنا ومش حاتكتب عن مشاكلنا ؟ ! » .. لا مش حاتكتب عن

مشاكلكم ، خليككم بمشاكلكم وخليككم في مشاكلكم ، فالواضح لي الآن - وعلى امتداد الرحلة كلها حتى نهايتها - أنكم تستأهلونها وتستأهلوا أكثر منها . . ولما بقوا تشوفوا شغلكم كويس الأول ، وبأمانة وباخلاص ويدون هيش ويدون سرقة ويدون سف ويدون عمولات ويدون تهريب ، إبقوا دوروا على مشاكلكم وعلى حلول لمشاكلكم . .

وحكاية الجردل البلاستك

اللى طلبته عدة مرات لأغسل فيه ملابسى أصبح بالنسبة لي يمثل مشكلة خطيرة : أردت أن أعرف كيف تنفذ أوامر قبطان السفينة في مسألة هايفة جدا كهذه : مجرد جردل بيرستك لا يحتاج أكثر من أن يمد أى واحد من السفريجة يده في مخزن السفينة ليحمل الجردل ويوصله لي في قمرى . . وأصدر القبطان أوامره - ١٠ مرات بالعدد - بصرف الجردل البلاستيك دون أن ينفذ أحد أوامره ، كأنهم يجدون لذة - مثل كل صغار الموظفين الذين يتحكمون في كل الأمور في كل مكان في مصر - في تكسير أوامر الرؤساء ، بطريقة : « خلى القبطان ينفك » . . وأصبحت « مسألة الجردل » هذه مشكلة خطيرة وبجلا طيبا أمارس فيه تشنيعات ومداعبات للقبطان الذى لا يتقبلها بسهولة ويضيق بها وتترفضه ، لدرجة أنه ثار على مرة وأقسم قائلا : « طيب على النعمة مانت واخذ جردل » !! . . حين ذكر القبطان أنه قد عدل عن دخول السفينة ميناء (سوتا) ، فقلت له بجذ شديد أننا ضرورى ندخل أقرب ميناء في أسرع وقت ممكن « فسألني مندهش قلقا : « ليه ؟ » فقلت ببساطة وبرود : « علشان نشترى جردل . . نفتكر الجردل في أسبانيا يساوى كام ؟ » . . ومرة ثانية سألته ببساطة ونحن واقفان معا في غرفة القيادة : « هو فيه عند الشركة سفن ثانية يتمشى في نفس خط السير بناعنا ؟ » فقال لي : « طبعاً . . كثير » فقلت : « وتفكر في سفينة ثانية تكون لسه دلوقتي في اسكندرية وحاططلع قريب جاية ورانا ؟ » قال : « ضرورى » فقلت له بجذ شديد : « طيب أنا عايز أبعت برقية عاجلة لرئيس مجلس إدارة الشركة في الإسكندرية » فقال بدهشة واستغراب : « ليه بأه ؟! » فقلت ببساطة ومداعفة : « علشان بيعت لي جردل بلاستيك مع السفينة اللى جاية ورانا !! ففوجئ القبطان بالغمزة القاسية وثار وأقسم : « طيب على النعمة ما انت واخذ جردل » !! . . وسألته مرة عن مدى مسئولية قبطان للسفينة لو أن واحدا من الركاب هرب منها في أحد الموانئ الأجنبية وطلب اعتباره لاجئا سياسيا إلى البرتغال مثلا - وكنا على مقربة منها وبنوى دخولها - فسألني في قلق وتوجس : « ليه ؟ . . إنت ناوى تعملها ؟! » فقلت له بصدق : « أيوه . . علشان أهرب من تحكم أصحاب الجرادل في مصر » !! . . وأحسست لحظتها أنه حتى لو أننى كنت واحد من ضباطه حتى يستطيع أن يضربني !! .

وحين ثرت في النهاية على شكل التسيب وعدم الانضباط الحادث على السفينة وعدم تنفيذ ، حتى السفريجة ، لأوامر أكبر رأس في السفينة ، اللى هو القبطان ، وقلت له أننى لو كنت أعلم أن مسألة الجردل البلاستيك هذه سوف تمثل مشكلة خطيرة إلى هذا الحد على السفينة (رئيس) لكنت قد أحضرت معى ~~هجر~~دلا من القاهرة ، وقطعا كان شكلى سيكون ظريفا جدا وأنا طالع

السفينة في ميناء الإسكندرية : بيه شيك محترم وقور جدا في إيدى اليمين شنطة سمسونايت ، وفي إيدى الشمال جردل بلاستك !!

وفي نفس الليلة وصلنى الجردل البلاستك ، وسلمه لى القبطان شخصيا .. وكان ناقص بسلمه لى فى احتفال رسمى تطلق السفينة خلاله ٢١ مدفعا !! ..

ميننا وبين خليج

الـ (باسكاي) الـ رهيب ساعات قليلة الآن .. كان المفروض أن نبدأ في عبوره صباح الغد ، لكن تطورات جديدة جددت مساء اليوم : تكشف مرة أخرى الليلة أن مياه الشرب قد عادت الى التناقص والتسرب من خزاناتها الى البحر بسرعة رهيبة ، وأن كمية المياه الباقية الآن على السفينة هي ٢٨ طنا فقط ، وهي كمية لا تكفى للمجازفة بعبور الـ (باسكاي) - ٣٠ ساعة - وعلى السفينة هذه الكمية فقط .. لذا فقد تقرر في آخر لحظة أن تغير السفينة اتجاهها لندخل غدا صباحا آخر ميناء على الساحل الاسياني قبل بدء الـ (باسكاي) مباشرة ، وهو ميناء صغير جدا لا يكاد يبين على الخريطة الا كراس ديبوس صغير ، إسمه ميناء (لاكرونا) ، حتى نملأ السفينة خزاناتها من المياه العذبة للمرة الثانية في خلال ستة أيام .. وكما قلت من قبل فإن كمية مياه الشرب التي خرجت بها السفينة من الإسكندرية كان المفروض أن تكفيها طول مدة رحلتها إلى دول شبال أوروبا ، وتعود الى الاسكندرية مرة أخرى ولازال باقيا على السفينة كمية كبيرة باقية منها .. لكن يبدو أنها لعنة الفراغة قد أصابت خزانات السفينة رسميسر .

حلوته ظريفة سمعتها

من طرفيها معا في نفس اليوم : من القبطان ، ومن كبير الضباط : كنت في الليلة السابقة سهرانا في قمرى أكتب حتى ساعة متأخرة من الليل كعادتي .. وفي الثانية بعد منتصف الليل والجميع نيام والسفينة ساكنة تماما ، سمعت فجأة نباح كلب صوته غريب ودربكة وجري في الطابق الذى تقع فيه قمرى وقمرة القبطان وقمرة كبير الضباط .. وكان يكفى صوت نباح الكلب لى أقوم وأغلق باب قمرى من الداخل بالمفتاح وأضع وزائه المتاريس والسدود ، وأفتح نافذة القمرة استعدادا للقفز منها إلى المحيط الأطلنطى إذا لزم الأمر ، من باب (قضا أخف من قضا) ، فإن الأهون عندي أو أموت في مياه الأطلنطى ولا أن ينظر لى كلب - مهيا كان عمره - نظرة غضب .. ولو هو هو كلب في وجهي فأصاب بـ (نوبة كلبية) وأطب ساكتا وأموت شهيد الكلاب !!

وصباح اليوم حكيت لكبير الضباط ما سمعته أمس ليلا ، فقال لى بضيق شديد أن « اليه القبطان كان يبهز معاه هزار سخيف في ذلك الوقت من الليل ليزعجه من نومه وهو يعلم أن عنده

واردية تبدأ من الرابعة صباحا ، فيأتى القبطان أمام قمرة كبير الضباط ليخبرش فى بابها بيديه ويهوه كأنه كلب ، حتى يزعج كبير الضباط ويستيقظ من نومه ليفتح باب القمرة فلا يجد أحدا . . وتكررت هذه « اللعبة الظرفية » عدة مرات خلال الليل !! . . فلما سألت كبير الضباط لماذا يظن أن الذى فعل ذلك هو القبطان بالذات ، ظلما أنه لم ير أحدا ؟ قال : من تظن أنه يجرو أن يفعل ذلك وكاينة القبطان مجاورة لقمرى تماما فى نفس الطابق ؟ . . ثم أن القبطان نفسه قال لى أنه هو الذى فعل ذلك !! . .

لم أصدق - فى الحقيقة - كبير الضباط ، وأردت أناكد بنفسى ، فقلت للقبطان حين التقيت به بعد ذلك اننى سمعت هوهوة كلب قرب الفجر ، فضحك جدا وحكى لى نفس القصة تماما ، فلما وجدنى أستمع اليه ولا يبدو على وجهى أنى أجاريه فى انبساطه من هذا « الظرف الشديد » ، قال أنه فعل ذلك متعمدا حتى يرى مدى بقظة كبير ضباطه واستعداداه للإستيقاظ فورا عند احساسه بالخطر !!

قطعا القبطان يبذل جهدا جبارا - كان الله فى عونہ - لكى يظل ظريفا ودمه خفيف ٢٤ ساعة فى اليوم !!

الفصل الخامس

هرقل ..
والقراصنة !

وَأنا أضع أصبغى

فوق كلمة (لاكرونا La Coruna) المكتوبة باللغة الإنجليزية على الخريطة الملاحية الموضوعة أمامنا على مائدة الحرايط في غرفة القيادة بالسفينة ، تقفز إلى ذاكرتي على الفور من خلال ذكرياتي عن (روايات الجيب) زمان قصص القراصنة البرتغاليين والأسبان ومغامراتهم ، وتقفز أيضا - كما قرأتها باللغة العربية في (روايات الجيب) وقتها - أسماء (لاكرونا) و (سارتوجا) و (فيجو) و (پويرتو دى لالوز) وغيرها وغيرها من أسماء المناطق والجزر والقرى الساحلية والموانئ الصغيرة التي كان يتقاتل عليها القراصنة في البحر زمان ويتبادلون احتلالها وغزوها ومحاربتها .. وأتحيلني الآن كأنني واقف في الزمن القديم أشهد مجيء القراصنة ليهاجوا القرية الساحلية الصغيرة (لاكرونا) ، ويخرج رجالها بملابسهم الأسبانية التقليدية في ذلك العصر يدافعون عن قريتهم .. والنساء والفتيات الأسبانيات بملابسهن الواسعة ذات الأكمام الضيقة والصدور المحبوكة جدا والـ « جيبونات » الكبيرة يهرولن في شوارع القرية مذعورات يجرين رعبا من القراصنة المتوحشين ويبحثن عن مكان يختبئن فيه

لكن الملاحج التي

بدأت تتضح أمامنا على خط الأفق بعد ساعتين من انحرافنا عن خط سيرنا الأصلي وتركتنا للمحيط الأطلنطي وراءنا لنتجه إلى ميناء (لاكرونا) ، كانت شيئا مختلفا تماما عن القرية الساحلية الصغيرة التي تصورتها في خيالي .. جميلة غاية الجمال من على البعد كأنها صورة كارت بوستال ملونة مساحتها مليء العينين معا .. المباني الجميلة الانيقة الحديثة تبدو من وراء الميناء من على بعد مغلفة بلون الساء الزرقاء وبعض السحب الخفيفة تدخل الكادر كأنها لوحة فوتوغرافية ملونة غاية في الجمال أبدعتها كاميرا مصور فنان شاعري صاحب فراج ليتقدم بها في مسابقة تصوير عالمية ..

« لاكرونا » هذه كانت حتى ١٠ سنوات فقط مجرد قرية صغيرة عادية جدا من قرى أسبانيا ، لكنها تحولت الآن إلى مدينة حديثة جدا كأي مدينة حديثة أخرى في أسبانيا أو في أوروبا كلها .. ورغم ذلك فهي لا تعتبر من المدن الكبيرة في أسبانيا ، فإن تعداد السكان فيها لا يزيد عن ربع مليون نسمة .. وشكل المقارنة هنا يحضرني مرة أخرى : تعداد سكان مدينة « لاكرونا » بأكملها يساوي ١ : ٦ (سدس) تعداد سكان جنى شبرا فقط في القاهرة !! ..

ومع ذلك فعجيب أمر هؤلاء الأسبان : كيف يستطيعون أن يجعلوا مدنها بهذا الجمال وهذه الروعة وهذه الأناقة ؟ .. لا يمكن أن يكون كل هذا التناسق وهذا الهارموني وهذا الانسجام في المباني وفي الشوارع وفي الحدائق وفي الميادين في مدينة تنمو وتتسع شيطان بلا تخطيط وبلا وحدة وبلا تنسيق - كمدينة القاهرة مثلا - لكنني أتصور أنه قطعاً قد عمل ماكيت كامل للمدينة كلها قبل أن يبدأ بناؤها فعلاً .. ومع ذلك فهي مدينة صغيرة ، ولعلها من أصغر مدن أسبانيا وأكثرها تطرفاً وبعداً ، فهي آخر مدينة أسبانية - وغير أسبانية - على المحيط الأطلنطي ، إذ عندها مباشرة يبدأ خليج الـ (باسكاي) والمدن المطلة على خليج الـ (باسكاي) .. بل وهي نفسها لا تطل على خليج الـ (باسكاي) مباشرة ، وإنما من خلال خليج آخر صغير لها هي شخصياً اسمه (خليج لاكرونا) ..

ويتطوع الشاب الأسباني

الطريف « برناردو و. ج. فرناندز فاسكويز Bernardo J. Fernandez Vazques » وكيل الشركة صاحبة سفينتنا في « لاكرونا » ، يتطوع بأن يصحبنا في سيارته الصغيرة من الميناء إلى وسط المدينة ، ثم - بعد أن يعرف أننا صحفيون ، وكرجل علاقات عامة فاهم شغله جيداً - يقترح علينا إقتراحاً ظريفاً : سوف يتركنا نستكشف المدينة وحدنا ونتجول فيها باجتهادنا الشخصية لمدة ساعتين يكون هو خلالها قد أنهى أعماله المتعلقة بسفينتنا ، ثم يلتقي بنا مرة أخرى في ميدان (سنترال) الميدان الرئيس في المدينة ، ليأخذنا في جولة سياحية يرينا فيها أشهر معالم « لاكرونا » التي يجب أن يراها كل من يزور المدينة ..

وكان طبعياً أن نوافق على اقتراحه ونشكره على كرمه ، فإن أي شيء وأصغر شيء وأقل شيء هو أفضل ألف مرة قطعاً من « لا شيء »

المحلات التجارية هنا

تبيع كل المصنوعات الأوروبية كما في أي مدينة في أوروبا الغربية .. لكن الذي لاحظته هو أن مستوى الأسعار هنا ليس رخيصاً بشكل عام وليس - على الأقل - كأسعار أسبانيا نفسها في آخر مرة زرتها فيه منذ ٣ سنوات .. لكن على أي حال فهذه هي الأسعار في أوروبا كلها الآن ، وأيضاً فإن المدن المتطرفة البعيدة مثل « لاكرونا » تكون أسعارها عادة أعلى من المدن القريبة من العواصم ومن العواصم نفسها أحياناً ..

لكن الشيء التجاري هنا بشكل عام أنيق جداً والمحلات شيك جداً وعلى أحدث النظم الأوروبية .. والمحلات التجارية الرئيسة في « لاكرونا » هو حي وسط البلد و « ميدان السنترال » والشوارع المتفرعة منه ..

الأوتوبيسات هنا عادية زى عندنا في مصر .. الأوتوبيس المفصل موجود ، لكن (مفاصلة) هنا مازالت موجودة بعكس عندنا في مصر .. أول مرة أرى الـ (تروللى باس) ذى الدورين .. والتاكسيات هنا تاكسيات كبيرة فقط تتسع لخمس ركاب ، وعدد التاكسي يدا بـ ٢٣ بيزته - حوالى ٢٥ قرشا مصرياً - ومع كل شهيق وزفير يتنفسه الراكب داخل التاكسي يلقي العداد بـ ٢ بيزته أخرى ١١ وإذا ركبت تاكسيا هنا بعد منتصف الليل فإن السائق يطالبك بعشرة بيزتات أخرى زيادة على العداد ، وكأنها (بدل سهر) له أو (عقابا على السهر) لك ..

والسيارة الشعبية التى تملأ شوارع (لاكرونا) ويملكها أغلب الناس هنا هى السيارة الايطالية الصغيرة (فيات) بعد أن غيروا هنا إسمها إلى (سيات) لأنهم الآن يصنعونها في أسبانيا ، كما فعلنا نحن حين غيروا إسمها الى (نصر) .. لكنهم هنا - كما سمعت - يصنعون ٩٠ ٪ من أجزائها محليا في أسبانيا ..

وانطباعى الشخصية عن فتيات « لاكرونا » - رغم ما اشتهر عنى من أننى طيب ومتساهل ونفسى حلوة - هى أنهن ريع حسناوات .. فإننى لم أر فتاة واحدة تجعل نظرى يتوقف عندها .. لكن « خيرى شلى » كان له رأى آخر ..

يتلوى « خيرى » ويكاد

أن يصاب بصدمة عصبية ويمكن بنوبة قلبية - فى أول تجربة له على أرض أوروبية بصحيح ، من وجهة نظره - وهو يرى فتى وفتاة واقفين فى الشارع فى أحضان بعضهما غائبين فى قبلة طويلة ، والناس من حولهما يمرون ببساطة رايمين جابين دون أن يلتفت إليها أحد .. وكنت مضطرا الى أن اسحب « خيرى » بشدة من المكان الذى تسمر فيه ينظر مشدوها إلى المنظر الذى يراه أمامه ، ثم يلتفت حوله مندهشا فى استغاثة صامتة يكاد يستنجد بالمارة فى الشارع ليشاركوه دهشته وذهوله وليتدخلوا ويعملوا حاجة يمنعون بها هذا (الفعل الفاضح فى الطريق العام) .. واكتشفت بعد أن ابتعدت بـ « خيرى » نحو ٢٠ مترا أن نظارته الطبية البيضاء قد بقيت معلقة فى الهواء حيث الفتى والفتاة اللذين يقبلان بعضهما .. ومضت نصف ساعة قبل أن يعود « خيرى » الى الكلام ، لكنه لم يعد - حتى هذه اللحظة - الى حالته الطبيعية ، ولن يعود ..

وتتوقف عند كشك

لبيع الصحف والمجلات أبحث عن بعض الصحف الإنجليزية لأعرف منها أخبار العالم فى الأيام الخمسة التى قضيتها فى البحر قبل دخولنا « لاكرونا » .. أجهزة الرادار عند « خيرى » تلتقط على الفور مجلات الجنس الأوروبية المليئة

بالصور العارية المطبوعة بالألوان طباعة فاخرة جدا ، التي يراها لأول مرة في حياته .. ويمسك بنسخة من مجلة (STOP) أو (قف) يقلب صفحاتها فيتمهل أمام مناظر الأجساد العارية الملونة الفاخرة وترتعش نظارته البيضاء وتدور عيناه في محجرتها فزعا واضطرابا - وانبساطا .. وأهمس له : « إذا كنت مش حاتشترها حطها مطرحها ، هنا ماحدث بيقلب في المجلات كده عند بياعين الجرايد .. الى عايز مجلة بيدفع تمناها ويأخذها ويمشى على طول » .. لكنه يرد على بجدة : « حاشترها ياأخى .. مش دى مجلة الإذاعة والتلفزيون بتاعة هنا ١٩ » .. وأحاول أن أقنعه بأنها ليست مجلة الإذاعة والتلفزيون ولا حاجة ، لكنه يتشبث بها ويرفض باصرار أن يتركها من يده وهو يقول بتمسك شديد : « لا ياسيدى هى دى .. إنت فاكّر مش عارفها والا إيه ١٩ » .. ويضع يده في جيبه وهو يسألنى عن سعرها ، فأقول له أن ثمنها ٦٠ بيزترأسبانية أو مايساوى دولار ونصف تقريبا ، يعنى حوالى جنيه مصرى كامل ، فيلقها على الفور من يده فزعا - وفي القلب غصة - وهو يقو ، بحسرة : « عندك حق .. دى الظاهر إنها فعلا مش مجلة الإذاعة والتلفزيون !! » ..

آخر ما كان يمكن

أن أتصوره في شوارع أوروبا : طفلة صغيرة في نحو العاشرة من عمرها ترتدى فستانا رثا وتتمشى حافية وشعرها أشعث ومنكوش وغير متوضب .. فوجئت بها تربت على ذراعى فلما التفتت إليها قالت كلاما بالأسبانية وهى ترسم على وجهها علامات الذلل والانكسار والمسكنة وتفرك أصابع يدها اليمنى بمعنى أنها تريد منا « حاجة لله » !! ... شكلها مصرى جدا بنت الإيه .. قطعنا جاية ورانا من مصر لكى نشحت منا فى أسبانيا بالعملة الصعبة ، أو أنها بتيجى تشحت فى أوروبا فى الصيف

وفى الموعِد المتفق

عليه تماما يوافينا « برناردو » ليأخذنا من على ناصية حديقة (ميدان السنترال) .. لنقوم معه بجولة طويلة فى (لاكرونا) .. « برناردو » ليس رجل سياحة وليس هذه الجولة ضمن واجباته نحو الشركة صاحبة سفينتنا ، لكنه - كائى أسبانى آخر فى أى مكان فى أسبانيا - يعرف تماما أن السياحة هى المورد الخارجى رقم واحد لاسبانيا ، ويعرف اثنا صحفيون أجانب ، وأن أى كلمة طيبة منا فى صحفنا (قد) تساوى عددا جديدا من السياح يفدون الى اسبانيا ... (وقد) هذه وحدها هى التى دفعته لأن يتطوع ليأخذنا بسيارته فى هذه الجولة السياحية .. معادلة مرتبة ومنظمة ومحسوبة ..

« برناردو . ج . فرناندز فاسكوز » شاب وسيم وظريف ورشيق فى السابعة والعشرين .. مولود فى (لاكرونا) وعاش طول عمره فيها ماعدا ٦ سنوات قضاه فى لندن .. ذهب إليها للدراسة لأن والديه كانا يعيشان هناك وقتها ، لكنه لم يستمر فى الدراسة إلا عاما واحدا فقط

- (منتهى الصراحة منه) - ثم خرج إلى العمل في الفنادق . . وعاد إلى (لاكرونا) في سن الـ ١٩ لأن كل شبان أسبانيا لازم وبشكل إجباري لا يقبل أى استثناء أن يلتحقوا بالجيش لمدة سنتين . . ليس عندهم مسألة (وحيد والديه) ولا (أكبر الأخوات) ولا (أبناء وأخوات شهداء اليمن) ولا (العائل الوحيد للأسرة) ولا عنده (فلات فوت) ولا قصر نظر ولا أحول ولا أقرع ولا زلبطة ولا كروت وسائط ولا كوسة ولا تلاعبات . . كله لازم يدخل الجيش يعنى كله لازم يدخل الجيش . . ويخرجون من الجيش إلى العمل والوظيفة في سن الـ ٢١ . . صحيح أنهم يقضون بعض الوقت في البحث عن العمل المناسب حتى يجدونه - ليس عندهم ، أيضا ، قوى عاملة !! - لكنهم حين يحصلون على العمل المناسب لا يحتاجون بعده إلى أكثر من سنتين أو ثلاثا حتى (يكونون) أنفسهم ويتهيأون للزواج في سن الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشرين ، وهو السن المعتاد لزوج الشبان في (لاكرونا) . . أما الفتيات فهن يتزوجن في سن الـ ١٨ أو الـ ١٩ تقريبا ، إذ تكون الفتيات قد توظفن قبل ذلك بعدة سنوات بعد الانتهاء من مرحلة الدراسة الثانوية ، لأنه لا توجد جامعة في (لاكرونا) ، وأقرب جامعة إليها هي جامعة (فيجو) على بعد نحو ٥٠ كيلو مترا من هنا ، أو جامعة مدريد العاصمة على بعد نحو ٢٠٠ كيلو مترا ، يعنى نفس المسافة تقريبا بين القاهرة والإسكندرية . . والمعتاد في ٩٠ ٪ من الحالات - هكذا قال لي « ناردو » - أن تتوقف الفتاة في (لاكرونا) عن العمل بعد الزواج مباشرة وتكفى برعاية بيتها وأولادها . .

ويؤيدنى « برناردو » في رأى في أن مستوى الجبال في (لاكرونا) عادى وأقرب إلى المتوسط . . والفتاة في (لاكرونا) عادة صغيرة الحجم قليلة الجسم سوداء الشعر وليست شقراء ، وأيضا - بشكل عام - ليست ببضاء جدا كفتيات أوروبا ودول الشمال



الأشياء التي نطلق عليها « أقدم أشياء من نوعها في العالم » قطعاً هي أشياء تستحق أن تشاهد مهما كانت نوعيتها وحتى لو كنا لا نفهم فيها . . فما بالك إذا كان واحداً من هذه الأشياء قد تكرم مشكوراً ووضع نفسه في طريقنا بالصدفة ونحن هنا : أقدم فنار في العالم موجود هنا في (لاكرونا) ، بناء الرومان منذ الزمان القديم ومازال يعمل حتى الآن : برج عالي مبنى من الحجارة وفي أعلاه مازال الفنار يدور كما اعتاد أن يدور منذ آلاف السنين . . إسمه « Tower of Hercules » أو « برج هرقل » . . لأنه ضخم وشامخ وعملق كما لو كان هرقل الأسطورة فعلاً . .

وإذا كان الناس هنا في (لاكرونا) يعتزون بوجود « برج هرقل » في مدينتهم ، فإن اعتزازهم ليس أقل بقبر « سيرجون مور Sir John Moore » المقام في حديقة « سان دييغو San Diego » المرتفعة عن سطح البحر وتطل عليه من خلال خليج (لاكرونا) الصغير . . و« سيرجون مور » جنرال إنجليزي جاء مع جنوده ليحارب في صفوف الأسبان وليصد عنهم جيوش فرنسا التي كانت تحاول أن تغزو أسبانيا عام ١٨٠٢ . . واستشهد « سيرجون مور » في سبيل أسبانيا ، وكان ذلك

في (لاكرونا) من حوالى ١٨٠ سنة . . وأقيم له هذا القبر في هذه الحديقة إعترافا بفضلته وتندبرا وتخليدا لذكراه . .

وفى الجانب الأخر

من حديقة « سان دييجو » توجد « مكتبة البلدية » أو (دار الكتب) في أجمل موقع في (لاكرونا) . . ورغم أنها مكتبة فخمة تحوى عدة آلاف من الكتب ، إلا أنها ليس فيها كتاب عربى واحد رغم أن العرب احتلوا أسبانيا كلها وحكموها مايقرب من ٨٠٠ سنة

(ولاكرونا) الجميلة - بمناسبة مكتبتها - توجد فيها مدارس على كل المستويات ومن كل النوعيات . عادية وصناعية وزراعية وفنية ، لكنها ليس فيها جامعة . . والمدينة كلها تعيش على صيد السمك وتجارته وتصنيعه وتعليبه وتصديره . ولها أسطول خاص لصيد السمك من المحيط الأطلنطى التى هى قرية جدا منه : ساعتين في البحر وتصبح سفنهم في وسط الأطلنطى . .

ويبدو أن تطرف (لاكرونا) وبعدها كثيرا مما حوفا ، فهى في أقصى أركان الخريطة الأسبانية عند الزاوية التى يلتقى فيها المحيط الأطلنطى بخليج الـ (باسكاي) ، وانجلترا وفرنسا تبعدان عنها ٣٠ ساعة في البحر ، لذا فإن اهتمامات الناس هنا تكاد أن تكون محلية للغاية ويعبدها تماما عن الاهتمام بالعالم حوهم ، وبالتالي فليست لديهم مشاكل كبيرة . . حين سألت « برناردو » عن المشكلة التى تعانى منها (لاكرونا) فى الوقت الحالى حكى لى على الفور حكاية ناقلة البترول الأسبانية حولة ١٥٠,٠٠٠ طن - (يعنى ضعف حجم سفينتنا « رمسيس الثانى » ٢٠ مرة تقريبا) - التى انفجرت منذ شهرين تقريبا على بعد ٢٠٠ مترا فقط من ساحل (لاكرونا) وغرقت وغرق معها جميع بحارتها وأفراد طاقمها ، فدخل الحزن كل بيت في (لاكرونا) ، على ناقلتهم الضخمة الكبيرة ، وعلى بحارتها أبناء لاكرونا

الدناوة وحشة شئ ما

يتلأأ ويضوى في الفاترينات المضاء المتألقة-يزغلل عيني « سلمى » ، فتطلب من « برناردو » أن يتوقف بسيارته قليلا قرب المحلات لأنها تريد أن تشتري شيئا . . وكأى ذكى ولماح فهم هو ذلك الشئ الذى لفت نظرها ، فيتوقف بعد قليل ويطلب منا عدم مغادرة السيارة لدقيقة واحدة حتى يعود . . ويتصرف تصرفا رقيقا وودودا جدا : يعود فعلا بعد دقائق ومعه لفافة فيها كمية شوكولاتة تكفى طفلة مفاجوعة لمدة شهر كامل ، قدمها إلى « سلمى » هدية منه وبالنيابة عن زوجته

ولا تتمالك « سلمى » ازاء هذا التصرف الرقيق المجامل إلا أن تخلع العقد النحاسى الفرعونى الشكل الذى تضعه حول عنقها ، وتقدمه الى « برناردو » هدية منها الى زوجته !!
هو تصرف كـ « چنتليان » ، وهى تصرفت كـ « چنتليانة » !!

الفصل السادس

كلية
خضر
العطار
البحرية !

بعد ساعتين فقط

من مغادرتنا (لأكرونا) الجميلة انحرفت السفينة وغيرت اتجاهها بغيدا عن الشاطئ الأسباني لنصبح في حضن الـ (باسكاي) الواسع الرهيب وتمت رحلته . . والمسافة التي كان مقدرا لنا أن نقطعها في ٣٠ ساعة استمرت ٣٨ ساعة وموجات الـ (باسكاي) القوية العنيفة العالية تلعب بسفينتها كـ (يويو) صغير في يد طفل عابث شقى لا يحدد ولا يستريح . . أعلى أمواج قابلناها على امتداد رحلتنا كلها حتى الآن ، والسفينة (تدرفل) بشدة حتى ليخيل الينا في كل لحظة أنها سوف تميل مرة فلا تتعدل بعدها أبدا ، وكل شيء في السفينة تميل مع ميلها ، وانزلقت الأطباق الصيني في المطبخ ف وقعت على الأرض وتشدشت . . أما « خيري » - لأن التجربة جديدة عليه تماما ولم يعرف ماذا يفعل - فقد وجه نفسه ، دون أن يستطيع المقاومة ، يتدحرج من فوق سريره ليستقر على أرض قمرة . . فظن أن السفينة تغرق وخرج يجرى - حافيا وبالبجامة - يجتمى بالضباط في غرفة القيادة . . وكنت - بحكم المارسة والخبرة السابقة في البحر - قد تركت فراشي لأنام على كنبه القمره بالعرض ، لأنفادي الوقوع والدحرجة . . وكنت - وأنا في قمرة - أسمع صوت محركات السفينة العالي مختلطا بصوت - أعلى - لدقات قلب « خيري » !! . . . أما « سلمى » فقد أراحت نفسها من ذلك كله بمجرد أن عرفت أننا أشرفنا على الـ (باسكاي) : تناولت أقراصا منومة جعلتها تسبح في أحلام سعيدة طوال فترة عبورنا الـ (باسكاي) ، ولم تستيقظ الا بعد أن أخبرتها ببدء ظهور أضواء وفنارات سواحل إنجلترا ، فتحت عيننا واحدة وهمت برأسها قليلا لتنتظر من نافذة قمرتها ، فلما اطمأنت فعلا إلى وجود الشاطئ (الإنجليزي) (فقط) من فراشها في منتهى النشاط وهي تقول : « آمال فين الـ (باسكاي) ده ؟ .. دا اتوا الظاهر عليكم بتبالغوا .. دا أنا حتى ماحيتش بالـ (باسكاي) بتاعكم ده خالص » !!

كنت هلى اليوم

الثالث للرحلة - قبل أن نصل الى جزيرة مالطة - فد تصرفت تصرفا تصورت انه مجاملة رقيقة مئى للقبطان ، لكننى اكتشفت بعد ذلك أن هذا التصرف بالذات كان هو الخطأ الكبير الذى وقعت فيه وجعلنى أندم عليه طوال الرحلة بعد ذلك ، لأنه كان السبب المباشر في كل ماحدث وما ترتب عليه ونتج عنه من مشاكل ومتاعب . .

أهديت للقبطان نسخة من كتاب لى عن رحلة سابقة على سفينة صيد سمك مصرية في المحيط الأطلنطى ، بعنوان (راكبان على السفينة) .. وما أن قرأه القبطان حتى تغير وتبدل تماما من ناحيتنا - الصحفيون الثلاثة - وتحول من رجل ظريف حبوب ومرح دمه خفيف ، إلى « دون كيشوت » سيف خشبى يبارز طواحين الهواء يريد أن يثبت لأهل السفينة - ولنفسه أولا - أنه قادر على كسر أنف الصحفيين الذى يدسونه في كل شيء وفيها لا يعنيه !!) .. واكتشف وقتها فقط - أن الشركة صاحبة السفينة لم تذكر له شيئا عن مهمتنا كصحفيين ، وبالتالي فنحن في اعتباره : « ركاب فقط جاين نتفسح » .. وعلى ذلك فإن كل ماهو مطلوب منه بالنسبة إلينا هو أن ونشرب وننام فقط ، ومالنناش دعوة بالسفينة خالص !! » ..

وكننت مند بداية الرحلة وأنا أسمع كلاما غريبا من بحارة السفينة عن القبطان وعن ماضيه السابق في البحر ، وأنه : « كل مايطلع رحلة يعمل مشاكل مالمش أول ولا آخر ، ويرجع اسكندرية الشركة تعمل معاه تحقيقات ويتركز بعدها سنة ماينزلش البحر » !! .. لكننى كنت أعتبر هذا الكلام من باب النيممة المصرية المعتادة والطبع المصرى المألوف في الكرامة المتبادلة بين الرؤساء والمرؤسين في العمل الواحد ، ولم أترك نفسى أصدق هذا الكلام على اعتبار أن الرحلة مازالت أمامنا طويلة وأمامى الوقت الكافى لأرى وأشهد وأحكم بنفسى .. لكنه - كثر خبره - لم يتركنى أنتظر طويلا ..

كانت
كل
ملاحظتى

عليه - غير شراسته الواضحة في الكلام وحكاياته وقصصه ورواياته وحواديته التى لاتنتهى وليس لها أول ولا آخر - هو أنه ليس له ماضى بحرى يفخر به فرويه ، وأنه يعيش على بطولات أبيه الذى كان رجل بحر أيضا ، وشقيقه الطيار الذى استشهد في حرب فلسطين بعد أن أسقط وحده كل طائرات اسرائيل ، وشقيقه الثانى الذى لقي مصرعه خطأ بخرطوشة صيد أطلقت على ظهره أثناء رحلة لصيد الـ : عصافير !! .. أما بطولات القبطان شخصيا وقصصه ورواياته وحكاياته وحواديته التى لاتنتهى وليس لها أول ولا آخر ولا يمل من ترديدها وتكرارها ، فهى محصورة في ثلاث مجالات فقط : مجالس الخمر وقعدات الحشيش وغزواته الغرامية مع نساء كباريات الإسكندرية وموانى أوروبا اللاتى وقعن جميعا - بلا استثناء - في غرامه وفى سحر عينيه !!

ويدون مناسبة على الإطلاق حدث أول « شد » بينى وبين القبطان : في ثانى يوم لنا في ميناء (لاكرونا) كنا - مجموعة الصحفيين - نستعد للنزول من السفينة في جولة في المدينة ، ورأيت أن أسأل القبطان ماذا كان هناك جديد بخصوص موعد رحيل السفينة الذى لم يكن قد تحدد حتى ذلك الوقت ، وكان يجلس في وسط مجموعة من المهندسين في صالون الضباط ، فقال لى بجفاء أنه أذاع في الإذاعة الداخلية للسفينة أن على الطاقم كله أن يكون موجودا على السفينة الساعة ١٢ ظهرا .. فسألته هل هذا الموعد بالنسبة للطاقم فقط أم أنه لنا أيضا ؟ .. ففرجت به بمجد دون مناسبة ويرى عينيه يصبح متفعلا : « طيب علىّ النعمة إن مارجعت السفينة الساعة ١٢ الظهر لأسبب لك

هدومك على الرصيف وأمش وأسيبك « !! . . وفاجأتني غلظته فقلت مغلفا أنا الآخر : « طيب على النعمة أنا كان ما انا راجع الساعة ١٢ . . وماتشغلش بالك ههدومي خليفها في الكابينة زى ماهي وسافر بيها « !! . . ويبدو أنه لم يكن يتوقع أن أقابل غلظته بغلظة مثلها ، وخشى أن يتطور النقاش العنيف بيننا بشكل يهز احترامه كقبطان ، فقال متظارفا وهو يقف ليترك صالون الضباط : « تلاتيك لابس كل الهدوم الى عندك علشان كده مش قلقان عليها » . . وغادر الصالون وغادر السفينة كلها ، ولم يعد إليها - هو نفسه - إلا في الواحدة والنصف ظهرا !! . .

عالم غريب جدا

عالم البحر وناس البحر وأهل البحر . . ناس فاقدين تماما ، والبحر بالنسبة اليهم هو كل حياتهم ويقضون فيه وبين أمواجه وعلى سفنه ثلاثة أرباع وقتهم وأيامهم وحياتهم يعيدون عن بيوتهم . . وفي ذلك الوقت الطويل - جدا جدا - الذى يقضونه في البحر يجدون أمامهم الفرصة كبيرة - جدا جدا ايضا - ليتحولوا إلى ناس قارئين جدا وعاقلين جدا ومتفكرين جدا - (ومن بين هؤلاء القبطان " عبد السلام داود " قبطان سفينة الصيد المصرية (برنيس) التى قتت معها برحلة هائلة في المحيط الأطلنطى منذ عدة أعوام) - ، أو يتحولون إلى ناس هائزين جدا وتافهين جدا وسطحيين جدا ومشاكسين جدا ، وكل مهمهم في الحياة . الخمر والنساء والكلام الهائض . . .

ولأن « الأكل » ، « الطعام » ، يمثل شيئا هاما جدا في حياة أهل البحر عموما ، على اعتبار أنهم لا يجدون شيئا آخر يفعلونه وهم في البحر غير « العمل » و « الأكل » . . لذا فإن العمل والأكل يمثلان موضوعين رئيسيين في أغلب أحاديثهم ، وأيضا فإن مضايقاتهم لبعضهم البعض لا تخرج عن واحد من هذين الاثنين : « الشغل » أو « الأكل » . . ولما كان نوع « الشغل » بيننا - كصحفيين - وبينهم لا يتيح فرصة المضايقة والردالة والمكينة ، فإن المجال الوحيد الذى يمكن الغلاصة معنا فيه هو « الأكل » . . وذلك هو ماحدث فعلا طول الرحلة بعد أن قرأ القبطان كتاب (راكبان على السفينة) وعكبن عليه جدا ما قرأه فيه . . وكانت وجهة نظره أن الشركة صاحبة السفينة قد ارتكبت خطأ كبيرا بدعوة صحفيين على سفنها . . نفس رأى « عدلى عبد المعطى » مدير عام الشؤون الادارية في الشركة الذى اعترض بداية ، ونحن مازلنا في الإسكندرية ، على مرافقتنا لرحلة السفينة « رمسيس » الأولى . . وكانت وجهة نظر القبطان - غير المعلنة - هي (أتغدى بهم قبل ما يتعشوا بي) ، ويعنى آخر (أعكبن عليهم قبل ما هم يعكبنوا على) !!

ولأن الأمر فى

هذه المسألة - كان جديدا على تماما فقد فوجئت به ، ولم أنتبه اليه الا بعد ان وجدت نفسى قد استدرجت إليه فعلا وانزلت اليه فعلا ، ولم أنتبه إلا بعد فترة طويلة إلى اننى قد أضعت وقتا كثيرا دون مناسبة في مناقشة أمور متعلقة بالأكل والوجبات

والطبخ وما إليها ، وكلها أشياء تافهة جدا ، حتى نهبى « خيرى » و « سلمى » إلى أن : القبطان بالشكل ده لحكمك وركز انتباهك في حاجة بعيدة خالص عن المهمة الأساسية الى انت جاي علشانها .. هو احنا جايين علشان نكتب عن شكل الحياة على السفينة ، والا عن مطبخ السفينة وأكل السفينة ؟ !! ... واكتشفت أن « سلمى » و « خيرى » ، وكلاهما أصغر منى في الصحافة بكثير وأحدث منى عهدا فيها ، بل وجداد لنج على عالم البحر ، قد تنبها الى ما غاب عنى أنا الذى اعتبرت نفسى فى وقت من الأوقات « واد فتك » وخير بعالم البحر وأهل البحر

السفرجى « عطيطو » يحضر لى كل يوم عصرا فنجان شاي وإلى جواره طبق صغير به عدة قطع من البسكويت .. اليوم أحضر لى الشاي فقط ولم يحضر البسكويت ، فسألته - طبيعى جدا أن أسأله ، ومرسومة هكذا على اعتبار أننى من المؤكد سأسأله : أمال فين البسكويت يا عطيطو ؟! فكان الرد : لا مؤاخذه أصبل البسكويت الى فاضل على قد طاقم السفينة بس !!!! . فعدت أسأله وأنا شديد الدهشة من هذه (الرسالة) التى يبلغها لى : « مين اللى قال كده ؟ » فقال : « الرئيس برهام رئيس السفرجية » !! .. قلة أدب ، حقارة وسفالة مستحيل أن يحسر عليها رئيس السفرجية « برهام » إلا إذا كان (حد كبير) قد أمره بأن يتصرف هكذا !! .. ولم أعرف كيف أتصرف ولا ماذا أفعل - ونحن فى وسط البحر - إذا كانت الأمور ستبدأ تأخذ هذه الصورة التافهة الحقيقية ، فقررت أن ترك .. مجموعة الصحفيين - السفينة فى أول ميناء نرسو عليه ونعود إلى مصر بالطائرة .. وقلت ذلك فعلا لأحد مهندسى السفينة ، ولم أنزل الى الصالون للعشاء .. ولم تمض دقائق حتى جاء « برهام » رئيس السفرجية يدق باب قمرى ليعتذر لى عما حدث بأن المسألة كانت مجرد (سوء تعبير) من السفرجى « عطيطو » الذى كان « برهام » قد قال له : « طلع انت الشاي وأنا حاططع البسكويت » !! .. وكان مطلوبا منى أن ألغى عفى وأصدق « برهام » وكان المسألة محتاجة الى طقم سفرجية : واحد يطلع الشاي والثانى يطلع السكر والثالث يطلع اللبن والرابع المعلقة الى حانقلب بيها ، والخامس يطلع البسكويت !! ..

وكانت هذه هى بداية السلسلة التى (كرت) بعد ذلك طول الرحلة ، وتصاعدت فى وقت من الأوقات حتى تدخل فيها السفير المصرى فى ألمانيا ، وحتى كاد أن يتدخل فيها البوليس الألمانى ، وحتى طار إلينا فى ألمانيا مسئول كبير من الشركة ليضع حدا لتصرفات القبطان « المطبخية » .. لكن هذه قصة سابقة لأوانها الآن ، فإن السفينة - الآن - مازالت تشق طريقها تحتتم مشوارها لعبور الـ (باسكاى) ، والشاطئ الإنجليزى يقترب منا بأضوائه وفناراته

جاء الصباح اليوم

- ونحن فى منتصف يوليو - شتاء مكفهر : جو مطر وغيوم شديدة داكنة وبرد وصقيع وشبورة وضباب ، لدرجة أن مدى الرؤية أمام السفينة لم يكن يتعدى ميل ونصف فقط ، وهى مسافة لا تكفى أبدا لتفادى أى خطر مفاجئ .. فلو اعترضت سفينتنا - على سبيل الخطأ - سفينة أخرى ، أو تعطلت فجأة أمام سفينتنا سفينة أخرى ، فلن نستطيع تجنب الاصطدام بها .. لأن المفروض أن تغير اتجاه السفينة ، أو مايسمونه بحريا (مناورة الإبتعاد

والتجنب) ، يقضى أن يتم قبل خمسة أميال على الأقل . . على أى حال ربنا يستر ، وإذا كان قد جعلنا نعبّر الـ (باسكاي) على خير ، فليكملها معنا على خير بإذن الله . .

وانتهينا من عبور

الـ (باسكاي) ووصلنا أمام سواحل إنجلترا في الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل ولم نجد الـ (پايلوت) أو المرشد الهولندي الذى سيقود السفينة عبر الـ (إنجلش تشانل) أو القنال الإنجليزي أو بحر المانش ، ثم يستمر في قيادتها أيضا خلال عبورها آلـ (نورث سى) أو بحر الشمال . . لم نجد المرشد الهولندي في انتظارنا لسبب بسيط جدا ، هو أن كبير الضباط عندنا أخطأ في صيغة البرقية التي أرسلها الى المرشد ، فبدلا من أن يقول له في البرقية أن سفينتنا سوف تصل عند بداية القنال الانجليزي في الساعة الرابعة من (صباح) الخميس ، قال انها ستصل الساعة ٤ (مساء) الخميس !! . . وعلى ذلك فإننا نعتبر قد وصلنا مبكرين عن الموعد الذى حددناه للمرشد بـ ١٢ ساعة كاملة !! . .

ودارت الاتصالات اللاسلكية بين السفينة في عرض البحر وبين الشاطئ الإنجليزي للبحث عن المرشد في الأماكن المحتمل أن يجده فيها ، لكنهم لم يعثروا عليه . . فلم يكن أمامنا في هذه الحالة إلا أن نلقى بالخطاف ونركن في عرض البحر في انتظار فرج ربنا

ولما سألت القبطان الذى كان قد تباهى أمامنا مرات عديدة بأنه يستطيع أن يقود السفينة عبر القنال الإنجليزي دون احتياج لمرشد ، وأنه فعل ذلك مرات عديدة آخرها منذ عشرة شهور في آخر رحلة له في نفس الطريق ، لما سأله لماذا يضيع ١٢ ساعة أو نصف يوم من وقت السفينة في انتظار المرشد إذا كان يستطيع أن يكمل الرحلة بدونه ؟ . . قال أنه لن يستطيع أن يفعل ذلك هذه المرة بالذات لعدة أسباب أهمها أن سفينتنا جديدة ولا يطمنش إليها ، والسبب الثاني هو أنه لا يثق في كفاءة ضباطه وأنهم قادرون على أداء أدوارهم في عملية عبور بحر المانش بالشكل الذى يضمن به سلامة السفينة . . أما السبب الثالث والأهم - من وجهة نظر القبطان - فهو أن الشركة صاحبة السفينة تدفع للمرشد الأجنبي الذى يقود السفينة عبر القنال الإنجليزي ٥٠٠ جنيه استرليني ، لكن إذا قام قبطان السفينة المصرى بهذه العملية نفسها وحده دون الاستعانة بمرشد فإن الشركة تدفع له ٢٤٠ جنيه مصرى فقط لا غير ، تصل بعد الخصومات والضرائب الى نحو ١٦٠ جنيه . . لذا في الذى يجعله يتعب نفسه من أجل مبلغ تافه كهذا (١١) إذا كان المرشد الأجنبي نفسه يدفع للقبطان - كعمولة - ونقدا ، وبالعملة الصعبة ، وقبل أن يغادر السفينة - نصف المبلغ الذى يتقاضاه من الشركة . . وأحيانا - كما قال لى القبطان - يصعد المرشد الأجنبي الى السفينة لكى ، فقط ، يوقع له القبطان بأنه قد قام بعملية عبور السفينة ، ويعطيه نصيبه المستحق ، ثم ينزل فوراً ولا يرشد السفينة ولا حاجة ويتولى القبطان نفسه القيام بالمهمة كلها كاملة . . فتكون المسألة إذن مجرد (خذ وهات) أو (شندى بندى) بلغة أهل البحر



مسألة حسابية صغيرة ، أو فزورة من فوازير رمضان :

● أجب على السؤال التالى : اذا كانت الشركة تدفع للقبطان المصرى مبلغ ٣٢٠ جنيها مصريا إذا استغنى عن الإستعانة بمُرشد أجنبى فى الذهاب والعودة .. وإذا كان القبطان المصرى يرفض أن يتقاضى هذا المبلغ لأنه يعد فى نظره (ميلغا تافها) لا يستحق من أجله أن يتعب شوية زيادة ، فما هو المبلغ الذى يكسبه القبطان خلال الرحلة كلها أصلا !!؟؟.....

ترسل الإجابات والحلول الصحيحة الى الشركة المصرية للملاحة البحرية - قطاع عام - بالإسكندرية .. والجوائز : لكل واحد من أصحاب الحلول الصحيحة سفينة هدية مجانا من الشركة يعمل عليها قبطان ويكسب ذهب !!؟؟.....

فى الصباح الباكر

جدا دق « سليمان » سفيرجى القبطان باب قمرق بلالحاح ، فلما فتحت له قال لى بلهنة ويعجلة شديدة : « القبطان عايزك فى الريدج (غرفة القيادة) ومعك الكاميرا » !! . ظننت أن شيئا خطيرا جدا قد حدث ، ولم أشأ أن أزيع « سلمى » فى هذا الوقت المبكر ، فأخذت كاميرق أنا وصعدت إلى غرفة القيادة جرى بالييجاما ، لأجد أن الشيء الخطير جدا الذى يريدنى القبطان من أجله هو أن ألتقط صورة لسعادته وهو يلعب - فى غرفة قيادة السفينة - كلب الضابط الإدارى بقطعة ثلج كبيرة !! ..

يا أمة ضحككت !!؟؟.....

وبالمرة بمناسبة السعيد

(حسان) كلب الخوجة : فى الوقت الذى كان يقدم فيه لضباط والمهند ، والبحارة على الافطار كل يوم قطعة جينة صغيرة - فقط لا غير - لا تشيع طفلا فما بالك ببخار أو مهندس يعمل طول اليوم على سفينة فى غرض البحر .. فى الوقت نفسه كان السيد (حسان) لا يتناول فى إفطار سيادته غير البيض المسلوق المشقوق ترانشات ، وعلب السردين الفاخر المستورد ، وعلى الغداء كانت تقدم إليه - والله العظيم - فرخة كاملة محمرة - « ويسأل فى ذلك باشرى بحارة السفينة عبد الواحد محمد الذى هجم مرة على من كان يقوم بإطعام الكلب يريد أن يضربه » .. أما فى المساء فتقام موليمة هائلة على سطح السفينة العلوى تستمر عدة ساعات ويكون ضيوفها إثنان فقط : الخوجة ، وكلبه ، ويقدم فيها كل ما يمكن أن تتصوره من مأكولات وفواكه وعلب بيرة مستوردة .. ولا يسأل فى ذلك أحد لأننى شهدتها بنفسى عدة مرات ! ..

زمان كانوا يقولون . (خادام الأمير أمير الخدم) . . . والمفروض أن يقولوا الآن : (كلب
الخوذة خوجة الكلاب) ، أو- لأن « حسان » على سفينتنا هو كلب القبطان أكثر مما هو كلب
الخوذة- فإن المفروض إذن أن يقال . (كلب القبطان قبطان الكلاب) !!

أخيرا ، استطاعوا العشور

على المرشد الهولندي ، الذى جاء الى السفينة الساعة ٧,٣٠ صباحا فبدأنا
على الفور رحلة عبور القناة الانجليزى أو بحر المانش ، حتى نخرج منه الى
بحر الشمال . . . مستر « أوليفر « Olevar رابض فى مقدمة غرفة القيادة لا يتأذرها طول الوقت
وعينه كالصقر لا تغفلان لحظة واحدة عن البحر أمامه . . مستر « أوليفر » عمره ٧٦ سنة لكنه
يتمتع بحيوية وطاقة ولياقة بدنية هائلة لمن هو فى مثل سنه . .

مستر « أوليفر » أصبح الآن هو قبطان سفينتنا بعد أن ترك له القبطان المصرى قيادة السفينة
تماما ونزل الى قفترته . . قال لى مستر « أوليفر » أنه حارب فى صفوف الحلفاء كقبطان سفينة حربية
طيلة ست سنوات الحرب العالمية الثانية ، فى الوقت الذى كانت فيه بلاده هولندا يحتلها الألمان . .
وأنه بعد انتهاء الحرب عاد الى العمل فى البحرية التجارية الهولندية مرة أخرى ، لكن فترة طويلة
مضت بعد الحرب حتى استطاعت هولندا إعادة تكوين أسطولها التجارى مرة ثانية ، ووجد أن بحال
العمل كمرشد بحرى متسع أكثر ، فعمل مرشدا بحريا واستراح الى هذا العمل لأنه يتيح له أن
يقضى بين أسرته التى حرم منها طوال سنوات الحرب ، فترة أطول . .

ولما قلت لمستر « أوليفر » أننا بحثنا عنه فى كل مكان اليوم فجرا لأن السفينة وصلت بدرى عن
الموعد الذى حدد له من قبل فى البرقية ، قال لى أنه جاء من روتردام فى هولندا - حيث يعيش - الى
لندن التى وصلها فى العاشرة والنصف من مساء أمس ، ومن لندن ركب القطار الى بريكسهام
فوصلها فى الواحدة والنصف صباحا ، وكان فى تقديره أنه سوف يستمتع بالنوم وبأخذ كفايته منه
لمدة ١٢ ساعة على الأقل ، لكنه فوجئ بهم فى الرابعة صباحا يوقظونه ليستدعونه الى السفينة ،
وكان لم ينم غير ساعتين فقط !!

وقال لى أيضا أنه سوف يبقى معنا حتى يوصلنا الى ميناء « فيسار » فى ألمانيا الشرقية ، ثم يتركنا
هناك ويستقل هو القطار الى هامبورج فى ألمانيا الغربية ، ومنها الى روتردام بالطائرة ليعود الى بيته ،
ويبقى هناك فى انتظار أن نستدعيه مرة أخرى الى « فيسار » ليقود السفينة الى أى ميناء آخر نريده ،
حيث أنه لن يكون هناك داع ولا حاجة الى بقائه على السفينة أثناء عمليات تفريغها وشحنها . .

وعمره ٧٦ سنة !!



وهى الواحدة صباحا

بعد ١٧ ساعة - كنا نهي عبور القنال الانجليزى : (كاليه) على الساحل
الفرنسى على يميننا و(دوفر) على الشاطئ الانجليزى على يسارنا ، لنصبح
الآن فى الـ (نورث سى) أو بحر الشمال .. وتكون محطتنا التالية - إذا ظلت خزانات المياه العذبة
فى السفينة عاقلة وهادية وبنت حلال - هى ميناء « فيمسار » فى المانيا الشرقية ، حيث ستفرغ
السفينة شحنتها الـ ٨٥٠٠ طنا من الارز وخامات الغزل هناك ..

لكن خزانات المياه

عندنا قطعا ليست هادية ولا عاقلة ، إنما هى قطعا مصابة بلوثة : بالأمس
سجلت عدادات القياس بها وجود ٨٠ طنا من مياه الشرب فى الخزانات ..
وذلك معناه أننا منذ غادرن « لأكرونا » منذ أيام لم نشرب ولم نستحم ولم نطبخ .. اليوم سجلت
العدادات : صفرا !! .. يعنى لم يعد فى الخزانات ولا نقطة مياه شرب واحدة .. شربنا ٨٠ طنا فى
ليلة واحدة !! ..
يبدو - والله أعلم - أن السفينة فيها (أفريت) ، وباللغة العربية : (عفريت) !! ..

القبطان يسأل « برهام »

رئيس السفريجية ونحن نوشك أن نغادر « لأكرونا » منذ عدة أيام ، بعد
وصول التوريدات التى طلبتها السفينة من الميناء الاسبانى الظريف : « إيه
يا برهام ؟ .. الخرجة أكلك ؟ » فريد « برهام » راضيا : « لا يا فندم .. كله تمام » !! .. وإذا
ترجمنا هذا الحوار من لغة البحر الى اللغة العربية نجد الحديث هكذا : « إيه يا برهام ؟ .. الضابط
الإدارى أكل عليك نصيبك من العمولة عن المشتريات ؟ » ويكون الرد : « لا يا فندم .. حقى
وصلنى » !! ..

« حقه » و« حقها » و« حقهم » .. هم يعتبرون ذلك « حقا » لهم .. قطط القطاع العام
البحرى المصرى ومعهم مفاتيح الكرار ولا أحد يحاسبهم لأن الفائدة تعم والمصلحة مشتركة بين
« البر » و« البحر » ، فلهى بما يقاش حقهم ١٩ .. مثلا .. مثل صغير جدا جدا : الكوكاكولا
المصرية يمكن أن تأخذ السفينة إحتياجاتها منها وهى خارجة من الاسكندرية ، بالعملة
المصرية ، ويكون ثمن الزجاجاة بالنسبة للبحار أو الضابط أو المهندس نحو قرش صاغ واحد
تقريبا .. لكن قطط القطاع العام البحرى المصرى يعلمون جيدا أنهم لو أخذوا كوكاكولا من مصر
فلن يدخل جيوبهم شيء كعمولة : إذن ترك الكوكاكولا المصرية للناس اللى فى مصر ونشترى نحن
كوكاكولا أجنبية - بالعملة الصعبة طبعاً - من أى ميناء آخر نمر عليه .. وهكذا اشترت السفينة ١٠

صناديق كوكاكولا و(سفن أب) من « لاكرونا » فى أسبانيا ، فوقفت الزجاجاة الواحدة بـ ١٣ قرشا مصريا .. ومن من أفراد الطاقم البحارة أو الضباط يرضى بأن يدفع ١٣ قرشا ليشرى زجاجة كوكاكولا واحدة ممكن أن يشربها فى الشيراتون أو الهيلتون بأرخص من ذلك ؟! .. هل هناك أى منطق فى الدنيا يقول ذلك ، إلا منطق العمولة التى يضعها قحط القطاع العام البحرى المصرى فى جيوبهم ، ولتذهب الشركة وأموال الشركة إلى الجحيم لإنشاء الله تحرب أو تنتقل حتى ، هم يهمهم إيه ؟!

سطر أخير فى هذا الموضوع بالذات ، بمناسبة الكوكاكولا ، كأن مرة واحدة أو نوعا واحدا لم يكن يكفى ، فقد اشترت السفينة على امتداد رحلتها خمسة أنواع من الكوكاكولا من خمسة موانى : من « لاكرونا » فى اسبانيا ومن « كيل » فى المانيا الغربية ، ومن « قيسار » فى المانيا الشرقية ، ومن « هامبورج » ثم من « برانساتل » فى المانيا الغربية مرة أخرى ! ! .

سطر كان اذا لم اقله فسأطو غيظا هذه الـ ٥ كميات من الكولا لم يشربها احد فى السفينة - طبعاً - وعادت كاملة كما هى الى الاسكندرية ! ! ..

يبدو ان النشر ليس

مشكلة فى مجلة (الاذاعة والتليفزيون) فقط ، لكن على السفينة هنا ايضا .. .
أخيرا وبعد وصول الجردل البلاستيك الذى ألحنا فى طلبه ، قمنا بعون الله تعالى بغسل ملابسنا بأيدينا .. . دمعك من انها قد أصبحت نظيفة أو أنها قد ازدادت وساخة ، لكن المهم أنه بقيت أماننا مشكلة النشر : نشر الغسيل .. لم نعرف أين ننشره ، وسألنا فلم يلدنا أحد .. فظلنا محتاسين به عدة أيام مش عارفين نعمل فيه إيه .. ويبدو أننا سنحتفظ به مغسولاً هكذا حتى نعود الى مصر فننشره فى بيوتنا بأذن الله .

وبمناسبة الغسيل : « خيرى » اقترض من « سلمى » المكواة الكهربائية التى جاءت بها معها ، لكى يكوى ملابسها ، لكنه أعادها إليها بعد فترة وجيزة جدا ، فسألته مندهشة : " لحت كويت كل هدومك ؟ " فقال لها بخيبة أمل : « أبدا .. دى الظاهر إن المكواة بتاعتك بايظة .. مش بتظف القمصان » ! !

واضح إن « خيرى » عشمه كبير أرى فى التكنولوجيا ! ! .. .

استهينا من سواحل

انجلترا وفرنسا وتمر أمام سواحل هولندا منذ صباح اليوم .. « روتردام » تبدو على الخريطة البحرية أماننا كنقطة صغيرة جدا لا تزيد عن حجم رأس الدبوس .. هذه النقطة الصغيرة جدا على الخريطة تساوى مدينة كبيرة عظيمة واسعة لها تاريخ

وفيهما ناس ومبانى وكنائس ومواصلات وسيارات وشركات وحكومة وبنات وشبان وقصص حب وسينيات وملاهى وكل شئ... ومع ذلك فهى أمامنا على الخريطة نقطة صغيرة جامدة مجرد مطبوعة بحبر المطبعة .

عالم البحر يستهوئ

بشدة ، يمكن لأننى أصلاً شديد الجين من البحر ، كما أننى أعتبر نفسى صحفياً متخصصاً فى البحر بعد رحلاتى العديدة الطويلة فيه ، الواضح أننى - نتيجةها - قد اكتسبت « حساً بحرياً » أو « خبرة بحرية » جعلت كل ملاحظاتى الفنية فى رحلتنا هذه تصدق غالباً ، وأناش فى فيها الضباط ونتجادل ونختلف ويحتمون وراء (سر المهنة) ثم يتضح فى النهاية أن تصورى كان صحيحاً ، لذا فقد قررت أننى بعد هذه المرحلة ساستقبل من نقابة الصحفيين ومن مجلة (الأذاعة والتلفزيون) واشتغل قبطاناً على (فلوكة) فى القناطر الخيرية أو (معدية) فى كفر شلشلمون .

ونتيجة لشغفى الشديد بالبحر وعالم البحر ، فإن استلئى عن البحر كثيرة .. ومن أوجه إليه استلئى الاضباط السفينة وقبطانها ١٩ .. الضباط - الشهادة لله - يمينون بلا تردد على قدر ما يعلمون وعلى قدر خبراتهم واقتدياتهم فى البحر .. لكن القبطان شكل تعامله مع استلئى الفنية غريب جداً ، وأنا هنا على هذه السفينة صحفى اولاً واختيراً ، جئت لاكتب عن حياة البحر وعن سفينة مصرية جديدة ..

القبطان حين أسأله سؤالاً فنياً لاأخرج منه بحق ولا بباطل ، وبظل يلف ويدور ويحكى حواذيت ويمزج فى كلامه بين الجد والمزار والكلام العايم الى الحد الذى يشوش فيه المعلومات التى عندى أصلاً عن الموضوع الذى أسأله فيه .. سألته مرة عن طول القنال الانجليزى الذى يفصل بين انجلترا وفرنسا ، فقال لى : « ما اعرفش .. اطلع اسأل فوق فى البريدج (غرفة القيادة) .. ! ! » .. كأن طول هذا القنال ليس ثابته من مليون سنة فانت وكان طولها اليوم سيكون مختلفاً عن طولها بالأمس وفقاً لأسعار البورصة مثلاً ، أو كأنه لم يعبرها ألف مرة على امتداد حياته كبحار لمدة ٣٥ سنة ، منهم ١٧ سنة قبطان ! ! .. وسألت اليوم : « ماذا يمكن أن يحدث لو تعطلت ماكينات السفينة فجأة تماماً ونحن نعبّر الـ « باسكاي » ؟ » فظل يلف ويدور ويتعد عن الموضوع حتى لحفنى تماماً ولخبط شوية المعلومات الى كانوا عندى .. فلما حاصرت وضيق عليه قال لى فى النهاية : « لما ترجع اسكندرية باذن الله تقدر تروح تسأل عم ابراهيم العطار الى دكانه عند باب ٦ فى اول المنشية - ! ! - فقلت له على الفور : « يبدو ان المسألة قطعاً حائرسى على كده وحاجتكون محتاجة لخبرة واحد عطار .. وفعلاً حاقول للقراء انى سألت القبطان فلم اخرج منه بشئ .. وانصحهم بانهم فى حالة احتياجهم الى الاستزادة من المعلومات البحرية انهم يلجأوا الى عم ابراهيم العطار الى دكانه قدام باب ٦ .. أما بالنسبة للمقيمين فى القاهرة فعندهم « كلية خضر العطار البحرية » فى الصاغة والحسين ! ! ...

قططنا بحر الشمال

في ٢٧ ساعة تقريباً .. وفي الرابعة من صباح اليوم جاء الى السفينة مرشد اجنبي جديد من المانيا الغربية ، ليتولى عن مستر « اوليفر » قيادة السفينة من نهاية بحر الشمال حتى بداية « قناة كيل » ثم يأتي مرشد ثالث - الماني غربي ايضاً - ليتولى قيادة السفينة اثناء عبورها لـ « قناة كيل » نفسها ، وعند نهاية القناة يعود مستر « اوليفر » مرة اخرى الى قيادة السفينة في بحر البلطيق حتى يصل بنا الى ميناء « فيسهار » في المانيا الشرقية حيث ستفرغ سفينتنا شحنتها ..

في الرابعة صباحاً صعدنا - مجموعة الصحفيين - الى غرفة القيادة بسرعة بناء على استدعاء القبطان المفاجئ لنا لنشهد نهاية بحر الشمال ودخول السفينة في المجرى الملاحي الضيق جداً لقناة « كيل » ، فلم نتمكن من استبدال ملاسنا فصعدنا بالبيجامات .. المرشد الالماني الجديد فوجيء بنا الى جواره في غرفة القيادة ، واستوقف نظره شكل بيجامة « خيري » بالوانها المرقطة الغربية التي تشبه ملابس جنود الصاعقة فنظر اليها واليه متفحصاً ثم سال القبطان مستفسراً : « انتم سفينة حربية ، اليس كذلك ؟ » .

ويشير لى المرشد

الالماني الى قرية صغيرة على الشاطئ الآمن الى جوارنا - شاطئ المانيا الغربية - وهو يقول لى بفخر واعتزاز انها قريته التي يعيش فيها ، وهي قرية صغيرة صحيح تعدادها خمسة الاف نسمة فقط ، لكنها تشتهر بمعسكر الاطفال العالمى الذى يقام فيها سنوياً طوال شهور الصيف ويضم ٢٠٠٠ طفلاً من كل جنسيات العالم ، صبيان وبنات يقيمون معا في خيام مغلطة ، يرحلون معا ويسبحون ويرقصون ويقيمون حفلات ، وينسبطون .. « وأشار بيده إشارة لها نفس المعنى ايضا اذا استعملناها ونحن « نشير » باللغة العربية .. فسالته : « كم اعمار هؤلاء الاطفال ؟ » قال : بين ١٣ ، ١٦ سنة فقلت مندهشا : « هل قلت انهم يقيمون معا في خيام واحدة مشتركة : الصبيان والبنات معا ؟ » قال ببساطة : نعم .. وماذا في ذلك ؟ .. قلت وانا اهز كفى حسرة على طفولتى التي ضاعت هدرا : « أبداً .. ولا حاجة ! ! ! .. »

الفصل السابع

سفر جی باشا

كل طابق من

طوابق السفينة سفرجى مهمته أن يقوم بتنظيف قمرات هذا الطابق وتلبية طلبات أصحاب هذه القمرات ، فيها عدا القبطان فقط - لأنه القبطان - فله سفرجى خاص لا يفعل شيئا إلا تنظيف قمرة القبطان وحده وتلبية طلباته . . وكما هو حادث في أى مكان فإن « ساعى المدير » هو « مدير السعاة » وصاحب الحظوة والدلال عند المدير والذي يعمل له كل السعاة - وحتى الموظفون - ألف حساب لأنه « عين المدير » و « أذنه » الذى ينقل إليه كل الأخبار ولأنه (واصل) ومنه للمدير مباشرة ! . . وهكذا كان الحال مع « سليليان » سفرجى القبطان وقبطان السفينة . . فهو فى السفينة المدلل الذى يسير فى ركاب القبطان أينما ذهب ، حتى فى غرفة القيادة ، ويتعامل مع الجميع ، كبارا وصغارا ، بالطريقة التى تشعرهم جيدا بمدى « نفوذه » ! . . وزاد المسألة « ظرفا » أن السفرجى يمتلك سيارة خاصة لتنقلاته الشخصية ، والقبطان ليس لديه سيارة - الكلام ده فى الإسكندرية طبعاً - لذا فإن السفرجى يوربسيارته كل يوم صباحا على بيت القبطان ليذهب « معاً » إلى الشركة وبالعكس . . ومن هنا فقد أصبح « أصدقاء » ورفعوا التكليف بينهما إلى الحد الذى يبدو واضحاً معه أن السفرجى يتدخل شوية زيادة على القبطان ، والذى يسمح للسفرجى بأن يضع ذراعه على كتف القبطان - كما حكى لى القبطان نفسه - ليناكش معه مسألة تجهيز إبنته العروس . إبنة القبطان طبعاً وليست إبنة السفرجى فإن السفرجى نفسه شاب وسيم وحليوه وعمره ٢٤ سنة فقط ! . . ويبدو أن سفرجى باشا قد نسى نفسه وزاد العيار حبتين وتكلم مع القبطان نفسه أمس بطريقة وقحة ، فقد سمعت السفينة كلها صوت القبطان وهو يثور على « سليليان » بعنف شديد ويطرده من قمرته . . لكن « ما إن ألقى السعاة » حتى عاد كل شيء على ما يرام مرة أخرى ! .

ويسئو أن سفرجى باشا

أراد أن يرد اعتباره يعد ما حدث أمس وأن يثبت للجميع أنه « واصل » على الكل وأن التكليف مرفوع بينه وبيننا نحن أيضاً . . . فقد حدث صباح اليوم أن كنت واقفاً مع المرشد الهولندى مستر « أوليفر » فى غرفة القيادة نتكلم ومعنا الضابط « منير » حين جاء السفرجى ووقف بيننا بلا مناسبة ، ليست وقفة سفرجى ينتظر شيئا ، وإنما وقفة المشارك

في الحديث الدائر ، ثم فجأة وجه لي الكلام قائلا : « على فكرة يا حسين الأنسة سلمى نزلت تحت !! !! .. ورنيت في أذن مع الدهشة الشديدة مناداة لي بإسمى مجردا « يا حسين » فالتفتت إليه فوراً وقد إختفت من على وجهي الإبتسامة التي كنت أكلّم بها المرشد وقلت له بحدة : « بتقول إيه ؟ » فقال متفانكا : « باقول إن الأنسة سلمى نزلت تحت وسكت فقلت له : « كمل ، قلت إيه بالضبط » فقال : قلت إن الأنسة سلمى نزلت تحت بأستاذ حسين » قلت : طيب « خلاص .. أنا جت في ودني حاجة تانية » فقال متبجحاً : « حاجة تانية زى إيه ؟ » قلت : « إنك ، قلت يا حسين » فقال بوقاحة شديدة : « وفيها إيه يعنى لما أقول لك يا حسين ؟ .. الحق علىّ الى قلت لك خالص !! .. وخرج مندفعاً من غرفة القيادة وترك الباب وراءه مفتوحاً ، فنظرت وراءه في ذهن شديد بعد أن هبشني هكذا وخرج وتركني أغلى ، فقال الضابط « منير » يحاول تهدئة الموقف أمام المرشد الاجنبي : « ده سفرجى .. حانتتظر إيه من سفرجى ؟ » ومد « منير » يده وأغلق الباب الذي تسمرت عيناي عليه وقد توقفت تفكيرى تماماً فلم أدر كيف أنصرف .. لكن السفرجى عاد بعد لحظة مندفعاً يفتح الباب بعنف ويقف في وسطه وهو ينظر إلينا بتحد واستفزاز ، وقبل أن ينطق بكلمة أخرى تقدمت خارجاً من غرفة القيادة ودفعته أمامى خارجها وأغلقت الباب ورائى حتى لا يسمعى المرشد ، وانفتحت فيه بأعلى صوتي : « الدلع ده تتدلع على القبطان بتاعك مش علىّ أنا .. إنت سفرجى ولازم تعرف حدودك وتعرف إنك سفرجى بس .. وولا انت ولا كبير الضباط ولا القبطان بتاعك أسمح لهم إنهم يقولوا لي يا حسين .. اذا كان القبطان بتاعك مدلعك فتبقى تتدلع عليه هو لوحده لكن مع الناس التانيين لازم تعرف حدودك وتتصرف كسفرجى .. فالتحأ صوتي على آخره كى يسمعه القبطان في قمرة تحتنا مباشرة .. لكن الذى سمعنا كان كبير الضباط « على أبو طالب » الذى كان يمزج بالصدقة ، لكنه مر من سكات تماماً ولم يتكلم ، بل كان شكله يبدو كما لو أنه (بيتدارى) عننا حتى لا نراه ولا نعرف أنه سمع شيئاً !! ..

وطبعاً عرفت السفينة كلها بما حدث ، وسألني عنه « الحسبى » الضابط الثانى المسئول عن صالون الضباط وعن السفرجية كلهم فحكيت له ، وسألني كبير الضباط حين التقينا على مائدة الغداء ، وهو المسئول عن كل طاقم السفينة ، فحكيت له ، وطلبت منه أن يتصرف بحكم مركزه ككبير الضباط .. لكنه قال لي بصراحة ووضوح أن اعتبره « كبير ضباط منظر بس » وأنه يتحاشى أن يتدخل في مثل هذه الأمور حتى لا يسبب لنفسه حرجاً أمام الطاقم ، لأنه يعلم جيداً أنه لو وقع أى جزء على « سفرجى القبطان » فلن يوافق القبطان على الجزاء وسيلغيه ويكسر كلامه ويضيع هيئته ومركزه أمام البحارة .. لذا فهو يبقصر الشر ويباخذها من قصيرها !! ..

ولم أر القبطان طول اليوم ، لكن « خيرى » قال لي في المساء أنه كان مع القبطان وأن القبطان زعلان منى جداً لأننى زعقت للسفرجى بتاعه (!!) لذا فقد قرر القبطان أن يغير معاملته لي كصديق ويعاملني كراكب عادى فقط !! ..

عظيمة .. وعنده حق طبعاً .. هو الظفر يطلع من اللحم برضه !! ؟ ..



قيل السابعة صباحا

كانت بوابة (قناة كيل) عند مدينة «برانسباتل» تفتح لتدخل منها سفينتا ،
لتبدأ منها مشوارا طوله ١٠٠ كيلو مترا هو طول (قناة كيل) نفسها .
فكرة (قناة كيل) هي نفس فكرة قناة السويس عندنا في مصر ، وإن كانت (قناة كيل)
أحدث منها عهدا . . فقد حفر (قناة كيل) عام ١٩١٠ قبل الحرب العالمية الأولى ، حين كانت
ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية دولة واحدة ، بل وكانت الدواة الألمانية في ذلك الوقت تشمل منطقة
كبيرة جدا إسمها «بروسيا» التي هي نفسها دولة بولندا الآن . . وقد شقت (قناة كيل) في الأرض
الألمانية - وهي تقع كلها الآن في أرض ألمانيا الغربية - لكي تكون (مخرجة) توصل بين بحرين هما
بحر الشمال وبحر البلطيق . . وتقطعها السفن في حوالي ٨ أو ٩ ساعات ، لأن المفروض أن تسير
السفن في القناة بسرعة معينة محددة لا تتجاوزها حتى لا تؤثر الأمواج في الأراضي التي تقع على
جانبي القناة .

والسفن التي تعبر (قناة كيل) قادمة من بحر الشمال إلى بحر البلطيق أو العكس توفر على
نفسها أربعة أيام كاملة كانت سوف تستغرقها في الدوران حول سواحل الدانمرك إذا لم تعبر
القناة . .

ومع أن قناة كيل

تشبه قناة السويس إلى حد كبير ، إلا أنها تختلف عنها أيضا كثيرا باختلاف
مصر عن أوروبا . . فرغم أن (قناة كيل) أقل في العرض والإتساع من قناة
السويس ، إلا أن السفن هنا تمر في الاتجاهين في وقت واحد : من بحر الشمال إلى بحر البلطيق ومن
بحر البلطيق إلى بحر الشمال . . وبدا تحقق سيولة استعمالها ٢٤ ساعة في اليوم ، ليلا ونهارا ،
بعكس قناة السويس التي تمر فيها قافلة سفن واحدة مرة كل يوم من كل اتجاه من الإنجمايين .

كما أن قناة السويس تمر في صحراء دائمة على الجانبين طول المسافة ، باستثناء مدينتي
الإسكندرية والقنطرة . . لكن (قناة كيل) تمر طول الوقت بين سهلين أخضرين مزروعين ، إن لم
يكن بالمزارع والحقول فالزجاج والمراعي للأبقار والأغنام والخيول . . وأيضا توجد على ضفتيها على
طول المسافة القليلات الأنيقة الساحرة ذات الأسقف المخروطية الحمراء والحدائق الشاسعة الجميلة
والطرق المرصوفة بعناية شديدة ، والكبارى شديدة الجمال والطرق العلوية المعلقة فوق القناة تمر من
تحتها السفن الكبيرة الضخمة وتجري فوقها السيارات الفاخرة بأقصى سرعتها . . وعلى طول المسافة
أيضا تقطع (قناة كيل) بالعرض المعديات التي تحمل الناس وسياراتهم بين الشاطئين . . وتنظم
العلاقة بين السفن التي تقطع القناة بالطول والمعديات التي تقطعها بالعرض بإشارات مرور ملونة
عادية جدا : أحمر وأصفر وأخضر كأي إشارات مرور في شوارع أي مدينة في العالم !! .

وعلى طول المسافة

أيضا عبر (قناة كيل) تمر إلى جوارنا رائحة غادية البخوت الكبيرة واللنشات الصغيرة، نخرج فيها الأسر الألمانية للرياضة والتشميس في عطلة نهاية الأسبوع وكنا يوم سبت، والسبت والأحد أجازة في ألمانيا وفي كل دول أوروبا - فتجد الشابة الألمانية الحسنة تجلس هي إلى عجلة القيادة في البخت الصغير وهي ترتدى المايوه البكيني الظريف جدا الصغير جدا، بينما الزوج يجلس بالمايوه أيضا ممسكا بالدفة... وكلما مر علينا نحت أو لنش رفع أصحابه أيديهم يلوحون لنا ويادولونا التحية... والمعسكرات الشاطئية الصغيرة مبعثرة على الشاطئ: زوج وزوجة وأطفالها إلى جوار خيمة صغيرة ملونة أو سيارة مقطورة (كارافان) يقضون عطلة نهاية الأسبوع... منظر جميل جدا ورائع جدا يأخذ بالألباب ويجعل الإنسان يتساءل: إذا لم تكن هذه هي الجنة فعلا، فكيف تكون الجنة إذن؟

من فوق أعلى

سطح في السفينة وقفنا طوال فترة عبور السفينة لـ (قناة كيل)، لكي نستمتع بمشاهدة القناة، ولكي أيضا نلتقط «سلمى» بعض الصور للقناة الظرفية... «سلمى» وأنا و«خيري» والمهندس «أحمد الأعرج» والمهندس «سالم»... وبينما نحن مندمجون بكل حواسنا في المشاهدة والإستمتاع، فجأة دوى صوت ضخم فظيع مزعج على غير توقع كأنه خرم طبلية آذاننا واقتحمها إلى داخلنا ليضغط على قلوبنا بعنف يكاد أن يخلعها من مكانها!!... ولثوان لم نفهم جميعا ماذا حدث ولاكنة هذا الصوت الضخم المزعج، لكن رد فعله كان عنيفا علينا جميعا: أنا هممت الهروب لكنني حتى لم أتمكن من ذلك لأن سلمى هجمت على تحمى في وهي تغرس أظفارها في كتفي بعصبية شديدة ويعنف شديد حتى انكسرت أظفارها الطويلة المظلية بالمانيكير... أما خيري الذي لم يفهم شيئا لأنه كان أول مرة يسمع فيها ذلك الصوت المزعج الضخم العنيف فقد طار قلبه شعاعا وكان القيامة قد قامت أو أن الساء قد وقعت فوق الأرض، فجري يميننا ويسارا متخبطا مفزوعا، ثم توقف حائرا مش عارف يروح فين وقد سابت مفاصله وتبعثر تماما ومش قادر يتلم على نفسه وهو مش فاهم حاجة أبدا، خصوصا بعد أن وجدنا - سلمى وأنا - واقفين في أماكننا كما نحن، فتساءل في صوت مبجوح ضائع كأنه يتكلم من كعب رجله: «ايه؟ فيه إيه؟ هو جرا إيه؟» فقلت له وكنت قد تماكنت نفسي بعد أن فهمت ما حدث وأنا أكاد أقع من طول من الضحك على منظره المتهالك المنهار: «ولا حاجة... دي زمارة السفينة!!... فنظر «خيري» إلى المدخنة الضخمة في غيظ شديد وكأنه يود أن يطلق عليها الرصاص، والمدخنة لا ذنب لها في ذلك على الإطلاق وليست الزمارة منها، لكن ضخامتها في نظر «خيري» أوحى إليه أنها هي قطعا التي أحدثت ذلك الصوت الضخم المفزع!!

قرب العصر كنا

قد انتهينا من عبور (قناة كيل) ووصلنا إلى طرفها الآخر عند مدينة (كيل) نفسها التي تسمى القناتة بإسمها واستقرت سفيتنا ورسبت على أحد أرصفة ضاحية هولتناو Holtenaw التي تبعد عن مدينة (كيل) ربع ساعة في الترام . ضاحية جميلة وفي غاية الظرف . . الناس هنا في أوروبا قادرون على أن يخلقوا من أى شيء صغير شيئا عظيما جيلا يترك أثرا كبيرا في نفوس من يشاهدونه . . ضاحية (هولتناو) لا تزيد عن أى ضاحية عادية في أى مدينة في أوروبا ، لكنهم هنا استغلوا وجود تل كبير يشرف على الضاحية فزرعوه كله بالأشجار الباسقة العالية وجولوه إلى غاية طبيعية شاعرية رائعة لا تشبع العين ولا تمل من متعة السير فيها ، خصوصا وأن المطر - ليزيد من الجو الرومانسي للغابة - كان في استقبالنا هناك في المساء بعد يوم يوليوى مشمس شديد الصحو والإشراق .

تقصر أن نقضى الليلة

والسفينة راسية في (هولتناو) القبطان رفدى من صداقته منذ عدة أيام عقابا لي على أننى شخبطت في السفرجى بتاعه . . الطاقم كله نزل من السفينة ليسهر في (هولتناو) أو في مدينة (كيل) على بعد ربع ساعة في الترام . . البوليس الألماني جاء واستخرج تصاريحا للنزول من السفينة . . ذهب « خيرى » نيابة عن مجموعة الصحفيين ليطلب تصاريحا من القبطان ففوجئ بالقبطان ، يرد عليه بغلظة وجفاء وغلطرة : « انتم ما لكمشى تصاريح ومنوعين من النزول من على السفينة . . ولو نزلتم البوليس راح يسككم ، أنا باتبهك علشان تبقا عاملين حسابكم » !! وأعطاه ظهره وانشغل في الكلام مع واحد من المهندسين !! حضرة صاحب السمو القبطان رمسيس التاسع عشر لم يعط أساءنا - من باب العكثنة - للبوليس الألماني ليستخرج لنا تصاريح لكى تصبح في تصوره - معتقلين على السفينة لانغادرها بينا أقل بحار - أو سفرجى !! على السفينة يستطيع النزول على كيفة لأنه يحمل تصريحاً . ومع ذلك ، وبالعند ، فاعتادا على البطاقة الصحفية الدولية التي في جيبى ، واعتادا على أنه حتى لو حدثت أى متاعب فإن البوليس الألماني الغربى واسع الافق ويمكن التفاهم معه ، فقد نزلنا ثلاثتنا - « سلمى » وأنا « وخيرى » - وسهرنا في (هولتناو) الظرفية . .

فى الخامسة صباحا

استيقظت على صوت ضجة كبيرة هائلة والقبطان فاتح حسه على الآخر يصرخ في شخص ما ، ففتحت باب قمرى استطاع فوجدته مشتبكا في نقاش عنيف مع الضابط الثالث « منير » . . القبطان يعطى امرا لـ « منير » و« منير » يصر على عدم تنفيذ

مهما حدث .. وتزداد عصبية وعنف القبطان وهو يصرخ في منبر : طيب انت موقوف وانتفضل ادخل كابينتك وما تخرجشى منها أبدا لغاية ما نرجع اسكندرية » .. ويأمر بتعيين الطالب البحرى « عابد » ضابطا ثالثا بدلا من « منبر » !! .

لكننى حين صعدت إلى غرفة القيادة بعد ساعة واحدة وجدت الضابط « منبر » يعمل في واديته كالمعتاد وكان شيئا لم يحدث على الإطلاق فسألته مندهشا : « ايه الى حصل مش انت موقوف ؟ .. » فأجاب « منبر » وإبسامة ساخرة مريرة على جانب فمه : « قلبها بهزار » ..

وبالمناسبة : قال لى القبطان مرة والسفينة في انتظار المرشد عند بداية القتال الإنجليزي انه لا يثق في كفاءة ضباطه ليستطيع ان يعبر القتال الإنجليزي بدون مرشد .. والذى أنا مندهش له فعلا هو كيف لا يثق في كفاءة ضباطه وهو يترك لهم عملية قيادة السفينة تماما : على ابو طالب كبير الضباط من الرابعة إلى الثامنة ، منبر الضباط الثالث من الثامنة إلى الثانية عشرة ، الحسىنى الضابط الثانى من الثانية عشرة إلى الرابعة ، ثم تعود الدورة مرة أخرى ولايكاد القبطان يصعد إلى غرفة القيادة الا إذا كانت السفينة داخلية إلى ميناء أو خارجة من ميناء .. آمال لو كان يثق في ضباطه كان عمل إيه ؟ .. يمكن كان فضل في اسكندرية وما جاش الرحلة أصلا ؟ !! .

وفى الصباح الباكسر

كانت السفينة تعبر البوابة الثانية لـ (قناة كبل) لتخرج منها إلى بحر البلطيق وبعد ٦ ساعات أخرى نكون قد وصلنا إلى ميناء (فيسار) في ألمانيا الشرقية ، حيث نهاية مشوار الذهاب في رحلتنا ، وحيث سنفرغ شحنتنا من الأرز وشيوط الغزل التى خرجنا بها من الإسكندرية منذ ١٦ يوما .. كل هذه الاحداث في ١٦ يوما فقط ، ويا عالم ماذا سوف يحدث أيضا في باقى الرحلة !! .

قبطاننا له ثلاث

حسنات ظاهرة في جانب وجهه .. واحد من الضباط الخبثاء قال متفكرا متفلسفا : « أظن إن القبطان بتاعنا مالوش حسنات غير دول ؟ .. !! » ..

الفصل الثامن

سفينة
من
بولاق !

وقرب الظهر كتا

نقرب من الشاطئ الألماني عند ميناء « فيسار » .. لكننا والشاطئ أمامنا
تماما نراه بالعين المجردة ونرى البلاج والشاسى الملونة والمستحمين في البحر ،
توقفت سفينتنا في عرض البحر وألقت مخطافها دليلا على أننا سوف نتوقف فترة غير قصيرة
هكذا .. وسألت فليل لنا أن ذلك يحدث دائما في موانى أوروبا الشرقية : تصل السفينة المصرية إلى
الميناء فتركن خارجة في عرض البحر حتى يحى دورها للدخول فتدخل لتركن إلى جوار رصيف ..
وليست المشكلة مشكلة أرصفة خالية لكنها مشكلة الأيدى العاملة التى تقوم بتفريغ شحنة السفينة
 وإعادة شحنها من جديد بشحنة أخرى تعود بها إلى مصر : ليست هناك أيد عاملة كافية على قدر
السفن التى تصل .. وليس هناك داع فى هذه الحالة أن تشغل الميناء وأرصفتها بسفن لا عمل فيها
يروح بحارتها ويحيثون وينشغل بهم البوليس الألماني وسلطات وأجهزة الميناء ... فليبقوا إذن
محبوسين خارج الميناء وسط المياه مركوبين على المخطاف حتى تنتهى السفن التى سبقتهم فى الدخول
من التفريغ والشحن ويفضى لها عدد من العمال ، فتدخل إلى رصيف الميناء أهلا بها وسهلا ،
وهكذا .. وقال لى البحارة على سفينتنا - ربنا يبشرهم بالخير - إن تجاربهم السابقة مع الركنة على
المخطاف قاسية ، فقد حدث أن ركنوا مرة ٣٥ يوما على المخطاف فى عرض البحر حتى سمح
لسفينتهم بالدخول إلى الرصيف !!!

على أى حال لتفاهل خيرا ، فليس موجودا فى قائمة الإنتظار قبلنا غير سفينة واحدة لبنانية
سبقتنا فى الوصول إلى « فيسار » بساعتين فقط ، رغم أنها خرجت معنا من ميناء الإسكندرية فى
نفس اليوم ونفس الوقت تقريبا ، ورغم أنها لم تعبر (قناة كيل) وجاءت من الطريق الأطول
بالدوران حول سواحل الدانرك من بحر الشمال إلى بحر البلطيق وقطعت بحر البلطيق كله من
بدايته حتى وصلت إلى « فيسار » ، لكن الذى حدث أننا نحن الذين تخلفنا فى الطريق عدة
مرات : فى مألطة ، وفى لأكرونا ، وفى كيل أو هولتناو ...

وهكذا قضينا ليلتنا الأولى على المخطاف أمام سواحل ميناء « فيسار »



وهكذا أيضا انتهت

المرحلة الأولى من رحلتنا : مشوار الذهاب كله من الإسكندرية إلى شمال أوروبا ، دون أن تجرى على سفينتنا (تجربة الغرق) أو (مناورة الغرق) كما يسمونها . . المفروض أن تتم بمجرد خروج السفينة من ميناء البداية - الإسكندرية - في كل رحلة لها وليس في رحلتها الأولى فقط . . وهي تجربة أو « بروفة » تتم لكي يعرف كل واحد من أفراد طاقم السفينة مكانه في قوارب النجاة في حالة - لاسمح الله - حدوث غرق حقيقي أو خطر يهدد السفينة يستدعي أن يتركها بحارتها . . وتتضمن هذه التجربة أيضا تجربة إنزال قوارب النجاة من السفينة إلى البحر للتأكد من سلامة الأوناش التي تقوم بإنزال هذه القوارب إلى الماء وأنها وقت الحاجة إليها لن يكتشفوا فجأة أنها عطلانة أو أنها لا تعمل . . . وفي حالة إكتشاف أى خلل أو عطل في قوارب الإنقاذ أو الأوناش الخاصة بها فعلى السفينة أن تدخل أقرب ميناء فوراً لإصلاحها ، لأن العمر مش بعزقة . .

لكن يبدو أن أعمار الناس هنا على السفينة « رمسيس الثانى » رخيصة جدا إلى الحد الذى لم يفكر فيه أحد من أكابر السفينة في إجراء « مناورة الغرق » ، من باب « يا شيخ خليها على الله » و « ياسيدى ربك هو الستار » و « المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين » و . . و . . الخ الخ !! . .

آخر أخبار الركنة

والوقفه الماسخة على المخطاف في وسط البحر : ستركن السفينة أسبوعا . قابلا للتجديد - على المخطاف في انتظار أن يأتينا الإذن والسباح بالدخول إلى ميناء « فيسار » والرسو على رصيف به . . المهم أن سفننا تعامل في موانئ أوروبا الشرقية عموما بعكس المعاملة التي تعامل بها سفنهم قداما في موانئنا في مصر ، فنحن نعطيهم الأولوية في التعامل مع موانئنا ، والسفينة الروسية - أو الأوروبية الشرقية عموما - التي تصل إلى أى ميناء مصرى تخل لها الأرصفة وتوسع لها السكة علشان البهوات شرفوا !! . . ولو كنا نعاملهم بمثل معاملتهم لنا ونتركهم في بوغاز الإسكندرية شهرا على المخطاف لاحترمونا وعملوا لنا حساب وأدخلوا سفننا موانئهم على الفور . . لكن يبدو أننا سنظل هكذا طول عمرنا : هبل وطيبين

« سلمى مهمة جدا

بمسألة إطعام طيور الـ (النورس) الظرفية : تلقى إليها من نافذة القمرة بما يتبقى من وجباتها من العيش الفينو ، وتفرج عليها وهي تتنافس على التقاطه من الماء متراحة عليه . . فإذا فازت واحدة منها بقطعة خبز وطارت بها طارت الباقيات وراءها

يطاردنها وهي تلتهمها أثناء طيرانها حتى تختفى قطعة الخبز داخل منقارها الطويل
المهم أن طيور النورس عرفت نافذة قمرة « سلمى » فصرن يحمن حولها طول اليوم كأنهن ينادينها ، وحين تهبط « سلمى » في نافذتها تتصايح الطيور كأنها فرحة وكأنها تنادى بعضها بأن موعد الغداء قد حان

على أى حال لست أدري ذلك الإحساس الذى ملأ من فرط نعومة ومياعة ودلع طيور النورس التى تحوم حول سفيتتنا ، بأنهن جميعا من الإناث . . كأنهن فوج من بنات الرابعة عشرة والخامسة عشرة - إلى طالعين في كادر الأنوثة جديد - يتدللن ويتضاحكن في مياصة وكركرة ودلع

معلومة جديدة عن النورس : كنت قد تساءلت في رحلة بحرية سابقة لى : أين تذهب طيور النورس وتختفى في المساء حين يحل الظلام وهي بعيدة جدا عن أقرب شاطئ ؟ وطلبت من علماء الطيور أن يتكروا علينا من علمهم ويفيدونا أفادهم الله ، لكن لا أحد منهم عبرى ولا سأل عن صحة سلامتى . .

المعلومة التى عرفتها اليوم فقط بعد أن شهدتها بنفسى وتأكدت منها : طيور النورس تنام فوق سطح الماء وشهدتها مع الفجر قبل بزوغ الشمس وهي ترقد أفواجا متقاربة فوق سطح الماء ، وترتفع وتنخفض مع ارتفاع وانخفاض الأمواج الرتيب الهادى . .

ويتبقى الآن سؤال واحد : بتوالد وتتكاثر ازاي ؟ . . قطعاً مش بتبيض وتفقس فوق سطح الماء كيان ؟!!

اليوم الثانى لركنتنا

الماسخة السخيفة على المخطاف في وسط البحر : إضافة جديدة سمعتها اليوم ، وهي أن المسيلة بالنسبة إلينا - وإلى السفن المصرية عموماً - ليست فقط مسألة أرمصة خالية في الميناء وعمال شحن وتفريغ ، لكنها أيضاً مسألة (أولويات متأخرة) بمعنى أنه من الممكن أن تصل سفيتتنا إلى أى ميناء في أوروبا الشرقية فتركن على المخطاف في وسط البحر أسبوعين كاملين ويمكن أكثر ، لكن سفينة أخرى من دول أوروبا الشرقية تصل إلى نفس الميناء بعدنا بأيام فتدخل فوراً ، أو على الأقل توضع في ترتيب الدخول قبلنا بكثير ، لأن لسفن أوروبا الشرقية (أولويات متقدمة) ، بينما لاتدخل سفننا الميناء إلا إذا لم تكن هناك سفن أخرى (أهم) !!

وفي المساء ينتشر على سفيتتنا « همسا » خبر سرى جداً : سندخل الميناء غدا صباحاً لركن على الرصيف رقم ٨ طيب ليه الخبر سرى مش فاهم أنا ؟ إيه السرية اللي فيه يعنى ؟! خايقين لا الأعداء أو غابرات حلف الأطلنطى يعرفوا مثلاً ؟!

وتضاف إلى هذا الخبر « السرى » بعد منتصف الليل إضافة جديدة صغيرة : الحجة التي تذرعنا بها - من باب الحداقة والفهلوة المصرية - هو أننا إدعينا أمام سلطات الميناء الألمانية الشرقية بأن مياه الشرب قد نفذت من سفيتنا . . . لعلنا بأن ميناء « فيسار » ليس مزودا - مع كل التكنولوجيا الألمانية الحديثة - بـ (طجات) أو تلك اللششات الكبيرة عبارة عن خزانات مياه متحركة لتزويد السفن بمياه الشرب وهي في عرض البحر أو في وسط الماء . . . لذا فإن ذراعهم سيكون ملوياً وسيكونوا مضطرين لإدخالنا إلى الرصيف لتزود بمياه الشرب التي نحتاجها . . . وماذا قد دخلنا الرصيف يبقى خلاص : هذا هو غاية المراد من رب العباد . . . والركنة إلى جوار الرصيف أحسن مليون مرة من الركنة في وسط البحر . . . على الأقل علشان يقدر طاقم السفينة من الضباط والبحارة يخرجوا إلى المدينة وقتما يشاؤون . .

وبمناسبة الفتاكة والفهلوة

والحداقة المصرية : أذكر حين كنا نتناقش ونحن مازلنا في بداية الرحلة : أنا أضع الاحتمالات والمبررات التي أرى من وجهة نظري أنها من الممكن أن تؤدي بالسفن إلى الغرق ، بينما القبطان والضباط يجدون لكل احتمال من الإحتمالات التي أعرضها ردا مفتحاً يلغى هذا الإحتمال ويطلعه فاشوش ويجعل السفينة تنجو من الغرق رغم حدوده ، فتساءلت باستغراب : « كيف تغرق السفن إذن مادامت كل عقدة ولها حل هكذا ؟ » . . فرد القبطان ليقول : « بسبب أن شحنة السفينة تكون مش متربطة كويس في عنابر أو مخازن السفينة ، وفي حالة هيجان البحر وارتفاع الأمواج وميل السفينة على الجانبين ، تنتقل الشحنة من أحد الجانبين لتتجمع وترتكز في جانب واحد مما يفقد السفينة توازنها ، وتأتي موجة قوية فتقلب السفينة على جانبها الذي تركزت فيه الشحنة ، خصوصا إذا كانت شحنة حديد » فأقول للقبطان : « كما حدث مع السفينة المصرية « العريش » التي غرقت في خليج الباسكاي ؟ » فيقول : « بالضبط » ثم يستطرد بطريقة استعراضية يحسده عليها « دون كيشوت » : « وعلى فكرة . . . فيه قباطين لما بيكون معاهم شحنة حديد بيربطوه ، وقباطين مش بيربطوه . . أنا بقى من القباطين اللي مش بيربطوه!!!!!! »

اليوم الثالث لركنتنا

الماسخة البائغة على المخطاف في وسط البحر . . . وكان المقروض أن ندخل الرصيف اليوم بالحجة التي تذرعنا بها بالأمس : حجة نفاذ مياه الشرب على سفيتنا ولكي نتزود بمياه جديدة من الميناء . . . لكن جينا نضحك عليهم ضحكوا هم علينا وطلعوا أنصح منا ولم تنفع معهم الحداقة والفتاكة والفهلوة المصرية : جاء خبر أننا سوف ندخل الميناء اليوم عصرا ، لكن على أساس أن تظل ماكينات السفينة دائرة حتى نأخذ ما نحتاج إليه من مياه الشرب ، ثم نعود بعدها إلى عرض البحر مرة أخرى فورا!!!!!!

وتأجل موعد دخولنا الميناء من العصر إلى العاشرة مساء . . . وفي العاشرة مساء لم يكن هناك أى شيء يدل على أن ذلك سوف يحدث ، فالتصل « عبد الباسط » ضابط اللاسلكى بسلطات الميناء ليسأل « مفيش أخيار علشاننا ١٩ » فردوا عليه بدهشة : « إنتوا إيه ؟ » قال عبد الباسط : « إحنا السفينة رمسيس الثانى » قالوا بدهشة أيضا : « رمسيس إيه ١٩ » قال : « الثانى » قالوا : هو فيه سفينة إسمها رمسيس الثانى ١٩ ؟ قال : « إيوة فقالوا بحدة : « مانعرفكمش ومانعدناش حد بالإسم ده » . . . وبطلوا المعاكسات دى بأه علشان عيب » .. وقللوا السكه فى وشه !!

الواحد مايقاش عارف

ينام على السفينة دى ، ويبدو أن هذه السفينة مصنوعة قطعاً فى ترسانة بولاق أو الحسينية ، لأنها سفينة شلى لا تكف عن الخناق والزعيق : إستيقظت اليوم عصرًا على صوت مناقشة عنيفة جدا ويأسوات عالية جدا إلى حد الصراخ ، حتى ظننت أن الحرب العالمية الثالثة قد أعلنت وأنا نائم .. ميزت صوت كبير الضباط وهو يتجادل بعنف مع شخص آخر ، حتى حسمت كبير الضباط المناقشة فى النهاية بعصبية شديدة صارخا : « أنا متأكد من اللى بأقوله ، وإذا كنت سعادتك صح أبقي أنا حمار ومايا فهمش حاجة ، وأنا عايز أنزل من على السفينة دى حالا »

كلية باب الشعري البحرية !!

ونحن جالسون لتناول

العشاء فى صالون الضباط ، وجد « خيرى » شيئا غريبا يبرز من قطعة المكرونة بالفرن الموضوعة أمامه ، فمد يده يجذبه ، وظل يسحب ويسحب ، حتى طلع فى يده فى النهاية قطعة طويلة من أفخر أنواع ال : دوبار !! . . دوبارة فاخرة . . ونادى « خيرى » على « برهام » رئيس السفريجية ليقول له بهدوء جدا : « من فضلك غير لى الدوبارة دى » !! ويهدوء أكثر أخذ « برهام » طبق المكرونة من أمام « خيرى » ودخل المطبخ وعاد بواحد آخر وضعه أمام « خيرى » ببرود جدا وهو يقول له ببساطة : « دى كانت حنة دوبارة من الشوال اللى كانت فيه المكرونة » !!

فى الحقيقة إذا كانت المسألة مجرد أنهم طبخوا المكرونة بالشوال اللى كانت فيه تبقى بسيطة ، لكن إحنا كنا خافين أن تكون المخابرات المركزية الأمريكية ال . C . I . A . حاطة لنا حاجة فى الأكل !!



ويمتناسبة
« برهام »
رئيسى

السفرجية .. منذ عدة أيام ونحن جالسون فى صالون الضباط ، جاء الرجل ومعه علبة مفتوحة ليسألنا ما إذا كنا نعرف ذلك الشيء الذى بداخلها : مسحوق لونه بنى فاتح .. سألتاه : « ماله ده ؟ » فقال : « مش عارف إيه ده ... ومش مكتوب على العلبة حاجة ، ولقيناه موجود ضمن خزين المطبخ مع الملح والكمون والفلفل والبهارات ، وماحدث من الطباخين عرف إيه هو ... قلنا نسألكم يمكن الأنسة سلمى تكون تعرفه !! » . وتبادلناه جميعا وشممناه واحدا بعد آخر ثم قالت « سلمى » ببساطة جدا : « دى قرفة » قال « برهام » معترضا : « لا مش قرفة ، هو أنا عبيط عن القرفة ١٩ » .. « قرفة » .. « لا مش قرفة » « قرفة » « لا مش قرفة » طيب ، القرفة تكذب الغطاس .. إعمل لنا فنجان منها وندوقها . ياطلعت قرفة ، ياتأكدنا إنها مش قرفة .. وفعلنا راح « برهام » وعمل فنجان منها وفعلنا طلعت قرفة .. فقال « برهام » متضايقا : « طيب واحنا حانعمل إيه بالقرفة فى المطبخ ؟ .. مالمش لازمة عندنا » قالت له « سلمى » : « خلاص .. خليها علشانى .. أنا بأحب القرفة وحأشربها بدل الشاي » ..

وطلبت « سلمى » القرفة ٣ مرات بالعدد .. وفى المرة الرابعة قالوا لها : خلصت !! .. « خلصت إزاي ياخواننا ؟ الشركة مسلمة السفينة بحالها شوية قرفة يعملوا ٣ فناجين بس ١٩ » قالوا بغلاصة : « آه .. !! » ..

وتخبط « سلمى » كفا على كف وهى تحكى لى الصورة التى تتخيلها فى ذهنها للسيد مدير عام مشتريات الشركة المصرية العامة للملاحة البحرية وهو ينزل على رأس لجنة المشتريات المكونة من مديرى الإدارات ورؤساء الأقسام ، إلى أسواق الاسكندرية لكى يشتروا : باكو قرفة بشلن للسفينة رمسيس الثانى !! ..

منك لله يا رمسيس .. إنت السبب فى ده كله !!

لكن
تصورى
آقا

كان غير ذلك ، والذى أتصوره أنا هو « أن الناس على دين قبائليهم » .. فحين كان السفرجية فى بداية الرحلة يروننا على علاقة طيبة بالقبطان كانت كل طلباتنا مجابة وكان « برهام » رئيس السفرجية يقول لنا : « لو طلبتم لبن العصفور حانجييه لكم .. مخازن السفينة عمرانة بكل الخيرات والحمد لله » .. فلما تأزمت الأمور بيننا وبين القبطان وأصبح واضحا لكل أهل السفينة أن الخلاف بيننا وبينه وصل إلى حد المقاطعة والحصام منذ تسعة أيام حتى الآن ، بدأ السفرجية يغيرون معاملتهم لنا وأصبحت كل طلباتنا مرفوضة ، حتى فنجان القرفة قالوا لنا خلصت ، ولما طلبت « سلمى » قطعة زيد مع المرى قالوا : مفيش .. طلبنا سلطة

خضراء قالوا مفيش .. كان ييقدّم لنا عيش (توست) فمنعوه ، حتى (خلة الأسنان) والمناديل الورق منعوها .. ومين عارف ، يمكن بكرة بمنعوه الأكل نفسه ويقولوا لنا : خلص

على أى حال ، ربنا يستر

صبي. مراقب عمره ٥٢ سنة ، أرعن وشعنون وعنيد !!

اليوم الرابع على

ركبتنا الماسخة البايضة على المخطاف فى وسط البحر وعلى حيستنا هكذا فى بوغاز ميناء « فيسار » أمام خليج صغير يشبه خليج أبو قير بالإسكندرية فيه بلاج اسمه (ونسل پول) .. نرى الأرض والبلاج والشماشى المونة والكباين والمضيفين والمستحمين والأشجار على مرمى البصر على بعد ٢٠٠ مترا ولا نستطيع حتى مغادرة السفينة فى قارب لننزل إلى الشاطئ وإلا أطلق علينا البوليس الألمان الشرقي النار فوراً ... أعتقد أن « برنارد شو » كان هو الذى قال : « الفرق بين السجين والسفينة هو أن السجين لا يغيرق » !!

وكل صباح يأتى معه بخبر جديد عن دخولنا الميناء .. كان خبر اليوم أن دخولنا الميناء وإلى الرصيف سيكون بعد ١٣ يوما من الآن !!

المدهش أن كل يوم تأخير لنا فوق هذا السجن العالم يكلف الشركة صاحبة السفينة ٢١٠٠ جنيه بلا مبرر ، نتيجة تأخير السفينة وتعطيلها عن مواصلة رحلتها وأجور الناس الذين يعملون عليها وبدل سفرهم ونفقات أكلهم وشربهم .. كل ذلك أيضا غير غرامات التأخير ، لأن البضاعة التى تحملها السفينة منصوب فى عقود شحنها على أنها (تسليم رصيف) وليست (تسليم ميناء) .. وهكذا فلو ظللنا شهرا فى وسط البحر على المخطاف بهذه الصورة - وقد حدث ذلك كثيرا من قبل - لخسرت الشركة ٦٣,٠٠٠ جنيه بدون مناسبة .. أما لى كانت البضاعة (تسليم ميناء) لما خسرت الشركة مليا واحدا وكانت البضاعة تعتبر قد تم تسليمها بمجرد وصول السفينة الى الميناء ، ولأصبح كل يوم تأخير على نفقة الجهة صاحبة الشحنة ..

الذى لم أستطع أن أفهمه فى هذه المسألة كلها : لماذا إذن تقبل الشركة أن تشحن بضائع (تسليم رصيف) فى هذه الحالة واحتمالات الخسارة فيها أكثر من احتمالات المكسب ؟ !!

أطلقت شعري رغم

أنفى ، وسوف لا أحلقه إلا بعد شهرين آخرين تقريبا ، لعدم وجود حلاق على السفينة أولا ، وحتى فى الموانئ الأوروبية التى دخلناها أو سوف ندخلها فلا أحب أن أحلق شعري فى خارج مصر .. تجاربى السابقة فى حلاقة شعري فى أوروبا كانت

القبطان أن يطش على ما حدث فلم يسلم للسعودية كل الشحنة ، واستبقى جوانات الأرز في عتار السفينة . . ثم أراد في رحلة العودة أن يتخلص من هذه الجوانات بالقائها في البحر ويدعى أمام الشركة أنه لم يأخذ غير الكمية التي سلمها فقط وأن الخطأ كان في بيان تسجيل الكمية !! . . لكن كبير الضباط الذي كان معه إعترض على ذلك ورفض تنفيذه . . وأصر القبطان ورفض كبير الضباط ، وتآزمت الأمور بينها حتى وصل الأمر إلى سلطات ميناء السويس ، ومنها إلى الشركة صاحبة السفينة ، التي عاقبت القبطان بأن أنزلت رتبته من (قبطان) إلى (كبير ضباط) !! . .

لكنني - بعد أن سمعت هذه القصة - أشك كثيرا في أن الشركة تستطيع أن توقع مثل هذه العقوبة على كل من يخطئ من قباطنتها ، فلو حدث ذلك لواجهت أزمة شديدة في عدد القباطنة عندها !! . .

اليوم الخامس على

ركبتنا الماسخة البائخة على المخطاف في وسط البحر : انقطعت طوال فترة الصباح إشاعات - أقصد أخبار - دخولنا الرصيف تماما . . والظاهر أن مروحي الإشاعات - أقصد الأخبار - وجدوا أن مفيش فايدة وأن (جماهير الشعب على السفينة) قد فقدت الثقة في إشاعاتهم - أقصد أخبارهم - فكفوا عنها وصمتوا الصمت البلخ . .

الساعة ٢,٣٠ ظهرا : قفز خبر جديد شكلا وموضوعا هذه المرة : بدلا من ركبتنا هذه بلا فائدة حتى يوم ٢ أغسطس ، سنرحل من ميناء « فيسار » ونعود إلى ميناء « كيل » للكشف على السفينة وإجراء الإصلاحات المطلوبة لها ، ثم نعود إلى « فيسار » في الموعد المحدد لدخولنا الرصيف - يوم ٢ أغسطس ، يعني بعد ١٢ يوما - لندخل إلى الرصيف مباشرة . .

الساعة ٨,٣٠ مساء : حدثت إتصالات مكثفة بين السفينة في « فيسار » ورئاسة الشركة في الإسكندرية ، ثم بين رئاسة الشركة في الإسكندرية وسلطات الميناء في « فيسار » ، ثم بين سلطات الميناء في « فيسار » والسفينة الراكنة في وسط البحر . . وكانت نتيجة كل هذه الاتصالات المكثفة هي أننا سوف ندخل إلى الرصيف يوم الجمعة بعد غد ، يوم ٢٣ يوليو ١١

أفلح إن صدق ، فلم نعد نصدق شيئا

المفروض أنه في

نفس اليوم الذي تدخل فيه سفينتنا إلى رصيف ميناء « فيسار » ، على اعتبار أنه ميناء الوصول الرسمي لرحلتها ، وعلى اعتبار أنها رحلتها الأولى في البحر . . أو (الرحلة العذراء) ، أن تقيم السفينة حفل استقبال يعقبه حفل عشاء على ظهر السفينة . .

ويبدو أن الخبر الذي انتشر على السفينة مساء اليوم بأنه خلاص فعلا قد تم الاتفاق مع سلطات الميناء على أن تدخل سفينتنا الرصيف بعد غد ، كان له أثره في أن الإستعدادات بدأت على السفينة فعلا لإقامة هذا الحفل . . وكان له أثره أيضا بالنسبة لي أنا في أنه كل مساء جافلا صاحباً ، وكنت أتوقع شيئا كهذا لكن ليس بهذه الصورة . .

« حسن صبرى » مدير عام الشركة صاحبة السفينة وممثلا في منطقة شمال أوروبا ، طار من « جيدانسك » في بولندا حيث مقره ، ووصل إلى « فيسار » عصر اليوم ، ليحضر وصول السفينة الجديدة غدا إلى نهاية رحلتها ، ويحضر كذلك الحفلة التي ستقيمها باعتباره مثلا للشركة . . ولأن القبطان قد أعلن غضبه « الرسمى » على ورفد من صداقته منذ تسعة أيام كاملة ولم نعد نلتقى ، وإذا التقينا بالصدفة في أى مكان تجاهل كل منا الآخر ولم يوجه اليه لا كلام ولا سلام ولا تحية ، فإن الموقف قد أصبح صعبا بالنسبة للقبطان ، فالمفروض أننا هنا على السفينة كصحفيين ولسنا كركاب أو زوار أو من أفراد الطاقم ، وبالتالي فالمفروض أن نحضر الحفل الذى ستقيمته السفينة وإذا لفت عدم حضورنا نظر « حسن صبرى » ممثل الشركة وتساءل ، وإذا ذلك قد يعرف ماحدث من القبطان من تصرفات نحونا وتبقى المسألة فيها كلام ثانى . . ينبغى إذن - في تقدير القبطان - أن نحضر الحفل ، ولكن كيف سنحضر الحفل إذا لم يدعونا القبطان ؟ ! . . وكيف يدعونا القبطان إذا كنا متخاصمين منذ ٩ أيام ؟ ! . . مشكلة . . لكن القبطان وجد لها حلا . .

على مائدة العشاء

قال لي « خيرى » أننا قد وجهت لنا الدعوة لحضور الحفل الذى ستقيمته السفينة غدا . . قلت له باستغراب : « مين اللى وجه الدعوة ؟ » قال : « القبطان » قلت : « ازاي ؟ ولين ؟ » قال : « وجهها لي أنا بالنيابة عن مجموعة الصحفيين » قلت على الفور : « أرفض . . أنا رئيس المجموعة والدعوة مفروض أن توجه لي أنا وليس لأى حد آخر . . وأنا أرفض هذه الدعوة مالم توجه بالشكل اللائق المفروض . . »

بعد العشاء طلبني « خيرى » في التليفون وطلب أن أمر عليه في مقره . . « خيرى » مهتم جدا بهذه المسألة . . ذهبت فقدم لي من سكات ورقة مطوية فإذا بها ورقة مكتوبة بخط القبطان يدعوني فيها لحضور الحفل بطريقة فيها تظافر واستخفاف دم ومكتوب إسمى فيها « حسين أدرى » ، وختمتة بأربعة أختام للسفينة بالعربى والإنجليزى ، ومكتوب في نهايتها : (ممنوع اصطحاب الأطفال أو المأكولات - الحضور بالملابس الرسمية أو) . . هكذا بالضبط !!!!!

لم أجد هناك مناسبة لهذا النظرف وخفة الدم بيننا الموقف بيننا أصلا مشدود ومتوتر ويحتاج إلى تصفية ، وشعرت بأن القبطان يحاول أن يتخذ من الدعوة التى أصررت على أن تكون بشكل لائق ومحترم مجالا جديدا للسخرية . .

.. فقلت لـ « خيرى » اننى - برضه - أرفض الدعوة ولا أقبل الطريقة التى وجهت بها .. ومالم يوجه لى القبطان الدعوة بنفسه شخصيا فلن أحضر هذه الحفلة .. وتركت « خيرى » وعدت إلى قمرى ..

بعد دقائق رن جرس التليفون فى قمرى مرة أخرى : كبير الضباط هذه المرة يطلب أن أذهب إليه فى قمرة (تقعد مع بعض شوية) .. سألته : من عنده ؟ فقال : « مفيش حد .. أنا وخيرى بس » فلذهبت .. ويفتح كبير الضباط موضوع الحفل ، ويقول أنه طبقا للبروتوكول البحرى فالمفروض أنه هو - أى كبير الضباط - الذى يوجه الدعوة لحضور الحفلات التى تقيمها السفينة ، وبناء على ذلك فهو يوجه لى الدعوة (١١) .. حركة التفاف خبيثة : كبير الضباط يخرجنى حتى لا أستطيع أن أرفض دعوته ، وفى الوقت نفسه يخرج القبطان من الموضوع تماما .. لكننى قلت له على الفور أنهم أحرار فى بروتوكولهم البحرى وتقاليدهم البحرية ، لكننى اعتذرت عن حضور هذا الحفل بالذات مالم أتلقي الدعوة من أبو العروسة شخصيا ، الى هو القبطان قائد السفينة ، فلا يمكن أن أحضر حفلا وأنا على خصام أو جفوة مع صاحب الحفلة نفسه وبيننا موقف لابد من تصفيته .. وجادلنى كبير الضباط طويلا فى هذه المسألة على أساس أنه سوف يصلح ما بينى وبين القبطان بعد انتهاء الحفل ، لكننى أصررت على رفض حضورها .

وفجأة جاء القبطان

إلى قمرة كبير الضباط ، ودخل وحيا الجميع بفطور جلس ، وبدا كبير الضباط يتكلم عن أن : « الأستاذ حسين كان له عشم فى إن سيادتك » فقاطعته فوراً قبل أن يكمل كلامه : « لا يا على .. إنت كده مش بتتكلم الكلام المضبوط الى لازم يتقال .. أنا ماليش عشم فى حد .. لكن الكلام الى مفروض يقال هو إن » وافتتحت بعنف شديد معددا سوء تصرفات القبطان منذ بدأت الرحلة حتى الآن ، خصوصا موضوع محاولته منعنا من النزول من السفينة فى ميناء (كيل) ، وموضوع « سفرجى باشا » بتاعه ، وعبارته السخيفة التى كتبها فى نهاية الدعوة (الحضور بالملابس الرسمية أو) .. وقلت له فى النهاية أن التصرفات التى يتصرفها لا تليق بقبطان عمره ٥٢ سنة وكان المفروض أن يكون أحكم وأعقل من ذلك كثيرا ، إن لم يكن بحكم مركزه كقائد سفينة كبيرة ينبغى أن يكون قذوة ومثلا لبحارته وضباطه ، فعلى الأقل بحكم سنه ..

وقابل القبطان ثورى العنيفة بثورة مثله ، وارتفع صوتانا بشدة حتى كادت الأمور أن تتطور الى ما هو أكثر من المناقشة الكلامية .. وقال من بين ما قاله : « أنا عارف انك حاتيسب الرحلة كلها وتمسك فى الأخطاء الى حصلت وتكتب فيها ١٠ صفحات .. إكتب زى ما انت عايز لكن لازم تعرف أنا السلطة الأكبر على السفينة هنا ، أنا حاكم السفينة وماحدث له إنه يناقشنى ولا يراجع على تصرفاتى .. أنا الأمر الناهى هنا وأنا أكبر رأس على السفينة وأقدر أوقفك عند حدك وأقدر أبعت لك ٣ بحارة يجيوك من كابينتك لو مارضيتش تيجي لما أبعت لك ، وأقدر أحبسك فى

الكابينة بتاعتك ماتفرجش منها من دلوقتى لغاية مانرجع اسكندرية ، ولما نوصل إسكندرية ابقى
إعمل الى تقدر عليه «!!!!!!» وكلاما آخر من هذا القبيل ، فقلت له أنه لا هو ولا رئيس
مجلس إدارة شركته يستطيع أن يتصرف بهذا الشكل لأننى لست بحارا ولأنه هو كيان مش ربنا ،
وأنه كونه قبطان سفينة ذلك لا يجعله فوق العقاب إذا أخطأ ، والفصيل بيننا في تقدير ما اذا كان
مخطئا أم لا هى الجهات المسؤولة في أى مكان يعجبه هو ، سواء هنا في أوروبا أو في مصر بعد
عودتنا « . . . وأيضاً كلام آخر من هذا القبيل ، وهو يلف ويحاور ويدور ويفلص بأقصى ما فى
وسعه حتى يقتنعى بأنه لم يكن مخطئا في أى تصرف من تصرفاته ، وأنا أضيق عليه الحنا حتى قال
هو فى النهاية : « يمكن يكون فيه بينى وبين السفرجى علاقة شاذة ١٩ » . . . فهاززت كنفى وسكتت
ولم أتكلم !! . . . فثار وأرغى وأزید وأقسم إيمانا مغلظة بأننى لن أحضر حفل السفينة !! . . . فقلت
له بسخرية وبرود : « حفلة إيه الى أنت فرحان بيها أوى كده وبتتكلم عليها ١٩ ؟ ومن قال لك أنى
حاضرهما أو يهمنى إنى أحضرها ١٩ ؟ إيه أهميتها بالنسبة لى ١٩ » . . . فقام ثائرا بهم بالخروج من
قمرة كبيرة الضباط ، فلما لم يمنعه أحد عاد وجلس من جديد وهذا وغير الموضوع تماما وتكلم فى
موضوعات أخرى عادية متعلقة بالبحر ومشاكل القباطنة ومتاعبهم ، وهو يوجه لى الكلام وكان
المسألة قد انتهت ، وأنا صامت تماما لا أرد ولا أعلق ولا أفتح فمى بكلمة واحدة ، حتى قال فى
النهاية مبتسما : « وبالنسبة للحفلة فاحنا حاي سعدنا وجودكم كلكم معنا فى الحفلة . . انت والأنسة
« سلمى « والأستاذ « خيرى » . . وأدبنى باوجه لك الدعوة بنفسى وشخصيا أه زى مالت كنت
مصر . . . ثم سحب ورقة وقلماً من على مكتب كبير الضباط وبدأ يكتب فيها وهو يقول : « واذا
كان على السفرجى الى زعلك فماترعلش ياسيدى : ينقل السفرجى سلهبا فوراً الى المطبخ ويكلف
السفرجى سعيد بخدمة قمرة القبطان » . . ودفع الورقة الى كبير الضباط وهو يقول له : « للتنفيذ
فور ياعلى » . . . والتفت لى مبتسما وقال : « خلاص ياسيدى ١٩ » . .

وقبلت الدعوة . . . ونسيت كل ما حدث من تصرفاته . . أصل أنا طيب وأمير وينضحك على
بكلمة حلوة !!

الساعة

٣٠ بعد

متنصف

الليل : آخر الأخبار ، ويبدو أنها المرة دى شكلها أكيد : سندخل الميناء غدا
الساعة ٧,٣٠ صباحا . . . وقد استغل « حسن صبرى » ممثل الشركة فى
منطقة شمال أوروبا وجودنا على السفينة كصحفيين فى اقتناع سلطات الميناء فى « فيسبار » بأن ركتنا
الطويلة على المخاطف هذه لاتليق أن تحدث وعلى السفينة ٣ صحفيين من القاهرة يشهدون على ما
يحدث ، ونتيجة لذلك فقد أفرجت سلطات الميناء أخيرا عن سفينتنا وسمحت بدخولها الى
الرصيف غدا صباحا . .

ولو . . برضه لن استطيع أن أطمئن إلى ذلك كله إلا حين أضع قدمى على أرض مدينة
« فيسبار » نفسها . . وكلها كام ساعة والمية تكذب الغطاس

الفصل التاسع

أنبوبة
بوتاجاز
شقراء !.

سبحان مغير الأحوال

.. إستيقظت من النوم صباحا فوجدتني على الرصيف !!.. لست أنا طبعاً الذى على الرصيف ، لكن سفينتنا أخيراً ، وبعد ركنة طويلة ماسخة عملة على المخطاف فى وسط البحر لمدة خمسة أيام كاملة : ١٢٠ ساعة ، كانت كل ساعة منها تمر ثقيلة وأكيدة صفراء كأنها ألف ساعة .. أخيراً ربنا فرج علينا وسمحت السلطات الألمانية بدخول سفينتنا الميناء - بشكل استثنائى - لتقف على رصيف الإنتظار حتى يبعث عليها لدور لتفريغ شحنتها .. وقبل بشكل مبهذى - أن أماننا أسبوعاً كاملاً على الأقل قبل أن يأتى علينا الدور .. ولو ، أسبوع أسبوع ، على الأقل نستطيع أن ننزل إلى البر وإلى المدينة كل يوم وطول اليوم لو شئنا ، أحسن ألف مرة من الركنة فى وسط البحر كأننا « معتقلين بحريين » ..

وسبحان مغير الأحوال أيضاً .. كان القبطان شخصياً - بعد خصام وقطعة استمرت تسعة أيام - هو الذى أيقظنى من النوم بالتليفون صباحاً لكى أصعد الى (البريدج) أو غرفة القيادة لأشهد دخول السفينة إلى ميناء « فيسمار » *Wismar* : ميناء الوصول بالنسبة للرحلة العذراء ، أول رحلة فى البحر للسفينة المصرية الجديدة « رمسيس الثانى » ..

وفى نفس المساء

أقامت السفينة حفل استقبال فى صالون الضباط .. والمفروض أن كل سفينة فى رحلتها الأولى العذراء تقيم مثل هذا الحفل فى كل ميناء يكون فى برنامج « لأكرونا » وفى « كيل » أو « هولتتاو » .. ويدعى إلى هذا الحفل عادة كل المسئولين فى الميناء وفى المدينة التى فيها الميناء .. لذا فقد حضر حفل سفينتنا الليلة مستر « شرادى » *Schrade* حاكم فيسمار ، ومستر « جونتير دومكه » *Gunter Domke* مدير الميناء ، ووكيل الشركة الألمانى فى فيسمار ، وبعض رجال الأعمال الألمان ، ومدرس ألمانى فى المعهد العالى الصناعى بالمدينة ، وهو رئيس جمعية الصداقة الألمانية المصرية بحكم أنه عمل فى القاهرة نحو ستين مدرساً فى مدرسة القاهرة الصناعية فى القبة .. وأيضاً المواطن المصرى الوحيد الذى يعمل فى المدينة ، وهو « مورييس

مرقص « ممثل شركة (مارترانس) المصرية هنا ، وهى الشركة المشغلة عن عمليات شحن وتفريغ* البضائع القادمة من مصر أو الذهابة الى مصر ، سوء كان ذلك على سفن مصرية أو غير مصرية ..

وكان فى استقبال ضيوف الحفل « حسن صبرى » ممثل الشركة صاحبة سفينتنا فى منطقة شمال أوروبا الذى جاء خصيصا من « جيدانسك » ببولندا حيث مقره الرئيسى لاستقبال السفينة « رمسيس الثانى » فى رحلتها العذراء ويحضر هذا الحفل ثم يطير بعد غد عائدا الى جيدانسك مرة أخرى .. أما من طاقم السفينة فلم يحضر غير ثلاثة فقط وكنت أتوقع أن يكون الطاقم كله موجودا : القبطان « سعد زغلول أبو زيد » وكبير الضباط « على نبيل أبو طالب » وضابط اللاسلكى « محمد نعيم عبد الباسط » ، ومن مهندسى ترسانة الاسكندرية المرافقين للسفينة فى رحلتها الأولى المهندس « أحمد الأعرج » ثم ثلاثتنا مجموعة الصحفيين : « سلمى » وأنا و« خيرة » ..

**وعلى
كانت
سلمى**

هى الجنس الناعم الوحيدة فى حفل الليلة ، لذا فقد كانت دهشة الضيوف الألمان كبيرة حين فوجئوا بها فجأة تشهر عليهم كاميراتهم وفلاشها وهى تنتقل بينهم كالفراشة وهأت بالتصوير .. فيبدو أن مهنة المصورة الصحفية الفتاة ليست منتشرة فى ألمانيا الشرقية بعد ، لدرجة أن بعض الضيوف الألمان قاموا بمحاولون أن يأخذوا عنها الكاميرا والفلاش ليقوموا هم بالتصوير : « بس اتفضل انتى استريحى وإحنا نصور ، عنك انتى » ، وازدادت دهشتهم حين قالت لهم أن هذه هى مهمتها وأنها هنا فى هذه الرحلة لكى تقوم بعملية التصوير !!

تلاقيهم لغاية دلوقتى لسه مندهشين

**وبعد
حفل
استقبال**

كان العشاء على الطريقة المصرية .. وفى الوقت الذى لم يفهم فيه أغلب الضيوف الألمان (الملوخية) ونظروا إليها فى توجس وخشية كأنها سوف تنفجر فيهم ، فى الوقت نفسه كان إقبالهم على البطيخ المصرى عظيما لدرجة أن مستر « دومكه » مدير الميناء أكل وحده نصف بطيخة كبيرة ، لو أكلت أنا ربع ما أكله منها لأصبت بانسداد فى فم المعدة ومغص كلوى لمدة شهر كامل ...

ويبدو أن الصحفيين فاكهة نادرة فى هذه المدينة التى تخلو من الصحف الإقليمية ، لذا فقد كان واضحا أنهم ولو أنهم مستعربين لوجدنا إلا أنهم مبسوطين له ، لذا فقد تلقينا خلال الحفلة عددا من الدعوات تكرم أصحابها مشكورين بتوجيهها إلينا لزداد تعرفا بالمنطقة التى نحن فيها : مستر « دومكه » مدير الميناء دعانا لزيارة مدينة « جيفرين » أجل مدينة فى ألمانيا الشرقية على بعد ٣٥ كيلو مترا من « فيسبار » وكيل الشركة هنا دعانا لزيارة مدينة « روستوك » أكبر موانئ ألمانيا الشرقية

أيضا - أكبر من « فيسار » ، الوكيل الثاني مستر « شتيجمان Stiegmann » دعانا إلى جولة سيرا على الأقدام في « فيسار » نفسها ليرينا معالمها التاريخية والاثريّة ، « حسن صبرى » ممثل الشركة في منطقة شبال أوروبا دعانا لزيارة مدينة « جيدانسك » في بولندا حيث مركزه الرئيسى ؛ « مورييس مرقص » ممثل شركة (مارترانس) دعانا إلى جولة مسائية في الأماكن العامة في المدينة ..
يا بركة دعا الوالدين



لُفت نظرى في حفل الليلة كله شيء لم يكن على السفينة نفسها ؛ وإنما كان على : بابها !!

ما ان الفت السفينة مراسيها صباحا على رصيف ميناء " فيسار " ؛ حتى جاء ونش كبير يجعل كشكا صغيرا من الصاج له نوافذ زجاجية عريضة من كل جوانبه ؛ ووضع هذا الكشك أمام سلم سفينتنا .. وحالا جاء جندي المانى شاب جدا ؛ فتي غض ناعم لم يخضر شاربه ولا ظهرت له ذقن بعد ؛ لا يزيد عمره عن ١٨ سنة على الأكثر ؛ يلبس زى البحرية الألمانية ويتمنطق بمسدس كبير الحجم كأنه مدفع صغير ينوء بحمله .. جاء هذا الصبى ومركز في ذلك الكشك ؛ وأصبح هو المسئول عن سفينتنا ؛ لا أحد ينزل من السفينة إلا بعد أن يريه التصريح الذى معه الذى سلمه لنا البوليس الالماني بمجرد وصول السفينة الى الرصيف ؛ ولا احد يصعد إلى السفينة إلا إذا كان معه تصريح من البوليس الالماني بالصعود إليها ؛ فيترك تصريحه عند الصبى الجندي حتى ينزل من السفينة فيسترده مرة اخرى وهو نازل .. عملية محكمة جيدا وعبوة جيدا حتى يستطيع الجندي الصبى في أى لحظة ان يعرف كم فردا من أفراد السفينة خارجها ، وكم غريبا على السفينة موجود الآن فوق سطحها .. وعند هذا الصبى الجندي تعليمات واضحة وصريحة مباشرة بأن يطلق النار من مسدسه فورا وبلا تردد على أى حد يحاول أن يغادر السفينة أو يصعد إليها دون أن يكون معه تصريح .. وكاد ذلك أن يحدث مرة فعلا أمامى ، لكن ليس معى شخصيا والحمد لله ..

« سلمى » أطلقت على هذا الصبى الجندي لقب (الواد اللواء) .. طيبة جدا « سلمى » وتحب أن يفرح الناس جميعا وينسطوا : كل من لبس كاكى أو زيا رسميا فهو في نظرها (لواء) .. كل شباب الأسيرة الذين جندوا في الجيش أو لبسوا عساكر أو دخلوا الكلية الحربية ومازالوا طلبة بها ، أطلقت عليهم : (سعادة اللواء) ، على اعتبار أن مصيره في يوم ما يبقى (لواء) فليه مانفروحوش من دلوقتي .. وبالتالي أصبح صديقنا الجندي الالماني الصبى (الواد اللواء) رغم أنه يتغير ويحیی غيره كل ٤ ساعات ، ومواعيد واردياتهم غير ثابتة ولاعددة ولامعروفة حتى ولا لهم شخصيا .. بمعنى أن الواحد منهم يكون موجودا أمام السفينة فإذا سألته متى سيكون هنا مرة اخرى يقول لك - صادقا - انه لايعرف .. والمقصود من ذلك واضح طبعاً ، وهو حتى لا يرتبط بصداقات مع بحارة السفينة أو طاقمها تعطى فرصة لحدوث أى شيء غير قانونى ..

المهم ما هي علاقة

صديقنا (الواد اللواء) بحفل السفينة ؟ وهو لم يحضره ولم يشترك فيه ولم يصعد حتى الى سطح السفينة ؟ ما الذى كان فى هذا (الواد اللواء) حتى أنه كان أبرز شيء لفت نظرى فى حفل الليلة ، رغم أنه كان موجودا أمامى طوال اليوم ، وشرحوا الى مهمته وواجباته وفهمتها واستوعبتها وسجلتها فعلا فى مذكرى ١٩...

لفت نظرى ونحن فى استقبال وفى وداع ضيوف السفينة الألمان لحفل الليلة ، أنهم جميعا بلا استثناء قد توقفوا أمام الصبى الجندى يبرزون تصاريحهم ويتركونها له وهم صاعدين الى السفينة ؟ ثم يستردونها منه مرة أخرى عند نزولهم .. لكن الشيء الأهم والأهم والأهم الذى اثار عظيم دهشتى ، هو أن حاكم المدينة نفسه شخصا بدمه ولحمه وشحمه وجلالة قدره وعظيم منصبه : الرجل الذى يحكم المدينة كلها ببوليسها بشرطتها بمينائها بموظفيها بكل متر مربع فيها .. وقف ايضا أمامه - زيه زى غيره وزى أبسط بحار على أصغر سفينة فى الميناء - وأخرج تصريحه وقدمه للصبى الجندى الذى نظر فى التصريح ثم نظر فى وجه المحافظ قبل أن يسمح له بالصعود الى السفينة ، واحتفظ بالتصريح عنده حتى ينزل سعادة المحافظ من السفينة فتوقف أمام الصبى الجندى مرة أخرى ليسترد تصريحه منه !!!...

آخ خ خ .. فىن احنا .. دا ولا بعد مليون سنة ممكن ده يحصل عندنا فى مصر ...

حاجة من اثنين

: إما أن سفرجية القطاع العام على سفينتنا لم يبلغهم بعد خبر صلحنا مع القبطان ؛ أو أن القبطان نفسه قد صالحنا باليمين وسأيب علينا « رجالته » بالشمال .. خلال الحفل طلب الضيوف الألمان قهوة فجاء بها « عطيطو » السفرجى فوراً .. فطلبت منه أن يحضر لى أنا و« خيرى » قهوة أيضا .. لكن « برهام » رئيس السفرجية صرخ فى « عطيطو » قائلا : لا . خلاص مقيش قهوة تانى .. إحنا داخلين نتمشى بأه ماكلناش من الصبح !! ونجذب « عطيطو » إلى داخل المطبخ وأغلق الباب وراءه بعنف !! ...

عندى كامل الإستعداد أن أصدق أن هذه قلة أدب طبيعية فى عيال القطاع العام المصرى عموماً ؛ لكننى لا أستطيع أن أتصور مطلقاً أن « برهام » كان يستطيع أن يتصرف هكذا مالم يكن مطمئناً تمام الإطمئنان الى أن تصرفه معنا يوافق رغبات القبطان شخصياً ورضيه ؛ لأنه لو خشى لحظة واحدة أن يوقع عليه القبطان جزاء ما ؛ أو حتى يؤنبه ؛ لما فعل ذلك ..

رغم إنهاء الحفل

والعشاء قرب منتصف الليل ، إلا أننا لم نطق صبراً حتى يأتى الصباح ؛ فنزلنا على الفور نستكشف ونستطلع المدينة ونتعرف عليها وحدنا . . مدينة صغيرة ظريفة جدا ذات طابع خاص في مبانيها الكلاسيكية القديمة كلها المشابهة ذات الواجهات المخروطية بحدّة التي تعطيها مذاقا خاصا : الطراز الأوروبي القديم جدا يسبقه المخروطى من القرميد الأحمر والملاخنة التي تعلو كل بيت ؛ والنوافذ فقط بدون شيش وبدون بلكونات ؛ وأبواب البيوت تعلو عن سطح الشارع بسلمتين أو ثلاثا . . وأغلب البيوت أمام كل منها حديقة صغيرة جدا مزروع فيها ورد غالبا ؛ أو حتى مجرد نجيل أخضر . . وبعض البيوت محفور عليها تاريخ بنائها أو عليها لوحة رخامية تسجل تاريخ إنشائها : سنة ١٨٩٩ مثلا ؛ سنة ١٧١٥ مثلا ؛ ومبنى عليه لوحة تقول أنه بنى في عام ١٥٧٦ ؛ يعنى منذ ٤٠٠ سنة بالضبط الآن . . ولم أندش لذلك ؛ إذ كنت قد عرفت من مستر « دومكه » مدير الميناء خلال العشاء أن المدينة سوف تحتفل بعيدها الـ ٧٥٠ بعد ثلاث سنوات فقط . . والمدينة شكلها قديم؛ فعلا ولم نر فيها . . خلال جولتنا المسائية الليلة . عبارة واحدة حديثة تشدّ عما حوفا ؛ حتى ولا في منطقة وسط البلد أو المنطقة التجارية فيها . . المهم أن هذه البيوت القديمة الطراز جدا من الخارج ؛ عصرية التأثيث جدا من الداخل على أحدث طراز في الأثاث والديكورات وبها كل الأجهزة العصرية والكهربائية الحديثة . .

وتتميز شوارع « فيسار » الجانبية كلها بأنها مرصوفة بالطوب البازلت الأسود المربعات الصغير المساحة - زى الخوازي القديمة عندها - . . وهى تعتبر كارتة بالنسبة للحسناوات راكبات الكعوب العالية ؛ لأن هذا الطوب غير متساوى الأسطح ؛ مما يجعل السير عليه صعبا للرجال ؛ وصعبا جدا للنسّات ؛ وغاية في الصعوبة لصاحبات الكعوب العالية ؛ ومستحيلا للكعوب العالية الرفيعة . .

رغم أن محلات المدينة

كلها كانت مغلقة طبعاً في ذلك الوقت المتأخر جدا من الليل ؛ إلا أنها تترك فائرياتها مضاءة طول الليل ؛ والشوارع مضاءة أيضا . .

منطقة وسط البلد عبارة عن شارعين تجاريين فقط ليس إلا ؛ لايزيد طولها معا عن طول شارع صفية زغلول في الإسكندرية أو شارع سلتيان باشا أو قصر النيل في القاهرة . . الفائريانات على الجانبين تعرض بضاعة متواضعة جدا ليس فيها مايلفت نظر الذى زار عواصم أوروبا مثل لندن وباريس ومدريد وجينيف وڤيينا وروما ؛ أو حتى برلين وهامبورج وفرانكفورت في ألمانيا الغربية . . ومع ذلك فإن الأسعار هنا بشكل عام ليست رخيصة . . يعنى سعر البدلة الرجالي مثلا يساوى ٥٠ جنيه مصري ؛ والفتستان العادى جدا نحو ١٥ جنيه مصري . . أرخص شيء هنا هو ملابس الأطفال ولوازم الأطفال ؛ والأكل والفواكة . . وضع في اعتبارك وأنت هنا أن المارك الألماني

الشرقي يساوى بالسعر الرسمي نحو ١٦ قرشا ؛ لكن البنوك في مصر تعطيه لنا - الناس الطيبين السذج اللى بياخذوه من البنك - بسعر ٢٦,٩ قرشا . . أما إذا اشتريته دكاكيني من السوق السوداء فستطيع أن تشتريه في الاسكندرية بعشرة قروش فقط !!!

ولأن الليلة كانت الجمعة

وصباح السبت والأحد يومى عطلة نهاية الأسبوع في المدينة الصغيرة هنا ، وفي كل دول أوروبا ، فإن العمل يتوقف في ميناء « فيسبار » - عصب الحياة الرئيسي في المدينة - وبالتالي تتوقف الحياة في المدينة كلها تماما وتغلق محلاتها كلها ماعدا المطاعم والبارات وعلب الليل التي تكون مزدهمة إلى أقصى حد ، حتى أن بعض الرواد يقفون في طابور في مدخل المطعم أو البار ينتظرون دورهم حين تخلو مائدة أو حتى كرسي . . ويمكن أن تكون المائدة تستوعب لأربعة أفراد فيجلس إليها أربعة لا يعرفون بعضهم البعض : أو على الأقل كل اثنين منهم معا

ولا تخلو شوارع المدينة في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل من بعض السكارى الذين زادوا العيار حبتين . . لكنهم على أى حال سكارى مسالمون : يضايقونك قليلا لكنهم لا يتقلون عليك إذا لم يجدوا منك ريق حلوا أو استعداد لمجارعتهم ، وبمجرد أن تشخط في الواحد منهم بالعري وترفع له حاجب الغضب الأيسر وتشير إليه بقبضة يدك مفرودة مرة ومضمومة مرة ، إشارة إلى أنك بتلعب كاراتيه ، وهي الحركات التي أراها في إعلانات أفلام الكاراتيه في التلفزيون ، فإنه يعرف دوغرى أنك إنطوائى ومش عشرين وينصرف عنك على الفور

وفئة أخرى وجدناها

تنتشر في شوارع المدينة في أمسيات ليالي السبت والأحد ، هي فئة (البنات الصبيح) اللاتي يتلطن على النواصي ويجبرن وراء بعضهن ويتأخرن ويتضاحكن بصوت عال وحركات عنيفة ويصفرن بقمهن ويعاكسن المارة ، خصوصا الاجانب الى زينا ، بالإشارة والكلام - الألماني طبعاً - وشكلهن ومظهرهن يدل على أنهم بنات ناس كويسين لكن صابعين ليه ما أفهمشى ، وفين أهلهم مش عارف ، لكن يبدو أنها مرحلة من مراحل العمر من ناحية ، ومن ناحية أخرى فلفطول الفترة التي قضيناها بعد ذلك في « فيسبار » فإننا كنا نرى نفس الوجوه لنفس البنات تقريبا كل ليلة . . وإن كنت أتصور الآن أنهم لكثرة ما كن يرينا دائما متسكمين في الشوارع كل ليلة نحن أيضا ، أنهم قطعاً فكروا نفس التفكير نحونا وقلن عنا - في أنفسهن - نفس الكلام من أننا : باين علينا أولاد ناس كويسين لكن صابعين كل ليلة في الشوارع ليه ؟ ما يعرفوش ، أهلنا فين ؟ ما يعرفوش !!!

ورغم كثرة هؤلاء

السكرارى وأولئك الحسنات الصابعات الظريفات ، فإننى لا أذكر اننى رأيت عسكرى بوليس ألمانى واحد فى منطقة وسط المدينة فى فترة المساء . . ومع ذلك فإننى أيضا لم أر مشاجرة واحدة ولا خناقة واحدة ولا زبطة ولا لة واحدة . . ويدون أن كل واحد هنا يبتك عن قلبه بالراحة ويهدؤ دون أ' يزجج الآخرين إلى الحد الذى يستدعى تدخل البوليس . . خصوصا بعد أن عرفت بعد ذلك أن البوليس الألمانى الشرقى ليس شيئا هينا وليس شيئا سهلا وأن البعد عنه غنمة ، بعد أن قعدت مع ناس مهمين جدا فى المدينة ووجدت أن سيرة البوليس بتلبشهم وتصيبهم بذعر شديد !!

جمعنا من كثرة

المشى ، فذهبت نبحث عن مكان نتناول فيه العشاء ، وكان القبطان قد انضم إلينا و « خبرى » قد انفصل عنا وذهب مع كبير الضباط . . فدخلنا « سلمى » وأنا والقبطان - عدة مطاعم فوجدناها جميعها مزدحمة وليس فيها أماكن لثلاثتنا ، حتى استقر بنا المطاف فى النهاية فى مطعم نادى المعلمين فى المدينة « M.T.W » أو « كلوب هاوس » « Klubhaus » . . فوجدنا مائدة تتسع لستة أشخاص يجلس إليها ٣ هنود . . فاستأذناهم فى أن نجلس معهم ، لكنه كان واضحا أنهم عشرين زيادة عن اللزوم وعندهم كبت كلام ، فإنهم بمجرد أن عرفوا أننا مصريين استلموا أذنى القريية منهم وراحوا - بالتناوب ، وأحيانا الثلاثة معا - يدشون فيها كلاما لا أول له ولا آخر . . بحارة هنود على سفينة بضائع هندية تذهب إلى ميناء الإسكندرية كثيرا ، واحدا منهم له صديق سكندرى اسمه « فوزى » من حى عجم بك أرقى أحياء الإسكندرية - هكذا !! - « فوزى » هذا متخرج من كلية الآداب ويعمل مهندسا - هكذا برضه (!!) - وأخته متزوجة من أحد كبار رجال الأمن فى مصر : أمين شرطة يعمل فى الميناء : وأخته الثانية متزوجة من أحد كبار تجار الإسكندرية : وأحد من هؤلاء التجار الكبار الذين يصعدون ببضاعتهم فى ترام الرمل ، أبو دورين كيان !!

وظل صديقنا الهندى يرغبى ويرغى حتى كاد أن يغرم طيلة أذن ، فاستأذنته لحمس دقائق فقط وقمت لأرسل برقية إلى وزارة الخارجية المصرية فى القاهرة بأن تقطع العلاقات الدبلوماسية مع الهند فورا وتفيدنى تلغرافيا على مطعم « M.T.W » فى « فيسار » ؛ علشان أستريح من صديقنا البحار الهندى الظريف ؛ إلى فاكرنى أنا هندى



فترة وجودى هنا هو أن أذهب لأجلس أو أتمشى فيها ولو لساعة واحدة فقط كل صباح أملاً فيها عني وقلبي ومشاعري منها حتى تكون لى حصيلة ومدخراً وزاداً يبقى معى فترة طويلة بعد عودنى الى القاهرة المكروسة المزدهة

فى الحديقة : واليوم

الأحد ، مجموعات أطفال ظننتهم فى البداية أطفال مدرسة حضانة ومعهم (أبولائهم) . . ثم اكتشفت أنهم مجموعة أطفال جيران فى السكن فقط ، ومعهم ثلاثة من الأمهات الشابات يرعينهم بشكل دورى . . كل أم باتى عليها الدور مرة كل ٦ أسابيع لتأخذ أطفالها وباقى أطفال العمارة فى يوم أجازتها من العمل وتذهب بهم الى الحديقة ، فى الوقت الذى تكون فيه باقى الأمهات فى أعماهن أو فى البيوت . . فكرة ظريفة جداً فعلاً . . .

ملاحظة أخرى لاحظتها : الأطفال الفرديين : طفل واحد ومعهم أبيه أو أمه . . الأب فقط أو الأم فقط هو الذى يذهب الى الحديقة لينزه الطفل . . ونادراً ما مر أماننا طفل ومعهم أبيه معاً . . قطعاً برضه هذه تقسيمة : الأم تفسح الطفل والأب مشغول بشيء آخر ، أو الأب يفسح الطفل والأم تؤدى عملاً آخر : تنظف البيت مثلاً ؛ تشتري لوازم من السوق ، وهكذا . . .

طفل مكبل صغير

عمره أقل من سنتين . . . مكبل كائوبية بوتاجاز شقراء صغيرة ذات عينيّن زرقاوين . . كان يمر أماننا مع أبيه ينقل خطواته الصغيرة على الأرض بصعوبة . . تانا تانا . . . التقى الأب الشاب بصديق له على مقربة منا فوقاً يتحدثان وانشغلا عن الطفل . . . أحب الأطفال طول عمرى . . أخرجت له لسانى وغمزت له بعيني ولعبت له حاجبى الأيسر ولاغيتيه بالإشارة ، فوقف الطفل ينظر لى مندهشاً . . يبدو أن أحداً هنا لا يلعب أطفال الآخرين . . . أشرت له أن يصعد على سلم حجرية صاعدة الى مدرج أعلى من الحديقة . . فهم الصغير لشارقى وبدا عليه أنه يريد أن يثبت لى أنه قادر على المشى . . بدأ يصعد السلم سلمة سلمة بصعوبة وأنا قلبى يقفز من مكانه مع كل سلمة يصعدها خوفاً عليه أن يفقد توازنه فيسقط على السلم وأنا متحفز للقفز الى جواره فى ثانية واحدة إذا بدا عليه أنه سوف يفقد توازنه . . وهو مع كل درجة يصعدها يتوقف ويلتفت الى ناحيتى ليربى أنه يصعد وليتأكد من أننى أراه وهو يصعد وصعد وصعد وصعد ، حتى صعد الدرجات كلها الى نهايتها ففرح فرحاً عظيماً وتقافز بـ مكانه من السعادة والسرور . . ثم استدار ليبدأ فى النزول مرة أخرى فبدا عليه فجأة الملح والجزع كأنه وجد نفسه فجأة الملح والجزع كأنه وجد نفسه فجأة فوق قمة الهرم الأكبر - بالنسبة إليه - ولا يعرف كيف ينزل ؛ فقطعاً هذه الدرجات العشر بالنسبة اليه كانت ارتفاعاً شامخاً . . وتلعثمت خطواته ونظر لى كأنه يستنجد بى وهو يميل بجسده الصغير الى الامام على حافة الدرجة

العليا . . وفي قفزة واحدة كنت أمامه حتى أجمي نزوله . . لكنه ما أن وجدني أمامه حتى فتح ذراعيه
الصغيرين وألقى بنفسه في حضني وتشبث برقبتي وهو يثغو في جدل وشعرت وهو في حضني
ولصق قلبي وذراعيه الصغيرين يلتفان حول عنقي كأنني أحتضن كنوز الأرض جميعا طفل
كبير عمره ٤٢ سنة يلعب طفلا عمره سنتين

الفصل العاشر

إنفجار . !

[أو]

جبل

الجليد

العائم ..

أهم شارع فى

« فيسار » كلها بالنسبة للبحارة المصريين هو شارع « فيسكار ستراس Fischer StraBe » وهو شارع ضيق جدا عرضه أقل من مترين وليس فيه ولا عجل واحد وطوله لا يزيد عن ٣٠ مترا ، يعنى حارة صغيرة ضيقة لا تسمح بمرور أى نوع من أنواع السيارات إلا - بالكاد - الدراجات .. لكن أهميته عند البحارة المصريين مستمدة من أنه أقرب تفرجة إلى منطقة وسط البلد التجارية المليئة بالمحلات والبيع والشراء ، وهم لا يهمهم من هذه المدينة ، أو من أى مدينة أخرى فى أى مكان فى العالم ، إلا البيع والشراء وشوارع البيع والشراء ، لأنهم ليسوا سياحا بطبيعتهم ..

وتحس خارجان من

السفينة عصرا - « سلمى » وأنا - فوجئنا بالفتاة السمراء التى كانت قد حثت فى مطعم « M . T . W » ليلة وصولنا إلى الميناء ، وهى تستوقفنا لتحسينا وتعرفنا بنفسها وبرفيقها : اسمها « فاطمة » وهى من الإسكندرية ، ورفيقها هو زوجها واسمه « محمد » ويعمل مهندسا على السفينة اللبنانية (أورابيا) التى تجاورنا على نفس الرصيف .. « فاطمة » و« محمد » دعيانا لنسهر معهما غدا ، وقبلنا الدعوة ، فإنه شئ ظريف جدا فعلا أن نلتقى بفتاة مصرية أخرى فى هذه المدينة المتطرفة فى آخر الدنيا فى أقصى شمال أوروبا ..

مددش أمر هؤلاء الناس الذين لديهم كل المعلومات على كل شئ فى الدنيا : المهندس « عبده صالح عبده » كبير المهندسين بسفيتتنا كان قد تطوع مشكورا حين عرف أننا قد رأينا فتاة مصرية فى مطعم « M . T . W » فقال لنا معلوماته عن هذا الموضوع بأن هذه الفتاة المصرية من (القاهرة) واسمها (سميحة) وأن زوجها (سودانى) الجنسية اسمه (عباس) يعمل (قبطانا) لسفينة (سودانية) موجودة فى ميناء فيسار !! المهم أنه قال لنا أنه عرف كل هذه المعلومات منها شخصيا ، ثم طلع كل هذا الكلام خطأ وليس فيه غير معلومة واحدة فقط لا غير + للإنصاف - صحيحة ، وهى أن الفتاة : موجودة فى ميناء « فيسار » !!

كانت أول دعوة قبنائها

هنا هي الدعوة التي وجهها لنا مستر « شتيجمان Stieghmann » وكيل الشركة صاحبه سفيتتنا في « فيسار » .. وقد كانت طرافتها وموضوعيتها هي السبب في اننى قبلتها أولا ، لكى أتعرف على المدينة شكل مباشر جدا يتيح لى فرصة المشاهدة والفرجة والتأمل على مهل .. فقد كانت الدعوة الى جولة فى المدينة : سيرا على الأقدام !! ..

لنا الآن فى « فيسار » أسبوع كامل منذ أن رست سفيتتنا على رصيفها ووضعنا أقدامنا على أرضها وتعرفنا بشوارعها ومحلاتها ومطاعمها وكازينوهاها ، وكانت الجولة التي قمنا بها اليوم مع مستر « شتيجمان » فى نفس الشوارع ونفس الأماكن ونفس الميادين ، لكننا كنا نراها اليوم بنظرة مختلفة تماما كأننا نراها لأول مرة .. الميدان الرئيسى فى المدينة الذى نلف فيه وفى محلاته منذ أسبوع كامل دون أن نلاحظ فيه أى شيء غير عادى ميدان « أم ماركت AM Market » .. إتضح أنه أكبر ميدان فى ألمانيا الشرقية كلها .. كما أنه يضم أيضا أقدم مبنى فى ألمانيا الشرقية كلها : بيت عادى جدا من دورين عمره الآن ٦٥٠ سنة ، ومع ذلك فهو مازال مسكونا حتى الآن وتعيش فيه أسرة ألمانية عادية جدا ، والطابق الأرضى فيه مطعم تديره هذه الأسرة ..

منطقة وسط المدينة التجارية هذه لم تكن موجودة أصلا حتى ٥ أو ٦ سنوات مضت .. ومكان هذه المحلات الكبيرة الكثيرة الشيك المليئة بالفخر وأظرف البضائع كانت منذ خمس سنوات شوارع عادية تسير فيها وسائل النقل والمواصلات المختلفة ، ثم خططت هكذا ونفذت فوراً وأصبحت هى منطقة وسط المدينة منذ سنوات قليلة .. قبل كدة كانت المدينة من غير وسط !! ..

وقال ننا مستر

« شتيجمان » أيضا أن ٨٠٪ من مباني مدينة « فيسار » قد دمرته قنابل الأمريكان فى خلال الأيام العشرين الأخيرة من الحرب العالمية العظمى الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) التى حارب فيها فى صفوف الجيش الألمانى كجندى فى بولندا وفرنسا والنرويج وروسيا ، وكان عمره فى ذلك الوقت - عام ١٩٣٩ - نحو ١٦ سنة !! .. ثم بعد انتهاء الحرب أعيد بناء المدينة تدريجيا بنفس شكلها القديم شارع شارع وبيت بيت : بديء فى إعادة بناء بيت واحد حتى انتهى تماما ، ثم يبدأ العمل فى غيره ثم غيره وهكذا .. حتى أن آخر بيتين فى المدينة تم بناؤهما فى الأسبوع الماضى فقط ، وأرانا كلا من البيتين فعلا !! ..

مستر « شتيجمان » يلح دائما ويكرر أن « الأمريكان » هم الذين هدموا المدينة ، رغم أنه يعلم جيدا أن الروس هم الذين احتلوا هذه المدينة واحتلوا الجزء الذى يسمى الآن « ألمانيا الشرقية » بدليل أنه - مستر « شتيجمان » - شخصا - قد وقع أسيرا هو وكل من بقى من فلول الجيش الألمانى فى أبدى القوات الروسية التى أخذتهم جميعا لتضعهم فى معسكرات الاعتقال فى روسيا ، ولم يعد هو

إلى مدينته « فيسار » إلا بعد ثلاث سنوات ونصف من انتهاء الحرب ، في أواخر عام ١٩٤٨ ، وكان واضحا أنه قد قاسى كثيرا على أيدي أسريه

حين سألته كمواطن ألماني شرقى : هل يعتقد أن الألمان الشرقيين يفضلون بقاء هذا الوضع هكذا بوجود دولتين ألمانيتين : واحدة شرقية والثانية غربية ، أم يريدون أن تعود ألمانيا واحدة موحدة كما كانت قبل الحرب ؟ ! .. قال أنه ليس هناك ألماني واحد في أى مكان في ألمانيا الشرقية كلها لا يرجو أن تعود الوحدة بين شطرى ألمانيا .. لكنهم فى الوقت نفسه يعلمون جيدا أن ذلك مستحيل وحلما بعيد التحقيق ، على الأقل خلال العشرين سنة القادمة .. اللهم إلا إذا جد جديد فى المتغيرات الدولية لم يكن متوقعا وليس فى الحساب الآن

« فيسار » هى شأنى

موانى ألمانيا الشرقية : الأول « روستوك Rostock » والثالث « سترالسند Stralsund » وهو ميناء صغير جدا .. وكانت « فيسار » ميناء شهيرا جدا خلال الحرب العالمية الثانية ، وبعد الحرب كانت من نصيب روسيا ضمن الجزء من ألمانيا الذى سمي بعد ذلك « جمهورية ألمانيا الديمقراطية German Democratic Republic » أو « G.D.R » ، وأحيانا تتغير هذه الحروف لتصبح « D.D.R » .. ليه ؟ ! .. مش عارف ..

تعداد ألمانيا الشرقية كلها ١٧ مليوناً (أقل من نصف تعداد مصر) ، وتعداد « فيسار » ٥٥ ألف نسمة فقط ، وبها مدارس من جميع المستويات لكن ليس بها جامعة .. والتعليم هنا مشترك طبعا فى كل مراحله ، وبجانب فى كل مراحله أيضا من الابتدائى حتى الجامعة ، بل أن كل تلميذ له مصروف من الدولة يتدرج بالزيادة حسب المرحلة التى هو فيها ، حتى يصل الى الجامعة فيتقاضى ١٨٠ مارك فى الشهر - نحو ثلاثين جنيها مصريا - وطبعا المتفوقين يأخذون أكثر .. والجميع يتناولون وجبات مجانية فى مدارسهم وجامعاتهم .. وحتى بعد أن يتخرجوا ويتوظفوا يجدوا نفس هذه الوجبة كاملة - (٣ أصناف : لحم وخضار ومكرونه + فاكهة + بيرة) - فى أماكن عملهم رخيصة جدا بسعر رمزى للغاية : ٦٠ فينيك ، يعنى أقل من عشرة قروش مصرية ..

والعلطة الصيفية للمدارس هنا شهرين فقط : يوليو وأغسطس ، وهما أحسن شهرين من ناحية الطقس هنا ، لأن الشتاء هنا شديد القسوة والبرودة والثلج ، وقد حدث مرة منذ ١١ سنة أن تحول بحر البلطيق عند « فيسار » إلى جليد تماما ، فتوقفت الملاحة فيه وانجست السفن التى كانت موجودة فى الميناء الذى تعطلت حركته هو الآخر تماما ، حتى ذابت الثلوج مع بداية الربيع

والمدينة كلها - بما فى ذلك أجهزة الميناء - تنتظر أجازة المدارس بفروغ صبر ، حتى يأخذ الطلبة والطالبات للعمل فى البناء وفى محلات ومطاعم وفنادق المدينة بأجور مجزية ..

والمرتبات هنا تبدأ بين ٧٠٠ و ٨٠٠ مارك للشباب أو الفتاة بمجرد أن ينتهى من دراستهما الثانوية - (بين ١١٢ و ١٢٨ جنيها مصريا) - لكنه لا يوجد هنا حد أعلى للمرتبات : تشتغل أكثر تقبض أكثر ..

شئىء ظريف للغايسة

يحدث هنا ، فى مصر عندنا يحدث عكسه تماما : أداء الخدمة العسكرية هنا فرض لا مهرب منه مهما كانت الظروف ، وبدون استثناءات ولا إعفاءات لآى سبب من الأسباب .. لكن الشئء الغريب هنا وعكس عندنا فى مصر هو أن الشاب غير المؤهل أو الحاصل على مؤهل دراسى متوسط فقط يقضى فترة تجنيد فى الجيش لمدة سنة ونصف فقط ، أما الشاب الحاصل على مؤهل جامعى فهو يقضى فى الجيش : ٣ سنوات !! ، على اعتبار أن الجيش يستفيد منه أكثر فى تخصصه .. ومع ذلك فإن أيها لا يستطيع أن يكون (ضابطا) إلا إذا قضى فى الجيش ١٠ سنوات كاملة !! ..

وبالنسبة لعمل المرأة هنا فإن ٨٠٪ من الفتيات والنساء هنا يعملن ، و٢٠٪ فقط لا يعملن .. وتدخل ضمن نسبة ال ٢٠٪ هذه كل تلميذات المدارس والاطفال الإناث دون سن المدرسة ، والنساء المسنات واللاتى خرجن إلى المعاش .. بمعنى باختصار فإن كل فتاة وامرأة هنا قادرة على العمل فهى تعمل ..

والفتاة هنا تعمل فى كل الوظائف والمهن المعروفة لنا فى مصر ، مثل جرسونات المطاعم والكافيتيريات وعاملات الفنادق وبائعات فى المحلات التجارية ، وأيضا فى المهن والوظائف التى لا يمكن أن تخيل المرأة المصرية فيها ، مثل سائقة ترام ، وشرطية ترتدى زى الشرطة الرسمى وتضع على كتفها النجوم مثلها مثل زميلها الشرطى الرجل تماما .. وأولئك الحسنات سائقات أوتاش شحن وتفرغ البضائع فى الميناء بالخوذات المعدنية الثقيلة فوق رؤوسهن وتحتهى الشعر الذهبى الجميل السايح والعيون الزرقاء التى يتحرك لها الونش من غير كهرياء ، وهى تفرغ شحنة سفينة بحالها ، وبعد أن تنتهى من واديتها تقابلها بالليل فى أى مكان عام تسهر وحدها أو مع صديقها ثمح وتشرب وترقص وتلهو ، وفى السادسة صباح اليوم التالى يجدها فى مكانها فوق الونش فى غاية الصحة والنشاط والحياة

حاجة عظيمة فعلا أن تستطيع الفتاة - خصوصا إذا كانت حسناء - أن تقوم بكل عمل يقوم به الرجل ، حتى الأعمال الثقيلة .. وذلك هو ما اكتسبته أوروبا بعد الحرب نظرا لقلة الرجال بعد ملايين منهم الذين ماتوا فى الحرب من كل الدول التى اشتركت فيها أو عانت منها ، فكانت النساء مضطرات إلى النزول الى ميدان الأعمال الشاقة جنبا إلى جنب مع البقية الباقية من الرجال

أيضا موزعة البريد

: البوستجية الحسنة بالميكروشورت والبلوزة العارية الصدر والاكمام ، تدور فى الشوارع توزع الخطابات على البيوت .. البنت زى القمر وزى الوردة المفتحة ومقشرة من فوق ومن تحت ومنظرها يغرى الواحد بأن يرسل لنفسه خطابات كل يوم ، فقط.

لكى يصطحب كل صباح بهذا الحسن. وهذا البهاء وهذا الجمال وهذه الرقة ، مثل عم بيومي
بوسطجى حنتنا

مناطق العمارات الحديثة كلها في أطراف المدينة البعيدة ، وهي قرية الشبه بالساكن الشعبية
والإقتصادية عندنا : مجموعات عمارات كلها متشابهة من نوع واحد ولون واحد ، لكنها شيك
وجميلة وأنيقة وتتوسطها حدائق متسعة . . والمبانى هنا جميعها ملك الدولة ولا يوجد هنا ملاك ولا
أصحاب عمارات قطاع خاص ولا حاجة أبدا ، ولا حتى بوابين . . البيوت القديمة التي كانت
موجودة قبل الحرب العالمية الثانية أمت لصالح الدولة بعد الحرب ، والبيوت الحديثة تبنها الدولة
بمعرفة ، وكل واحد عايز شقة يتقدم بطلب وينتظر دوره في المباني الجديدة التي حركة البناء فيها
قائمة على قدم وساق كما شاهدنا ، لكنه غالبا - هو وحظه وهو دوره - ينتظر ٨ أو ١٠ سنوات حتى
يحصل على شقته . . لكن في الوقت نفسه فليس لدى الدولة مانع من أن تعطى قطعة أرض فضاء
لأى واحد محوش من مرتبه لكى يبنى عليها بيتا لنفسه ، ويصبح البيت ملكا للدولة أيضا لكنه
يسكن فيه ولا يدفع عنه إيجارا لا هو ولا ورثته الذين يعيشون فيه من بعده . . إنما لا يسمح له
بتأجيرها ولا باستضافة أحد فيه بمقابل أو بدون مقابل . . يعنى حتى نظام الشقق المفروشة غير
مسموح به للأفراد . . الدولة نفسها فقط هي التي تفعل ذلك . .

وكل العمارات والمبانى التي بنيت بعد الحرب هنا ليس في شققها حمامات ولا دورات مياه داخل.
كل شقة مثل عندنا في مصر أو في أى مكان آخر في أوروبا - ماعدا روسيا طبعاً - لكن هناك حمام
واحد ودورة مياه واحدة مشتركة في أسفل العمارة لكل السكان معا ، بالدور طبعاً !! لكن
المبانى الحديثة التي تبنى في السنوات الأخيرة في كل شقة منها حمام خاص . .

الست
ست
أينما

كانت ، لذا فقد كان السؤال الذى قفز على لسان « سلمى » فورا وهى تسمع
حكاية عدم وجود حمامات أو دورات مياه في بعض البيوت هنا هو :

« والغسيل . . كيف وإزاي يغسلون ملابسهم ؟ ! ! » . . وكان رد مستر « شتييجان » أنه حتى في
العمارات الجديدة التي تبنى الآن وفيها دورات مياه داخل الشقق ، فإن الغسيل معمول حسابه أن
يغسل في غرفة خاصة بالغسيل في بדרوم كل عمارة . . وهناك جدول موضوع بحيث أن كل أسرة
تعرف دورها في الغسيل مرة واحدة كل ٤ أسابيع . . وتنتشر غسيلها في الشارع أمام باب العمارة
على منشئ يركب يوم الغسيل ويرفع بعد « لم » الغسيل حتى يوم الغسيل التالى . . وذلك حتى لا
تتلى المنطقة كل يوم بالغسيل المنشور فيجعل شكلها قبيحا !!

لكن - « سلمى » تعود فتسأل مستر « شتييجان » - : « هل يكفى يوم غسيل واحد للأسرة
الواحدة مرة كل ٤ أسابيع ؟ ! » . . والإجابة : لا قطعاً . . لكن الحل أو البديل هو محلات
الغسيل العامة بالآت الغسيل الكهربائية التي توجد مثلها - مثل هذه المحلات - في كل أوروبا . .
لكنك في أوروبا تغسل غسيلك وتقف أنت أمام آلة الغسيل حتى يتم غسل الغسيل ، ثم تقف أمام

آلة التجفيف حتى يتم تجفيفه ، وذلك كله يحدث في نحو ٢٠ دقيقة أو نصف ساعة على الأكثر إذا كان غسيلك كثيرا .. لكن هنا فالأمر يختلف : سيادتك تذهب فتسلم غسيلك في محل الغسيل وتنفضل تعود إلى بيتك ، وإما أن تعود بعد أسبوعين كاملين لتسأل عنه خلص والا لا ، أو أنه إذا خلص قبل هذه الفترة فسوف يرسل لك محل الغسيل إخطارا عن طريق البريد لكن تحضر لاستلام غسيلك !!!

والدولة هنا تؤجر الشقق للمواطنين وفيها المطبخ كاملا بكل أدواته من دواليب وبوتاجاز فرن وسخان وتلاجة ، لكنها فيما عدا ذلك ترك لهم حرية تاليث باقى الشقة بالأثاث الذى يختارونه هم حسب أذواقهم وحسب قدراتهم .. المدهش الذى علمته أيضا أن إيجارات هذه الشقق - بالنسبة لنا فى مصر - رخيصة للغاية .. فهى تتراوح بين ٢٠ مارك للشقة غرفة واحدة وصالة (نحو ثلاثة جنيهات مصرية) ، صعودا إلى ٨٠ مارك (نحو ١٣ جنيه مصرية) للشقة ثلاث غرف وصالة فى أفخر العمارات هنا وفى أحسن موقع فى المدينة ... عقبالنا يارب

لفت نظرنا فى

منطقة العمارات الحديثة أنها كلها تصميم واحد ولون واحد ، فيما عدا مبنى كبيرا وعريضا جدا لونه مختلف ومميز .. فلما سألنا عنه قيل لنا أنه مخصص لسكنى الشبان العزاب الذين يعملون فى ميناء « فيسار » ، ومع ذلك فغير ممنوع أن تتردد عليه صديقاتهم من اللفتيات فى أى وقت ولأى مدة ، بشرط ألا تصيح إقامتهن إقامة دائمة !! .. وينفس النظام يوجد مبنى آخر للفتيات غير المتزوجات اللاتن يعملن فى الميناء ، وأيضا ليس هناك مانع من أن يتردد عليهن أصدقاؤهن من الشبان فى غرفهن ، بشرط عدم المبيت - فقط - عندهن !!!!

برضه عقبالنا يارب !! ..

موضة الجلاليب البلدى

الحرمى كانت قد ظهرت فى القاهرة والإسكندرية قبل بدء رحلتنا هذه بفترة قصيرة .. « سلمى » أحضرت معها واحدة من هذه الجلاليب وخرجت بها

إلى شوارع « فيسار » فأوقفت - كما نقول فى مصر - الشوارع هنا على رجل .. لفتت أنظار كل الرجال وكل النساء .. الرجال يفتحون أفواههم من الدهشة والاستغراب كأنهم يرون أسدا لابس جزمة كاوتش ، والبنات والنساء يتوقفن عن السير وتدور أعناقهن ليلتفتن مندهشات مبهورات وواء « سلمى » بجلابيتها الفضفاضة المرححة ذات الأكمام الواسعة (و القطان) أو (اليزريه) الملون حول الأكمام وحول العنق وفتحة الصدر ..

ولم يحب حدى وتصورى .. فقبل أن نغادر « فيسار » بعد ذلك بثلاثة أسابيع كانت قد ظهرت في شوارع المدينة ٣ أو ٤ جلابيب من نفس النوع بتنوعات أوروبية على أجساد البنات الألمانيات .. لكن يروحوا فين جنب ظرف وخفة دم البنت المصرية ؟ !

عدنا اليوم إلى

السفينة الساعة ٢,٣٠ ظهرا فلم نجد غداء متروكا لنا .. وقلت ذلك للقبطان فابتسم ابتسامة ساقعة وقال شامتا : « أصلكم اتأخرتم عن ميعاد الغدا .. » وفى المساء لم يحضر لنا السفرجى العشاء فى القمرة فنزلنا لتتعى فى الصالون فوجدنا السفرجية قد أنهوا العشاء بدرى الليلة وأغلقوا الصالون نفسه ونزلوا يتفصحوا فى البلد !! .. وعرف القبطان بذلك فلم يفعل أكثر من أنه قال لنا أن الأكل هنا فى البلد دى رخيص جدا ، يعنى - ببساطة جدا - روحوا كلوا فى البلد !!!!

لكنه مع ذلك ثار ثورة عنيفة وسمعت السفينة كلها صوته حين عاد إلى السفينة فى الثانية صباحا فوجد أن السفرجية لم يتركوا له عشاء فى قمرته .. وزعق وفتح حسه وأيقظ الطباخ والحجاز والسفرجية جهزوا له سفرة فوراً !! ..

يوم أن دخلت سفيتنا

ميناء « فيسار » وركنت على الرصيف ، سلمت ساطات الجمارك فى الميناء لكل واحد من أفراد طاقم السفينة بطاقة صغيرة مطبوعة مسجل فيها إسمه واسم السفينة والمبلغ الذى صرفته له السفينة بالمارك الألماني الشرقى .. والمفروض أن هذا المبلغ هو المسموح له بالصرف فى حدوده .. وكلها كان عائدا من المدينة إلى سفيتنا داخل الميناء فحصى رجال الجمارك على بوابة الميناء المشتروات التى يحملها معه وعرفوا ثمنها وسجلوه على ظهر البطاقة التى معه وخفضوه من الرصيد الأصيل .. وكل مرة هكذا حتى ينتهى رصيده تماما فتحسب منه هذه البطاقة ولا يسمح له بدخول الميناء بأى مشتروات أخرى بعد ذلك .

لكن الذى يحدث عادة هو أن رجال الجمارك مرة يصهبون مرة يفوتوا ومرة ما يدقوش ومرة يطنشوا ومرة يعملوا أنفسهم مش واخدين بالهم ، ومرة واحدة كل ١٠ مرات يفتشوا ويسجلوا ، وكل واحد وحظه .. والذى حدث اليوم أن سوء الحظ أوقع اثنين من أطيب أفراد السفينة وأشدهم تهديبا وخلقا ، أوقعها حظهما السيء فى براثن رجال الجمارك الألمان وهما عائدين إلى السفينة ومعهما مشتروات بمبالغ أكثر من المسجلة على بطاقتيهما : مسجل فى بطاقة كل منهما أن معه ٩٠ ماركا ، ووجد رجال الجمارك معها مشتروات بأكثر من ذلك كثيرا ، فتركوا لكل منهما ما قيمته ٩٠ ماركا من المشتروات التى يحملها وصادروا باقى المشتروات ، ثم فتشوها بعد ذلك وصادروا كل ما وجدوه معها من العملات : صادروا ٢٥٥ ماركا من واحد منها ١٥٠ ماركا من الثانى .. ووجهة نظر

رجال الجهارك الألمان أنه إذا كانت السفينة قد صرفت لكل منها ٩٠ ماركا فقط ، فمن أين له كل هذه المبالغ الزائدة ، إلا إذا كانت من التهريب .. ويمجدوا ربنا أن رجال الجهارك قد اكتشفوا بذلك ولم يضعوهما في السجن ويعملوا لها قضية تهريب !!

قطعا هذين الإثنان باتا الليلة متكدئين آخر نكد ، فقد باظت الرحلة بالنسبة إليهما من ناحية المشتروات وخسرا الجلد والسقط .. ليس ذلك فقط ، لكننا أيضا سيظلان طول عمرهما بعد ذلك في القائمة السوداء لرجال الجهارك الألمان ..

نزلت أنا وسلمى

نتمشى اليوم نستكشف جانبنا جديدا من المدينة لم نكن قد رأيناها من قبل .. وظلنا غشى غشى والكلام واخذنا حتى وجدنا أنفسنا قد وصلنا دون أن نشعر إلى أقصى أطراف المدينة عند بلاج (وندورف) .. تعبت « سلمى » جدا فقررتنا أن نعود في الأوتوبيس الألمانية الذي نركبه لأول مرة رغم أنه قد مر علينا نحو عشرة أيام الآن في « فيسار » .. وفي الأوتوبيس حدث لنا مطب من المطبات السخيفة الرذلة المحرجة التي يقف الواحد أمامها عاجزا خيبانا لا يعرف كيف يتصرف ..

الأوتوبيسات هنا تصعد من الباب المجاور للسائق فتجده جالسا في غرفة زجاجية مغلقة غير مفتوح فيها إلا فتحة صغيرة جدا تطل منها فوهة ماسورة صغيرة تنتهى بعلبة موجودة إلى جوار السائق في داخل هذه الغرفة الزجاجية المغلقة .. والمفروض أن تكون فلوسك - الفكة - ثمن التذكرة جاهزة في يدك وأنت صاعد تسقطها في فوهة هذه الماسورة فتتزلق حتى تستقر في العلبة إلى جوار السائق .. لن يراجعك أو يعد عليك أو يسألك كم وضعت والمسألة متروكة لأمانتك ، فالتذكرة ٢٠ فينيك أو ما يساوى ٣٠ قروش مصرية ..

ركبنا الأوتوبيس أنا و « سلمى » ، وونحن صاعدان على السلم وضعت يدي في جيبي فلم أجد فيه غير ورقة واحدة صحيحة بعشرة ماركات : تصور أنت أنها جنيه مصرى كامل مثلا وأنا أريد تذكرتين بستة قروش ، والسائق ليس لديه وقت ليشغل نفسه أو ليعطل نفسه بالبحث لسبابتك عن فكة .. فوقفت أمام السائق عرجا غموضا والمراكات العشرة في يدي لا أعرف ماذا أفعل .. وكانت « سلمى » قد سبقتني ودخلت وقعدت واستربتت ولا هانها ، تشغل نفسها ليه بالمسائل التافهة دى ؟ .. ونظر السائق إلى ورأى في يدي الورقة ذات العشر ماركات ففهم الموقف على الفور طبعاً وعرف أنني أجنبي ، فقال كلاما بالألمانية لم أفهم منه حرفا واحدا طبعاً ، فhez كتفيه وأغلق أبواب الأوتوبيس وبدأ في السير !! .. فهزرت كتفى أنا الآخر في استسلام ودخلت فجلسنت إلى جوار « سلمى » وأنا (أشهر) في يدي طول الوقت الورقة ذات العشر ماركات وأنا في منتهى الحيرة ، ومتوقع في أى لحظة أنه سوف يوقف الأوتوبيس ويشخط فينا ويطرنا وينزلنا منه أو يسلمنا للبوليس الألماني .. لكن الراجل ماعبرناش ولا سأل فينا .. وتوقف الأوتوبيس بعد ذلك في عدة محطات ، وصعد ناس ونزل ناس ، دون أن يسأل برضه عنا .. حتى

جاءت محطتنا المفروض أن نزل فيها وفاتت دون أن أجرؤ على النزول .. وبعد أن فانت عدة محطات أخرى بعد محطتنا قمت وذهبت إليه لأسأله بالإنجليزية من وراء زجاج غرفته المغلقة إن كانت قد جاءتة فكرة لكي يأخذ ثمن التذكريتين ويعطيني الباقي ؟ .. لكنه رد على بالألمانية بكلام كثير لم أفهم منه شيئا أيضا ، الشيء الوحيد الذي فهمته كانت إشارته بيده التي ترجحتها على أن معناها : « إتفضلوا مع السلامة ، بس إبقى جهاز الفكة معاك بعد كده لما تيجي تركب الأوتوبيس » !!

وعدنا ٤ محطات طويلة سيرا على الأقدام حتى وصلنا إلى محطتنا الأصلية .. ومن يومها وأنا لا أخرج إلا وفي جيبى جنيه كامل فكة معدنية ألمانية مختلفة الأشكال والأحجام والفئات .. وظللت حتى آخر يوم لنا في « فيسار » أدقق النظر في وجه كل سائق أوتوبيس أركبه بحثا عن السائق إياه ، حتى أدفع له ثمن التذكريتين اللتين أعفانا منها ، كنت خيره !!

ويسلو أن الفقى لما يسعد

تيجى له سهرتين فى ليلة .. فقد حدث لى اليوم أيضا موقف يعتبر أخرج موقف صادفنى فى حياتى الصحفية كلها حتى الآن .. دخلنا « سلمى » وأنا و« خيرى » - محل (كوفهاوس ماجنت) أكبر محلات المدينة ، وهو من عدة طوابق بنظام المحلات الكبيرة الشهيرة فى أوروبا ، ومثل محلات شيكورييل وشملا وعمر أفندى وجاتينو عندنا فى القاهرة .. وبعد أن طالت جولتنا فى طوابقه المتعددة أكثر من ساعة ، نزلنا مرة أخرى إلى الطابق الأرضى لنغادر المحل .. وفى طريقنا إلى باب الخروج لفت نظر « سلمى » زجاجة (پارفان) طريفة جدا : على شكل جبل جليد عائم فوقه فى مكان الغطاء يقف تمثال صغير للذب القطبى شعار روسيا .. وطلبت « سلمى » أن تشتري الزجاجة ، ولما كانت الزجاجة موضوعة فى فائترية زجاجية مغلقة فقد أربتها للبائعة الحسنة الصغيرة لى تحضر لى واحدة مثلها .. لكن يبدو أنها كانت الأخيرة عندهم فى المحل ، لذا فقد بدأت البائعة الحسنة تزيج الضلفة الزجاجية من مكانها بيديها الإثنتين لى تحضر لى الزجاجة من الفاترية ، وأنا واقف إلى جوارها أرقبها وأنا شديد الإشفاق عليها وهى تحمل بيديها الرقيقتين ذلك اللوح الزجاجى الواضح أنه ثقيل جدا فعلا .. فلما فى أنا أزاحت - بعد مجهود - من مكانه حتى أردت أن أنصرف أنا ك (جنتليان) وأساعدها حتى لا أحلها عناء ركن اللوح الزجاجى الكبير على الأرض وسنده على جدار الفاترية ريثما تمد يدها إلى داخل الفاترية لتحضر لى الزجاجة من مكانها .. أردت أن أوفر عليها هذا كله فمددت أنا يدى بسرعة إلى داخل الفاترية والتقطت زجاجة ال (پارفان) ورفعتهما من مكانها .. وكأني دست على زر أطلق شحنة من المفرعات تكفى لنسف المدينة كلها : تدربكت الدنيا فى لحظة واحدة فى داخل الفاترية وانهارت كل زجاجات البارفان والعطور والكولونيا من مكانها داخل الفاترية على الأرض فى فرقة وقرعة شديدة مدوية وسقطت الرفوف الزجاجية على بلاط الأرض لترتطم به بعنف فى أعلى صوت زنين وصليل وجلجلة يمكن أن تتخيلها فى مكان هادئ جدا يدور كل شيء فيه همسا .. ونزل على سهم الله وأنا أرى نفسى فجأة وقد هدمت المحل والزجاج المفرق المتطاير المتناثر

حولى في كل مكان ، والفتاة البائعة المسكينة راكعة على ركبتيها أمامى على الأرض متشبهة باللوح الزجاجى الكبير الذى بين يديها كأنها تحتمى به وهى لا تعرف بالضبط - ولا أنا - ما الذى حدث ؟ ! .. وكل الناس الذين فى المتجر يهرعون برعب وهلع شديدين فى اتجاهنا وكأن قبلة زمنية شديدة الانفجار قد فرقعت فى المحل .. وأنا واقف فى مكانى ومتصليا متخشبا متلبشا كطفل صغير ضبط متلبسا بذنب لا يعرفه ، وقد أوشكت أن ألقى بنفسى منبطحا على الأرض لأحتمى من الانفجار الذى تصوره وكان المنظر على بعضه يؤكد أن شيئا رهيبا قد حدث ، ولو كان ذلك قد حدث فى متجر فى نيويورك مثلا لأخرج حراس المحل مسدساتهم وأطلقوها على فوراً قبل أن يسألوا عما حدث !!!!

وانتهت فرقات الزجاج

والبللور بعد أن استقر كل شيء على الأرض فى كومة كبيرة واسعة من حطام زجاجات البارافان والكولونيا والعطور وعلب وأدوات الماكياج وشظايا اللوح الزجاجى الم هشم المكسور .. ونهضت الفتاة البائعة من ركبعتها بهدوء شديد بعد أن أسندت اللوح الزجاجى الذى كان لا يزال فى يديها على جدار الفاترينة ، وهى تبسم لى لتطمئن وتهدئى بعد أن رأت شحوب وجهى ومقدار إحساسى بهول ما فعلت .. وبدأ الناس الذين كانوا قد تجمعوا حولنا على صوت الانفجار العظيم وهم يهتمون بكلمات وعبارات باللغة الألمانية لم أفهم منها حرفا واحدا طبعاً ، بدأوا ينحسرون ليعودوا إلى ماكانوا فيه .. وبدأت أنا أسترده أنفاس قليلا وأنا فى شدة الخجل والكسوف وأنا لا أدري ماذا أفعل ولا كيف أتصرف فى هذه المصيبة .. وكل ما استطعت أن أفعله هو أن أعترف بخجل شديد للبائعة الحسنة وأبدى استعدادى لدفع قيمة كل الخسائر التى تسببت فيها .. وابتسمت لى ابتسامة رقيقة مهدئة واستأذنتنى وغابت عني أقل من نصف دقيقة فى غرفة جانبية صغيرة ، ثم عادت لتأخذ زجاجة الـ (بارافان) من يدي وتلفها لى ، وتأخذ من يدي ثمنها فقط وتدفعه على الماكينة الحاسبة أمامها وتعطينى الفاتورة كأن شيئا لم يكن ، فسألته وأنا مندهش : « والخسائر التى أحدثتها ؟ ! » فتجيبني وابتسامة عذبة تضيء على شفيتها الجميلتين : « لاتشغل بالك بما حدث .. إنساه .. وسوف يسعدنا أن نراك دائما عندنا »

ونحن فى طريقنا

الى خارج المتجر بعد أقل من ٥ دقائق كان كل شيء فى الفاترينة قد عاد إلى مكانه تماما ، والرفوف الزجاجية وزجاجات البارافان التى تحطمت قد حلت محلها رفوف جديدة وزجاجات جديدة وليست هناك شظية زجاج واحدة فى الأرض ، كان شيئا لم يحدث على الإطلاق ، وكان حسين قدرى لم يمر من هنا

**ونحن
نضع
أقدامنا**

على بداية سلم السفينة توقفت « سلمى » لحظة وقد بدا عليها أنها تفكر في شيء ما . . . وتوقفت أنا أيضا والثقت إليها متسائلا . . قالت متفكرة :
« تعرف . . فزاة البارفان مش عاجباني أوى . . تعالى نروح نرجعها ونأخذ
ثمنها » !!!!!!

الفصل الحادي عشر

الفلاح
الفصيح ..
في
أوروبا !.

مر علينا صباح

اليوم مسر « جونترومكه Gunter Domke » مدير ميناء فيسار ، لياخذنا من السفينة بسيارته الـ «موسكوفيتش» الحمراء ، وهى تشبه إلى حد كبير السيارة الـ «نصر ١٢٨» .. مسر «دومكه» دعانا إلى جولة في «فيسار» نفسها ثم إلى زيارة مدينة «جيفرين» على بعد ٣٥ كيلو مترا من هنا .. المشوار بين المدينتين رائع الجمال شديد الظرف ، والطريق شديد النعومة كأنه مفروش بحرير ولا مطب مصرى واحد جاء وراءنا من القاهرة .. البحيرات والغابات الطبيعية شديدة الانتشار هنا ترافقنا طول المسافة ، كلما سارت بنا السيارة بضعة عشرات من الأمتار وجدنا على يميننا غابة وعلى يسارنا بحيرة أو العكس ، على يميننا بحيرة وعلى يسارنا غابة .. الأشجار على الجانبين عالية باسقة ظليلة وارقة توحى بالشعر لو كنت أستطيع أن أكتبه .. الأماكن الكثيرة جدا المعدة لاستقبال الراغبين في قضاء عطلة نهاية الأسبوع .. عظمة طبيعية حقيقية فعلا .. وإذا كان ذلك هو شكل طريق فرعى طوله ٣٥ كيلو مترا فقط يوصل بين مدينتين صغيرتين من مدن ألمانيا ، فما بالك بباقي ألمانيا كلها ؟! ..

في الطريق إلى «جيفرين» نستريح قليلا في كازينو صغير جدا جدا مبنى على شكل طاحونة هواء هولندية بمروجتها الشهيرة العالية .. الكازينو نفسه من الداخل ضيق جدا وصغير جدا ، لكن ملحق به ومبعثرة حوله عدة كبائن صغيرة كل واحدة منها على شكل برميل كبير جدا راقد على جانبه ، وله باب صغير .. تدخل هذا البرميل لتجد بداخله (دكتين) ومائدة مصنوعة من خشب الشجر بشكله الطبيعي تتسع لأربعة أشخاص ، يادوب واخدهم بالعافية .. يأكلون ويشربون على هذه المائدة في داخل هذا البرميل الكبير .. وإذا كان معهم كلاب فإن حضرات الكلاب تنتظر أصحابها في أكشاك خاصة من نفس الطراز : براميل صغيرة من نفس النوع راقدة على جوانبها ولها فتحة مكان الباب ، لكنها طبعا ليست بها مائدة تتسع لأربعة كلاب !! ..

وفى الطريق إلى

«جيفرين» نتوقف مرة أخرى ليرينا مسر «دومكه» برج جيفرين الذى يشبه برج الجزيرة عندنا في القاهرة ، وفيه أيضا في الدور الثانى عشر قبل الأخير كافيتريا مثل التى في برج الجزيرة عندنا ، مثلها فقط في أنها لاتدور حول نفسها ، لكنها أحسن منها

ألف مرة في الشكل وفي النظافة وفي حسن الخدمة ، وفي الجرسونات الألمانية الحسانوات .. وفي الدور الأخير يوجد - زى عندنا - المنظار الكبير الذى تطل منه على ما حولك فلا ترى إلا بحيرة واسعة كبيرة ومروج خضراء خضراء خضراء : مساحه خضراء هائلة تسرح معك حتى نهاية الأفق ، حتى لتظن أن الكون كله قد أصبح لونه أخضر ..

أما البرج نفسه - كبناء معمارى - فهو متواضع جدا وبسيط جدا وعادى جدا ، وبرج الجزيرة عندنا في القاهرة أشيك وأجمل منه - من الخارج - ألف مرة ، وأعلى منه ٣ مرات على الأقل .. لكن أهم ما يميز البرج هنا قطعاً هي تلك الحسنة الظرفية جدا الرشقة جدا القطة جدا كأنها تلميزة نضرة برينة في سنة أولى ثانوى تعمل في أجازة الصيف .. ومين عارف ، مش يمكن تكون هكذا صحيح ١٩ .. ولابد أن تسحرك ابتسامتها الرقيقة التلاميذى لدرجة أن تسلم لها حقيقتك دون أن تفتح فمك ، وتأخذ منها النمرة المعدنية الصغيرة التى ستسلم بها الحقيبة وأنت نازل بعد زيارتك للبرج ، فلا تذكر أنك صحنى وأنت تركت عندها الحقيبة وفيها كل كاميراتك التى ستصور بها البرج ، إلا بعد أن يصل بك المصعد إلى آخر دور في البرج فعلاً !!

ونصل إلى جيفريين

وتستمر جولتنا بها أكثر من ٤ ساعات ، لكننى سأوجّل الكلام عنها الآن لأننا سنزورها مرة أخرى قريباً ..

وفي طريق عودتنا يمر بنا مستر « دومكه » على منطقة خلوية في وسط المزارع ، بها مجموعة فيلات صغيرة أقرب إلى الشاليهات ، ليدعونا إلى كأس من عصير التفاح في هذا المكان الظريف ، الذى نكتشف أنه معسكر من معسكرات الأطفال المنتشرة في كل أرجاء ألمانيا الشرقية والغربية .. معسكر شغل للـ (أطفال) بين ١٣ و ١٦ سنة ، صبيان وبنات ، تأتى إليه الأفواج من المناطق المحيطة به ، كل فوج مكون من ١٥٥ (طفلاً) و (طفلة) - أكثر : أعماهم بين ١٣ و ١٦ سنة !! - ليقموا في هذا المعسكر لمدة ١٧ يوماً إقامة كاملة بعيداً عن أسرهم وعائلاتهم ، من باب الترويح عنهم وإنسائهم !!

واضح أن ألمانيا كلها - الشرقية والغربية - لا يعانى « أطفالها » من مشاكل الكبت على الإطلاق !!

وفى نهاية الجولة

يعيدنا مستر « دومكه » مرة أخرى حتى باب سفيتتنا ، ويهدى إلينا علم مدينة « فيسار » تذكراً لزيارتنا وتقديراً للصحافة المصرية ممثلة في أشخاصنا .. وبعد عودتنا إلى السفينة اكتشفت أن كل واحد من أفراد الطاقم الـ ٤٥ لديه علم من نفس النوع .. الظاهر برضه تقديراً للصحافة المصرية !! .. السلطانية !! ..

من خطاب من

« سلمى » فى ألمانيا إلى أختها فى القاهرة :
« كل حاجة هنا جميلة جدا يا حنان .. كل حاجة حواليكى جميلة ونظيفة ،
الشوارع والمبانى والبيوت والفيلات والمحلات والمعروضات والناس .. والستات والبنات كلهم
زى القمر ، يهلوا ، متفصلين تفصيل .. والبنات مشلحين على الآخر والبنات منهم يتهلوا لك أنها
معمولة مخصوص ، شغل يد ، عمولة : شعر وعينين وجسم وقوام وصحة ومشية ودلع .. أنا
شخصيا بانهل على حلوة البنات الل هنا أكثر من الأستاذ حسين ، والله يكون فى عون الأستاذ
خبرى !! » ..

« والأطفال الل هنا يا حنان : طول ما احنا ماشيين نعاكسهم ونبصص لهم من كتر حلواتهم
وطعامتهم والسكر الل بيتنقط منهم .. وعلى أبواب المحلات الكبيرة دائما تلاقى الأمهات يدخلوا
المحل علشان يشتروا لوازمهم ويسيبوا أطفالهم الصغيرين فى عربيات الأطفال على باب المحل من
برة .. نفوت إحنا على المحل من دول نلاقى ٤ - ٥ عربيات أطفال راكبين على الباب ، نفق
نلاعبهم ونلاعبهم ونصفر لهم ونهشكهم ، والناس الل فابتين رايمين جاين يضحكوا ويسخسخوا
علينا وعلى هبلنا ، الظاهر مش واحدلين على الحكاية دى وعلى إن حد يلاعب ويدلع أطفالهم
كده »

الجرسونة الحسنة فى

مطعم (شتات جيفرين) طلبنا منها على العشاء فراخا مشوية ، فلم
تفهمنا .. إنجليزيتها لم تسعفنا وألمانيتنا لم تسعفنا .. قلنا لها كلمة (دجاج)
بكل اللغات التى تعرفها فلم تفهم .. نحن أيضا لا نعرف معناها باللغة الألمانية .. لم يكن أمامنا
غير هذه الطريقة : رسمناها على قائمة الطعام دجاجة ، وحرك الضباط الثانى « الحسىنى » كوعيه
كأنها جناحين وقلد صوت الديك قائلا : « كوكو كوكو » .. فتهلل وجه الفتاة إشراقا وسعادة
وصاحت بالألمانية : « آخسو » يعنى : « آه ، فهمت » .. وذهبت فأحضرت لنا أطباق بيض
مقل !!!!!

كنا نسير فى

الشارع فى « فيسار » فى طريقنا إلى نادى البحارة (السيمن كلوب) ،
مجموعة من ضباط السفينة « رسميس » ومجموعة الصيادين والقبطان ..
القبطان أطولنا جميعا ، ولعله أطول واحد على السفينة كلها (١٧٠ سم) ، لذا فقد كان هو الوحيد

الذى يسير تحت الرصيف حتى يصبح في مثل طولنا .. رجل بوليس المانى استوقفنا وشخط في القبطان بصرامة وطلب منه أن يصعد فوق الرصيف لأن السير تحت الرصيف ممنوع ، وإلا قبض عليه وأودعه السجن !!

وقفز القبطان إلى فوق الرصيف فوراً بكل شجاعة دون أن يفتح فمه بكلمة واحدة ، لأن اللهاضة مع رجال البوليس هنا لا ينفع فيها لقب قبطان ولا باشقبطان !!

من هوايات القبطان

البارزة ، غير أنه بطل مصر في كل الألعاب والرياضات ، إطلاق الألقاب والتسميات على أهل السفينة ، تأكيداً لفكرة الظرف وخفة الدم .. يطلق على « محمد عبد الباسط » ضابط اللاسلكى إسم « زكى رستم » ، السفريجي « أبو الغيط » يطلق عليه « الغفير » ، كبير الضباط « على أبو طالب » يطلق عليه « على وزة » ، عم « زكريا » الذى يغسل الصحون في المطبخ يسميه « شنبو » ، « عطيطو » السفريجي يسميه « منخار » .. وأطلق على « خيرى » لقب « الراكب الإنجليزي » .. وفي وقت من الأوقات أطلق على أنا (جيمس بوند) ثم « الحاج » و « الرجل الصامت » حتى كشرت في وجهه وقلت له بغلاصة وتسخيف أنني لأحب هذا النوع من الهزار وخفة الدم في حكاية التسميات هذه بالذات ولا أحب أن يطلق على إسم غير إسمى ، وإلا فسأطلق عليه هو أيضاً لقب (فضيلة الشيخ عصعص مفتى البحار المصرية) .. فكف فوراً عن منادائى بأى إسم ؛ حتى ولا بإسمى الحقيقى

كما يختلف الأشقاء

في داخل البيت الواحد في الملامح والسيات واللون ؛ وأيضاً في المزاي وفي العيوب وفي الطباع وفي الأخلاق .. فإن سفينتين مصريتين تتبعان لشركة «صرية واحدة وتقفان متجاورتين على رصيف واحد - الرصيف رقم ٨ في ميناء فيسار - وأخذتا مشترواتهما من ميناء واحد : ميناء « كيل » في ألمانيا الغربية ؛ في وقت واحد أيضاً .. ومع ذلك تجد - على سبيل المثال فقط - أن كرتونة السجائر الـ « دانيل » تباعها السفينة « المنارة » لأفراد طاقمها بـ ١٠٤ قرشا ، بينما تباعها سفينتنا لأفراد طاقمها بـ ١٤٦ قرشا ... له ٩ ..؟ الله وحده يعلم!!!!

قطة ألمانية سمينة

مرربة كانت تنهذى أمامى في ثقل وخيلاء .. أحب القطط طول عمرى .. قلت لها « بسبس » فلم تكلف نفسها عناء الرد علة ولا حتى الإلتفات إلى ناحيتى .. طلقطت لها بأصابعى فالتفتت إلى مصدر الصوت فقط ونظرت إلى وجهى باندهاش

كانها تقول «الرجل الأهل ده بيعمل بصوابه كده ليه ؟» . . . ويبدو أن الألمان يتفاهمون مع ققطهم بوسائل أخرى غير البسيسة وطقطقة الأصابع . . وبالتالي تكون الققط المختلفة الجنسية حين تتقابل لاستطيع أن تتفاهم مع بعضها . . فلا اعتقد أن هناك قطة تحيد اللغات الققطية الأجنبية !!

رغم أنا الآن في

أواسط أغسطس ، الوقت الذي لا يطيق الناس فيه مصر ملابسهم إلى عليهم من الحر ، إلا أن الجو هنا شديد التقلب سريع التغير . . كان الجو صحوا طوال فترة الصباح والشمس مشرقة حتى أننا خرجنا بالقمصان النصف كم . . وفجأة قرب الظهر امتلأت السماء بالسحب السوداء الداكنة وتلبدت السماء واختفت الشمس تحت طبقة كثيفة من الغيوم ، حتى لتشعر أن الشمس لن تشرق بعد ذلك أبدا . . وينزل المطر رقيقا هينا أول الأمر ، ثم لاتلبث ان تفتح السماء أفواه القرب فتصب منها المطر غزيرا عنيفا شديدا يكاد أن يكون سيولا ، كان السماء قد انخرمت ومحوئت إلى دش عظيم بحجم السماء كلها . . .

ونظل من وراء زجاج نافذة قمرتنا الذي غبشه ماء المطر ، لنرى تلك الشابة الحسنة التي ظلت مجمزة على الشاطئ المقابل لسفينتنا طول اليوم في عز المطر وسنارتها في يدها مدلاة في الماء ، آل يعنى بتصطاد ، دون أن تصطاد بسارياية واحدة طول اليوم ، وماناها إلا سيول المطر شربتها فوق رأسها وهي منكشمة ومتفوقمة تحت معطف المطر تحتوى به فوق رأسها كالخيمة . . رياضة إيه الهيبة الهباء دى إلى التحيب للواحد نزلة شعبية أو التهاب رثوى ، أيها أقوى !!! . . .

ثم . . ما أن يمر وقت قليل حتى نجد أن السماء قد عادت إليها زرقتها وصفاؤها وكأنها لم يكن بها أبدا سحب أو غيوم في يوم من الأيام منذ سنة على الأقل

لدينا دعوة الليلة

للغشاء صاحبها «موريس مرقص» ممثل الشركة المصرية العامة لأعمال النقل البحرى ، أو بإسمها الأجنبى «مارترانس» . . «موريس مرقص» هو المصرى الوحيد الذى يقيم في هذه المدينة ، ومعه أيضا زوجته وأولاده : زوجته «نادية» التى كانت زميلته في كلية التجارة ، وابنه الوسيم «هانى» - ١١ سنة - وطفلة الطريفة «نفيين» - ٧ سنوات . .

«موريس مرقص» رغم أنه قد مضى عليه هنا مايقرب من سنة ونصف الآن . إلا أنه ليس لديه سيارة بعد . . يمكن لأنه لا يحتاجها لأن المدينة نفسها صغيرة والإنتقال فيها لا يحتاج إلى سيارة . . لذا فقد التقينا وعرفنا بزوجه وطفليه على محطة الأوتوبيس القريبة من الميناء ، ثم ركبنا

كلنا أوتوبيس رقم ١ إلى نهاية الخط حيث بلاج « وندروف » ، حيث يوجد أيضا كازينو ظريف هناك كانت جلستنا فيه ..

طار من رأسي كل الموضوعات التي كنت أفكر في مناقشتها مع « مورييس مرقص » حين لاحظت كيف يتعامل إبنة الصبي وابنته الطفلة مع الشارع الألماني وشكل الحياة الألمانية ، لم يعد يثير الصبي ولا الطفلة المصريين أو يلفت نظرهما منظر القبلات المتبادلة بين الشبان والفتيات في الشوارع أو على محطات الأوتوبيس أو في الكازينوهات والأماكن العامة عيانا جهارا وليست خطفا واختلاسا .. خلاص اعتادا عليها وزالت الإنبهارة والحضة منها حتى أنها لم يعودا يثفتان إليها حين تحدث على مقربة منها !! ..

ويحكى
تا
« مورييس »

وزوجته « نادية » حكاية ذات مدلول نفسى واضح جدا : حين التحقت « نيفين » الصغيرة عند وصول الأسرة إلى ألمانيا بمدرسة الأطفال دون سن المدرسة ، كانت حين تجلس في البيت لترسم ، ترسم أطفالا عرايا واضحة. فيهم تماما أعضاء الذكور وأعضاء الأنوثة ، لتفرق بين الولد والبنت في الرسم .. كانت هذه هي الإنتطاعة الجديدة عليها تماما نتيجة أنهم هنا حين يدخل الأطفال الحمام في المدرسة يدخلون معا : الصبيان والبنتات معا .. فتفاجأ « نيفين » الصغيرة القادمة من مصر غير معتادة على أن يستحم الأطفال الصبيان والبنتات معا في حمام واحد في وقت واحد ، تفاجأ بأن هناك اختلافا بين الصبيان والبنتات لم تكن تعرفه ، ويظهر أثر ذلك واضحا تماما في رسوماتها .. لكنها بعد أن قضت فترة في المدرسة أصبحت هذه المسألة بالنسبة إليها عادية تماما ، فعادت تنظر إلى البنتات والصبيان بنظرة عادية ، وأصبحت حين ترسمهم - الآن - ترسم الصبيان يرتدون بنطلونات والبنتات يلبسن فساتين ..

إعتادت « نيفين » الأمر خلاص .. ومأكثر ما سوف تعتاده الطفلة المصرية إذا استمرت بها الحياة في أوروبا حتى تكبر !! ..

ويقول
لى
« مورييس »

أن الحياة هنا بالنسبة للأجنى صعبة جدا في البداية ، العامل اللغة الجديدة أولا ، ثم لأن الألمان الشرقيين بشكل عام يخشون الأجانب ولا يعظمونو إليهم إلا بعد أن يعاشروهم فترة طويلة ويتأكدون ويرتاحون إليهم. فيثقوا فيهم ..

ظريف جدا وواضح جدا وصريح جدا « مورييس مرقص » حين يقول لنا بكل بساطة - نحن ضيوفه على العشاء - أنه لا يدعو إلا الناس الذين له مصلحة عندهم وييدهم تسهيل أموره !! ..

الأظرف من ذلك أن كل مصرى من المصريين الذين التقينا بهم خلال رحلتنا ، كلهم بلا استثناء ، شتم فى المصريين الآخرين ولعن أبو خاشهم وقال عنهم أنهم لصصوص وحرامية ويسمسمروا ويستاهلوا الشنى أو على الأقل الحرق ، وذلك لكى يظهر كل منهم نفسه على أنه ملاك بجناحين وأنه أظهر رجل فى العالم وأنه بيات طول الليل يبكى وبتهجد من خشية الله !! ..

الصحفى رزقه فى

رجليه دائما : وأنا خارج عصرا ألتقى بعد خروجى من بوابة الميناء بلقطة صحفية ظريفة جداً : إثنان من بحارة السفينة المصرية (المندرة) التى تركن الى جوارنا على نفس الرصيف ، خارجان من الميناء .. دقت أجراس مزلقان السكة الحديد القريب من الميناء وأقفلت البوابة قبل أن يصلا إليها ويعبراها ، فبساطة مصرية شديدة إنحنى كل منهما ومرا من تحت البوابة المقفلة كما يحدث عندنا فى مصر عند أى مزلقان ، لكنها لم يعمل حساب الشىء الذى لا يحدث فى مصر : خرجا من تحت بوابة المزلقان من الناحية الأخرى ليجدا نفسيهما فى حضن رجل البوليس الألمانى وفى يده (قسيمة غرامة) لكل واحد منهما ليدفع ثلاثة ماركات - ٨١ قرشا بالسعر الرسمى - تدفع فوراً وحالا : يا الدفع يا لحبس .. مفيش تفاهم ولا تنازل عن النظام من أجل سواد عيون المصريين .. ولم ينفع مع رجل البوليس الألمانى « معلىش يا شاويش مش حانعمل كده تانى » ولا « ربنا يخليك لأولادك يا حضرة الصول ، خد المارك ده عشانك وبلاش الغرامة » أو « طيب تدفع إحنا الإثنين ٣ مارك وكفاية قسيمة واحدة » .. مفيش فايدة ، وكع كل منها ٣ مارك زى الشاطر وأنا أقف لأتفرج عليهما من بعيد . قل ، يزغرد من السعادة والفرح لأنها سيرويان هذه القصة قطعاً لأسرتيها وأصدقائهما بعد أن يعودوا إلى مصر .. وأنا متأكد أنها بعد ذلك حين يسمعان صفارة قطار فى القاهرة سوف يقفان فى مكانها متمسكين حتى يطمئن إلى أن القطار قد عبر كل المزلقانات من الإسكندرية حتى أسوان ..

أدب

كنا عائدين الى

السفينة ليلا بعد انتهاء سهرتنا فى المدينة : « سلمى » وأنا و « خيرى » وكبير الضباط « على أبو طالب » ، عبر الشارع الصغير الضيق المظلم « فيسكار ستراس » الذى يفصل بين المدينة والميناء .. فى ظلام الشاء .. الصغى وجدنا شابا وفتاتين يجلسون على عتبة باب بيت .. استوقفنا الشاب وطلب - بالألمانية - سيجارة من كبير الضباط ، فتوقف « على » وأخرج علبة سجائره وطلب من « خيرى » أن يبقى هو معه ، وطلب منى أنا و « سلمى » أن نسبقهما (!!) .. وحينئذ لحقا بنا عند بوابة الميناء بعد نحو نصف ساعة كان « خيرى » متأثرا جدا وهو يحكى لنا ما حدث : الفتاتين هما شقيقتنا ذلك الشاب الذى يبحث لأخته عن صديقين تمارسان معها الجنس علشان كلهم يبقوا مبسوطين !!!!! .. ساذج « خيرى » وطيب وأهبل « على

أبو طالب « اللذين صدقا هذا الكلام .. فأوضح من الشمس أن الشاب قواد ألماني يسرح فتاتيه لمن يدفع ، تحت اسم الصداقة بين الشعوب ، تحت إسم العلاقات الاجتماعية ، تحت أى إسم يعجبك ، لكنه قواد والسلام والمسألة ليست في حاجة إلى كبير تفكير .. لكن يبدو أن « الغلام » يشل التفكير أحيانا !! ..

مسكين « خيري » .. مسكين « على » ..

« خيري » رفض أن يذهب

معنا إلى بلاج (وندورف) اليوم .. إعتذر بأنه لم يعد يحتمل رؤية كل هذا الجمال الأنثوي الذي يحيط به وهو قد افقد بشدة « بيته » ، فكيف نريد منه أن يذهب إلى البلاج ليزداد اكتواء وعذابا بالأجساد الألمانية البيضاء الناعمة في المايوهات البيكيني كيان ١٩ ..

إضطرت ازاء « حالة خيري » إلى أن أعتذر عن دعوة كنت قد تلقيتها من الدكتور « الزعبي » الطبيب السوري الذي يعمل في إحدى مستشفيات « فيسهار » ، للذهاب أنا وهو و « خيري » لقضاء يوم على بلاج (نادى العراة) على بعد عدة كيلو مترات من المدينة .. فإذا كان « خيري » مش مستحمل بلاجا عاديا بمايوهات بيكيني فإذا يمكن أن يحدث لو أخذه معي إلى بلاج نادى العراة ١٩ .. خصوصا وأني كنت أنوي أن أجعلها مفاجأة له ولا أخبره بشئ إلا حين يجد نفسه فجأة في وسط البلاج وبين العراة والعرايات !!

بلاش .. الطيب أحسن !! ..

نزلت أنا و « سلمى »

و « خيري » بعد الغداء مباشرة لنفعل شيئا جديدا ونحاول أن نستكشف أماكن في فيسهار لم نرها من قبل ، فوقتنا على محطة الأوتوبيس وركبنا أول أوتوبيس وصل دون أن نهتم برقمه ولا إلى أين هو ذاهب .. وذهبتنا معه إلى آخر الخط .. آخر حدود المدينة عند ضاحية اسمها « أمسيلويج » .. حقول كثيرة كثيرة وشارعين ريفيين أو ثلاثة فيهم فيلات صغيرة على الطراز الألماني الشهير بسقفها المخروطي الحاد المغطى بالقرميد الأحمر .. تمشيينا نحو ساعة كان الناس القليلون الذين قابلونا في الشوارع شبه الخالية ينظرون إلينا بدهشة واستغراب كأنهم يعرفون أننا غرباء عن الضاحية .. وجدنا حديقة أطفال صغيرة « كندر جاردن » بها مراجيح ومنزلاقات وأدوات للعب الأطفال ، لكننا لم نجد الأطفال أنفسهم ، يبدو أنهم كانوا قد عادوا إلى بيوتهم .. فدخلنا نحن الحديقة وتشبعطنا على مرجيحة وتمررنا عليها .. وركب « خيري » على أحد طرفي مرجيحة الأطفال التي تشبه الميزان أو الرافعة ، وكان يكتشفها لأول

مرة . . وركبت أمامه في الناحية الأخرى من المرجيحة ، وحين صعد في الهواء ووجد نفسه معلقا فوق ، جحظت عيناه واحتبست أنفاسه وضغط فكيه بعنف واحمرت أرنبة أنفه ودمعت بعيناه من تحت نظارته البيضاء وبدا عليه أنه على وشك أن ينفجر باكيا ، كأنه يركب صاروخا متطلقا به إلى الفضاء وحده . . فأنزلته برفق (هبوطا ليئا) حتى لا تحدث له أزمة قلبية ويموت شهيد المراجع !! ...

الفصل الثانی عشر

سقط
خیری
سهواً !

كان الافطار الذى

قدم فى صالون السفينة اليوم للضباط والمهندسين والبحارة : قطعة جينة بيضاء وقطعة حلالة طحينية لا تكفيان إفتارا لتلميذ صغير فى سنة أولى ابتدائى ، فما بالك ببخارة يتسلفون الصوارى طول النهار ومهندسين وفنيين يستهلك جو غرف الالات صحتهم وعافيتهم طول اليوم ١٩ ..

على أى حال فيبدو أنهم قد اعتادوا على ذلك ، فرغم أن هذا هو تقريبا شكل وجبة الإفطار على السفينة كل يوم ، إلا أن صوتا واحدا لم يرتفع بالشكوى حتى الآن : إما مبسوطين من كده ونحدوا عليه ، أو خافقين حد يفتح بقه ويتكلم .

المهم أن ذلك يحدث

فى الوقت الذى يخبز فيه فرن السفينة نوعا خاصا من الخبز يختلف الشكل والحجم يقدم للقبطان وكبير المهندسين وحدهما فقط : خبز مدهون سطحه بالزبد !! ويطلع لها فى قمرتيهما عيني عينك قدام كل الناس هنا يرونه وينظرونه ولا يجرؤ واحد منهم على أن يفتح فمه ويتكلم وإلا فلن يرى البحر مرة أخرى .

وناس آخرين على السفينة أيضا - الشهادة لله هما اثنان فقط وليس أكثر ، ويعتبران الطبقة الثانية فى هيئة كبار الحكام على السفينة - هذين الإثنين ياكلان فراخ كل يوم ، وأيضا توضع أمامهما الفراخ عيني عينك على مائدتها الخاصة أمام « باقى » الضباط والمهندسين والبحارة الذين يوضع أمامهم لحم كالكاوتش أو كجلد الحنفيات ، نوعا وحجيا و .. مضغا !! ..

أما عن « حسان » : « أسد السفينة رمسيس الثانى » فحدث ولا حرج : فرخة لسعادته شخصيا كل يوم .. وحتى لا يكلف نفس سعادته عناء المصمصمة والتفصيص ، فقد خصصوا له سفرجى خصوصى يتولى مهمة تخليص الفرخة من العظام وإطعامها لسيادته !! .. ويسأل فى ذلك الحلباز « كمال بخيت » وباشريس بخارة السفينة « عبد الواحد محمد » الذى أراد أن يخطف الفرخة مرة من أمام الكلب ويرميها فى البحر ، فلما لم يستطع جرى وراء « كمال بخيت » يريد أن يضربه !!!!! ..

القبطان وحشنى .. لم

أره منذ عدة أيام ، وكذلك أهل السفينة لم يعودوا يرونه .. فهو يخرج من السفينة بمجرد أن يستيقظ قرب الظهر ، ولا يعود إليها إلا بعد الفجر .. كان الله في عون .. مشاكله ومهامه ومسئولياته كثيرة !! ..

ذهبت آنا و سلمى

والضابط الثانى "الحسينى" إلى مستشفى المدينة لزيارة البحار « سعيد بيومى » أحد أفراد طاقم السفينة .. « سعيد » وظيفته على السفينة (زيات) ومهمته تزييت آلات السفينة وماكيناتها ، ووظيفته على البر قبل أن يصبح بحارا : ترزى سيدات !! .. وسبحان مغير الأحوال .. هذه هى أول رحلة لـ « سعيد » فى البحر ، لذا كانت شاقه جدا عليه وتعب منها جدا وأغلب الوقت مصاب بدوار البحر وراقد فى سريره .. وما أن وصلنا الى ميناء « فيسار » حتى كانت زائدة « سعيد » الدودية قد أعلنت العصيان وانفجرت .. ونقل « سعيد » إلى المستشفى حيث أجرى له الأطباء الألمان جراحة عاجلة لاستئصال الزائدة .. وقبل أن تنتهى فترة النقاهة كان الأطباء الألمان قد اكتشفوا أن « سعيد » يحتاج أيضا ويشكل عاجل إلى عملية أخرى لإزالة دوالى فى ساقه .. وبعد الدوالى إكتشفوا شيئا ثالثا ثم شيئا رابعا .. ولم يهنا « سعيد » طويلا بتحوله من ترزى سيدات إلى بحار ، فقد تحول هنا إلى زبون دائم فى غرفة عمليات مستشفى فيسار .. ورتب زملاء « سعيد » فيها بينهم أن يزوروه فى المستشفى دائما بحيث لا يتركونه وحده فتزداد وطأة الغربة والوحدة عليه فوق وطأة المرض والعمليات الجراحية .. وهكذا زار أفراد السفينة جميعهم - حتى مجموعة الصحفيين - « سعيد » فى المستشفى ، فيها عدا واحدا فقط لم يتسع وقته لزيارته ، لأنه - كان الله فى عون - مشاكله ومهامه ومسئولياته كثيرة !! ..

وفى أوتوبيس شيسمار

نلتقى بصورة تصادفنى لأول مرة فى أوروبا كلها : فتاة لا يزيد عمرها عن ١٥ سنة على الأكثر ، سكرانة إلى أقصى حد ، تفرغ كل مافى جوفها وهى جالسة فى مقعدها داخل الأوتوبيس .. فيوقف السائق الأوتوبيس ويترك مقعده ويأتى لغاية عندها ليطلب منها أن تغادر الأوتوبيس فورا ، لكنها ترفض .. ويحاول أن يرغمها على النزول لكنها تتشبث بمقعدها ، فينذرها بأنها إذا لم تنزل الآن فإنه سوف يأخذها معه إلى آخر الخط وهناك إما أن تدفع ٢٠ ماركاً غرامة - نحو ثلاثة جنيهات وربيع مصرية - أو تنظف أرض ومقاعد الأوتوبيس من كل ما أرجعته من جوفها .. ولا ترد عليه الفتاة بأكثر من أنها لن تغادر الأوتوبيس الآن .. فيعود السائق إلى مقعده ليقود الأوتوبيس مرة أخرى وعينه عليها من خلال المرآة الكبيرة الموضوعة أمامه

التي تكشف له الأوتوبيس كله من الداخل .. ويتوقف في عدة محطات حتى قبل نهاية الخط بمحطة واحدة ، فتقف الفتاة في مكانها وهي تترنح لتغادر الأوتوبيس ، فيسرع السائق بترك مقعده واللاحاق بها بعد أن تكون قد نزلت فعلا من باب الأوتوبيس .. وتدور بينهما مناقشة حادة : هو مصر على أن تدفع له ٢٠ ماركا الآن حالا أو تقوم بتنظيف الأوتوبيس ، وهي تبكي ومتهارة تماما وتشير إلى بيتها القريب .. ولم يستجب السائق إلى توسلاتها وحملها حملا إلى داخل الأوتوبيس ، دون أن يتدخل أى واحد من الركاب ، ومنعت « خيري » بالعافية لأنه كان يريد أن ينزل ليضرب السائق قلمين باللغة العربية !! .. وأحنا مالنا ياخيري ؟ .. هم ألمان في قلب بعض مالناش دعوة بيهم .. هو احنا اللى حانحل لهم مشاكلهم ؟ ! ..

ويتحرك الأوتوبيس ليفرغ كل ركابه في محطته النهائية ، ثم ينطلق - فاضيا - بالفتاة إلى حيث لا ندرى .. وإن كان « مورييس مرقص » قد قال لنا بعدها أنه قطعاً سوف يأخذ الفتاة إلى جارااج الأوتوبيس لتقوم بتنظيف الأوتوبيس هناك .. وأن ذلك في ذاته رحمة بالفتاة وشفقة عليها من السائق .. أولاً لأنه هو المسئول عن الأوتوبيس تماماً ، عهده ، هو الذى ينظفه بنفسه ، فلماذا يتحمل تنظيف ما يوسخه غيره .. وثانياً لأنه كان من الممكن أن يسلم الفتاة للبوليس الألمان فيعمل لها ١٠٠ مشكلة : للفتاة نفسها أساساً لأن عمرها أقل من ١٦ سنة وغير مسموح لها بالشرب ولا بالسكر ، ولأسرة الفتاة أبوها وأمها اللذين لم يراقباها حتى لا تشرب وهي دون السن المسموح لها فيه بأن تشرب ، وللمحل الذى شربت فيه وقدم لها مخراً وهي أصغر من ١٦ سنة ، ولدرستها ، ولأصدقائها الذين شربت معهم وتركوها تشرب ولم يمتنعوها وهكذا فإن تصرف السائق الذى بدا لنا فظلاً غليظاً قاسياً ، كان في غاية الشفقة والرحمة بالنسبة للفتاة !!

صحت من النوم

بعد تعب طول النهار ، في العاشرة مساء ، فوجدت السفينة كلها خالية تماماً من طاقمها جميعه إلا أنا و« سلمى » فقط ، حتى الضابط النوبتجي لم نجده .. لفطنا السفينة كلها نبحت عن أى حد تأتس به فلم نجد .. فكرة خبيثة جالت بذهنى : نأخذ السفينة ونبحر بها ، وحدنا ، طلالاً أن أحداً لن يشعر بنا ، ونشغلها لحسابنا في البحر ، أونعود بها إلى القاهرة ونعملها ذهبية على النيل ونؤجرها مفروشة ، أو نصبغها ونغير لونها ونقلبها تاكسى حتى لا يتعرف عليها أحد

على مائدة الغداء

اليوم طلبت « سلمى » كوب ماء فذهب السفرجى « أبو الغيط » وأحضر كوبين وضع أحدهما - بعناية - أمامى ، ووضع الآخر أمام « سلمى » .. رشت رشفة من كوبي فوجدته ماء فاتراً من الحنفية ، ولاحظت أن كوب « سلمى » مغشاً فرشفت

منه رشفة فوجدته : مثلجا !! .. فناديت على « أبو الغيط » وسألته بسخرية : " إيه يا أبو الغيط المسألة بالضبط ؟ .. المية الساعة عندكم ماكفتش غير كوباية واحدة بس والا إيه ؟ " .. فبدأ عليه الحرج الشديد والكسوف الشديد ، وأخذ الكوبين وذهب على الفور وأحضر كوبين آخرين مليئين بقطع الثلج المكعبة ، وقال وهو يبدو مغلوبا على أمره وكأنه « عبد المأمور » : « والله يا أستاذ حسين القلب ملايين كلام كتير لكن الواحد مش قادر يقول .. معلش ، أنا ماليش ذنب فى اللى بيحصل ده !! »

صباح اليوم التالى :

أحضر لى السفرجى « عطيطو » الشاى فى قمرق فى الساعة صباحا كالعتاد ، ثم نزل ليحضر لى الإفطار .. وانشغلت أنا فى الكتابة ولم أنتبه إلا

فى الساعة العاشرة إلى أن « عطيطو » لم يعد مرة أخرى ولم يحضر لى الإفطار .. ناديته وسألته : « فىن الفطار .. ماجيتوش ليه ؟ » فأجاب : معلش .. أصل الرئيس برهام - رئيس السفرجية - كان نايم .. !! .. فقلت له بغيظ شديد : وأنا مالى اذا كان برهام نايم والا صاحى ؟ وهو لما يكون برهام نايم السفينة كلها تتوقف لغاية سعادته مايصحي ؟ .. إتفضل روح هات لى الفطار دلوقتى : وربنا يستر ومايكوتش برهام بيه لسه نايم .. يغيطك أكثر ويفرسك أكثر : « دلوقتى الساعة بقت عشرة وفى المطبخ بيجهزوا الغدا » !! .. أنا أعرف نفسى : سهل جدا أن أستثار فتحت حس عليه وقلت له : « إنزل هات لى الفطار دلوقتى حالا ، واللى يقول لك عليه برهام تعالى قوله لى فورا .. بعد دقائق سمعت صوت « برهام » عاليا فى قمرة كبير الضباط القريبة من قمرق .. ذهبت إليهم لأجد « برهام » يشكون لكبير الضباط وللضباط الإدارى « سعد سلامة » .. « برهام » هذا منذ بداية الرحلة وهو يلح على أن أكتب له شهادة تقدير على حسن خدمته لنا على السفينة يحتفظ بها ضمن شهاداته التقدير التى لديه من كبار الشخصيات التى خدمها فى رحلاته العديدة من قبل على سفن أخرى .. كتر خير ، اعتبرنى من كبار الشخصيات بالنسبة للشهادة فقط ، لكنه لم يهتم كذلك من ناحية الخدمة الفعلية .. قلت للثلاثة معا فى وقت واحد : كبير الضباط والضباط الإدارى ورئيس السفرجية : لما الواحد منكم يروح للمصوراتى علشان يتصور صورة بيهلق دفته ويستحمى ويتشطف ويسرح شعره ويفرقه على جنب ويتزوق ويتلمع ويلبس أحسن هدومه ، ويروح يتصور .. لكن إذا راح للمصوراتى وشعره منكوش وعينيه معصمة ودقنه طويلة وماغسلش وشه من سنة ولا بس جلالية مقطعة ، فاللى حايطلع فى الصورة هو اللى المصوراتى شايفه قدامه .. الكاميرا مش بتألف لكن بتنقل اللى قدامها .. بتنقل شكلكم اللى شايفاه قدامها ، وإنتم شكلكم اللى أنا شايفه قدامى وحش ولا أحقر مطعم فول وطعمية فى القللى وباب الشعرية وعمرم بيه .. أنا هنا على السفينة دى مصوراتى .. وأوعوا تفتركوا إنكم حايطقى شعركم منكوش ومبهديلين ولايسين مقطع وأنا حايطلمكم فى الصورة حلوة ومسممين ومقططين .. إنتم حايطلموا فى الصورة بتاعنى زى تصرفاتكم بالضبط .. أنا مالى - كراكب على السفينة - إذا كان فلان نايم والا فلان صاحى ؟ .. أنا لى خدمتى - كراكب - تكون عشرة على

عشرة .. أنا لى النتيجة .. والنتيجة لغاية دلوقتى مش فى صالحكم على الإطلاق .. النتيجة صفر على عشرة ..

وحسم « على أبو طالب » كبير الضباط الموقف بأن قال أنه ممالا شك فيه أن العمل من السفينة على بعضها غير مرضى على الإطلاق ، وأن له ١٦ سنة حتى الآن كضابط بحرى لم يرفيها خدمة أسوأ مما هى الآن على هذه السفينة .. وأن الذنب فى ذلك ليس ذنب السفينة ، لأن طاقم السفينة هذا نفسه كان ممكن يكون على سفينة أخرى ومع قيادات أخرى ويكون العمل ماشى زى الساعة .. ولما ماكينة تعطل فى مكان ما يبقى العيب مش من الماكينة نفسها لكن من اللى بيشتغل الماكينة ، أو بمعنى أصح : من اللى مش عارف يشتغل الماكينة !! ..

أفادكم الله يا « على » .. وضع إصبعه على رأس الدمل فعلا ...

« الألقاب »

فى البحر

مختلفة تماما عنها فى البر .. كلمة « أستاذ » ليست واردة أبدا فى لغة أهل البحر ، لكن كلمة « أفندى » هى المتداولة .. كل واحد من الضباط « أفندى » : « على أفندى » و « الحسىنى أفندى » و « منير أفندى » و « الخوجة أفندى » - أى الضابط الإدارى - .. وحتى « الكاديت » أو الطالب البحرى هو « عابد أفندى » .. وأحيانا يتكلمون عن بعضهم بلقب الوظيفة ، فيقولون : « الإسكند » فتفهم أن الكلام عن الضابط الثانى أو المهندس الثانى ، ويقولون « الخوجة » عن الضابط الإدارى ، و « التشيف » عن كبير الضباط ، و « التشيف إنجنير » عن كبير المهندسين ..

حين تدرب كلبك

على أن يعرض الناس ، فلا بد أنه سوف يأتى اليوم الذى يريد فيه الكلب أن يجرب أنيابه فىك شخصيا ، فيعضك أنت ويهرك أنت وينشب أظافره فىك أنت ..

« سليمان » السفرجى هبش القبطان نفسه اليوم .. وقف وفتح حسه عليه فى وسط السفينة وأمام أهل السفينة كلهم .. وقال عن كبير الضباط أنه : « على وزه » كما يسميه القبطان !! .. وذلك كله دون أن يحرك القبطان ساكنا .. كل ما فعله هو أنه حرض كبير الضباط على أن يستكتب الضباط وكل الناس على السفينة الذين أساء إليهم « سليمان » من قبل شكواى ضده ، حتى يأمر القبطان بترحيله على السفينة المصرية « المندرة » الموجودة الآن معنا فى ميناء « فيمسار » .. ويوقف مرتبه حتى يتم التحقيق معه بعد عودته إلى الإسكندرية !!



وقد كنت أتوقع ذلك كله بالضبط تماما بعد أن رأيت كيف تصرف « سليمان » السفري معي ، وكيف أنه (واحد على القبطان شخصيا) أكثر من اللازم ويكلمه كأنها أصدقاء وليس كسفري يكلم قبطانا .. لدرجة أنه يضع ذراعه على كتفه ويقول له : « لازم تأخذ بالك من نفسك ياراجل وتشوف مصلحتك .. دا انت عندك بنت بتتجوز ولازم تتجهز كويس .. دى بنت قبطان برضه !! »

من المؤكد أن « على »

« أبو طالب » كبير الضباط إنسانا طيب فعلا ، وابن ناس فعلا ، وعزيز قوم أوقعه حظله الوحش في السفينة دى فعلا .. لكن ذلك لا يمنع أنه أحيانا يكون (مدب) ويلطش في الكلام دون أن يقصد ودون أن يشعر ..

كنا الليلة قاعدين شلة ضباط في القمرة التى يشترك فيها « خيرى » مع الكاديت - الطالب البحرى - « عابد شكرى » ، نتكلم في أمور السفينة وما يحدث فيها ، حين قال لى « على » فجأة : « أقول لك على حاجة وماتزعلش ؟ .. إنت عامل زى لما يكون عندى كلب شرس ومتوحش وسعران وأنا قدامى خمسة كيلو لحمه عايز أكلهم ومش عارف لأن الكلب السعران ده قاعد قدامى وباصص لى وواحد باله منى .. أقوم أرمى له حنة عظمة علشان يتلخم بيها وأنا أكل الخمسة كيلو لحمه من غير ماهو يشوفنى .. بيلخموك بالسفريجية ومشاكل السفريجية علشان تقعد تكتب كل الى بيحصل منهم وتسب الحاجات الأهم وماتأخذش بالك منها »

ورغم أن تحليل « على » كان صحيحا فعلا ، إلا أن كان فيه (برجة) و (قرنة) من كبير الضباط بلا مناسبة .. عايز يشتمنى بالدوق فشبهى بالكلب الشرس السعران .. فتغيرت ملاهى على الفور وكشفت في وجهه وقلت له ان ذلك تشبيه حقير جدا يقوله عربى كارو قاعد في غرزة حشيش أو قاعد في بوطة في حوارى الأنفوشى ، مش كبير ضباط سفينة مفروض فيه انه رجل متعلم ، لكن ده خيال قاصر وعاجز ومريض ولا يدل على أى ثقافة أو تعليم أو حاجة أبدا إذا كان ذلك هو مستواه في التشبيه .. وظلت أسبغ فيه وأوبخه وأغسله حتى قال لى : « بس كفاية كده .. إنت خدت حقك وزيادة » وظل يعتذر لى بعدها طول الوقت حتى تركتهم وقمت منصرفا ..

من غير شك أن البحر قطعاً له تأثير على عقول ومستوى تفكير الناس الذين يعملون فيه ، خصوصا حين يكون تعليمهم ناقصا وثقافتهم قليلة أصلا ..

واضح الآن من ركنتنا

على الرصيف بلا أى عمل على السفينة منذ فترة طويلة أنه مازال أماننا وقت طويل حتى يأتى الدور على سفينتنا لتبدأ تفريغ شحنتها .. سفن عديدة من جنسيات مختلفة دخلت الميناء بعدنا وأفرغت شحنتها وشحن من جديد وانطلقت إلى البحر

تواصل مشوارها ، ما عدا نحن الى قاعدين كده دون أى شىء . . أفرها السفينة المصرية (المنذرة) التابعة لنفس الشركة التى تتبعها سفيتنا : دخلت الميناء بعدنا وأفرغت شحنتها كلها فعلا وأخذت شحنة جديدة كادت أن تنتهى فعلا من شحنتها لتعود إلى مواصلة رحلتها فورا ، ونحن لا حس ولا خبر بالنسبة لنا . . الله يكون فى عون قبطاننا : مشغول ومش فاضى وليس لديه وقت للإتصال بسلطات الميناء لكى ينهى هذه الركنة الى المالحاش لازمة . . خلصنا من ركنة الخطاف فى وسط البحر لكى تطول ركنتنا على الرصيف فى داخل الميناء . .

وحين طالست ركنتنا

على الرصيف دون تفريغ للشحنة ، قلق أصحاب الشحنة على شحنتهم ، وأخذوا عينات منها وفحصوها فى المعمل فاكتشفوا أن الآف الأطنان من الأرز فى عنابر السفينة قد امتلأت بالسوس والحشرات ، وأنه لابد من تبخير الشحنة بمواد كيميائية خاصة وهى فى العنابر قبل تفريغها . . وذلك يستدعى أن نحلى السفينة من أفراد الطاقم غاما قبل إجراء عملية التبخير ، وتظل السفينة مغلقة تماما ولا يسمح لأى إنسان بالصعود إليها لمدة ٢٤ ساعة كاملة مهما كانت الأسباب والاحداث له تسمم ومات نتيجة تسرب مواد التبخير إلى رئتيه . .

والمفروض فى هذه الحالة أن يقيم أفراد طاقم السفينة خلال هذه الـ ٢٤ ساعة فى فندق إقامة كاملة على نفقة أصحاب الشحنة ، الذين عرضوا على القبطان عرضا ظريفا للغاية : فبدلا من إقامة الطاقم فى فندق ، سوف يحضرون سيارة أوتوبيس كبيرة بمواصفات خاصة تتسع للطاقم كله ، يقيم فيها طوال الـ ٢٤ ساعة ، نأكل ونشرب وننام فيها ، وتذهب بنا خلال هذه الفترة فى جولة سياحية فى ألمانيا الشرقية نזור فيها أماكنها الهامة : برلين وجيترين وروستوك ودرسدن وأى مدن أخرى نرغب فى رؤيتها . . وبعد الـ ٢٤ ساعة تعود بنا السيارة إلى سفيتنا مرة أخرى . .

لكن القبطان لم

يوافق على هذا العرض المغرى وإنما وافق على عرض آخر أقل منه بكثير جدا : ١٧ فقط من ضباط ومهندسى السفينة - بينهم مجموعة الصحفيين - يذهبون غدا ليقضوا هذه الـ ٢٤ ساعة فى مدينة « جيترين » القريبة من « فيسار » وينزلون فى فندق (شتات جيترين هوتيل) - مبيت فقط - على نفقة اصحاب الشحنة ، وايضا يعطى لكل منهم مبلغ ٢٠ مارك لكى يتناول به وجباته الثلاث هناك . . بينا باقى طاقم السفينة كله - ماعدا القبطان فقط والـ ٤٠ مارك وهو يتصرف : يأكل ويشرب وينام بهم مطرح مايعجبه ، ولأنه لا يوجد فى ألمانيا الشرقية كلها نظام الهانسيونات ، ولا يوجد فى مدينة « فيسار » فنادق صغيرة ، فإن بحارة سفيتنا غالبا سوف يهبطون (هبوطا إضراريا) على جارتنا السفينة المصرية (المنذرة) ليناموا على الأرض فى صالون الطعام بها !! . وكانت الحجة فى عدم

ذهب طاقمنا بأكمله إلى « جيفرين » أنه لا يوجد في ألمانيا الشرقية - كلها - في الوقت الحالي أماكن في فنادقها تستوعب الـ ٤٨ فردا طاقم السفينة ، لا في أى مدينة قريبة ولا بعيدة !! . . . وأنصوب أن ذلك غير صحيح وأن المقصود به هو التوفير على أصحاب الشحنة لغرض في نفس يعقوب ، والإ كان القبطان قد قبل عرض السيارة الأوتوبيس التي ذكرتها من قبل وكانت سوف تستوعب الطاقم كله . . .

هنا بينما حجز

للقبطان ولـ ٢ الباشمهندسين في فندق « فيسار هوتيل » أرقى فنادق فيسار . . . وكان ممكنا لو أراد القبطان أن يحجز للطاقم كله في نفس الفندق ، لكن القبطان كما سمعت - ولا أستبعده - رفض ذلك حتى لا يصبح البحارة كلهم معه في نفس الفندق وتتساوى الرؤوس . . . لأنه فعلا - كما شاهدت بنفسى - يغضب جدا حين يكون سهرانا في مكان ما عام ويدخل بعض أفراد الطاقم ليسهروا في نفس المكان ، ولو كان يستطيع أن يطلب منهم أو يامرهم أن ينصرفوا لفعل . . . والمفروض في كل النظم والتقاليد والأخلاق البحرية في العالم كله أن القبطان هو آخر من يغادر السفينة حتى وهي تغرق وبعد أن يطمئن على كل أفراد طاقمه ، لكن قبطاننا دور على نفسه أولا وعلى راحته أولا واطمان على نفسه أولا ، ثم ليس هناك « ثانيا » : فليتلق الجميع بعد ذلك مادام « هو ميسوط كده » !! . . .

ولما كان « بهرام » رئيس السفينة أكثر حرصا على راحة سفيرجته ، فقد رفض « بهرام » أن يتطفل سفيرجته على بحارة (المندرة) وأصر على أن ينال هو ورجاله حقهم كاملا ، وهو النزول في فندق . . . ورفض القبطان ، فثارت بينهما مناقشة عنيفة بصوت عال سمعته السفينة كلها . . . وكان كل الناس على السفينة - ونحن أيضا - يؤيدون « بهرام » في وجهة نظره وحرصه على راحة رجاله وعلى أن ينالوا حقهم ، لكن البحارة المصريون مغلوبين على أمرهم في النهاية ، لأن الشركة صاحبة السفينة في ختام الرحلة تصدق تقرير القبطان ولا تستمع إلى أى كلام آخر يصلها عن تصرفاته . . . الرحلة تنتهى فيودع تقرير القبطان في ملف السفينة ويلاش وجع دماغ !!

فى الصباح الباكر

جاء أوتوبيس صغير (ميكروباس) إلى السفينة ليحمل ١٧ من أفراد الطاقم إلى « جيفرين » . . . بعد أقل من ساعة واحدة كنا هناك : « جيفرين » ليست ميناء ولا تطل على البحر ، ومع ذلك فإنها ذكرتني على الفور بمدينة الإسكندرية لكن منذ ٢٥ سنة ، أيام أن كانت الإسكندرية مدينة أغلب سكانها من الأجانب وكانت بتضوى من النظافة والأناقة والنظام . . . « جيفرين » هى أجمل مدينة في ألمانيا الشرقية كلها ، وذلك ليس برأى شخصيا وإنما هو رأى الألمان أنفسهم . . .

وننزل في فندق (شتادت شويتل *Stadt Schwetlin Hotel*) أفخر وأجمل فنادق المدينة . . الغرف غاية في الرقة والظرف والرشاقة . ورق الحائط الجميل يكسو جدران الغرفة كلها . . مساحة الغرفة توازى مساحة غرفة عادية في أى بيت حديث في القاهرة ، لكنها تحوى كل احتياجات الإنسان في شقة كاملة ! ؟ . . السجاد الموكيت الفاخر يفرش الأرض من الجدار الى الجدار . . سريرين متقابلين مفروشين بمراتب ومخدات رخوة هشة لينة مصنوعة من ريش النعام . . منضدة ليست كبيرة وليست صغيرة بين السريرين . . كرسيين واحد منهما فوتيل ، ركن به دولا ب بار صغير وفوقه عدة كؤوس من البللور الرقيق وفتاحة وطقطوقة سجائر وجهاز راديو شيك وتليفون ملون أنيق وأباجورة صغيرة ظريفة . . في الركن أباجورة كبيرة (لمبا دير) وفي الركن الآخر سلة مهملات . . على الجدار لوحة فنية صغيرة ، ونافذة بعرض الغرفة كلها تكشف أمامك عن (بانوراما) للمدينة بأكملها تواجهك في منظر طبيعي أخاذ للأبراج الألمانية القديمة الحمراء العالية التي تشبه قلاع العصور الوسطى وتعلو كل الأسطح المواجهة لك . . تستطيع وقتها تشاء أن تغطي هذه النافذة بطيقتين من الستائر : واحدة خفيفة تجعل المنظر يبدو أمامك وكأنه مغلف بطبقة من ضباب أو شبورة الفجر . . والثانية ثقيلة تخفى المنظر تماما إذا كنت لا تحب أن تنام في الضوء . .

وملحق بهذه الغرفة

طرفة صغيرة لاتزيد عن متر ونصف ، فيها دواليب في داخل الحائط وافية لكل الأغراض والإستعمالات ، وبها مرآة كبيرة بارتفاع الدولا ب . . وفي الطرفة أيضا حمام تكاد من فرط نظافته وأناقته ولعانه وبريقه أن تستكثر على نفسك استعماله !! . .

وأثار ذلك كله إعجاب « سلمى » الشديد حتى انها قفزت وصفقت ببديها فرحا وطربا ، وتساءلت هي في سعادة : « أى شيء أكثر من هذه الشقة الصغيرة المتكاملة تتمناها أى عروس في أى مكان في الدنيا ؟ كل احتياجات أى فرد موجودة هنا ، فإذا يريد أكثر من ذلك ؟ . . أردت أن أختبرها فسألتها : « لو تقدم للزواج منك شاب يربط بينك وبينه قصة حب ، وجاء أبوك ليعاين نيتيه فوجده هذه الغرفة فقط كما هي الآن ، هل تظنين أنه يوافق ؟ » . . أخذت قليلا ، وفكرت قليلا ، ثم نطقت أخبرا كأنها تقول بحكمة بليغة : « أنا أوافق ، لكن بابا . لا أظن !! »

والاقامة فى هذه

الغرف ليست رخيصة بعكس الحال في إيجارات المساكن والشقق في ألمانيا الشرقية كلها . . فإن الغرفة الواحدة إيجارها ٧٠ مارك لشخصين في الليلة الواحدة ، أو ما يقرب ١٩ جنيها مصريا بالسعر الرسمي ، وذلك ليس إيجارا قليلا

إذا عرفت أن المواطن الألماني يدفع نفس هذا المبلغ كإيجار « شهري » لشقة كاملة ٣ غرف وصالة .

لكنني عرفت بعد ذلك أن أسعار الفنادق هذه للسائح والأجانب فقط ، أما بالنسبة للألمان أنفسهم أو للأجانب الذين يعملون في ألمانيا ومضت على إقامتهم بألمانيا أكثر من ستة شهور ، فإنهم يدفعون نصف هذه الأسعار فقط ، يعني بتخفيض ٥٠ ٪ .

ذهبت مع « خيري »

أريه غرفته .. « خيري » مبهور جدا بكل ما حوله .. الغرفة الأنيقة الشيك جدا قصر صغير بالنسبة إليه .. دخل « خيري » الحمام فاتسعت عيناه وزادت دقات قلبه من فرط انفعاله .. ينظر حوله في الحمام فتلتقط عيناه سماعه تليفون متصلة بماسورة مياه فلا يفهم شيئا .. يمسك الساعة ويضعها على أذنه مندهشا فلا يسمع شيئا .. فيتساءل في استغراب متلاحق : « طيب والتليفون ده مخطوط في الحمام ليه ؟ والواحد ممكن يكلم به مين ؟ واشمعنى بكلمة من الحمام بالذات يعني ؟ !! » .. وحين مددت يدي إلى صنبور الدش وفتحته فانطلق الماء بقوة من الدش الذي على شكل سماعه تليفون ، نظر « خيري » إليه مذعورا مبهورا مخضوضا وعلى وجهه وفي عينيه وعلى طرف لسانه ألف سؤال وسؤال ، لكنني تركته واقفا أمام هذه العجيبة التكنولوجية وعدت إلى غرفتي .. وحين التقينا في هيو الفندق بعد ساعة سألته بجد : « أخبار التليفون اللي في الحمام ليه ؟ ! » فأجابني محتدا مستنكرا : « ده التليفون ده بايظ .. مافيهوش حرارة ، كمان بتطلع منه مية » !!! ..

ونخرج لنتجول فى

المدينة .. « جيفرين » مدينة جميلة فعلا وذات طابع خاص مختلف عن « فيسار » تماما .. مازال الترام يسير في شوارعها والتهايل الكبيرة العظيمة منتشرة في ميادينها .. وملبئة بالمتاحف والقصور القديمة والـسور القديمة الطراز التي تعبر فوق بحيرتها الواسعة التي تتوسط المدينة تقريبا .. وعلى حافة البحيرة قصر تاريخي مهول يشبه القلاع التي نراها في الأفلام التاريخية القديمة بأبراجه الحمراء الداكنة المتعددة الكثيرة ، توصل إليه قنطرة صغيرة .. وتحيط بالقصر حديقة

كبيرة جدا من كل جانب وتطل على البحيرة الرائعة .. الحديقة نفسها ذات عدة مستويات ومدرجات وفيها مكان مبنى كله بالرخام أشبه بالمسارح الرومانية أو الإغريقية القديمة لتعزف فيه فرقة موسيقية كاملة ، وأمامه مساحة كبيرة تتسع لعشرات من المشاهدين أو المستمعين ..

كل هذه القلعة العظيمة أو القصر العظيم كان قبل الحرب العالمية الثانية ملكا لبارون ألماني عظيم الثراء كان يعيش فيه وحده .. وطبعا بعد الحرب وبعد أن وضعت روسيا يدها على هذا الجزء من ألمانيا وأسسته (ألمانيا الديمقراطية) لم يعد أحد يمتلك شيئا وضاع هذا البارون وتبدد ، وتحول القصر العظيم إلى مدرسة لتدريب وتخرج ال : دادات !! .. أى والله العظيم : مدرسة لتخريج الفتيات اللاتي يرعن الأطفال في الحضانة أو قبل سن المدرسة .. وطبعا لا أظنك تتصور أن هناك الآن في ألمانيا الشرقية - أو في أوروبا الشرقية عموما - تلك الأسرة التي يمكنها أن تستخدم (دادة) لترعى أطفالها .. لكن هؤلاء الدادات يعملن في الحضانات أو الدور التي ترضى الأطفال تحت سن السادسة ..

وفى شوارع المدينة

استوقف شكل العربات الصغيرة المصنوعة من السلك داخل ال (سوبر ماركت) نظر « خيرى » وظنها عربات أطفال في البداية !! .. ثم جازف وسأل ، فأخذته إلى داخل ال (سوبر ماركت) لأريه كيف يدور العمل به وكيف يخدم المشترون أنفسهم دون وجود بائعات اللهم الا بائعة واحدة أو اثنتين ، وهما ليستا بائعتين بالمعنى المفهوم وإنما هما أقرب إلى المرشدتين أو الدليلتين ، لكى تدلان من يسأل عن صنف يريد إياه إذا كان فى زحمة المعروضات لم يستطع العثور عليه وحده .. لكنه يوجد عدد كبير من الفتيات المحصلات التي تجلس كل واحدة منهن خلف خزانة تحسب المشتريات وتتقاضى منك الفلوس بسرعة جدا ، وتترك لك مشترواتك لتتولى أنت رصها فى حقيقتك إذا كانت معك حقيفة ، أو تتولى - أنت برضه - لفها وتغليفها بنفسك بأوراق لف موجودة أمامك فى أحد أركان ال (سوبر ماركت) .. لكن أحد لن يلف لك شيئا .. إخدم نفسك .. نفسك ..

واتهبل « خيرى » تماما من كل شيء وانخفض من كل شيء .. كل ما رآه هنا انبهر له ووجف له قلبه ، الجو والمناظر والشوارع والمحلات والمعروضات والنظام والنساء والبنات .. آه .. لكن النساء والبنات هذه قصة أخرى

فى «جيفيرين» ضاع

«خيرى» منا .. سقط سهوا .. خرج ولم يعد .. تاه يا ولداه
وراح منا فجأة وكأنه أغمى عليه أو أغشى عليه

والحكاية من البداية : ونحن فى الإسكندرية قبل بدء الرحلة بعدة أيام سألت
«خيرى» مداعبا : ألا يخشى على نفسه من الجمال الإفرنجى والحسنات
الأوروبيات والحرية الزائدة عند الحسنات الأجنبية اللاتي سوف نصادفهن خلال
رحلتنا ؟ ! .. ألا يخشى على نفسه - وهى تجربته الأولى فى أوروبا - أن يقع فى حب
شعراء ترطن بالنسنان الأوروبوى ؟ ! .. فرفع «خيرى» حاجب الاستنكار الأيسر
وقال فى كبرياء محارب من اسبرطة : «ولا كل بنات أوروبا يخلونى أفكر فى غير
مراقى .. المسألة مسألة مبدأ» ..

«وبدأت الرحلة ، لكنه كان واضحا أن «خيرى» يعانى كثيرا مسكين ،
واستهلك حجارة نظارته الطبية وياظت سوستة رقبته ونعمت من كثرة اللف
والإلتفات يمينا ويسارا وإلى الأمام وإلى الخلف وراء الحسنات الشقراوات زرقاوات
العيون اللاتي يحطن بنا من كل جانب .. وكنت أكتشف أحيانا ونحن نسير فى
شوارع أوروبا أن «خيرى» يسير بظهوره بعد أن لوحته شعراء شحيحة الملايس
ونسى أن يتعدل .. كل ذلك وهو يكابر كلما قلت له : «وبعدين يا خيرى ؟ ..
حاتتعب كده» فيعود إلى تأكيد كلامه السابق لكن بصوت أخفت وبحاس أقل
ويفتور أكثر .. حتى جاء عليه الوقت الذى كان يرفض فيه أن يخرج معنا إذا عرف
أننا ذاهبون إلى موطن من مواطن التهلكة : البلاج مثلا أو كازينو أو للسهرة والعشاء
فى مكان عام .. ثم وصل الى المرحلة التى صار فيها لا ينطق خالص : نسأله :
«وبعدين يا خيرى ؟ حاتتعب كده» فلا يصد ولا يرد ولا يجيب على الإطلاق ولا
يبدو عليه أنه - حتى - سمعنى أصلا ، وكأن بطارياته قد خلصت ، وبات طول
الليل يشكو من رقبته .. حتى وقعت الواقعة أخيرا اليوم ونحن «چيفيرين» ، وانهار
تماما كما ينهار المبنى المجمع فى ميدان التحرير دون سابق إنذار .. فجأة : طب
«خيرى» ساكتا ..



دخلنا مطعم فندق

« شتادت چيقرين هوتيل » لتناول الغداء .. وجاءت الجرسونة تسألنا ماذا نطلب : ١٨ سنة على الأكثر .. قدم مشوق وقوام ملفوف ملء بالصحة والقوة والشباب والحيوية .. شعر ذهبي قصير متوائم تماما مع وجهها الصبوح كأنها ولدت بشعرها هكذا ، عمره لا طال ولا قصر عن هكذا .. عيناها واسعتان زرقاوان صافيتان كبحر لا قرار له ، وشفتين خلقتا لينظرا إليهما الرسام ويرسم والمثال وينحت والشاعر ويكتب .. خلقتا للإلهام فقط .. البنت حلوة كأحلى ما تكون الحلوة .. والهديل الذي ينثال من بين شفتيها في ألمانية رقيقة ناعمة ما سمعت مثله في حياتي كأغنية حاملة بلا لحن أو كلام ، يسرى في الأذن كحلम تخدري هفهاف .. حقيقي فعلا : البنت كانت تحفة من درجة (سبحان الخلاق) وطالع ، حتى بالنسبة لي أنا الذي رأيت أوروبا عشرات المرات

« خيري » كان معذورا إذن حين التفتت إليه - بعد أن شبت أنا من المشاهدة والتأمل - فوجدت عينيه تسمرتا من تحت نظارته الطبية البيضاء على وجه الفتاة وقد احتقنت عيناه واحمرت أذناه وازرد وجهه واحتسبت أنفاسه وراح يتنفس بصعوبة والولاعة في يده مشتعلة قد توقفت في منتصف المسافة إلى السيجارة في يده الأخرى معلقة في الهواء وهو جامد تماما كأنه صورة فوتوغرافية التقطت هكذا !! .. عدلت عن أن أسأل « خيري » ماذا يطلب للغداء ، وطلبت أنا له معنا وابتعدت الفتاة ، ووجدت الصورة الثابتة الجامدة - « خيري » سيهم بالقيام من مكانه وراءها كالسحور الذي يسير دون أن يشعر ، فوضعت يدي على ساعده لأمنعه من القيام وأنا أقول له : « خيري » .. وبعدين ؟ ! .. مش كده .. ورد على بصوت خافت مكتوم كأنه يتكلم من تحت باطه : « لا .. خلاص لغاية كده » .. « خلاص إيه يا خيري ؟ » .. « مش قادر .. مش قادر إيه ؟ ! » .. « مش قادر أستحمل أكثر من كده .. مقاومتي انتهت .. كل انسان يبلاقي قدره ونصيبه والمكتوب له » .. « مش فاهم ياخيري .. يعنى عايز إيه إنت دلوقتي ؟ ! » .. وأتالى الرد الحاسم بكل الثقة والإصرار والتأكيد والعزيمة : « عايز أتجوز البنت دى » !!!!!! .. « خيري .. تتجوز إيه ؟ إنت اتجننت ؟ ! ومراتك وأولاك في مصر ؟ » .. « ما أنا مش حاسبيهم ، لكن الشرع حلل أربعة .. حللهم للظروف اللى زى دى » !! .. « يا خيري » يهديك يا « خيري » يرضيك ، مفيش فايدة .. « طيب الحل إيه الآن يا خيري ؟ » ! .. « تكلمها لي إنت .. إنت بتعرف لغات ، كلمها » .. « طيب

أديك قلتها إنت بنفسك حاتتجوزها ازاي وانت مش بتعرف لغتها ؟ حاتكلمها ازاي ؟ ! .. فرد بحدته : « مش حاتكلمها يا أخى .. هو انا حاتكلمها ؟ ! ! .. ثم استدرك قائلا : « قصدى يعنى أبقي أتعلم المانى أو إنجليزى » .. « طيب تتعلم الأول والا تتجوز الأول ؟ ! » .. « لا يا سيدى ، أتجوز الأول وأبقى أتعلم على مهلى » .. « طلباتك الآن أيه بالتحديد يا خيرى » .. « نكلمها لى أنت وتقول لها إنى عايز أتجوزها ، والآن فوراً ، وما حدش يهزر فى المسألة دى ، وكمان ما حدش يهزر معاها ، وراعوا من الآن أنها تخصنى واحترامها من احترامى » ! ! .. وعيناه تتباغان الفتاة وهى تروح وتحبى بين الموائد بنشاط ، وقد شعرت هى بنظراته تكوى جسدها فراحت تحتلس النظر إليه بين الحين والحين وتبتسم ابتسامتها الخلابه - وآه ، فعلاً ، من ابتسامتها الخلابه - كلما رأت منظره هكذا .. حتى جاءت أخيراً تحمل طلباتنا و « خيرى » يستقبلها بنظراته وهى قادمة من بعيد : « آهى جايه أهه ، قول لها بأه ، ومن غير هزار .. وأرجو إنك تحتر مشاعرى .. الليلة ضرورى يا حسين .. لازم الليلة .. مش حاقدر أستنى لىكره .. آهى جت أهه ، قول بأه ، قول .. وخشيت أن يتهور « خيرى » وما على الرسول إلا البلاغ ، وأهو راجل عاقل وبالغ ورشيد وكامل الأهلية وليس قاصراً ، وعضو فى اتحاد الكتاب ..

قلت للفتاة بأمانة شديدة ، كل ما طلبه منى « خيرى » ، و « خيرى » قد عاد إلى حالة التجمد مرة وتحول كله إلى عينين متحجرتين متعلقتين بشفتيهما الناضجتين الناعميتين الشهيتين كأنه ينتظر من بينها حكماً بالإعدام ، أو بالجنة .. لكنها ابتسمت ابتسامتها الخلابه التى تشق قلب الصخر ، ولم تحب ، وراحت لتحضر باقى الطلبات ، وغابت طويلاً ، حتى سألنى « خيرى » فى قلق : « يمكن تكون راحت تقول لأهمها ؟ ! » .. « أهلها إيه يا خيرى ؟ هو انت فاكرو ان أهلها واقفين على باب الهوتيل ؟ .. قطعاً إتأخرت علشان .. » وقبل أن أنهى جملى كانت تقف على رأس مائدتنا جرسونة أخرى تحمل باقى طلباتنا ! ! .. حلوة مثلها وشهية مثلها وهائلة الجمال مثلها .. سألتها لأهدى من روع « خيرى » « وأين زميلتك ؟ » فقالت ببساطة : « انتهت وارديتها وانصرفت .. سألنى « خيرى » : « بتقول لها إيه وبتقول لك إيه » فترجعت له ما قالته ، فقال بقلق : « يمكن راحت تقول لأهلها فى البيت ؟ » .. سألت الجرسونة الأخرى : « ألم تقل لك شيئاً قبل انصرافها ؟ » قال مندهشة : « شئ مثل ماذا ؟ » قلت : « أى شئ » قالت وهى تهز كتفها باستغراب : « كل ما قالته لى أنها ذاهبة للقاء أودلف » .. « ومن هو أودلف ؟ » قالت « حبيبها » .. نقلت لـ « خيرى » - بأمانة شديدة - كل ما قالته الفتاة بالحرف

الواحد ، وهى واقفة ترقبنا بدهشة . . ففوجئت بـ « خيرى » يقول لى وقد تجمدت
عيناه على وجه الجرسونة الثانية : « طيب قول لدى » . . « أقول لها إيه دى كمان يا
خيرى . . » . . « أقول لها إنى عايز أتجوزها ، والآن فوراً ، الليلة ، الليلة ضرورى
ياحسين إلخ إلخ !! » . .

الفصل الثالث عشر

الحب
ينتظر
على
الرصيف !

هـ ترتيب نزول

مجموعة الضباط والمهندسين في فندق (شتادت چيفرين هوتيل) ، ولأن
 الغرف كلها مزدوجة بسريرين ، كان من نصيب « خيري » أن يكون رفيقه في
 غرفته « محمد أفندي عبد الباسط » ضابط اللاسلكني . . محمد أفندي عبد الباسط « شاب أصلع
 عمره في الكشف الرسمية ٢٨ سنة لكنه قطعاً من سواقط القيد لأن شكله بصلعته الفسيحة
 اللامعة ونظره الملعشش ونظارته السمكية يجعله أكبر من عمر بعشر سنوات على الأقل . . ومع
 ذلك فهو يجب أن يبدو دائماً في صورة « الواد الفتك الى مقطع السمكة وديها » . . وقد حدث في
 بداية وصولنا إلى ميناء « فيسار » أن دعانا بعض ضباط ومهندسي السفينة لنذهب معهم الى بلاج
 (وندروف) . . وعندما وصلنا الى البلاج اكتشفنا أننا لسنا وحدنا المدعوين ، وإنما هناك مدعوئين
 آخرين : « محمد أفندي عبد الباسط » و « ابراهيم أفندي » مهندس الكهرباء جاء بحيزيونتين
 ألمانيتين . . لف « عبد الباسط » و « ابراهيم » المدينة كلها وفتشاهما حثة حثة حتى عثرا على أكبر
 قرشانتين عمرا وشكلا ، ودعيهما للذهاب معهما للبلاج ، من باب (من فعل خيرا يوم
 الأحد) . . وحين رأينا هاتين القرشانتين توقعنا أن « عبد الباسط » و « ابراهيم » سوف يقدماهما
 إلينا على أنهما عماتهما أو خالاتهما أو طنططاهما الكبيرتين . . وكان كلاهما - « عبد
 الباسط » و « ابراهيم » - يبدوان سعيدان جدا وتبهين وفخورين بصديقتيهما الى أقصى حد ،
 وللناس فيما يعيشون مذهب ، فلعل « عبد الباسط » و « ابراهيم » يقومان بدور (فاعل خير) أو
 مندوبا (جمعية الرفق بالقرشانات) وأخذتنا المراتان يومها إلى البلاج . . إلى أقصى مكان
 في البلاج حتى لا نرى نساء غيرهما ونكتشف الفارق . . . لكن المسألة لم تكن في حاجة أبدا إلى
 إكتشاف . . فإني أتصور أن العيب الوحيد الذي يمكن أن يؤخذ على مدينة جميلة مثل « فيسار » هو
 وجود هاتين الحيزيونتين القرشانتين بين نسائهما . . ويخيل إلى أن هاتين التهمتين كانتا موجودتين
 قطعاً أيام أن بنيت مدينة « فيسار » منذ ٧٤٧ سنة . . ولعلهما - غالباً - قد شاركتا في عملية
 البناء !!!!!!!



المهم فى فندق

(شندات چيفرين هوتيل) ونحن تغادر غرفنا فى المساء للنزول للعشاء فوجئنا بـ « محمد أفندى عبد الباسط » قادم ومعه واحدة من قرشاناته يدخل بها غرفته المشتركة مع « خيرى » .. واستشاط « خيرى » غضبا وغيظا : « إيه يا محمد أفندى الحكاية ؟! » .. « ولا حاجة ، واحدة صاحبتى وحانقعد مع بعض شوية !! » .. « مانقعد معاها تحت فى صالون الفندق .. هو أنت فى الأوضة لوحذك ؟ » .. « وفيها إيه يعنى لما تقعد معاها هنا ؟ » « فيها إيه إزاي ؟ .. أنا ماسمحتى » .. وقال « عبد الباسط » : « طيب خلاص .. حانقعد شوية لغاية مالحلق ذقتى وأغبر هدموى ، وبعدين ننزل !! » .. ولم يشأ « الحسنى » الضابط الثانى المسئول عن المجموعة أن يثير أزمة تمكن أن تحدث ضجة تصل إلى إدارة الفندق فتسبب إلى سمعتنا كمصريين ، فكان كل ما استطاع أن يقنع به « محمد أفندى عبد الباسط » هو أنه أخذ منه وعداً بأنه هو وصديقه : مش حايقعدوا مع بعض شوية وينزلوا !!

وفعلا .. بعد نحو ساعة نزل « محمد أفندى عبد الباسط » بعد أن غير ملابسه وليس : ملابسها هى !! ... أى والله العظيم : نزل إلينا فى مطعم الفندق حيث كنا نتناول العشاء ، ليرينا أنه يرتدى جاكيت التاير بتاع صديقه ويسير به ببساطة جدا فى الفندق وينزل به من الدور الرابع حتى يجىء إلينا ، فقط لكى يرينا نفسه وهو يلبسه ، ويرينا أيضا محفظتها فى جيب الجاكيت !!

و .. اصحاب العقول فى « نعيم » !! ...

مستر « بولز » « Bolz »

أحد المسئولين عن نادى البحارة فى « فيسار » أطلق علـ صديقنا « محمد أفندى عبد الباسط » لقب « مستر كازانوف » ، لأن « عبد الباسط » رجل مثابر جدا ودعوب جدا ومؤمن جدا بمبدأ التخصص : له مكان معين فى صالة النادى كل ليلة لا يتغير أبدا .. الذى يتغير فقط هى الحسنة رفيقة « عبد الباسط » .. فقد تخصص فى الحساوات (الوافدات) إلى « فيسار » من المدن الألمانية الأخرى القريبة أو البعيدة فى زيارات سريعة لاتزيد عن أسبوع ، لأنها تكون فى نهاية الأمر مسافرة عائدة إلى مدينتها سواء « روستوك » أو « چيفرين » أو « ليبزج » أو حتى « برلين » ، فتسافر وتترك مكانها شاغرا لوافدة أخرى يمثل معها « عبد الباسط » - فى الليلة التالية مباشرة - نفس الدور ونفس الوله والهيمان ، ونفس القبلات الطويلة جدا الحاملة جدا التى يرفع « عبد الباسط » رأسه منها وعينيه نصف مغمضتين كأنه مستيقظ تنوء من حلم بعيد أو كأنه يمثل فيلم مصرى من اخراج كمال صلاح الدين !! ...

وذلك التخصص في « الوافدات » ذكاء ظريف من « محمد أفندي عبد الباسط » . فلو أنه ارتبط بوحدة من حسناوات « فيسار » فسوف تلزق له و « تؤمه » لحسابها ولن يستطيع أن يرتبط بغيرها طيلة فترة وجوده في « فيسار » ، فتقيده بـ « صنف » واحد طول الوقت وهو رجل يحب التغيير والتنوع : تفاحة آه ، موزة ، آه كمثرية آه ، خياره برضه مايفرش .. لكن المهم التغيير وخلص

ذهبنا نسه الليلة

في نادي البحارة حيث تقام حفلات راقصة ٣ مرات في الأسبوع .. وصلنا متأخرين فلم نجد ولا مائدة واحدة خالية .. عدد كبير من بحارة سفيتنا كانوا قد سبقونا إلى قاعة الرقص واحتلوا أغلب الموائد ... تسابقوا إلى دعوتنا لمشاركتهم مواثدهم ... من باب الإحترام جلسنا إلى مائدة الناس الأكبر سنا : كبير الطبائخين عم « سيد ناصف » والحاج « محمد الظلمخاوي » المساح - وهي وظيفة في منبر ماكينات السفينة - والريس « حنفي شاهين » الميكانيكي و « حسين رفاعي » البحار .. كانوا يشربون المنكر قبل وصولنا : لكنهم احتراماً لوجودنا وأنا و « سلمى » لا نشرب المنكر فقد كفوا عنه وشربوا معنا كوكاكولا وعصير يرتقال

الضابط الثاني « الحسيني » - ابن الحاج شعبان - قام ليرقص مع حسناء ألمانية متركبة على محرك نفث : ترقص بعنف شديد وطامجة بين وشيال تاركة حولها « أرضا اقليمية » في دائرة نصف قطرها ثلاثة أمتار على الأقل رغم ضيق المكان وزحمة الراقصين .. ولم يجد « الحسيني » بداً وهو يرقص بعيدا عنها جدا هكذا ، من أن يرقص وحده .. وجاءت لحظات فقد فيها الـ « رتم » فقلبيها بلدى ، حاجة كده زى سهير زكى .. وأحيانا كان ينتهز الفرصة ليقوم بشوية تمرينات لإزالة الكرش ، وآهو كله رقص وكله ماشى ، وهو حد وأخذ باله

وكانت « سلمى » قد

أطلقت على « الحسيني » تشنيعة حين عرفنا انه - بحكم كونه ضابط ثان السفينة - مسئول عمن يمرض من أفراد الطاقم وعلاجهم أو الذهاب بهم إلى مستشفى المدينة إذا احتاج الأمر ، وكثيرا ما كان يحتاج .. لذا فإنه تبعنا لذلك كان كل يوم يذهب إلى المستشفى مرة أو مرتين مع المرضى من بحارة السفينة ... ولما ذهبنا أنا و « سلمى » مرة إلى المستشفى لزيارة البحار « سعيد » الذى أجرى عملية هناك ، ورأينا الممرضات الألمانيات الحسناوات الشقراوات اللاتي يرتدين مرايل التمريض الميكروبيج التي ترفع درجة حرارة المرضى أكثر ، أدركت « سلمى » سر انبساط « الحسيني » من الذهاب الى المستشفى كل يوم ؛ فأطلقت عليه تشنيعة أنه يعطى للبحارة دواء غلط لكى يمرضوا أكثر ويروحوا المستشفى ويروح هو معاهم

علشان يشوف الممرضات الحسنات المشلحات !!... أيضا حين رآته رايح جاي في شوارع المدينة وفي ذراعه حسناء ألمانية شقراء ، فقالت له : « عيب يا حسيبي الى بتعمله ده ... إنت مش بتقول إنك متجوز ١٩ ؟ » فرد عليها وبراعة الضباط الثوان في عينيه : « أبدا والله ، إنتي سيئة الظن ليه ؟ كل المسألة إن البنت دى في حجم ليلى مراق بالضغط ، فبأخذها معايا كل يوم كمجرد مقاس ، علشان يمكن أفكر أشتري حاجة لمراق فاشتريها على مقاس البنت دى »!!!!!!.....

مالكيش حق يا « سلمى » .. ظلمنى الراجل ، وإن بعض الظن إثم يا شيخه !!...

« سوزان ..
أو سوزان ..
ألمانية »

حسنا عمرها ٢١ سنة .. طالبة جامعية تدرس الطاقة وتصميم الآلات في كلية الهندسة وقادمة من مدينة تبعد عن « فيسار » بـ ٥٠٠ كيلو مترا لكي تعمل هنا خلال شهري الصيف كجرسونة في فندق « شنادت هامبورج هوتيل » بأجر قدره ٥٠٠ مارك في الشهر ، يعنى نحو ١٣٥ جنيه مصرياً + الأكل والشرب والإقامة مجاناً .. « سوزان » التي سوف تكون مهندسة يوما ما قريبا جدا ، تسلم شفتيها وجسدها الشاب مباحا لبحارة وسفروجية وميكانيكيين يمكن أن يصبحوا مرؤوسى مرؤوسيا بعد سنة واحدة فقط بمجرد أن تتخرج .. البحارة المضربون لايتعبون كثيرا هنا .. فهم يجدون الحب ينتظرونهم على الرصيف بمجرد أن ترسو سفينتهم على الموانئ .. خصوصا موانئ أوروبا الشرقية ، أو أوروبا الشيوعية ..

المهندس
« صبرى
سالوسة »

كبير المهندسين الإضافى على سفينتنا ، يحتفل اليوم بعيد ميلاده الرابع والثلاثين .. وجه الدعوة لعدد محدود جدا من أهل السفينة ، ستة فقط

للعشاء في مطعم « كوربيانكا » أشهر مكان عام في « فيسار » .. الستة كانوا : « سلمى » وأنا و « خيرى » والمهندسين « عبده صالح عبده » و « أحمد الأعرج » والقبطان .. لكن الستة أصبحوا سبعة لأن القبطان اصطحب معه صديقه الألمانية « سوزان » التي يطلق عليها هو إسم « عزيزة » وأصبحت مشهورة به حتى بين صديقاتها وأصدقائها الألمان .. وهى - بالمناسبة - غير « سوزان » طالبة الهندسة التي تكلمت عنها في الفقرة السابقة ، وإن كانت في مثل عمرها تقريبا .. وفى نهاية السهرة دعى المهندس « عبده صالح عبده » قرشانتين ألمانيتين كان يبدو والله أعلم أنها كان نفسيهما يطلعا رجالة لكن ماجابوش مجموع !!... كانتا - على رأى « خيرى » والمهندس « سالوسة » - (ذكورة) بمعنى (ذكور) .. وكن واضحا أنها من بنات البارات والكباريات وعلب الليل والفتح ، لأن الجرسون الألمان حيالها ورحب بها بحرارة ، ولما طلبتا ويسكى ذهب فأحضر لهما صودا فقط ، والحساب آخر الليل يجمع !!...!!..

عزيزة الأسانينة صديقة

القطان ، تبدو هادئة ورقيقة ومهذبة وحسنة التصرف جدا .. لاحظت طوال الفترة وجودنا في « كوربيانكا » أنها تطيل النظر إلى ، ثم مالت على القطان وهمست في أذنه شيئا فقال لي القطان بصوت مرتفع باللغة العربية : « عزيزة بتشبع عليك ياسيدى ... » وسألتني بالإنجليزية : « هل لك شقيق يشبهك تماما ؟ » قلتي : « لا » قالت : « هل جئت أنت إلى فيسبار من قبل ؟ » قلت : « نعم .. » سنة ١٩٣٨ وكان عمري وقتها ٤ سنوات !! فضحكت وهي تقول : « لم أكن أنا ولدت بعد » قلت : « محتمل أن تكوني قد رأيتني في السينما ، فأنا ممثل عالمي مشهور » قالت في دهشة واستغراب : « ظهرت في أى أفلام ؟ فأنا مشاهدة جيدة ومتابعة لأفلام السينما ؟ » قلت لها : « في كل الأفلام التي أخرجها والت ديزنى ، أفلام ميكى ماوس !! » ..

ويتضح في النهاية أنها كانت منذ عام قد تعرفت إلى قطان لبنانى يشبهنى تماما ، ويبدو أنها قضت معه وقتا طويلا فأرادت أن تجد الذكرى ، لكن منها لله « سلمى » التي تعتقد أنها « ولى أمرى » وجابة هذه الرحلة عشان تاخذ بالها منى ، لذا فهى لا تقارفى قط ولا تغفل عيناها عنى لحظة واحدة ، وتتدخل دائما كمقص الرقيب لقطع أحل المشاهد .. ومنه لله الى كان السبب !! ..

ومن مبادنى أنتى

لا أحب قعدات الشراب ولا السكر ولا السكرارى ، لأننى أخشى أن يفقدوا توازنهم تحت تأثير الشراب ويصبحوا لا يعون ما يفعلون ، فيصيب كرامتى واحترامى لنفسى رذاذاً من تصرفاتهم وأنا رجل عصبي بطبعى ورد الفعل عندى سريع وعنيف غالبا ، لذا فأنا أبعد عن مجالس الشراب من باب (إبعاد عن الشر وغنى له) ..

ولم أكن أعرف حين دعيت للاحتفال بعيد ميلاد المهندس « سالوسة » أنهم سوف يشربون ، لذا فإني قد وجدت نفسى متورطا في القعدة بعد أن فوجئت بزجاجات المنكر تانى إلى المائدة ، ولو كنت أعرف ذلك لما قبلت الدعوة منذ البداية ولما عرضت نفسى .. و« سلمى » معى .. لما حدث حين أفرط المهندس « عبده صالح عبده » في الشراب وبدأ يتصرف بالطريقة التي أختشاه من قعدة السكرارى .. ووضعت أعصابى في ثلاثة ٤٥ قدم وتمالكت نفسى بالعافية حتى لا أسوء التصرف أنا الآخر وألحظ الدنيا وأكهرب الجو .. لكننى حين وجدت زمامى يكاد أن يفلت من يدي لم أجد بدا من القيام والإنصراف فورا قبل أن تسوء الأمور أكثر من ذلك ونحن في مكان عام وفي أوروبا ، وجيعنا - للأسف - مصريون !!



حين يغيب البحارة

فترة طويلة في البحر عن بيوتهم ، يفتقدون زوجاتهم وأولادهم وبناتهم ،
ويصبحون رقيقين وهشين وتتحرك مشاعرهم بعنف حين يجدون أمامهم
واحدة تشبه زوجتهم أو فتاة في سن بناتهم ..

« برهام » رئيس سفريجية السفينة كان عائدا من المدينة في الساعة الثانية بعد منتصف الليل
ومعه « السيد كامل » الطالب البحرى الهندسى ، فشاهد القبطان يجلس على دكة محطة الأوتوبيس
القرية من مدخل الميناء بين فتاتين في سن ابنته وهو يحيطها بذراعيه . . لكنك إذا رأيت مثل هذا
المنظر من رجل بحر مصرى في أوروبا فليس في ذلك ما يشين : الرجل أو حشته ابنته وعاطفة الأبوة
عنده تحركت حين وجد هاتين الفتاتين المسكيتين وحيدتين غلبانيتين ، فأراد أن يسبغ عليها من
عطفه « الأبوى » ، واختار هذا الوقت المتأخر من الليل بالذات للـ « إسباغ » حتى لا يراه أحد من
أهل السفينة فيسئ الظن به لا سمح الله ، لأنه يعلم أن المصريين بطبيعتهم شكاكين ومغامين
وأفكارهم وحشة ، في حين أن المسألة كلها ليست أكثر من « مشاعر أبوية » !!

وقد كانت هذه

المسألة بالذات : مسألة تصرفات البحارة المصريين بعيدا عن الوطن وبعيدا
عن بيوتهم وزوجاتهم ، موضوع مناقشة ظريفة جدا حدثت اليوم على مائدة
الغداء : « ماذا لو أن زوجة البحار المصرى - ضابطا أو مهندسا أو بحارا - فعلت في مصر في غيبته
نفس ما يفعله هو هنا بعيدا وفي غيبته من شقاوات وهلس وعلاقات وجنس مع أى واحد تلتقى به
في طريقها بالصدفة ؟ ! تماما كما يفعل زوجها البحار هنا مع أى واحدة المانية أو أوروبية تسوقها
الصدفة إليه ؟ ! .. هل من حق الزوج البحار المصرى في هذه الحالة أن يحاسب زوجته لأنها
فعلت نفس ما يفعله هو تماما ؟ !

وشاط « محمد أفندى عبد الباسط » ضابط اللاسلكى ، وشاط « الحسيق » الضابط الثانى ،
وشاط « سليمان » السفريجى لمجرد الفكرة ، لمجرد التصور ، لمجرد أن ذلك ممكن أن يحدث فعلا -
ولعل بعضهم قد تصور أن ذلك ممكن أن يكون يحدث الآن حقيقة (١١) - وكل منهم متزوج وله
زوجة شابة تنتظره في الإسكندرية أو في القاهرة . . واعترف كل منهم بأنه : غلطان آه ، لكن -
بإصرار شديد - ليس من حق الزوجة المصرية أن تفعل مثلما يفعل زوجها ، لأنه هو « راجل » لكن
هى « ست » !!!!!

الوحيدان اللذان كانت أعصابها هادئة ومطمئنان واثقان هما « منير الشحات » الضابط
الثالث ، و « عابد شكرى » الطالب البحرى . . يمكن لأنها لم يتزوجا بعد . .

بعد هذه المناقشة بنصف ساعة فقط كان « محمد أفندي عبد الباسط » يرتدى ملابس اللبس ويسرع الخطى في اتجاه نادى البحارة الـ « سيمن كلوب » ليلحق بمجموعه مع حسناؤه الألمانية القادمة من (ليزج) لتقضى أجازتها هنا !! ..

قراءة الروايات البوليسية

وكثرة مشاهدة المسلسلات الأجنبية في التلفزيون علمتني أشياء كثيرة يمكن أن تندرج تحت بند (أثر التلفزيون في نشر الثقافة البوليسية في الدول النامية) .
حاجة زى كده ... لذا فحين كنت أعد حقيقتي للسفر مع الـ ١٧ المختارين من أفراد الطاقم إلى « جيفرين » يوم تبخير السفينة ، لمعت في ذهني فكرة بوليسية ، نفذتها على الفور ..

وحين رجعنا من « جيفرين » ظهر اليوم وفتحت باب قمرى في السفينة عرفت على الفور أن القمرة قد فتحت في غيابى وفتشت تفتيشا دقيقا ثم أعيد كل شيء إلى مكانه بالضبط داخل الحقائق والشنط !! ... ورغم وجود أشياء ثمينة ومغرية للسرقة لو أن الذى فتح القمرة كان أحد البحارة أو لص عادى ، لكن القمرة لم يسرق منها شيء لأن الشيء الذى كانوا يبحثون عنه كان معى في « جيفرين » ، بعد أن تنبهت في آخر لحظة قبل السفر الى أن ذلك ممكن أن يحدث فأخذته معى في حقيقتي : دفاتر المذكرات التى أكتبها عن هذه الرحلة ، والأفلام التى صورتها « سلمى » خلال الرحلة في مطاعم وملاهى وبارات المدينة !!!!

ولم تكن المسألة عاجزة إلى كبير ذكاء لأعرف أن الذى فتش قمرى وأحد من الذين بقوا هنا ولم يذهبوا معنا إلى « جيفرين » .. وأيضا أن يكون له مصلحة في أن يسحب من تحت يدي المادة الصحفية التى سجلتها عن هذه الرحلة ، والصور التى سأنشرها معها !!!!

سفر جى باشا قبطان

السفر جى : بعد كل الثورة المائلة التى كانت ضده وعملية استكتاب شكواى ضده من الناس الذين ضايقهم على السفينة وقل أدبه عليهم ، وقرار القبطان وقفه عن العمل وترحيله على السفينة « المنيرة » ليعود إلى الإسكندرية للتحقيق معه هناك .. فوجئت اليوم به يمارس عمله عادى جدا كأن شيئا لم يكن وكأن كل هذه الثورة العنيفة ضده كانت من باب المزمار فقط لاغير !! .. سألت عما حدث فقيل لى أن القبطان قد اكتفى بتوقيع ٦ أيام جزاء عليه في مقابل أنه أهان كبير الضباط وقال عنه : (على وزه) ، وفتح صوته وزعق للقبطان شخصيا !! .. وأنا كان القبطان يريد أن يسجننى في قمرى ويعين على حارس ويبيع ٣ بحارة بيجرجونى من القمرة بتاعى لغاية عنده ، لمجرد أننى (رفعت صوت) على السفر جى بتاعه !! .
الواد « سليمان » ده سره بتاع أو فيه شيء لله قطعاً .. وبما أن قانون فؤاد المهندس مافيهوش زينب ، فيبدو أن قانون البحر - أو على الأقل قانون السفينة وميسس الثانى - مافيهوش سليمان !!!!

أما الشيء الأظرف

من ذلك كله فقد عرفته الليلة في سهرة مع الضباط ، وخلصته أنه إذا كان كل الجزاء الذي وقع على سفرجى باشا هو خصم ٦ أيام من مرتبه ، وباعالم هذا الجزاء سينفذ فعلا أم لا (!) ، وحتى لو نفذ هذا الجزاء فعلا فهو سفرجى مرتبه ١٥ جنيه ، يعنى سيخصم منه ٣ جنيهات يصرف هو أضعافهم في سهرة واحدة في نادى البحارة (السيمن كلوب) على الجسناوات الألمانية اللات يسهر ويشرب معهن كل ليلة ، فلا عجب بعد ذلك إذا رأى أن في قدرته وإمكانياته أن يبين الناس جميعا ، وعنده حق فعلا يعمل كده وأكثر من كده ما دام وانقا أن أحدا لن يستطيع أن يحسه ، لأن الذى يملك العقاب على السفينة هو القبطان وحده ، وهو- أى سفرجى باشا - قد أهان القبطان نفسه ، شخصا ، فلم يفعل له القبطان شيئا !! .

أما الذى يندرج تحت بند (الشيء الأظرف) أو (ماخفى كان أظرف) فهو أن الستة أيام الجزاء التى وقعت على سفرجى باشا ليس من بينها يوم واحد لأنه أهان كبير الضباط وقال عنه (على وزه ، وليس لأنه رفع صوته على القبطان وكان قليل الأدب معه ، لكن : يومين خصم لأنه لم ينفذ تعليمات القبطان بالمبيت فى السفينة (المنذرة) أثناء تبخير سفينتنا ، وبات (خارج المنذرة) + أربعة أيام خصم لأنه ذهب فأشاع بين بحارة السفينة كلها أن المبلغ الذى خصص لكل منهم عن يوم تبخير السفينة هو ٩٠ مارك لكل واحد منهم وليس ٤٠ مارك فقط الذى تقاضاه كل بحار بقى فى « فيسار » ، أو ٢٠ مارك فقط تقاضاه كل واحد من الـ ١٧ الذين ذهبوا إلى « جيفرين » . . وأن القبطان قد وضع كل هذه الفروق فى جيبه الشخصى ، أى أنه قد حجز لنفسه ٥٠ مارك من نصيب كل بحاربات على السفينة (المنذرة) = (٣١ بحارا × ٥٠ مارك × ٢٧ قرشا مصريا للمارك = ٤١٨,٥ جنيهها مصريا) و ٧٠ مارك من نصيب كل واحد من الذين باتوا فى « جيفرين » = (١٧ بحارا × ٧٠ مارك × ٢٧ قرشا مصريا للمارك الواحد = ٣٢١,٣٠ جنيهها مصريا) ، فيكون المبلغ كله حوالى ٧٤٠ جنيهها مصريا دخلت فى جيب القبطان من نصيب البحارة ومن حق البحارة !!!!!

هذه هى الإشاعة التى أشاعها سفرجى باشا بين بحارة السفينة . . وقطعا إشاعة كهذه تمس أمانة وشرف القبطان يادوب تساوى- فقط لاغير- أربعة أيام جزاء . . يابلاش !!!!!

واحد: قال لى

كبير الضباط اليوم أن المفروض أن الأكل الذى يقدم للراكب الواحد على سفن الشركة يتكلف ثلاثة جنيهات ونصف فى اليوم الواحد . . وبناء عليه فان الشركة تحاسب السفينة على أن أكل ككل راكب من ركبها - وليس من البحارة - يتكلف ثلاثة جنيهات ونصف فى اليوم . .

إثنان : إنصدت نفسي ، « سلمنى » وأنا ، أمس من شكل العشاء الذى رأيناه على السفرة أمام الضباط والمهندسين ، فطلبنا من السفري أن يحضر لنا (تونة) ، فأحضر لنا علبة واحدة صغيرة ثمنها فى الدكاكين ١٤ قرشا ، حتى لم يحضر علبة لكل منا . . وكنا لم نأكل على السفينة طوال يوم أمس ، يعنى الناس يتوع الحساب على السفينة يجاسبون الشركة على أننا أكلنا أمس بسبعة جنيهات فى حين أننا أكلنا علبة (تونة) واحدة بـ ١٤ قرشا ، أو مايساوى ١ : ٥٠ من الجنيهات السبعة المفروضة !! . .

ثلاثة : دخلت إلى القبطان فى قمرة ظهرها لأسأله عن شيء ما ، فوجدت عنده مأدبة فاخرة وسفرة ممدودة قاد كده عليها مالذ وطاب من الطعام والشراب والمنكر ، وتحيط به ضيفتان ألمانيتان حسناوتان زى القمر . . الستائر المسدلة والضوء الخافت جدا والجو الناعم جدا الهادى جدا ، ذكرتنى بأيام الشباب الخوالى جزاء الله خيرا . .

أربعة : فى نفس الليلة جاءنا العشاء - نحن ركاب الدرجة الأولى كما تقول التذاكر التى معنا - قطعة جبن تركى مساحتها بالضبط ٣سم × ٤سم ، ثمنها لا يزيد عن نصف فرنك مصرى فى أعلى مكان فى العالم و٣ طماطيات و- للحقيقة وللإنصاف - طقم شوك وسكاكين ومعالق وسرفيس فاخر جدا وشيك جدا . . كفاية . . رضا . . حانئب ؟ !! . .

خمس : واللييلة أيضا أرسلوا لى نصيبى من الفاكهة عن الأسابيع الثلاثة القادمة : برتقالتين وتفاحتين وموزتين وكمثرأيتين . . فى الوقت الذى صرفوا فيه لكل أفراد طاقم السفينة - عن نفس المدة - ٦ أصابع موز و٦ برتقالات و٦ تفاحات و٦ كمثرأيات !! . . ويبدو أن الراكب على السفينة « رمسيس الثانى » يعطى رتبة بحرية جديدة اسمها (ثلث ضابط) أو (ثلث بحار) ، أو أنهم مهتمين بصحتنا أكثر من اللازم وخافين أن نتعب من أكل الفاكهة الكثير ، أو- وهذا الإحتيال هو الأقرب إلى الصواب - خافين أحسن نعود على أكل الفاكهة !! . .

و . . عرفت الآن فقط أين يذهب أكل البحارة على السفينة « رمسيس » ، وأين يذهب أكل الركاب . . ومنك الله باعلى يا أبو طالب . . إنت اللى فتحت عينينا على حكاية الثلاثة جنيه ونصف أكل للراكب كل يوم !! .

ليس
هناك
أية

أخبار عن موعد بدء عملية تفريغ سفينتنا . . لنا الآن ثلاثة أسابيع والسفينة راكنة على الرصيف فى الميناء دون أى شيء على الإطلاق . . وكل يوم يمر علينا فى هذه الركنة الى مالهاش لازمة تخسر فيه الشركة ٢١٠٠ جنيه . . والناس الكبار على سفينتنا ولاهامهم ، هم فاضيين ، كان الله فى عونهم !! . .

جارتنا السفينة المصرية (المنيرة) تم تبخيرها هى الأخرى أمس . . القبطان « مراد العلالى » قبطان « المنيرة » أصر على أن يبيت طاقم سفينة جميعهم فى فندق « جيغرين » ، البحارة قبل الضباط وقبله هو شخصيا . . وتم ذلك فعلا بعد أن اتخلقت لهم أماكن مادام القبطان قد أصر . .

أنصور أن ذلك هو المفروض فعلا : أن يكون قبطان السفينة هو آخر من يستريح وآخر من يبيت عن راحته ، بعد أن يطمئن على راحة كل رجاله ..

فى جولتنا عصر

اليوم فى المدينة ، « سلمى » وأنا ، كان يصحبنا مستر « شتيجان » وكيل الشركة فى « فيسار » .. التقينا بالصدفة بفتاة ألمانية حسنة من موظفات مكتب شركة (مارتراس) المصرية هنا ، كنا قد التقينا بها من قبل فى مكتبها فى لقاءات عابرة .. جميلة الوجه والشعر والعينين شأن كل الألمانية ، حبيبة جدا وودودة جدا وريقة جدا وناعمة جدا ، لولا مسحة من الأسى والحزن الهادىء تبدو مرتسمة أغلب الوقت على وجهها الجميل إلا عندما تضحك فتزداد جمالا ..

وصحبتنا « ريناتيه ميستير Renate Mester » فى جولتنا ، ولما كانت تتكلم الإنجليزية بصعوبة قليلا فقد كان مستر « شتيجان » يقوم بدور المترجم بيننا أغلب الوقت ... واضطرت أن أتغزل فيها عن طريقه ، وأقول لها - كما قلت لكل فتاة قابلتها فى المدينة - أنها أجمل فتاة فى « فيسار » كلها ، وأنى أذكر أنى رأيتها تمثّل فيلما فى السينما مع « عمر الشريف » ، إلى آخر هذه المغالطات المحفوظة التى تأتى دائما بأحسن النتائج مع الفتيات الأوروبيات اللاتي لسن معتادات على طريقة الغزل المصرى .. وكانت النتيجة أن صديقتنا الحسنة « ريناتيه » دعتنا - « سلمى » وأنا - إلى العشاء فى بيتها غدا مساء ..

« على أيو طالب »

كبير الضباط يريد أن يصالحنى بعد حكاية الفك المفترس أو الكلب التى قالها لى منذ عدة أيام .. دعانا أنا و« سلمى » و« خيرى » إلى العشاء فى مطعم « كوربيانكا Kurpianka » .. لم نجد - كما يحدث فى أغلب الأحيان - مائدة مستقلة نجلس إليها وحدنا ، فجلسنا إلى مائدة كبيرة كانت تسبقنا فيها شلة ألمانية : سيدة و٣ شبان .. السيدة بدينة ظريفة مرحة تجاوزت الأربعين ولا تتكلم الإنجليزية ، والشبان الثلاثة أعمارهم فى نحو العشرين أو أكثر قليلا .. واحد منهم فقط يتكلم الإنجليزية بصعوبة ، وواحد يدعى أنه يعرفها قليلا وهو لا يعرف منها كلمة واحدة ، والثالث لم يفتح فمه ولا نطق بكلمة واحدة طول السهرة ..

وضحكنا جميعا ومازحناهم وسرحنا بهم وداعبناهم بأن الرجل فى مصر يمكن أن يتزوج ٤٨ سيدة بشرط ألا ينجب أكثر من ١٢٠ إبنا ويشترط ألا يزيد عدد أحفاده عن ١٠٠٠ حفيد ، وأن لنا صديقا غلبان ومسكين وظروفه صعبة لذا فهو متزوج من ٧ سيدات فقط ، واحدة لك يوم من أيام الأسبوع !! .. وطلبوا أن نغنى لهم أغنية مصرية فلم نكسفهم وغنينا لهم أغنية واحدة كوكيتل من (العنبة جزاز والسلم نايلى فى نايلى) و(يا ضلّة الزين على عزيزة يا ضلّة الزين) و(حبة فوق حبة

تعيش ١٤٠ سنة أخرى وتتزوج ٦ مرات أخرى وتنجب ٤٨ ابناً وبناتاً ، وأنها سوف تصبح مشهورة جداً وتدخل التاريخ الألماني الحديث ويسمى بإسمها أكبر ميدان في « فيسبار » .. وهنا فقط تنبهت مسز « آلا » إلى أنني أمزح فضحكت وماتت على روحها من الضحك وهي تقول لي : « لا إنت بتهزر » وداعبتني بأن خبطت بيدها علي صدرى فخلعت كتفى

الفصل الرابع عشر

لا أحد
يشترى
قطعة في
كيس!
مقفول!.

لم نتعب كثيرا

في العثور على بيت «ريناتيه ميستير» في شارع (ليننجراد) في أطراف «فييسار» .. لم يستغرق منا المشوار أكثر من ١٠ دقائق سيرا على الأقدام حتى وصلنا إلى خارج المدينة ، فالمدينة كلها صغيرة أصلا .. والمنطقة التي تسكن فيها «ريناتيه» واضح انها منطقة إسكان جديدة كلها عمارات متشابهة تشبه مدينة نصر عندنا في القاهرة ، لكن على أشبك كثيرا طبعاً ، وعلى مظهر أوروبي .. عدد كبير جدا من الـ (بلوكات) ، كل (بلوك) منها يضم عدة عمارات متلاصقة بدون فواصل .. والعمارات أو البلوكات مكتوب عليها أسماء سكان العمارة حسب ترتيب الطوابق ، وأمام اسم كل ساكن زر صغير تضغط عليه فيدق جرسا في الشقة المطلوبة لكي (تدعى خبر) لأصحابها بأن سيادتك قد شرفت لكي يستقبلوك ..

الشيء الملفت للنظر جدا في هذه المنطقة - النظر المصري فقط طبعاً - هو اللون الأخضر : الزرع والحدائق والنباتات والتجليل يملأ كل مساحات الفراغ أمام وحول العمارات بشكل بهيج جدا يشرح الصدر ويفتح النفس .. وعرفت أن سكان كل عمارة مسئولون عن الرعاية والعناية بالمساحة الخضراء أمام عمارتهم ، بحيث تتناوب كل أسرة من الأسر الشان رعاية اللون الأخضر أسبوعا واحدا كل شهرين ..

«ريناتيه» تستقبلنا على

باب شقتها في الطابق الرابع .. لسنا وحدنا ضيوفها الليلة ، عندها أيضا «صديقنا المشترك» مستر «شتيجان» وكيل الشركة في «فييسار» ، وصديقين لها قادمين لزيارتها من برلين : رجل البوليس الألماني مستر «أنو فاستر Ott Faster» (٦٥ سنة وبالعاش الآن) وزوجته المرححة الطريفة المهرجة مسز «هيدفيج فاستر Hedwig Faster» (٦٢ سنة وبالعاش أيضا) ..

وتأخذنا «ريناتيه» لتفرضنا على شقتها الصغيرة شديدة الأناقة .. هذا هو الذوق الاوربي الحديث فعلا : حجرتين فقط متوسطتي الاتساع .. حجرة بها مكتبة في غاية الأناقة بعرض الحائط كله + ٣ كنبات تتحول بالليل إلى ٣ سراير للام وابنتها وابنها .. الغرفة الثانية بها - أيضا - مكتبة أخرى كبيرة بعرض الحائط كله كذلك ، تضارع المكتبة الأولى أناقة وجمالا و«كتبا» - وهو

الأهم - ، وبها أيضا تلفزيون ملون وراديو وبيك آب ، وكنبة وكرسيين ومائدة صغيرة .. وهذه الغرفة تقوم بدور ٣ غرف في وقت واحد : غرفة الصالون وغرفة السفرة وغرفة المعيشة .. وطبعاً السجاد الموكيت في أرضية الشقة كلها من الجدار الى الجدار .. المطبخ صغير وعندئذ لكنه مجهز تجهيزاً كاملاً على أحدث طراز بكل احتياجات المطبخ الحديث .. تسلمته «ريناتيه» هكذا عندما استأجرت الشقة من الحكومة ، لم يكن ينقصه إلا التلاجة التي اشترتها هي .. الحزام أيضاً في غاية الأناقة والنظافة والجمال .. وحوائط الشقة كلها - حتى الحزام والمطبخ - عليها ورق حائط بألوان ناعمة هادئة مريحة .. والشقة كلها عموماً تعطرها اللمسة الأنشوية الناعمة الرقيقة التي تنضج تماماً في شخصية «ريناتيه» .. ولتنتق من الآن على أن نسميها «رينا» من باب التسهيل ، وعلشان ندلعلها أيضاً ، فهي تستحق !! ..

مسادات

«رينا»

«برنهارد»

«إنة» وعندما «إين» وعندها ٣ سراير فقط ، فأين إذن مكان «الزوج» في شقتها ١٩ .. للأسف لا يوجد زوج .. ولعل هذا هو سبب مسحة الحزن والأسى التي لاحظتها حين تعارفنا أمس على وجهها الجميل .. فقد عرفت من مستر «شتيجان» حين طلبت منه أن يحدثني عن «رينا» أنها تزوجت وعمرها ١٨ سنة بعد قصة حب شان كل البنات الأوروبيات ، ودام زواجها ١٩ سنة ثم انفصل الزوجان منذ عام واحد فقط .. واختار الإنسان أن يقبها مع أمها «رينا» : «سابينا» *Sabine* وعمرها الآن ١٩ سنة ، و«برنهارد» *Bernhard* عمره ١٤ سنة ولم تتزوج «رينا» مرة أخرى إكتفاء بتجربتها الأولى .

لو أن

«سابينا»

«برنهارد»

كانا موجودين لما اتسع لها المكان في الغرفة الصغيرة .. فإن المائدة الصغيرة تستوعبنا بالكاد نحن الستة : «رينا» وضييفها مستر ومستر «فاستر» ، ومستر «شتيجان» و«دمي» وأنا .. المائدة جاهزة للعشاء من لحظة دخولنا الشقة .. هنا يتناولون العشاء بدرى جداً على عكسنا في مصر .. هم يتعشون في السادسة أو السابعة مساءً على الأكثر والشمس لسه طالعة ، ونحن لا نتعشى إلا بعد العاشرة ليلاً .. على المائدة زجاجتين من الـ (منكر) لم أهتم بمعرفة نوعهما ، وطبق كبير به ٦ قطع ، على قدر عددنا ، من الكلاب الساخنة (!!) أو الـ «هوت دوجز» *Hotdogs* ، وطبق كبير جداً من السلطة الخضراء بالمايونيز ويس !! .. هذه هي المائدة المعدة لعشاء ٥ من الضيوف .. لا عشرة أصناف خضار ولا خمسة أصناف رز ومكرونه ورقاق وجلاش ولا ١٥ صنف طيور وفراخ ويط ووز ولحوم وبفتيك وسكالوب ولحمة محمرة ولحمة باردة ولحمة سخنة ولحمة نص نص ، ولا (تعدمني لا انتي واكله دي) ولا (والنبي لتخلص اللى قدامك ده كله) ولا (بأه تكسفى إيدى) ولا (إن شالله اللى ياكلها غيرك

يزور) ولا (أمال أنا عاملة ده كله لين ؟) .. بساطة شديدة جدا في تناول كل الأمور بما في ذلك أمور الطعام ، وبعد عن النظرة والمظهرية والقشخرة ، لذا فإنه يندر أن تلتقي برجل أوروبي أو بفتاة أوروبية بدنية ، وإذا كانت كذلك فلائها ولدت هكذا وليس للأكل دخل في بدانتها ..

ورغم ذلك ، رغم إعجابي الشديد ببساطة المائدة المعدة لعشائنا ، إلا أنني شعرت بأننا سنسبب حرجا كبيرا لمضيفتنا الحسنة «رينا» ، فلا أنا ولا «سلمى» نشرب الخمر ولا نأكل الـ(بورك) أو لحم الخنزير المصنوعة منه الـ (هوت دوجز) .. وبذا سنفسد عليها كل ما أعدته من أجلانا !! .. لكن لم يكن هناك بد من أن أعتذر لها بأن ديننا كمسلمين يحرم علينا شرب والخمر وأكل لحم الخنزير ..

ورغم الدهشة التي بدت واضحة على وجه ضيفيها العجوزين مستر ومسر «فاستر» ، فإن «رينا» بابتسامتها الرقيقة الجميلة أعفتنا من هذا الحرج بأن قالت أنها كانت تتوقع ذلك ، لذا فقد عملت حسابها واشترت الـ (هوت دوجز) من اللحم البقري ، وجهزت لنا كوكاكولا بدلا من الخمر

وهكذا ، من بسيادية

القعدة مباشرة ونحن نبدأ في تناول العشاء ، إنفتح موضوع الشرق والغرب ، والتقاليد في الشرق والتقاليد في أوروبا .. وانتهالت علينا أسئلتهم المتلاحقة عن شكل الحياة الإجتماعية في مصر وكيف يتزوج الشباب والفتيات في مصر وكيف يتعارفون ، وكيف عرفت أنا شخصا زوجتي وهل صحيح أن الحجاب مازال موجودا في مصر ، ولماذا يندعش البحارة المصريون الذين يأتون إلى هنا لأول مرة من منظر القبلات المتبادلة في الشوارع بين الفتيان والشباب الألمان ؟ .. وعشرات الأسئلة عن التقاليد الشرقية والتقاليد في مصر ، ونسبة الشيوعيين في مصر ومدى انتشار الشيوعية عندنا وهل عندنا حزب شيوعي أم لا ؟

لكن بما أنني أنا الضيف ، وبما أنني أنا الصحفي ، فقد استأذنتهم أن أستوفي أنا إجابات أسئلتهم أولا ، ثم نجيب على كل أسئلتهم بعد ذلك وحدث ..

وكان الموضوع الذي

انفتح تلقائيا هو موضوع : (حرية الفتاة الألمانية في ممارسة الجنس دون زواج ، وفي سن مبكرة جدا ، دون أي حساب لا من أسرة الفتاة نفسها ولا من المجتمع الذي تعيش فيه .. ولا أحد ينظر إلى هذه المسألة حتى ولا ينظره دهشة) .. من نظرة الدهشة كانت عملا عيونهم وهم يشتركون جميعا في الإجابة على تساؤلاتي .. لم تكن إجاباتهم

جديزة على ، فقد سمعتها من قبل في كل بلد زرتة في أوروبا في السنوات الـ ١٥ الأخيرة ، لكن وقعها على « سلمى » كان شديدا ، حتى أنها ظلت تتابع الحوار الدائر صامتة تماما ما يقرب من ٥ ساعات كاملة . .

* عندما تصل الفتاة الألمانية إلى سن الثامنة عشرة فإنها تستطيع - بحكم القانون الألماني - أن تفعل ما تشاء وتحب وتزوج حتى ، دون موافقة الأسرة . . وحتى لو عارضت الأسرة فإن معارضتها لا تهم . . كل ماتستطيعه الأسرة هو أن تقول للفتاة : « إذهبي إلى الجحيم أنت وفنك ! » - في مصر نقولها باللغة العربية : « رويحي في ستين داهية » - ولا تساعدنا في نفقات الزواج إذا أصرت على الزواج منه . . لكن حتى ذلك ليس مهما ، لأن الفتاة هنا تعمل قبل سن الثامنة عشرة غالبا ، ويمرتبات كبيرة نسبيا ، ونفقات المعيشة وتكلفة إنشاء بيت جديد ليس كبيرة . .

* وذلك ليس معناه أن الفتاة الألمانية تكون محكومة من الأسرة قبل سن الثامنة عشرة . . فإنه لا توجد فتاة هنا ليس لديها صديق تعاشره وتمارس معه الجنس قبل ذلك السن بكثير ، وغالبا ما تبدأ العلاقة بينهما وهما تلميذان معا في المدرسة في سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة . . وذلك شيء طبيعي جدا تماما هنا كالأكل والشرب والرياضة والذهاب إلى السينما والذهاب إلى النادي ، وحتى لو كانت هذه الأشياء تثير دهشة في أي مكان فإن الجنس هنا لا يثيرها . . العلاقات الجنسية بين الفتيات والشباب لم تعد مشكلة وأصبحت الآن شيئا طبيعيا جدا وليست موضع أي مناقشة !! . .

* والأسرة الألمانية ترحب بصديق ابنتها تستقبله في بيت الأسرة إذا شعر الأب والأم بأن هذا الصديق هو الذي تمارس معه ابنتها الجنس ، على اعتبار أنه إذا كان ولايد فيبقى في البيت أحسن وأفضل وأكثر احتراما !!!!! أما إذا تعدر على الفتاة والفتى الألمانيان أن يجدا مكانا مغلقا يمارسان فيه الجنس فإن في الحدائق العامة - وهي كثيرة جدا جدا في ألمانيا كما لا حظت - متسع للجميع دون أي إزعاج من أي حد ، وفي حماية ورعاية القانون !!!!!

وعن تعدد العلاقات

الجنسية للفتاة ، قالوا أن الفتاة الألمانية عادة ، بحكم مراحل السن واختلاف المزاج وتطور التفكير وتغيره ، تنتقل بين صديقين أو ثلاثة ، لكن ليس في نفس الوقت . . والمتعدد أن يكون لها صديق واحد تمارس معه الجنس وتظل مرتبطة به وحده حتى يتخاصا أو يفترقا لأي سبب من الأسباب ، فترتبط بغيره ، ثم يفترقان فترتبط بثالث ، ثم برابع وهكذا ، حتى تستقر في النهاية عند اكتئال نضجها الذهني والعاطفي بواحد يكون هو غالبا الذي تزوجه . . لكن ذلك لا يمنع من أن تكون قد أنجبت طفلا أو أكثر ، من واحد أو أكثر ، من أصدقائها السابقين !!!!!



ولو أن أى أب ألمانى

دخل إلى مكان عام - كازينو مثلا - ووجد ابنته في حالة استغراق عاطفى
وقبلات هيبانة نشوانة مع شاب لا يعرفه ، فلن يضايق الأب ذلك ولن يخرج
مسدسه ولا سيفه ولا مدفعه الرشاش ولا حتى دبوس ابرة ، بالعكس ، سوف يلوح لها بيده من
بعيد : « هاى » ويسير ويسعد لأن ابنته مبسوطة وعندها صديق يفسحها ويخرج معاها ويبسطها
وشايف « راحتها » !! ..

وأنا كاتب وأنا كام - « شتيجمان » و « رينا » يستطردان - لا أغضب إذا قالت لى ابنتى أنها
تمارس الجنس مع فتها .. كل الآباء الحداثيين الآن لا يجدون في ذلك أى غضاضة أو عيب ،
لكن - كما في أى مكان آخر في العالم - هناك بعض الآباء والأمهات من « الدقة القديمة » الذين لا
يرحبون بذلك ويتجهمون له ، لكنهم لا يستطيعون أن يفعلوا أكثر من ذلك : « يتجهمون »
فقط ، فالقانون لا يمنهم من التجهم ، هم أحرار ، لكنه يمنهم من التعرض لبناتهم وأبنائهم
وتقييد حرياتهم !! .. كل ما أستطيعه بالنسبة لابنتى ، إذا كنت أبا أو أما مثل كل الآباء والأمهات
العاديين في ألمانيا ، هو أن أجلس معها كصديق لأقول لها : « أنت كبيرة الآن بما فيه الكفاية لتعرفي
مصلحتك ، وهذه هي حريتك الشخصية تماما » .. لكن ينبغي أيضا أن أنبهها الى أنها يجب أن
تفكر جيدا قبل أن تقرر ما إذا كانت تنوى أن تأتى بطفل في الوقت الحالى قبل تتزوج - (طفل غير
شرعى طبعاً) - ..

وحتى إذا قررت ابنتى ذلك - رغم نصيحتى - فإننى لا أستطيع أن أمنعها .. لكن عموما فإن
أغلب الفتيات الألمانيات حريصات على استخدام حبوب منع الحمل طالما هن تلميذات في المدرسة
بعد ، وطالما انهن لا يردن إنجاب أطفال في تلك الفترة حتى لا يعطلهن ذلك عن الدراسة .. كما
أن القانون الألمانى يسمح بإجراء عمليات الإجهاض مجانا وعلى نفقة الدولة ، إذا لم ترغب الفتاة
الحامل في وجود الطفل الآن ، على شرط واحد فقط هو أن تكون مدة الحمل أقل من ٣ شهور !!
وقد كان لقانون إباحة الإجهاض أثر كبير في الإقلال من عدد الأطفال غير الشرعيين ، وأصبح الآن
١٥ ٪ أو ٢٠ ٪ - فقط (!!) - من الفتيات الألمانيات يكن لديهن أطفال قبل أن
يتزوجن !!!!!

ومع ذلك فإن

هذا لا يمنع من وجود نسبة كبيرة من البنات الألمانيات في سن الـ ١٣ و ١٤
و ١٥ لديهن أطفال !! .. نسبة عالية جدا من البنات تحت سن ١٦ سنة
أمهات بدون زواج : حملن وأنجن في بيت الأسرة دون أن يتزوجن ، وليس في ذلك فضيحة أو
جرسه ولا شرف البنت زى عود الكبريت ولا حاجة أبدا .. شرف البنت هنا - ده أنا اللي باقول -
أصبح زى الولاة الرونسون : يولد ١٠٠٠ مرة كل يوم دون أن يفسد ولا يجرحه حاجة !! ..

وذلك أيضا - ده أنا برضه اللي باقول - جانب من جوانب القانون الألماني الظريف : يمنع زواج البنت الألمانية قبل سن الـ ١٨ ، لكنه ليس لديه مانع أبداً في أن تتجنب نصف دستة أطفال غير شرعيين حتى تصل إلى سن الزواج الـ... قانوني !!! ..



الهاثل من الأطفال غير الشرعيين : الأطفال بدون آباء معروفين محددين ، أين يذهب هؤلاء الأطفال غير الشرعيين ؟ ! ..

لا يذهبون ولا يغيثون : القانون الألماني الظريف يكفل لهم كل الحقوق التي للمواطن العادي تماما . . وببساطة جدا وبدون أية مشاكل ، يعطى للطفل اسم أسرة الأم ، ولا حد يزعل ولا يتقهر ولا يشغل باله ولا حاجة أبداً . . هي المشكلة مشكلة أساء ؟ ! ما هي الأساء كثير والحمد لله ومفيش أكثر منها !! ..

القانون يلزم ، فقط ، والد الطفل - (إذا كان معروفاً ومحدد) ولا خلاف عليه ، وإذا وافق هو على أنه متأكد أن هذا الطفل منه شخصياً وحده - يلزمه بأن يدفع للطفل « نفقة » مقدارها ١٠٥ مارك شهرياً حتى يصل الطفل إلى سن الـ ١٨ فيتوقف الأب عن دفع النفقة !! .. والنفقة هنا للطفل نفسه وليست للأم ، لأن نفس النفقة بالضبط يدفعها أيضاً الزوج الذي يطلق زوجته في حالة وجود أطفال فقط ، فيدفع ١٠٥ مارك عن كل طفل معها كان عددهم . . لكن إذا حدث الطلاق دون أن يكون بينها أطفال فلا يدفع نفقة على الإطلاق . .



بالأطفال جدا ، شرعيين وغير شرعيين ، وتقدم لكل أم ١٠٠٠ مارك - نحو ٢٧٠٠ جنيه مصري كهدية الولادة عند وصول كل طفل . . وأيضاً تقدم مبلغاً شهرياً للأم مساهمة من الدولة في رعاية الطفل والعناية به ، فيعتبر كأنه « مرتب » للطفل أو « مصروف » له من الدولة ، لدرجة أن بعض الأطفال بعد أن يكبروا قليلاً ويعرفون ذلك يطالبون آبائهم أو أمهاتهم بذلك المصروف الذي تدفعه لهم الدولة لكي ينفقونه بمعرفتهم .

القانون هنا أيضاً يرضى الفتاة الحامل ، وسواء وليدها المنتظر شرعياً أو غير شرعياً ، معروف الأب أو مجهوله ، فإن القانون الألماني يعطيها الحق في أن تنقطع عن العمل تماماً حتى تضع مولودها ، ويعطيها أيضاً أجرها طوال هذه المدة !! ..

ظريف جداً القانون الألماني هذا .. مُلْعَبٌ جداً !!



الطفل الألماني « طارق »

إبن البحار المصرى الذى أنجبه من فتاة ألمانية دون زواج ، ثم هجرها وراح
لحا وعاد إلى مصر ، وبقيت الأم الألمانية الصغيرة وطفلها الأسمر ذو الشعر
الأسود الأكثر والعينين الزرقاوين والإسم المصرى !! .. وتزوجت الأم الصبية مؤخرًا من شاب
ألماني ويعيش معها « طارق » ، بل وأعطاه الزوج الألماني إسمه أيضا .. عادى جدا !!! ..

الأظرف من ذلك كثيرا أنه حين تحدث حالة طلاق في أسرة ألمانية لاي سبب من الأسباب ،
فنظرا لعدم توافر الشقق لكل يفضل كل واحد من الإثنين ويذهب إلى شقة أخرى ، فإن الحال
تظل على ما هي عليه : يعيشان معا في نفس البيت وعلى نفس الأثاث ، ويأكلان معا ويشربان معا
ويشاهدان التلفزيون معا ويستقبلان الأصدقاء المشتركين معا . وفيها عدا ذلك فلكل منها حياته
الخاصة تماما : الزوجة - أو المطلقة الآن - تستقبل صديقها الجديد في البيت في وجود الزوج - أو
المطلق الآن - وتدخل مع حبيبها غرفة نومها ويغلقان على نفسيهما الباب ، والزوج قاعد يتفرج على
مباراة كرة القدم في التلفزيون !! .. والعكس أيضا يحدث : حين تصل صديقة الزوج - المطلق
الآن - تفتح لها الزوجة الباب وتقبلها بالأحضان وتطرى تسريحه شعرها وذوقها في اختيار فستانها
وتقعدها تدردشان معا حتى يستيقظ (البية) من نومه أو ينتهي من حلالة ذقنه وأخذ حمامه وارتداء
ملابسه ، ليخرج هو وصديقه ليسهرا في الخارج ، أو يرضه يدخلان غرفة نوم الزوج ويغلقان
الباب وراءهما بينما تنشغل الزوجة في تجهيز العشاء للجميع !!! .. ببساطة وظرف ومستوى عال
من الثقافة والإنفتاح والرقى ، والله يخرب بيوتهم أكثر مما هي خربانة

سألت « رينا » « شتيجمان »

كأ م وكأ ب : « في أى سن لابتك لا تجدان غضاضة في أن تعرفا أن ابتكيا
تمارس الجنس مع صديقها ؟ .. ويعنى آخر : متى تظنان السن المناسب
لكل تبدأ فيه ابتكيا حياتها الجنسية ؟ » ..

والجواب : اتفق كلاهما على أن ١٦ سنة - في رأيها - سن مناسب .. لكن الذى يحدث
فعلا هو قبل ذلك بكثير .. وأحيانا قبل ذلك بكثير جدا !! ..

« عدت أسألها : « فهل يقلقك أن تصل ابتكيا إلى سن الـ ١٦ وهي لا زال عذراء : أو دون
أن يكون لها صديق تمارس معها الجنس ؟ » ..

وأجابا : « لغاية سن ١٦ لا نقلق ، لكن بعد ذلك مباشرة - في سن الـ ١٧ أو الـ ١٨ - نبدأ
في القلق من أجلها ، وقد يحتاج الأمر إلى أن نعرضها على أخصائى نفسى لمعرفة السبب ، خوفا
من أن تكون الفتاة (معقدة) لسبب لا نعرفه (!!) » ..

« ويقول لي مستر « شتيجان » ضاحكا أن لديهم قولا ألمانيا شائعا ، أو لنعته مثلا شعبيا ، يقول : (لا أحد يشتري قطعة في كيس مقفول) . . وهو المثل الذي يقابله عندنا في مصر : (ما حدش يشتري سمك في ميه) - يستطرد مستر « شتيجان » : « وعلى ذلك فإنه ينبغي أن نجرب الشيء قبل أن نأخذه لأنفسنا ، والتجربة هنا - إلى أقصى الحدود - مسموح بها ومطلوبة !!! » . .

« ووفرت « رينا » على - كثر خيرها - سؤالي الذي كنت أريد أن أسأله لها وأنا في حرج شديد ، فسألته هي لنفسها : « لعلك تريد أن تسأل : هل يندعش العريس الألماني إذا وجد عروسه في ليلة الزفاف غير عذراء ؟ ! . واستطردت « رينا » ضاحكة ترد على السؤال الذي وجهته لنفسها ، بأنه ذلك لا يحدث قطعا لأنها من المؤكد أنها لن ينتظرا حتى ليلة الزفاف دون أن يمارسا الجنس . . وحتى لو انتظرا ، فإن العريس سوف يندعش - جدا - إذا وجد العكس ، أي إذا وجدها عذراء . . لأن واحدة فقط في المليون تكون عذراء في ليلة زفافها ، وتكون الأسباب مجهولة ومستغربة !!! » . .

وأمن الجميع على كلام « رينا » وهم يرفعون كؤوسهم ليشربوا نخب الصداقة بين الشعبين الألماني والمصري !! .

ويجس نكا مستر

« شتيجان » الذي كان حتى فترة قريبة رئيسا لشركة كبيرة قبل أن يتقاعد صعبا ، وهو في الثانية والخمسين من عمره الآن . . يحكي لما أن أبنته « جيزيللا » - (وقد وافق دون تردد على أن أنشر إسمها وصورتها أيضا) - حين كانت في السادسة عشرة أحببت بحارا وحملت منه وأنجبت طفلة جميلة إسمها « سيلفانا » . . لكن البحار رفض أن يتزوج « جيزيللا » في الوقت الحالي وطلب منها أن تنتظره عدة سنوات لم يجدد عدها - بطريقة (فوق علينا بكرة) - ، لكن « جيزيللا » رفضت أن تنتظره يوما واحدا وطلبت منه أن يذهب . هو إلى الجحيم ، وقالت لأبيها - بعد أن جعلته « جدا » - أن ضديقها البحار ذهب إلى الجحيم ولا تعرف متى سيعود ، فقال لها الأب مستر « شتيجان » : « ولا يملك . . في ستين داهية » . . واستمرت « جيزيللا » في مدرستها حتى تخرجت وتوظفت ، ثم تزوجت بعد ذلك من مهندس شاب ألماني ، وسارت العروس « جيزيللا » في حفل زفافها وابتنتها « سيلفانا » ذات الثلاث سنوات تسير وراءها تحمل ذيل طرحتها البيضاء !!! . . ولم يعط العريس إسمه لـ « جيزيللا » فقط ، إنما أعطاها أيضا لابنتها الطفلة « سيلفانا » !! . .

وهكذا أصبحت « سيلفانا » الآن طفلة ظريفة جميلة في الخامسة من عمرها ، بينما لم تزوج أمها إلا منذ ستين فقط ، فأين نحن في مصر من هذه التكنولوجيا المتقدمة جدا !!! . .



وجاءت « ساينا » ايئنة

وسهرتنا في بيت أمها « رينا » مازالت مستمرة . . جاءت في العاشرة والنصف مساء ، فتاة حلوة مضيئة عمرها ١٩ سنة ، رائعة الجمال شديدة الظرف والجادبية والوسامة والركة والبراءة كطفلة في الثانية من عمرها . . وساعدتها أمها « رينا » في خلع معطفها وصبت لها كأسا لتشرب معنا - أقصد معهم - وأشعلت لها السيجارة . . واشتركت « ساينا » معنا في الحديث الدائر ، فما أن عرفت الموضوع الذي نتحدث فيه حتى قامت وأحضرت لنا صورة صديقها « بيتر هوب » *Peter Hopp* الذي تمارس معه الجنس منذ ٣ سنوات منذ كانت في السادسة عشرة من عمرها ، وهو أكبر منها بسنة واحدة ، وقد تخرج من المدرسة في العام الماضي ويعمل كهربائيا في مدينة « روستوك » على بعد ٦٥ كيلو مترا من « فيسهار » لذا فهو لا يحضر إلى هنا إلا في عطلات نهاية الأسبوع يوم الجمعة مساء ، ليقضى مع « ساينا » يومى السبت والأحد ، ويعود إلى عمله يوم الإثنين من بدري . . .

« ساينا » نفسها طالبة في المدرسة التي تخرج مشرفات في دور الحضانة التي ترعى الأطفال دون الثالثة من أعمارهم ، وسوف تتخرج في العام القادم ، لكنها تستطيع أن تستمر في الدراسة ٣ سنوات أخرى في مرحلة أعلى وأكثر تخصصا . . « ساينا » مزيج من شمس الباودى ونجلاء فتحي وسعاد حسنى معا ، ولوجاءت إلى القاهرة في زيارة سريعة لمدة أسبوع واحد فقط لما تركها المنتجون والمخرجون المصريون تعود إلى ألمانيا قبل أن تمثل عشرة أفلام على الأقل ، برضه في خلال هذا الأسبوع الواحد !! . .

وانتهى كل الكلام

الجد : أجابو على كل أسئلتنا في ألمانيا ، وأجبنا عن كل أسئلتهم عن الحياة في مصر . . وبدأت السهرة تأخذ جوا مرحا بعيدا عن « المناظرة المصرية الألمانية » ، فطلبوا منا أن نغنى لهم أغنية من أغنيتنا المصرية ، لكنه لم يفعل حرصا على مستقبل الصداقة بين الشعين الألمان والمصرى . . فقامت السيدة العجوز الأروبية مسز « هيدفنج فاستر » لترقص هى رقصة شعبية ألمانية وتغنى باللغة الألمانية ، فكانت ختاماً سيئاً للسهرة كلها ، أفسدتها منها لله . . - (أرجو من الذى سوف يقوم بترجمة هذا الجزء من المقال لمسز « فاستر » ألا يترجم لها كلامى بالضبط ،

بل يقول لها - كتر خير - أننا إن بسطنا جدا من رقصها ومن غنائها لأراه الله رقصا في عزيز لديه) - . .

وقالت لهم « سلمى » أننى أقرأ الكف ، « فشبطت » « رينا » الحسناء فى لأقرأ كفها ، فقرأته بطريقتى اياها : أمسكت كفها الجميل بيدى وتأمّلت خطوطه طويلا ثم قلت لها أنها تملك أجمل يدين فى ألمانيا كلها بقسميهما ، الشرقية والغربية ، فماتت من الضحك . . وعن خط العمر قلت لها أنه واضح جدا أنها ستظل طول عمرها فى سن الحادية والعشرين ، فماتت من الضحك . . وعن خط الإنجاب والأولاد قلت لها أنها أنجبت فتاة ظريفة سمها « سابينا » عمرها ١٩ سنة وولدا إسمه « برنارد » عمره ١٤ سنة ، فماتت من الضحك . . وكان ممكنا أن أظل هكذا ممسكا بكفها الناعم البض الدقيق الجميل فى يدى طول الليل وأنا أحكى لها كلاما هايفا مثل هذا وهى تموت من الضحك ، لولا أن ضلوعى لا تتحمل تأثير كوع « سلمى » - التى تعتبر نفسها ولى أمرى هنا - أكثر من ٣ مرات فى الليلة والواحدة

الفصل الخامس عشر

الكونتيسة ..
وماما الحاجة ..
و ..
حسان يأكل البندق !

قال لى القبطان

أثناء حديث عابر أنه يريد أن يشتري كسارة بندق ؛ فسألته ببراءة :
« ليه ؟ . . . هوانت ماعندكش فى مصر كسارة ؟ » عندى طبعاً ؛ لكن عايز
واحدة تانية علشان هنا . . إمبراح رميت لـ (حسان) بندق بقشره ؛ مسكين بقى محتاس فيه ومش
عارف يكسره باسانه . . علشان كده عايز اشتري كسارة علشان أكسر له البندق فيعرف
ياكله " . . . ! !

" حسان " هذا هو كلب الضابط الإدارى ؛ وهو من نوع الـ (وولف) - " حسان " طبعاً
وليس الضابط الإدارى - هو يحظى برعاية خاصة من القبطان الذى يحب الكلاب ويرعاهم ؛ جزاء
الله عنهم خيراً . .

وإنار إعجابى فعلاً مدى شفقة وعطف القبطان على الكلاب إلى الحد الذى يجعله ينفق نقوده فى
شراء بندق لكى يتسل " حسان " وينسبط ويسعد ويهز ذيله سروراً . . وحكى هذه الحكاية مرة
أمام بعض أفراد طاقم السفينة للتدليل على مدى " إنسانية " القبطان وعطفه ورقة مشاعره ؛ لكننى
سمعت وشايات غريبة من أولئك الناميين الحقودين الذين لا يعجبهم العجب ولا الصيام فى تشرين
التاسع . . سمعت أن هذا البندق ليس من جيب القبطان الخاص كما تصورت فى البداية ؛ لكنه
من عدة الكيلو جرامات من اليايش التى اشتريتها السفينة على ذمة الحفلة التى أقيمت ليلة وصولنا
ميناء « فيسار » احتفالاً بوصول السفينة (رمسيس الثانى) فى رحلتها العذراء إلى الميناء الذى يعتبر
محطتها الرئيسية فى بحر البلطيق ! ! ! .

ولم أصدق هذه الشائعات المغرضة ؛ فسألت وتقصيت وتحريت حتى اكتملت أمامى صورة لا
أعرف مدى صدقها ؛ لكنها قطعاً سوف تجدها الشركة القطاع العام صاحبة السفينة موجودة فى
كشوف مشتريات السفينة ؛ حتى لا تنهم أحداً - إستغفر الله - ظمناً . .

كان القبطان قد

قال لى فى بداية الرحلة أن السفينة إحتفالاً برحلتها العذراء سوف تقيم حفلة
فى ميناء « فيسار » بألمانيا الشرقية ؛ وحفلة تانية فى ميناء « جيدانسك »
ببولندا . . وأن الميزانية التى رصدتها الشركة لكل حفلة من هاتين الحفلتين هو مبلغ ٥٠ جنيه

استرليني ؛ على أن يكون الطبق الرئيسي في كل حفلة هو : الديوك الرومي !! .. لم أعرف ساعتها لماذا ديوك رومي بالذات لكنني تصورت أن ذلك قطعاً جزء من التقاليد البحرية التي وضعها واستنها اجدادنا العظام " كابتن مورجان " وكابتن " بيتر بلود " وغربهما من القراصنة الأماجد الذين اخترعوا البحر !! ..

لكنني في الحفلة التي أقامتها السفينة في « فيسار » بمجرد وصولنا لم أر على الموائد ديوكا رومية ولا ديوكا مصرية ولا حاجة أبداً غير عادية ؛ وأكل الضيوف الألمان من نفس الأكل الذي نأكله على السفينة في أي يوم عادى جداً ؛ كل ما في الأمر أنه كان : مطبوخ كويس (!!) : شوربة خضار ؛ أرز ؛ ملوخية ؛ قطع فراخ ؛ والحلو بطيخ ؛ وكان الله يحب المحسنين .. وبعد العشاء افتتحت زجاجتين ويسكي (بالعدد) وزجاجة كونياك واحدة (بالعدد) - (كما هو واضح من الصور التي صورتها " سلمى " خلال الحفلة) - + خرطوشتين سجابر (برضة بالعدد) .. ولأننا كنا موجودين في الحفلة فقد حسبنا تكاليفها بالعملة الصعبة علشان نبقي نعمل زينا في المجلة لما نرجع مصر بإذن الله ؛ فوجدنا أن ثمن زجاجتي الويسكي ٥ دولارات ؛ وزجاجة الكونياك دولار ونصف وثمان خرطوشتي السجابر خمسة دولارات ؛ والأكل كله كان من مخازن السفينة .. فيكون المجموع ١١,٥ دولارا ؛ نقول ١٥ دولارا بالثريات ؛ يعني ٦ جنيهات استرلينية .. راحوا فين إذن بقية الخمسين جنيهها المخصصة للحفلة ؟!

ويتضح أنه قد تم - فعلا - شراء صندوق ويسكي كامل (١٢ زجاجة) وصندوق كونياك كامل (١٢ زجاجة) و ١٥ صندوق بيرة علب و ٧ صناديق كوكاكولا علب و ٣ كيلو ياميش (لوز وبندي وعين جمل) و ٢٠٠ علبه سيجار - (ملحوظة صغيرة : " سيجار " وليس " سجابر ") - وسحب من خزن السفينة ٢٥ كرتونة سجابر (دانيل) و (كنت) = ٢٥٠ علبه سيجابر !! .. لكن كل هذه الأشياء اختفت أثناء الحفلة ولم يظهر منها إلا ما ذكرته في الفقرة السابقة : ٣ زجاجات ويسكي وكونياك وخرطوشتين سجابر .. وظهرت باقي هذه الأشياء بعد ذلك في مناسبات سعيدة متفرقة : أعياد ميلاد بعض كبار مهندسي السفينة مثلاً ؛ ولأثم الغداء اليومية في قمرة القبطان لحسانوات مكتب الشركة الألمانية مثلاً ؛ للطبيرة البيطرية الحسنة مثلاً ؛ للحفاوة والترحيب والعطف والحنان على الكلب (حسان) مثلاً ؛ وهكذا .. لكن الطاقم نفسه وكل الضباط وكل صغار المهندسين، الشهادة لله - لم يروا منها شيئاً .. بل أنهم - حتى - لم يستمتعوا برؤية (حسان) وهو يأكل البندق !!! ..

**وكنست
أتصور
بمناسبة**

الحفلة .. أن المفروض أن يحضرها كل طاقم ضباط ومهندسي السفينة بملابسهم الرسمية البيضاء أو السوداء الشيك ؛ ملابس الحفلات البحرية الرسمية ؛ ليستقبلوا الضيوف الأجانب ويحتفون بهم .. لكن الذي حدث أن القبطان بقدر اهتمامه بتوجيه الدعوة إلى مجموعة الصحفيين ؛ كثر خيره ؛ لم يوجه الدعوة إلا إلى ٥ فقط من الضباط والمهندسين ؛ ولم يحضر فعلاً غير ثلاثة فقط : كبير الضباط وضباط اللاسلكي والمهندس " أحمد الأعرج " واعتذر كبيراً المهندسين " عبد صالح عبده " و " صبرى سلوسة " احتجاجاً على عدم

دعوة باقى المهندسين .. وهكذا لم يظهر فى الحفلة كلها غير ٢ فقط من ضباط السفينة بملابسها الرسمية : القبطان وكبير الضباط ؛ فقد كان ضابط اللاسلكى والمهندس " أحمد الأعرج " لا يرتديان الزى الرسمى .. وبمجرد انتهاء العشاء زاغ القبطان تماما ولم نره بقية الحفلة على الإطلاق ؛ وانشغل كبير الضباط فى مكان آخر فى السفينة واختفى ضابط اللاسلكى .. وهكذا وجدنا أنفسنا - نحن الصحفيين - فجأة وحدنا نحن والمهندس " الأعرج " مع ٧ من الضيوف الألمان من كبار المسؤولين فى المدينة ؛ ابتداء من عمدة المدينة ومدير ميناء « فيسهار » إلى رئيس جمعية الصداقة المصرية الألمانية ؛ فاضطررنا إلى أن نقوم بدور المضيفين وأصحاب البيت ونلاغى الضيوف ونحكى لهم الحوادث ونروى النكت حتى نزيل من نفوسهم أثر اختفاء أصحاب الحفلة الأصليين من ذوى الرتب البحرية والذى الرسمى ؛ حتى عاد " حسن صبرى " مدير منطقة شمال أوروبا من توديع بعض الضيوف ؛ فأخذ الباقين وانصرفوا ..

إعتاد الله أن يحقق

لى أمنياتى ؛ كل أمنياتى ؛ ولو بعد حين .. إذا حققها لى " عاجلا " حققها كما أريد تماما ، أما إذا حققها " آجلا " فإنه يحققها أجمل وأروع كثيرا مما حلمت بها وتمنيته ..

دائما كنت أحلم بأن أعيش ؛ ولو لفترة قليلة ؛ فى (ذهبية) على النيل : عوامة من ذلك الطراز القديم يتابع زمان الذى ينقرض الآن ويوشك أن يختفى ويندثر تماما .. أصحو من النوم من النوم صباحا لأجد الماء أمامى مساحة كبيرة واسعة وأرى النهر تحت أقدامى منبسطا عريضا ؛ وأستنشق هواء الصبح نقيًا نديا ..

وطال الوقت دون أن تتحقق هذه الأمنية حتى توارت فى زوايا النسيان وكدت أنساها تماما ؛ حتى جاءت هذه الرحلة على السفينة " رمسيس الثانى " فركنت السفينة على رصيف الميناء فى « فيسهار » مايقرب من شهر ونصف - ٤٣ يوما كاملة - أفتح عيني كل صباح على الأصوات الرقيقة المرحلة لطيور النورس وهى تزقزق قرب نافذة قمرى ؛ فأنظر من هذه النافذة لأرى (بانوراما) ملونة رائعة لمنطقة من أجمل مناطق ألمانيا الشرقية فى ربيع شبه دائم ..

.. وهكذا حقق الله لى أمنيتى " آجلا " ؛ وبدلا من أن أسكن فى ذهبية على النيل فى أمبابة ؛ منحنى : ذهبية على بحر البلطيق !! ..

وبمناسبة طيور النورس

العادة أننا نرمى الخبز لطيور النورس فى الماء وهى تتنافس على التقاطه من الماء والطيран به .. اليوم عصرا ونحن نرمى لها قطع الخبز من نافذة القمرة الملعنات خطر على بالى أن أجرب معها شيئا جديدا : فلان طيور النورس حين تجدنا واقفين فى نافذة القمرة نلقى بالخبز فهى تأتى وتطير وتغوم أمامنا مباشرة وفى مستوانا مباشرة أكاد لو مددت يدى أن

امسك بها .. لذا فقد فكرت في أن ألقى لها بقطع الخبز إلى أعلى عسى أن تستطيع إلتقاطه وهو في الهواء قبل أن يسقط في البحر .. وفعلا : أول مرة عملناها نجحت تماما ؛ والتقط طائر النورس قطعة الخبز (على الطائر) من الهواء قبل أن تنزل في الماء .. فأصبحت هذه هي لعبتنا المفضلة بعد ذلك طول الوقت .. ولم نتوقف إلا بعد أن اكتشفنا أننا ألقينا للنورس بكل الخبز الذي أبقيناه من وجبتنا السابقة ؛ وايضا - بعد أن استغرقنا اللعبة الجديدة - بكل الخبز الذي كان مخصصا لعشائنا نحن !!

وهكذا عشنا طيور النورس ؛ وصعنا إحنا !! ..



المدينة اليوم ساقطنا أقدامنا إلى شارع صغير جدا لم نمش فيه من قبل ؛ اسمه شارع " هيجديه Hegede " .. في هذا الشارع الصغير اكتشفنا محلا ظريفا ودمه خفيف جدا اسمه (سوندرفيركوف sonderverkauf) .. المحل يبيع الملابس برخص التراب مش فاهم ليه ؛ البدة الكاملة الشيك جدا بجنيهن ونصف مصريين ؛ الجاكت بجنيه ونصف والبطلون بجنيه واحد ؛ بالطو رجالى أو حريمى بجنيهن ؛ أى قطعة ملابس حريمى ؛ بلوزة صوف أو "جوب" جيسيه أو بنطلون فاخر وغيرها يتراوح ثمن القطعة منها بين خمسين قرشا إلى جنيه ونصف مصرى على أكثر تقدير ؛ بيجامات حربية نسائية شيك جدا وفاخرة للغاية بـ - وماتخضوش - ؛ ريال مصرى !! .. " سلمى " هجمت على المحل كالمسروعة ؛ و "خبرى" انكسى وكسى العيال واشترى مجموعة جاككات فاخرة لاختواته الكبار - اللي في البلد - الجاكت بجنيه واحد !! ..

كنا - " سلمى " وأنا و "خبرى" - أول من اكتشف هذا المحل ؛ رغم ان بحارة سفينتنا يأتون الى هذه المدينة منذ عدة سنوات ؛ لكننا مسعدين ورزقنا في رجلينا .. المهم أن نفس الأشياء التي اشتريناها اليوم - وفيها بعد - من هذا المحل ؛ وجدناها معروضة في المحلات الأخرى بأربعة أضعاف الأسعار التي يبيعها بها محل (سوندرفيركوف) هذا ؛ رغم أن كل المحلات هنا بلا استثناء قطاع عام وملك الدولة .. أمال ليه هنا رخيصة وفي المحلات الأخرى غالية !! مش فاهم ولم أستطع لذلك تفسيرها إلا أن تكون بواقى مصانع الملابس مثلا ؛ أو فيها أخطاء وعيوب غير ظاهرة ولم نستطع إكتشافها أو التنبه لها ؛ أو - والله أعلم - تكون ملابس سرقتها للصوص من عل حبال الغسيل ؛ أو تكون ملابس ناس "مرحومين" إشتروها ثم انتقلوا الى الرفيق الأعلى قبل أن يلحقوا بلبسوها وياعها الورثة الى هذا المحل لكي يتخلصوا منها !! ..

وبناء عليه ؛ أطلقنا على هذا المحل إسم : (محل ملابس الموت) !! ..



أقوم في هذه

الرحلة بدور المترجم الفوري الخاص للزميل "خيرى" . . فلأن "خيرى" ضليع في اللغة العربية فقط ويستنكر تماما أى لغة أخرى ولا يعترف بوجودها أصلا ؛ فإننى إذا التقينا بأجانب وتكلمنا أنا و"سلمى" معهم أترجم على الفور كل الحديث الدائر لـ "خيرى" لكي يكون معنا في الصورة . . صحيح أنه حين يكون هناك شيء يستحق الضحك ؛ مثلا ؛ فإن "خيرى" يضحك متأخر شوية ؛ بعد أن أترجم له ؛ لكن على أى حال أحسن من أنه مابضحكش خالص ويبقى واقف (طيشة) ومش فاهم حاجة أبدا . .

وحين كنت أنا و"سلمى" ندعى وحدنا دون "خيرى" إلى أى مكان ؛ فإننا بمجرد عودتنا إلى السفينة نحكى له فورا كل ما حدث وكل الحوادث والحكايات والأشياء الغريبة التي سمعناها في ذلك المكان . . لذا ؛ ولأن "خيرى" لم يكن معنا في سهرتنا الألمانية بالأمس في بيت "ريناتيه ميستير" فإننا قد حكينا له بعد عودتنا كل الأشياء الغريبة التي سمعناها عن الحرية الجنسية المهولة في ألمانيا الشرقية وفي أوروبا الشرقية عموما . . ومع ذلك - مع أننا هياناه ذنبنا لهذا الموضوع - إلا أنه كاد اليوم أن يضعنا في قبضة البوليس الألماني لولا أننا لحقناه في آخر لحظة :

كنا نتمشى في شوارع ضاحية «إمسيلويج» حين شهد «خيرى» فجأة لأول مرة في حياته المنظر الذي كنا نتكلم عنه مع بالأمس : طفلة صغيرة في الثالثة عشرة من عمرها على الأكثر : حامل ؛ وبطنها قداما قاد كده بما لايتناسب إطلاقا مع «حجمها» البناي الصغير ، دكك من عمرها وملاعها الطفلة . . وجزع «خيرى» جزعا شديدا وثار بعنف وعصبية وبدا عليه كأنه يوشك أن يتصرف تصرفا «تربويا» عنيفا مع الطفلة الحامل . . فلما شخطت فيه وكشرت في وجهه - عشان أفوقه - وقلت له : «واحنا مالنا ، إحنا في ألمانيا مش في قلينيا - بلدته (قلين) في عافظة كفر الشيخ - وأنا ومن بقية عائلتها ولأمستولين عنها ، ومادام أبوها راضى وأمها راضية والقانون الألماني راضى ، دخلنا إحنا إيه ؟! » . . ضبط أعصابه غصب عنه ، لكنه بدا كأنه يوشك أن يفرغ مافى بطنه !! . .

مستكين «خيرى» : لسه مش واخلد على (التقدم) الأوروبي !! . . اتخنى أن أكون معه في رحلته العاشرة إلى أوروبا لأرى كيف سيتصرف حين يرى مثل هذه المناظر . . . وإن كنت أنصوّر من الآن أنه سوف لا يلحظها ولا تستوقف نظره . . مثل أنا الآن !!! . . .

نفس الحال بالنسبة

لـ «سلمى» - فكلاهما هذه هي رحلته الأولى في أوروبا - فمئذ سمعت «سلمى» مستر «شتيجان» في سهرتنا الألمانية في بيت «ريناتيه» أن الشبان والبنات هنا يمارسون الجنس في الحدائق العامة إذا لم يجدوا مكانا مغلقا ، وهي كلما مررتا بحديقة عامة تدور بعينيهما في أرجائها بحدة وتكاد تشمشم كالكلب البوليسى تبحث عن الصبيان والبنات الذين يمارسون الجنس !! . . وكلما رأيت فتى وفتاة يسيران في شوارع المدينة في حالة حب قالت وهي

تتابعها بنظرها : « آهم دلوقتي رايجين الجنينة » ... حتى مررنا مرة على فتى وفتاة يجلسان على دكة خشبية في أحد شوارع وسط المدينة في حالة اندماج تام ، ففوجيء المسكينان بمن تقف فوق رأسيهما وتخطط فيها بحدة باللغة العربية : « إنتم مالكمش جنينة تلمكم ١٩! ماتنقى يابت إنتى وهو تروحو الجنينة »

مسكنية الست دى ... حصلت لها أرتكاريا في غمها إسمها الجنينة !!

سمعنا اليوم على

السفينة خبرا مؤسفا أشاع حالة من التوتر على السفينة كلها ، خصوصا عند « سلمى » و « خيري » : السفينة المصرية « اللاذقية » التابعة لنفس الشركة صاحبة سفينتنا ، غرقت قرب الهند بعد أن واجهت إعصارا قاسيا وفقد قبطانها السيطرة عليها ، فاضطر - لينقذ طاقمها بعد أن فقد الأمل في إنقاذ السفينة نفسها - إلى أن (يشحط) بها في أقرب شاطئ إليه ، حتى تكون المسافة قريبة بقوارب النجاة أمام البحارة ما أمكن .. وقال ضباط سفينتنا الذين نقلوا إلينا هذا النبأ ، أنه في عالم البحر تعتبر هذه المسألة بطلولة من قبطان « اللاذقية » أنه استطاع إنقاذ الطاقم ، لأن الإنسان - في البحر - أغلى كثيرا من أى سفينة !! .. وكما يقول الأطباء أحيانا : (نجحت العملية ومات المريض) ، فقد نجا بحارة « اللاذقية » لكن السفينة نفسها قد غرقت

موقف صعب ونادر : أن يكون الإنسان على سفينة تواجه حالة الغرق .. الأصعب منه طبعاً أن يفرق هو أيضا معها !!

دخل قبطاننا صالون

الضباط في السفينة فوجد جهاز تسجيل كاسيت دائر بشرط عليه تسجيل آيات القرآن الكريم يدور بصوت عال ، فصاح على الفور : « سكوا البتاع ده ، هو إحنا في أربعين واحد ميت والا إيه ؟ .. » إقفل البتاع ده بإجدة انت « !! .. » .. وقفل الجدة انت البتاع ده « !! .. » ..

ظريف جدا أن يلتقى

الإنسان المصرى في هذه المدينة المتطرفة في أقاصى المعمورة على شمال الدنيا ، بفتاة مصرية ، وحسنة كيان .. مالذى جاء ب « فاطمة » السمراء الوسيمة إلى « فيسار » لتكون واحدة من ثلاث مصريات فقط في هذه المدينة الآن : « نادية » زوجة « مورييس مرقص » ، و « سلمى » ، و « فاطمة » ؟ .. ماهى حكاية « فاطمة » ؟! ... « فاطمة ابراهيم السيد » سكندرية من سيدى بشر عمرها ٢٦ سنة ، ولو أنها تبدو أصغر من ذلك كثيرا .. حين تخرجت من معهد إعداد الفنيين التجاريين والتحقّت بوظيفة مؤقتة بشركة

إسكندرية للأدوية في انتظار تعيينات القوى العاملة ، وأيضاً - شأن كل بنت بلغت سن الزواج - في انتظار إين الحلال ، لم يكن يحظر على بالها على الإطلاق أن تتزوج من شخص غير مصري ، بالعكس : كانت دائماً تعترض على أن تتزوج فتاة مصرية من شخص غير مصري : « يعنى من قلة الشبان المصريين ١٩ » ... لذا فحين جاء الشاب الإريتري الأصل الصومالي الجنسية « مهاري باري » - الذي يعمل مهندساً على سفينة لبنانية - ليزور صديقه زوج اختها في البيت ، ورأها ورأته - ، وكان ذلك منذ سنة ونصف تقريباً ، لم تكن تتوقع أن يقع في حبها ... لكنها بدأت تلاحظ أن زيارته قد تعددت طوال فترة بقاء سفينته في ميناء الإسكندرية .. ثم سافر « مهاري باري » مع سفينته في رحلة دامت نحو ٦ شهور قبل أن تمر سفينته على الإسكندرية مرة أخرى ، وجاء ليزور صديقه « متولى » - زوج أخت فاطمة - وفي هذه المرة إستجمع شجاعته وصارح صديقه بأنه يحب « فاطمة » ويريد الزواج منها ... لكن « متولى » قال له أن هذا الأمر يخص « فاطمة » وحدها ، وطلب منه أن يكلمها هي .. فكلّمها فعلاً ، لكن « فاطمة » - التي فوجئت تماماً - طلبت منه أن يترك لها مهلة تفكر فيها ، وحين يعود من البحر في المرة القادمة تكون قد استقرت على رأي واتخذت قرارها .. وغاب « مهاري » ١٠ شهور هذه المرة ثم عاد ليتلقى رد « فاطمة » بالموافقة ، لكنها كانت تعني الموافقة على مبدأ الخطوبة فقط على أن يؤجل الزواج بعض الوقت حتى تكتمل استعداداتها له ... لكن « مهاري » كان مستعجلاً في إتمام الزواج لكي تسافر معه على سفينته وتكون رحلة شهر العسل لها في البحر ، وفي أوروبا ... وقد كان ...

« مهاري باري » إريتري

الجنسية الصومالي الهاسبور المصري الزوجة : « محمد حسن حسني » الآن بعد زواجه من « فاطمة » .. عمره ٢٨ سنة قضى منها ٩ سنوات في البحر .. الآن هو المهندس الثالث للسفينة اللبنانية (أورابيا) .. « مهاري » لم يعرف اللغة العربية على الإطلاق ، ولكنه قضى سنة ونصف في عدن حيث تعلم ، إلى حد ما ، اللغة العربية التي ينطقها الآن ولكنه مزيج ، لأنه تعلمها من العديد من اللهجات العربية : عدنية على لبنانية على صومالية على مصرية ، لكنه الآن زوجته مصرية وأغلب أصدقائه مصريين ، لذا فقد بدأت لهجته تتحول الآن إلى اللهجة المصرية شيئاً فشيئاً .. أسرته كلها في إريتريا ، وهو الوحيد البعيد عن وطنه الأصلي .. سألته عن عدد إخوته فبدت على وجهه علامات دهشة حقيقية كأنه يفاجأ بهذا السؤال لأول مرة في حياته : « إستنى لما أعدم لك »!! .. وفكر ، وعد على أصابعه ، وأعاد التفكير وأعاد العد ، ثم قال : « ٤ بنات و٦ رجال » .. هو أصغر الرجال والتاسع في الترتيب للمعام من الأخوة العشرة .. وأسرت في إريتريا لم تعلم أنه تزوج إلا بعد زواجه بنحو شهر حين كتب إليهم من هنا ، من « فيسار » ..

« مهاري باري » كان ينوي أن يتزوج أوروبية ، لكنه عاد ف شعر أن الزوجة الأوروبية لا يمكن أن تدوم إلى الأبد ، لاختلاف الطباع والعادات والتقاليد ولأن المرأة في الأسرة الأوروبية هي التي تحكم البيت وتحكم الزوج ، لذا فقد قرر أن يتزوج من عربية ، مصرية بالذات .. الناس الذين احبهم أكثر وقدر يصادقهم أكثر وجعلوه يشعر بأن مصر هي وطنه شخصياً .. فقد أحب أسرة

« فاطمة » قبل أن يحب « فاطمة » نفسها .. ذهب يزور صديقه « متولى » فشرع بأنه في بيته وفي وسط أهله وإخواته وأسرته ، وشرع بالبيت والأبوة والأمومة والجو العائلي ، فتزوج فاطمة - كما يقول لها دائما- من أجل أبيها وأمها ، لكن يشعر أن لديه أسرة هنا ينتمى إليها ..

مشكلة « مهارى بارى » أو « محمد حسن حسنى » الوحيدة الآن هو أنه يريد أن يتعلم قراءة وكتابة اللغة العربية حتى يكتب ويقرأ بها .. كان على السفينة قبل هذه الرحلة طباطخ أزهرى ، فكان « مهارى » يتلقى على يديه دروسا في اللغة العربية ، لكن يبدو أن « فاطمة » سوف تحمل من الآن حمل الطباخ الأزهرى وتعلم « مهارى » : الطبخ !! ..

زرت أندية البحارة فى عدد

من موانى العالم .. أندية ظريفة جدا ودعما خفيف ومهمتها الأولى هي أن تجعل البحار الأجنى يقضى وقتا سعيدا مرحا .. ونحن أقول : « الأجنى » فانا أقصد الأجنى بالنسبة إليهم وليس بالنسبة إلينا نحن .. لأن أندية البحارة في معظم موانى العالم تحرم دخولها على أبناء جنسية الدولة الموجود فيها النادي .. تماما كما هو حادث هنا الآن في ميناء « فيسار » في ألمانيا الشرقية ، فإن البحارة الألمان أو الشباب الألمان عموما غير مسموح لهم بدخول نادى البحارة هنا ، لكن أى فتاة ألمانية مرحبا بها في النادي في أى وقت ، لأن الفتيات مطلوبات للترفيه عن البحارة الأجانب - « الأجانب » الآن الى هم احنا - لأنهم ضيوف مؤقتين ينبغي أن يجيدوا المكان الذى يرفهون فيه عن أنفسهم .. لكن لو فتح النادي أبوابه أمام الشباب الألمان فسوف ، يزحجون ويمتلون كل ليلة بحيث لا تبقى فيه أماكن للبحارة الأجانب المقام النادي من أجلهم أصلا ..

ونادى البحارة هنا

هنا في « فيسار » ، ويطلق عليه إسم الـ (إنتركلوب) اختصارا لإسمه الطويل (إنترناشيونال كلوب دى زيلوتيه فيسار International Klub) *Der Seeleute Wismar* .. ميناء من الخارج شكله قديم ، لكنه من الداخل شيك جدا ومؤث بشكل عصري ومودرن جدا .. به قاعة كبيرة للقراءة ومشاهدة التلفزيون الملون ، وقاعة للبيج بونج ، وقاعة كبيرة جدا للحفلات الراقصة التى تقام ٣ مرات أسبوعيا ، وبار أنيق ، ومطعم ظريف للغاية .. الأهم من ذلك كله أن الأسعار فيه رخيصة الى أقصى حد .. يعنى تستطيع أن تقضى سهرتك كلها فيه ، فترقص وتلهو وتمرح وتتناول عشاءك وتشرب عصير برتقال أو ليمون أو كوكاكولا ، ويمكن كأسا من المنكر ، فنصرف ٤ أو ٥ ماركات على الأكثر ..

لكن لأجل شئ قطعنا في نادى البحارة في « فيسار » هو . « جيتيه Gitta » الجرسونة الحسنة التى تشبه الى حد كبير جدا مذيعه التلفزيون « نجوى ابراهيم » ، لولا أنها لدوعة جدا ومايصة جدا ومقنعة جدا ومخلعة جدا .. طبعاً أنا أقصد « جيتيه » وليست « نجوى » ..

الإنسان من المسؤولين

في نادى البحارة في « فيسار » اللذين نتعامل معها ، هما : مستر « بولز Bolz » وهو ألماني أربعيني بسيط وظريف ودمه خفيف .. ترجمنا إسمه من اللغة الألمانية « Bolz » إلى نفس نطقه باللغة الإنجليزية ليصبح (Balls) ، ثم إلى اللغة العربية ليصبح (كرات) أو (كور) .. فسميناه (مستر كور) .. وهكذا أصبح صديقنا « مستر كور راج » و « مستر كور جه » و « مستر كور عمل » و « مستر كور قال » ..

أما المسئول الثانى فهو « مستر جورك فيشمان Jorg Wichmann » .. شاب عملاق عمره ٢٣ سنة يتكلم الإنجليزية بصعوبة شديدة ، وأتصور أنه يتكلم الألمانية أيضا بصعوبة شديدة .. سألته مرة - باللغة الإنجليزية - هل هو متزوج ؟ ففكر طويلا جدا ثم بدا عليه أنه لم يفهم سألنى ، فشرحته له بالإنجليزية وبالإشارة : ديلة وطريحة زفاف وفرح وكنيسة وبيت صغير وحساء ذات جسم جميل وخصر نحيل ، فتהלل وجهه وصاح فى سعادة : « Yes » .. الحمد لله فهم أخيراً ، فعدت أسأله هل لديه أطفال ؟ فقال على الفور : « طبعاً .. إثنين .. إنجليكا ، وماريون » ، سألته عن عمرهما فقال : « إنجليكا عمرها ٢٤ سنة ، وماريون عمرها ٢٠ سنة ، وأنا عمري ٢٣ سنة » !!!!

وأنضح أنه فهم من الأول أننى أسأله هل لديه إخوات بنات !!!! ..

من ضمن نشاط

نادى البحارة هو أنه ينظم لرواده من البحارة الأجانب رحلات إلى برلين العاصمة في مقابل ما يساوى جنيه مصرى واحد للفرد .. أوتوبيس سياحى فاخر كبير يأخذ المجموعة من على باب السفينة إلى برلين ، وهناك يكون قد استقبلهم مرشد سياحى يتكلم اللغة التى يريدونها : الإنجليزية أو الفرنسية أو العربية أو حتى اليابانية إذا احتاج الأمر .. ليأخذهم لزيارة برج برلين ومعالم وآثار ومتاحف وقصور برلين القديمة ، دون أية رسوم أخرى ، فى جولة تستمر ٣ ساعات كاملة ، ثم يتركهم على راحتهم فى جولة حرة لمدة ٣ ساعات أخرى يذهبون فيها إلى السوق أو إلى أى مكان يعجبهم بنفس الأوتوبيس السياحى أيضاً ، والعودة إلى « فيسار » قرب منتصف الليل .. وكل ذلك بجنيه واحد يابلاش .. إذا علمت أن برلين تبعد عنا هنا بحوالى ٥٠٠ كيلو مترا ، وإذا علمنا أن هذا الجنيه الذى ندفعه ليس هو التكلفة الفعلية للرحلة ، لكن نادى البحارة يدفع مقابل هذا الجنيه منك جنيه ونصف آخرين من ميزانيته عن كل بحار يشارك فى هذه الرحلة ..

ليس ذلك فقط ، بل أن الرحلة إلى برلين فقط هى التى يتقاضى عنها رسوماً أو اشتراكاً من البحارة المشتركين فيها .. لكن النادى ينظم رحلات مجانية .. مجانية تماماً ، دون أن تتحمل

ميزانيتها ولا جيوبنا ماركا واحد ولا مليا واحدا ، إلى أى مدينة قريبة يريد البحارة زيارتها ومشاهدتها . . لذا ، فإننا - كمصريين شاطرين - لم نتردد في الإتفاق مع مستر « كور » فوراً على أن يرتب لنا النادى زيارة لمدينة « روستوك Rostock » أكبر موانئ ألمانيا الشرقية ، على بعد ٦٥ كيلو مترا من « فيسار » . . ووافق « مستر كور » فوراً . . واتفقتنا أن تكون زيارتنا لـ « روستوك » بعد غد . .

« مستر بولز » يعكس

لنا حدوثه غريبة جدا ، أنه أمس في الساعة الواحدة صباحا بعد انتهاء العمل في نادى البحارة ، كان يقود سيارته في الشارع القريب من الميناء عائدا إلى بيته ، وفجأة شاهد في الظلام شجرة وافقة على جانب الطريق تحت الرصيف ، فكاد أن يصطدم بها لولا أنه تفادها بسرعة . . ولما كان وجود شجرة مزروعة تحت الرصيف وفي وسط الشارع هكذا شيء بعيد التصديق في ألمانيا هنا ، خصوصا في هذا المكان بالذات الذى يمر عليه كل يوم مرتين على الأقل ويعلم جيدا أنه ليس به أشجار ، فقد توقف مستر « بولز » بسيارته بعد أن تجاوز الشجرة بقليل والتفت ورائه يتفحصها جيدا ، فاكشف أنها ليست إلا شأبا وفتاه غارقين في (عناق عميق) وقيلة طويلة وهما ملتصقين تماما ولا يتحركان ولا يشعران بما حولهما ولا حتى بالسيارات التي تكاد أن تدهمها !! . .

ورغم الظلام فقد تبين مستر « بولز » شكل الشاب وعرفه ، وحمد ربنا أنه لم يدهمه بسيارته ، وإلا كانت السفينة « رمسيس الثانى » قد أكملت رحلتها بدون ضابط لاسلكى !!!! . .

رغم أن لنا الآن أكثر

من ٣ أسابيع في مدينة « فيسار » إلا أننى لم أر هذا المنظر إلا اليوم فقط . . رأيت الجزارات الحسنات : فتاة ألمانية زى القمر ، مانيكان شقراء ترتدى بالظو أبيض شديد النظافة تأكل طيبة في العالم لسه متخرجة الآن حالا ، وهى تمسك في يدها السكين والساطور تقطع اللحم وتبيع للزبائن !! . .

مؤكد أن اللحم من هاتين البيدين الرقيقتين الجميلتين والأظافر الأنيقة المطلية بالمانيكير يكون أطعم وألذ وأشهى مليون مرة من قطعة الحاج محمود جزارنا الذى نشترى منه في سوق التوفيقية في القاهرة . .

هيه . . عقبالنا يارب !! . .

على مائة الفداء

اليوم ارتفعت الأصوات على سفينتنا لأول مرة بالشكوى .. « أول مرة » هذه تعود على ارتفاع الأصوات وليس على الشكوى في حد ذاتها ، فإنهم كانوا حتى اليوم يشكون لكن في هس ، أما اليوم فيبدو أن الكأس قد فاضت والصبر قد نفذ ، حتى أن واحدا من المهندسين - « مصطفى المملوك » أظن - زعق في وسط صالون الطعام بأعلى صوته بعصبية شديدة وحق وهو يزيح بيده بقرف الطعام الموضوع أمامه على المائدة : « طيب أنا حافضل قاعد هنا في الصالون لغاية ما أشوف الأكل اللي بيطلع فوق للقبطان والباشمهندس حقير زى أكلنا ده والا لا ؟ .. ما هو مش معقول يتعمل لهم حتى العيش خصوص وبالزبدة ، والباقيين ياكلوا طول الرحلة رز وفاصوليا بيضا .. وقطعا يبقى عندهم حق الناس الأكابر اللي يسهروا كل ليلة في بارات فيسار لوش الصبح والفلوس اللي بتصرف كل ليلة على النسوان والشمبانيا عيني عينك قدأمانا كلنا-والواحد منهم بيصرف له كل ليلة ١٠٠ والا ١٢٠ مارك على الأقل ، كأنهم مش بياخدوا مرتبات زينا .. بيجيبوا الفلوس دى كلها متين إلا إذا كانت من أكلنا ومن حقنا ؟ .. »

حقيقة صحيح فعلا

: بيجيبوا الفلوس دى كلها متين ١٩ .. دا احنا قعدنا في « فيسار » وحدها أكثر من ٥ أسابيع (٣٨ يوما بالضبط داخل الميناء) ، لم تمر ليلة واحدة منها لم

يسهر فيها فراودة السفينة الثلاثة الكبار في مطاعم وبارات « كوربيانكا » و « فيسار هوتيل » و « Sony » و « M.T.W. » .. وإذا كان كل واحد منهم قد حصل من مكتب وكيل الشركة هنا على مبلغ ٢٠٠ مارك تحت حساب مرتبه يوم دخلنا الميناء ، وافترضنا إنه كان يصرف في الليلة الواحدة ٢٠ ماركا فقط ليس إلا - وذلك مبلغ تافه جدا لو تعلمون - إذن فإنه يكون قد صرف في البارات فقط - غير مشترواته الشخصية - ٧٦٠ مارك في الـ ٣٨ يوما التي قضيناها هنا .. وإذا

افترضنا أن كل منهم كان رجلا هالسا مهيابا يصرف على المجلس ضعف ما يشتري به لنفسه وليته ولأولاده الذين ينتظرون عودته في الإسكندرية ، إذن فهو قد صرف أيضا ٣٨٠ مارك فقط على مشترواته ، ولكان المجموع = ١١٤٠ مارك .. من أن إذن جاء هذا المبلغ الباقي : ١١٤٠ مارك مصروفات - ٢٠٠ مارك قبضهم = ٩٤٠ مارك ١١٩ .. دعكم أن أن هذه الفلوس أحق بها بيوتهم وزوجاتهم وبناتهم وأولادهم في الإسكندرية ، فهم أحرار طبعا ويمكن هذه الفلوس زائدة عن احتياجات البيت ، لكن - وهذا هو الأهم - من أين لهم ذلك فعلا ؟ .. هل خرجوا بهذه الفلوس من الإسكندرية أم وصلتهم هنا ؟ .. وإذا كانوا قد خرجوا بها من الإسكندرية ف- أيضا - هل سجلوها في إقراراتهم الجمركية بشكل رسمي ، أم خرجوا بها كده ، جدعنة ودكاكيني وتهربا ، وتلك مصيبة أكبر ؟ .. أفيدونا يا أهل العلم أفادكم الله ، على الأقل علمونا إزاي

علشان نعمل زيكم ، بدلا ما نفضل طول عمرنا نأكل رز وفاصوليا بيضاء في هذا البلد .. علمونا
إزاي نقدر نأكل وياكم (كوسة) ما دام ده حال البلد والناس الكبار في البلد وفي الشركة القطاع
العام صاحبة سفيتتنا و ٤٥ سفينة أخرى غيرها ، راضيين ومبسوطين وولا على بلهم !!!!! ..

نزلت آنا و «سلمى»

نتمشى في شوارع المدينة شبه الخالية مساء الأحد .. كانت تمر علينا لحظات
ذكون فيها نحن فقط اللذين نسير في الشارع .. قادتنا أقدامنا إلى أبواب
مطعم «كوريانكا» فدعتنى «سلمى» إلى العشاء على الطريقة الأنجلو مصرية التي ابتكرتها هي :
نعمشى معا : وأنا أدفع حسابها وهي تدفع حسابى !! ..

لكننا بمجرد أن دخلنا المطعم وجلسنا إكتشفنا أن القبطان يجلس على المائدة المجاورة لنا :
فعدلنا عن العشاء واكتفينا بأن طلبنا كوكاكولا لنشرها ونصرف بأسرع ما يمكن : لأن القبطان من
على مائدته كان يوجه كل كلامه إلينا : فرصة يلاقى حد يفهم كلامه ويتفاهم معاه .. فقد كان
جانسا مع فتاة شبه بلهاء أو عندها تخلف عقلى : لا تكاد تتكلم ولا حتى بالألمانية : كلاهما سعيد
جدا : هو يحدثها بمزيج من اللغة العربية ولغة الإشارة : وهي ترد عليه بضحكة واسعة دائمة
بلهاء كأنها مبطوخة في وجهها في مكان الفم !! .. يسميها «الكزنسية» : ويسمى الجرسونة
الصبية الحسنة «النونو» : ويسمى حارسه الملابس في مدخل المطعم «عدراء فيسار» أو «ماما
الحاجة» لأنها عجوزة شمطاء تجاوزت السبعين وهو - كما قال لنا - ينعم عليها كل ليلة بثلاثة
ويسكى على حسابها حتى تفقد توازنها وودور رأسها فتصرف تصرفات عبيطة بهلاء وهي تتطوح
وتصيح بأعلى صوتها : «هيه .. أنا قبطانة» !! ..

طيب أوى قبطاننا ده !!!!!

«خيرى» .. يبدو أن رحلتنا

قد استنفذت أغراضها بالنسبة إليه بعد أن اشترى من هنا كل ما كان يريد
ويحلم به ويتمناه ، فاتفق مع كبير الضباط في السفينة اللبنانية (أورابيا)
الراسية إلى جوارنا في الميناء لكي يعود معهم إلى الإسكندرية يوم السبت القادم .. قال لي أنه
حكى لهم عن ظروفه الصعبة وحكاية البرنامج الذى يعده للإذاعة في رمضان فيكسى منه العيال في
العيد وربنا ما يحوجكم ولا يحطكم في زنقة يا قادر يا كريم !!

المسألة كده شكلها وحش جدا في حقنا كصحفيين لأنها شحاته وتوسل : سفينة أجنبية طاقمها
لبنان ومزيج من جنسيات مختلفة وقبطانها بولندى : تأخذه معاه بتذكرة مجانية بمناسبة إيه ؟ ! ..
شكلها مهين جدا ليس لنا وحدنا ولكن للصحافة المصرية كلها : وأنا السبب في ذلك كله .. فانا

أتصور أن الصحافة مهنة كريمة عزيزة شديدة الكبرياء والكرامة شديدة الإباء وعزة النفس .. وهو يتصرف على إن يا بخت من قدم شيء بيهاء وأن كسوة العيال في العيد في رقبتيكم بإسادة يا مسلمين يا مؤمنين يا موحدين !!!!

وبما أنه خلاص

فرر العودة : وبالتالي فسوف يسبقني في الوصول إلى مصر وبالتالي - أيضا - إلى المجلة : فإنه - ونحن نتمشى الليلة في شوارع « فيسبار » - يحاول أن يتفق معي على أن نقسم العمل بيننا بالنسبة للكتابة عن هذه الرحلة : أنا أتناولها بشكل صحفي تقريرى : وهو يتناولها كعمل أدبى : والأديب زى ما أنت عارف - ده « خيرى » - إلى يقول - « من حقه أن ينطلق كما يشاء وله رؤيته الخاصة للأشياء : وله أن يتصرف في الحقائق المجردة لكي يعطيها الشكل الأدبى المطلوب » .. بمعنى أنه يريد أن يقول أنه قابل الفتاة الأوروبية التي (حادتها) وقالت له كذا وكذا وحصل معها كذا وكذا ، وأنه دخل بيت الأسرة الألمانية الفلانية وقالوا له كذا وكذا وقال لهم كذا وكذا !! .. يعنى ، باختصار ، ناوى يفرك على راحته ويدعى أشياء لم تحدث ، ويريدنى ألا أكذبه به أمام المجلة أو أقول أن ذلك لم يحدث ، بحجة أنه هو أديب وأن الأدب هكذا ، مفترضا أنني أنا عجلاى أو سباك أو تاجر أدوات صحية ولست أدبيا ولا كاتبيا !!!!

وأتصور من الآن أن « خيرى » بمجرد عودته إلى القاهرة قبل - بحداقة وفهولة فلاح قلين الأرواب النشيط - سوف يكتب وينشر كل ما ترجمته له أنا وكل ما حكمته له أنا و « سلم » ، على أنه حدث له شخصا ، ولما أرجع أنا إلى مصر يبقى يحلها ربنا : يعنى حا عمل أيه ؟ !!! ... منك لله يا رئيس تحريرنا .. آدى شورتك وآدى فكرتك الـ ظريفة !! ..

شاهدت اليوم متظرا

كنت أتمنى أن أراه في أوروبا من زمان ، لولا أن هذا المنظر بالذات لا أستطيع أن أذهب إليه أو أبحث عنه بمزاجى ورغبى ، ولم يكن ممكنا أن أراه إلا بالصدفة ، وبالصدفة فقط .. المنظر : حادث سيارة في طريق عام !! ..

سيارة صدمت رجلا يعبر الشارع .. وليس المهم هو حادث التصادم في حد ذاته ، لكن المهم هو ما حدث بعده ونتيجة له :

سيارة نقل تسير بسرعتها العادية في الشارع الرئيسى لـ « فيسبار » الموصلى إلى الميناء .. شارع « كارل ماركس » .. رجل يعبر الشارع من غير المكان المخصص لعبور المشاة - (وهذا هو الخطأ رقم ١) .. ولا ينتظر حتى تمر السيارات تماما لكنه حاول - زى عندنا - أن يسبقها (خطأ رقم ٢)

.. لكن السيارة النقل تكون أسرع منه فتصله في وسط الشارع ، لكنها - لحسن حظه - تصدمه فقط ولا تدوسه .. فتطرحه على الأرض إلى جوارها

هذا هو الحادث .. فلنر ما حدث بعد ذلك ...

* توقفت السيارة اللوري على الفور .. لم يهرب السائق بسيارته : ولم يضغط على البنزين بأقصى قوته قبل أن يلتقط أحد ثمة السيارة .. حتى أن المصاب كان ملقى على الأرض عند منتصف جانب السيارة تماما ..

* لم يتلم الناس أو ينزلوا جرى حول المصاب وحول السيارة : ولا تجمعوا وزجوا الدنيا وربكوا المرور وعطلوا كل حاجة ، ولا وقفوا في تباتة وسداغة ينظرون في بلاءة ويتكلمون متلطين مستلطين كذباب الصيف الثقيل وكان المسألة « فرجة » كما يحدث عندنا في مصر .. لم ينزل ولا أحد من فوق الرصيف على الإطلاق ، وكان الحادث قد وقع أمام محطة أوتوبيس عندها طابور طويل واقفين في إنتظار الأوتوبيس ، فلم يتحرك واحد منهم من مكانه ولا ترك دوره في الطابور .. صحيح أن جميعهم إلتفتوا نحو مكان الحادث : لكن برؤوسهم وعيونهم فقط ..

* نزل سائق السيارة اللوري - التي ارتكبت الحادث - من مكانه مسرعا ليرى المصاب ، لكنه لم يلمسه ولم يحركه من مكانه .. ثم أشار برأسه إلى الناس الذين أطلوا من نوافذ بيوتهم على صوت الفرملة ليروا ماذا حدث ، يطلب منهم أن يستدعوا الإسعاف بالتليفون ..

* إختفت بعض الرؤوس من النوافذ لتطلب الإسعاف ، بينما خرج من باب بيت مجاور فتى في نحو الرابعة عشرة يجرى مسرعا ، نظر يمينا ويسارا في الإتحاهمين ليتأكد من خلو الطريق من السيارات - حتى لا يصيب الحادث حادثين - قبل أن ينزل من فوق الرصيف ويتجه نحو المصاب وهو يحمل بطانية مطبقة ، وفي يده حقيبة مرسوم عليها علامة (الصليب الأحمر) .. وضع البطانية برفق جدا وبالراحة جدا تحت رأس المصاب الذي كان لا يتحرك ..

* بعد ٣ دقائق بالضبط كانت ٣ سيارات تأتي مسرعة وراء بعضها .. ركنت الأولى قبل مكان الحادث ونزل منها عسكري مرور ألماني ألقى بنظرة واحدة على مكان المصاب وعلى موقع الحادث - كأنه يدرسها - ثم أخذ مكانه على الفور لتنظيم المرور في الشارع بحيث ينه السيارات القادمة من الإتحاهمين لتتم بهدوء جدا في منطقة الحادث .. وبين حين وآخر يقفل الطريق أمام السيارات ليعبر المشاة الشارع بالعرض ..

* السيارة الثانية سيارة إسعاف ركنت إلى جوار المصاب بالضبط ، ونزل سائقها السمين الممتلئ ببالطوه الأبيض ليفحص المصاب فحصا سريعا .. عرفت بعد ذلك أن سائق سيارة الإسعاف أيضا طبيب !! - ثم يشير إلى طبيب آخر داخل السيارة لينزلان معا النقالة .. ويرفق جدا وبالراحة جدا حملا المصاب ووضعه فوق النقالة وحمله إلى داخل سيارة الإسعاف : ليتولى مباشرة الطبيب الذي كان بداخل السيارة ومعه طبيبة أخرى كان قد بقيت ولم تنزل ، علاج المصاب .. بينما عاد الطبيب السائق الى مكانه أمام عجلة القيادة ليقود السيارة بهدوء ويركها إلى جوار الرصيف : حتى

يفتح الطريق للمرور . . ثم ينزل مرة أخرى إلى مؤخرة السيارة ليشارك زميليه الطبيين في علاج المصاب داخل السيارة . .

وأطل برأسى من خلال زجاج السيارة - صحفى وغريب رفضولى - لاكتشف أن بداخل السيارة مستشفى كامل صغيرة بوحدة نقل دم وأجهزة قياس ومعدات طبية وأدوات لا أفهم منها شيئا ، لكن الواضح أن كل واحد من الأطباء الثلاثة يعرف دوره جيدا ويعرف المطلوب منه جيدا : ويؤديه جيدا . .

* السيارة الثالثة سيارة (ميكروباس) وقفت إلى جوار الرصيف المقابل للحادث ، وانفتح بابها الجانبى ليتضح أنها من الداخل عبارة عن (قسم بوليس صغير) : محقق يجلس إلى مكتب صغير جدا ، وبجواره مقعدان جلس على واحد منهما السائق الذى إرتكب سيارته الحادث ، وجلس على المقعد الآخر شرطى بملابسه الرسمية يسجل أقوال السائق ، فى نفس موقع الحادث . .

* كان ذلك وحركة المرور ماشية طبيعية جدا فى مكان الحادث . . السيارات رايحة جاية من الإنجهاين ، والناس تعبر الشارع بالعرض بين حين آخر كلما أشار لها عسكري المرور المؤقت ، والأتوبيس يصل بانتظام ويقف فى محطته أمام مكان الحادث مباشرة ، وركاب يصعدون وركاب ينزلون ، ولا أحد من كانوا موجودين لحظة وقوع الحادث ظل موجودا حتى الآن ، إلا أنا ولا سلمى « وقد اعتبرنا أنفسنا فى حالة عمل فورا . . نرقب كل ما يحدث أمامنا الآن كصحفيين بعيون مصرية . .

* واضح الآن أن حالة المصاب تستدعى نقله إلى المستشفى . . الطبيب السمين يعود إلى مكانه أمام عجلة القيادة ليرفع ساعة تليفون فى تابلوه السيارة ويتكلم مع المستشفى ، ثم يضع الساعة ليتحرك بالسيارة فى طريقه إلى المستشفى . .

* ينتهى التحقيق مع سائق السيارة اللورى فى ٥ دقائق بالضبط ، فينزل من سيارة البوليس ليعود إلى سيارته ويقودها مرة أخرى فى طريقه إلى المكان الذى كان ذاهبا إليه . . مش حا يهرب ولا حاجة : يعنى حا يروح فى ٩ ؟ . . وقت ما يعوزوه حا يقدرؤا يجيبوه - بهذا النظام الدقيق المتناهى - فى ٥ دقائق . .

* سيارة البوليس « مكتب المحقق » تغلق بابها الجانبى وتنطلق لتعود إلى قسم البوليس . .
* لم تعد هناك ضرورة بعد ذلك لوجود عسكري المرور المؤقت . . هو الآخر يترك مكانه فى وسط الشارع ليعود إلى سيارته يقودها بنفسه وينطلق بها . .

* بعد ١٠ دقائق فقط ، محسوبة ، من وقوع الحادث لم يكن أمامنا أى إشارة تدل على أنه قد وقع حادث فى هذا المكان منذ عشر سنوات على الأقل

□ □ □

كما أقول دائما : عقبالنا يارب

الفصل السادس عشر

السفينة
تباع في
المزاد
العلنى . !

قطار السابعة صباحا

من « فيسار » إلى « روستوك » يحمل مجموعتنا من شباب السفينة . . لم يتسع الوقت أمام مستر « بولز » ومستر « فيشان » من نادى البحارة لتدبير سيارة (ميكروباس) تحمل مجموعتنا في رحلتها إلى « روستوك » ، فجاءنا في السفينة أمس مستر « فيشان » لـ (يستأذنا) في أن تكون الرحلة بالقطار ، وأيضا على نفقة نادى البحارة تماما دون أن ندفع ماركا واحدا ولا مليا واحدا . . ووافقنا على الفور طبعاً حتى لو ذهبنا بالخناطير ، هو احنا غرمانين حاجة . . ببلاش وكمان حانتشرط ؟ . .

وهكذا ركبنا الـ (ميتسوك) أو القطار باللغة الألمانية ، ليأخذنا إلى « روستوك » على بعد ٦٥ كيلومترا من « فيسار » في أكثر من ساعة . . قطاراتهم بقدر ما هو واضح أنها من طراز قديم نسبيا الا أنها مريحة جدا ونظيفة جدا ، وليست سريعة جدا . . لكن أطرف شيء في القطار قطعاً هو الكمسارية الحسنة ذات الميكرويونيفورم . . متخلفة جدا هيئة السكك الحديدية عندنا في مصر وغير متطورة . . ليه ماتعملش النظام ده عندنا : نظام الكمساريات الحسناوات طبعاً وليس نظام القطارات القديمة . .

كل الأطفال فى

أى مكان في العالم وهم يبكون ويصرخون ، مُاعدا الطفل « عبد الفتاح صلاح محروس » ، فقد ولد قطعاً وهو مسخس من الضحك ، ومن يومها لم يكف عن الضحك رغم أنه كبر الآن وأصبح - باسم الله ماشاء الله - « المهندس عبد الفتاح صلاح محروس » أحد مهندسي سفيتنا الشبان . . « عبد الفتاح » لا يكف عن الضحك طول الوقت ، وأنصور أننى لوتسلت الى قبرته بالليل فسأجده يضحك وهو نائم أيضاً . .

« عبد الفتاح » بلا شك كان أكبر بواعث المرح في رحلتنا إلى « روستوك » . . لم أقرب منه كثيراً قبل الآن في زحمة العدد الضخم من الناس على سفيتنا : ٤٥ بحارا + ٣ صحفيين ، لكن اليوم لأن عددها ١٢ فقط ذاهبين إلى « روستوك » لذا فقد كان ظهور « عبد الفتاح » واضحاً وجعل جو الرحلة بانطلاقتها التلاميذى يبدأ ونحن مازلنا بعد على رصيف محطة « فيسار » ننتظر قدوم القطار لنبدأ رحلتنا : غازل « عبد الفتاح » صبية ألمانية صغيرة عمرها لا يزيد أبداً ١٢ سنة :

« مشروع فتاة » يادوب حاتبتدى تطلع في المقدر جديد . . وعملت البنت ثقيلة وراسية فلم ترد على معاكسات « عبد الفتاح » على عكس البنات هنا اللي يتلككوا ومايصدقوا . . فما كان من « عبد الفتاح » إلا أنه - ببساطة جدا - مد شففيه إلى خد الفتاة الصغيرة وقبلها ! ثم تركها ومشى !! . . لكن يبدو أن البنت الصغيرة أعجبتها اللعبة ، فقد ظلت طول الوقت بعد ذلك تحوم حول « عبد الفتاح » من كل ناحية وتحاول أن تلفت نظره وتنكسه ، وهو ولا هنا . . إنشغل عنها ونسيها تماما . .

خلال رحلة القطار

تتطير الضحكات والتشجيعات والغمزات بعد أن اكتشفنا أن سفينتنا سوف يعلن إفلاسها اليوم وأنها قد نفدنا بجلدنا - بسفرنا إلى « روستوك » - من أن يوقع الحجز علينا ضمن منقولات السفينة ونباع بالمزاد العلني !! . .

كنا قد طلبنا من كبير الضباط أن يعطى تعليمات للمطبخ بتجهيز صائد وتشات لـ ١٢ فردا - عدد أفراد المجموعة الذين سيذهبون إلى « روستوك » - لناخذها معنا بما أننا سنغيب عن السفينة طول اليوم ولن نفطر أو نتغذى أو نتعشى فيها ، باختصار : أكلنا يعني . . وعصلج كبير الضباط قليلا ثم أعطى تعليماته المضابط الإداري . . وعصلج الضابط الإداري كثيرا قبل أن يعطى تعليماته إلى رئيس السفينة . . ومادامت المسألة قد بدأت بعصلجة إذن فبي « غير مرض عنها » من « الجهات العليا » على السفينة ، لذا فإن التعليمات حين وصلت إلى رئيس السفينة عصلج تماما ورفض التنفيذ . . « ليه بامولانا » . . « ماعندنا في مخازن الأكل في السفينة حاجة تنفع تعمل صائدوتشات !! » . . « إزاي ده يامفتي الديار الرميسية ؟ » . . « هوكده . . مفيش جينة رومي ولا بيضا ولا تركي ، مفيش بولوبيف ، مفيش بيض ، مفيش لانشون ، مفيش بسطرمة ، ومفيش ومفيش ومفيش . . قصر الكلام : مفيش حاجة أبدا في المخزن » !!!! يعني مخزن السفينة فارغ تماما من أى مأكولات وسوف تشهر إفلاسها اليوم وتعمل بروتستو بعد ذهابنا إلى « روستوك » وتباع بالمزاد العلني !! . . ولو أن القبطان كان قد « أشر » بإصبعه علامة الرضا لأنفتحت كل مخازن السفينة على مصراعها ، لكن : « حسان » يأكل البندق والبنى آدمين حتى افطارهم وغداءهم وعشاءهم مش بيطولوه !! . .

إدنا اعتبرنا « فيسمار »

مدينة صغيرة مثل الإسماعيلية عددنا مثلا ، فإن « ووسترك » مدينة كبيرة مثل الإسكندرية ، وهي أكبر الموانئ في ألمانيا الشرقية كلها . . شوارعها كبيرة واسعة . . مباني كبيرة وعمارات عالية فاخرة . . محلات عديدة ضخمة كل محل مكون من عدة طوابق - في « فيسمار » محل واحد فقط من هذا النوع . . فإذا كان في محلات « فيسمار » مثلا ألف

نوع من البضائع فإن في محلات « روستوك » عشرة آلاف نوع . . كل نوع (مطبوع) عليه سعره بحيث لا يستطيع البائع أبدا أن يغالطك ، وبحيث يباع هذا الصنف في « روستوك » بنفس السعر الذى يباع به في « جيفرين » ونفس السعر الذى يباع به في « فيسار » ونفس السعر الذى يباع به في برلين وفي أصغر قرية في ألمانيا الشرقية كلها . .

والشىء الذى رأيتُه

في أوروبا كلها من قبل رأيتُه هنا أيضا في ألمانيا الشرقية : أقل عدد ممكن من البائعات في المحلات ، ثقة مطلقة في أمانة الزبون وفي أنه لن يأخذ شيئا دون أن يدفع ثمنه . . وحتى لو حدث أن بعض ضعاف النفوس مدوا أيديهم إلى بعض المعروضات وسرقوا منها ، لنفرض . . فيكم سوف يسرقون في اليوم الواحد ؟ بجنيه ؟ بخمسة جنيهات ؟ بعشرة جنيهات ؟ . . ولو : بتفضلوا يسرقوا بعشرة جنيهات كل يوم من كل محل . . لكن مقابل ذلك : كم تبلغ أجور عدة آلاف من العاملات والعمال زيادة يوميا لكى يحرسوا المعروضات من أصحاب الأيدي الخفيفة ؟ ! . . هنا قطعاً تبقى السرقة أرحم وأوفر كثيرا من ملايين الماركات التى سوف تدفع أجورا لأبدي عاملة زيادة في بلد يحتاج إلى أيد عاملة في مليون مجال آخر أهم من حراسة السلع والمعرضات !! . .

الشارع التجارى الرئيسى

في منطقة وسط البلد في « روستوك » هو شارع « كروبيلاينر ستراس Kropelinier Straße » - كما اتفقنا من قبل : حرف B في اللغة الألمانية ينطق S . . ليه ؟ مش عارف !! - شارع « كروبيلاينر » هو الذى يضم كل المحلات التجارية الكبيرة والمطاعم والكازينوهات والـ (سوبر ماركت) في منطقة وسط البلد ، وهو شارع طويل بلا تفريعات ولا شوارع صغيرة متفرعة منه تقريبا . . شارع واحد يمتد لمسافة نحو كيلو مترين ، يعنى أطول قليلا من شارع سليمان باشا في القاهرة . . ممنوع فيه تماما دخول السيارات أو وسائل النقل على الإطلاق ، ولا حتى الدراجات . . نفس ما لاحظته في مناطق وسط المدينة التجارية في المدن الألمانية الشرقية الثلاث التى زرتها حتى الآن في رحلتنا هذه : « فيسار » ، « جيفرين » ، « روستوك » . .

مثل أغلب المدن

الألمانية الشرقية وعلى عكس أغلب مدن أوروبا : مازال الترام يجرى في شوارع « روستوك » ، لكنه ترام حديث وظريف وسريع وأنيق وشيك جدا من الداخل ومن الخارج . . وأيضا ملاحظتان تستوقفان نظرى في ترام « روستوك » ، الأولى : أن

الذى يقود الترام حسناء زى القمر عمرها لا يزيد عن ١٩ سنة أو ٢٠ سنة على الأكثر .. تجلس فى كامل زينتها وحسنا وشياكتها فى مقعد السائق لتقود الترام : مجرد ساقطة ترام ، ولو جاءت الى القاهرة لثلث ١٥ فيلما فى كل موسم - (لاحظت على نفسى أننى كررت كثيرا حكاية السينا .. لكن ذلك صحيح فعلا : البنات هنا جميلات جدا فعلا بشكل يثير الانتباه المصرى .. أجعل من تسعة أعشار ممثلات السينما عندنا ، فى بالك بممثلات التلفزيون !!) ..

الملاحظة الثانية أنه ليس فى الترام كله كمسارى ولا كمسارية : تصعد الى الترام فى أى عربة من عرباته الثلاث ، وتنتجه وحدك - أنت وضميرك - الى الآلة الصغيرة الموجودة فى وسط كل عربة ، لكى تضع فيها قطعة العملة المعدنية ثم تضغط على ذراع الآلة بعدد التذاكر التى تريد .. مستر « فيشان » قائدنا فى الرحلة ضغط على ذراع الآلة ١٥ مرة بعددنا ، وكان ممكنا أن يطش ويكنم ثمن التذاكر فى جيبه طالما أن أحدا لن يراه ولن يشعر به ولن يحاسبه .. لكنهم هنا - وفى أوروبا عموما - يشعرون تماما بحق الملكية العامة ويحق الدولة عليهم : الدولة تعطيه كل شيء بأرخص ما فى الإمكان ، لذا فانهم أيضا يعطونها حقها ..

ماذا قلت أن مستر

« فيشان » قد ضغط على ذراع الآلة ١٥ مرة (بعددنا) اذا كنا نحن ١٢ فقط من طاقم سفينتنا ، ومستر « فيشان » هو رقم ١٣ ، فمن هما الإثنين

الأخرين ؟

شاب طويل جدا ، نخلة متوسطة الارتفاع ، جاء مع مستر « فيشان » فى الصباح الباكر وانضم الى مجموعتنا منذ بداية الرحلة ، دون أن يهتم مستر « فيشان » بأن يجرى بيننا وبينه عملية التعارف : لا قدمه إلينا ولا قدمنا نحن إليه .. صديقنا النخلة هذا عافى فى حضنه حسناء ألمانية عملاقة أطول منه ، لو انقسمت تطلع ٣ أو ٤ بنات بالراحة ، ظل يحتضنها طول الوقت ويقلبها بلا انقطاع من ٦ صباح إلى ١٠ مساء - ١٤ ساعة كاملة : وارتدتين عمل !! - كان والدته مأمناه أمانة إنه يظل يحتضن ويقلب هذه الفتاة طول ما هى قدماه .. والبنات من ناحيتها مش معصلة وساباه على راحته خالص ، هى خسارته إيه : خد راحتك يا ابني ولا يهملك ما دام انت مبسوط كده ..

صديقنا هذا حين أوشكت الرحلة ان تنتهى فى نهاية اليوم دون أن يكلف نفسه عناء الكف عن تقبيل الطويلة الهبلية ولو للحظة واحدة يقدم لنا فيها نفسه ، إضطربنا فى النهاية أن نسأله نحن : « إنت يا ابني إسمك إيه ؟ » فكانه بيتلك وكان مستنى ، فقط ، الفرصة : حكى لنا تاريخ حياته كلها فى ٥ دقائق لكى يخلص منا ومن أسئلتنا تماما ويعود إلى تقبيل صديقه الريح من جديد : إسمه « عماد سرى » من مصر الجديدة ويعمل على السفينة اللبنانية « ستر » التى يملكها المصرى البورسعيدى « وائل هيطة » ، والذى وصلت منذ أيام لتركن قريبا منا على رصيف « فيسار » ، وأنه سمع أمس عن رحلتنا « المجانية » إلى « روستوك » ، وربما أننا مصريين زى بعض واخوات ومفيش فرق فقد اعتبر أن (الدعوة عامة) وجاء هو وفتاته لينضبا إلينا .. ثم : إنتهى / حول / إنتهى / الإرسال ، وعاد إلى فتاته العملاقة يتشبت بشفتيها أحسن يقع !!! ...

وليس هذه الحسنة

وحدها فقط هي فاعلة الخير الطبية المستسلمه ، لكن البنات عموما هنا مابيعصلجوش في حاجة أبدا . . « عبد الفتاح » قبل فتاة في محطة القطار في « فيسار » فلا هي زعلت ولا اتقمصت ولا نادت الشاويش ، ولا أى حد من مئات الواقفين على المحطة تدخل فيها لا يعنيه وفتح « عبد الفتاح » قلمين ، ولا حتى أسرة الفتاة نفسها التي كانت ترافقها وشافيه كل حاجة . . في « روستوك » وجد « عبد الفتاح » - أيضا - فتاة واقفة في الشارع تأكل برقوقا من كيس في يدها وهي تنتظر أن تخضر إشارة المرور لتعبر الشارع ، فذئب « عبد الفتاح » ببساطة شديدة - أو برذالة شديدة ، حسب تقديرك الشخصي - ومد يده في الكيس المتروح في يد الفتاة وأخذ برقوقاية واحدة : هزاز وظرف ، وماله . . فما كان من الفتاة إلا أنها في يدها كبشة برقوق ومدت له يدها الأخرى بباقي الكيس كله وألحت عليه في أن يأخذه !! . . طبعاً « عبد الفتاح » ما كدبش خبر أخذ الكيس فوراً . . وانفتحت الإشارة وعبرت الفتاة الشارع وراحت الى حال سبيلها ، وكادت تختفى عن عيوننا حتى انقض الجميع - الى كانوا عاملين عاقلين ومؤدبين - على كيس البرقوق في يد « عبد الفتاح » فاخفى كله في ثوان !! . .

فتاة حسنة تسيير

في الشارع مع أبيها وأمها . . ضاق عليها حذاءها فيها يبدو فخلتمته وأمسكته في يدها ومشت في الشارع حافية . . لست أدري هل الساق البيضاء العارية الجميلة هي التي لفتت نظر « عابد شكري » أو « عادل أبو الحشيش » - لست أذكر أيهما في الحقيقة - أم أن الحذاء كان شكله مغريا في يد الفتاة وليس في قدمها . . المهم أن واحد منهما تقدم ببساطة وخطف الحذاء من يد الفتاة ، فوقفت وضحكت وكركرت وسخسخت من الضحك ، ووقف أبوها ووقفت أمها يتسنان في هدوء ووداعة وظرف وهما يرقبان - عن بعد - المناوشات بين ابنتهما الجميلة والفتي المصري والمفاوضات المرحلة التي انتهت بأن الفتاة أخذت حذاءها والفتى أخذ موعدا ، لم يذهب إليه قطعا لأننا عدنا إلى « فيسار » في نفس المساء !! . .

كنا « سلمى » وأنا -

واقفين نلتقط صورة قرب تمثال ظريف يطل على حوض سباحة صغير للأطفال ، مقام في وسط مساحة نجيلية خضراء في الشارع العام أمام أكبر فنادق « روستوك » . . حوض سباحة صغير في الشارع . . لا مشرفين ولا مدرسين ولا غطاسين ولا زحمة موظفين - لو كان عندنا في مصر كانوا عيناؤا له رئيس مجلس إدارة بمكتب وسكرتيرة ٣٠ تليفونات !! - ولا كباين للقلع واللبس ولا حاجة أبدا إلا حوض السباحة ويس فقط لا غير . .

يأتى الطفل أو تأتى الطفلة فى حدود ٦ أو ٧ أو ٨ سنوات وهما يلبسان مايوهاتهم تحت القميص أو تحت الـ (جوب) والبلوزة أو الفستان ، فتخلع فستانها ويخلع بنطلونه الشورت ويضعانها على دكة من الدكك الخشبية المنتشرة فى الحديقة حول الحوض ، وينزلان إلى حوض السباحة يسبحان وويبلطان . .

« سلمى » أعجبها المنظر فأرادت أن تلتقط صورة للأطفال وهم ينافزون فى الماء . . ثلاث سنوات ألمانيات ١٦ - ١٧ سنة عابرات فى الشارع إستوقفهن شكل « سلمى » والكاميرا فى يدها . . صحن فى تهريج ضاحك بما معناه : « إيه ده يا اسمك إيه ؟ . . حاتصورى العيال واحنا لا ؟ ! » . . دعوناهن ليتصورن فجئن جرى ، والتقطت « سلمى » هن عدة صور . . بعد الصور وقفن يدردشن معنا قليلا ثم : « باى باى ، باى باى » ومشين وتركنا . . ده إحنا اللى قلنا « باى باى » الأول مش هن . . ولو كان عليهن كان زماننا لسه واقفين لغاية النهاردة فى « روستوك » ندردش مع . . هن !! . .

وينتهى يومنا فى

« روستوك » فنبدا رحلة العودة إلى « فيسار » مرة أخرى . . ورغم أننا جئنا فى الصباح فى القطار الا أننا لم نلاحظ ذلك الشيء الذى لاحظته « سلمى » عندما دخلنا محطة السكة الحديد لنستقل قطار العودة فصاحت مندهشة لأنها كانت تراه لأول مرة . . ولم تكن وحدها ولكننا جميعا أيضا كنا نراه لأول مرة : قطار السكة الحديد أبو دورين !! . . أعجبنى جدا رغم أن فكرته فى نفس فكرة الترام أبو دورين فى الإسكندرية والأتوبيس أبو دورين فى إنجلترا والـ « ترولى باص » أبو دورين فى أسبانيا . . لكن رغم ذلك فالقطار أبو دورين شكله ظريف جدا ودمه خفيف ، وقطعا اقتصادى جدا ، ضعف عدد الركاب تماما بنفس التكلفة واقتصاديات التشغيل للقطار نفسه . . لا يحتاج إلى قضبان إضافية ولا إلى سائق زيادة ولا حاجة أبدا . . مكسب ١٠٠٪ . .

عدنا الى السفينة

ليلا بعد رحلتنا فى « روستوك » لنجد أن الموقف مازال كما هو : السفينة راقدة على الرصيف كبجئة هامدة وليست هناك أية أخبار عن موعد بدء تفريغ شحنتها رغم مرور ما يقرب من شهر كامل علينا فى ركنتنا هكذا فى ميناء « فيسار » . . وبالعالم ليندا متى ومتى سننتهى . . ولاقتراب موعد دخول المدارس فى مصر فيبدو وأننا سنضطر إلى أن نحول أبناءنا من مدارسهم فى القاهرة والإسكندرية إلى مدارس « فيسار » إذا أن المسألة شكلها كده أننا سنستقر هنا على طول !! . .



جاء صباح اليوم

التالى ومعه إشاعة قوية ملأت السفينة كلها ، لكنها لم تصلنا نحن - مجموعة الصحفيين - إلا آخر ناس ، إذ أن الذين أطلقوها كانوا يظنون أننا طرف فيها أو أنها تهمننا بشكل مباشر وتؤثر في « وضعنا » الذى هو بالنسبة إليهم كابوس ثقيل يتمنون أن ينتهى في أسرع وقت بل وليته ما بدأ أصلا . .

الإشاعة كانت من باب (جس النبض) أطلقت لكى تصلنا ولكى يروا نتيجتها وتأثيرها علينا ، ولكى - أيضا - يعرفوا بالضبط (إحنا مسنودين من مين بالضبط فى الشركة ؟) . .

« نقيب الصحفيين جه على شونة » . . هذه هى المحصلة النهائية للإشاعة التى كان مطلوبها أن تصل إلينا . . والتفاصيل كالتالى : القبطان « أنيس أنسى » ممثل الشركة فى غرب أوروبا ومقره هامبورج فى ألمانيا الغربية ، إتصل بـ « حسن صبرى » ممثل الشركة فى شمال أوروبا ومقره جيدانسك فى بولندا ، و« حسن صبرى » إتصل بمستر « شتيجمان » وكيل الشركة هنا فى « فيسار » ، ومستر « شتيجمان » إتصل بالقبطان بتاعنا ، والقبطان بتاعنا قال للطاقم إن : « نقيب الصحفيين - اللى هم إحنا - جه على شونة ، لأن اللى كان بيعسندهم مشى » !! . . الإشاعة تقول أن « حسين زاهر ياقوت » رئيس مجلس إدارة الشركة صاحبة سفينتنا قد (عزل من منصبه) ، وحل محله رئيس مجلس إدارة جديد إسمه المهندس « صلاح رضا » !! . .

الناس دول هيل والا إيه ؟ ! . . مين قال لهم إننا بنشتغل عند « حسين زاهر ياقوت » أو جايين من طرف « حسين زاهر ياقوت » ؟ ! نحن لا نتبع إلا قلمنا ، وقلمنا فقط ، وضميرنا الصحفى فقط . . ولا حتى رئيس تحرير مجلة « الاذاعة والتليفزيون » نفسه - التى نتقاضى مرتباتنا منها - يستطيع أن يمل أو يفرض علينا شيئا أو يغير ويبدل شيئا عما نكتبه طالما أن الحق معنا . . وهل كان « حسين زاهر ياقوت » هو الذى نشر رحلتى السابقة فى المحيط الأطلنطى على سفينة صيد سمك بعنوان « راكبنا على السفينة » ، فى مجلة الاذاعة أو كان هو الذى نشرها فى كتاب ؟ ! . . وإذا صغنا التساؤل بشكل آخر : هل استطاع أى مسئول - بحرى أو غير بحرى - أن يمنع أو يوقف نشر (راكبنا على السفينة) كمسلسلة فى المجلة أو ككتاب ؟! . .

لا يا أيها السادة العظام : نقبنا ماجاش على شونة ، وسينشر كل حرف نكتبه عن هذه الرحلة التى كنا نلقنها « عذراء » ، سواء كان رئيس مجلس الإدارة عندهم هو حسين زاهر ياقوت أو حسين زاهر خشب . . !

وكان رد الفعل السريع

لهذه الاشاعة هو أن مجموعة مهندسى السفينة حين علموا بها وبأن رئيس مجلس الإدارة الجديد مهندس ، هاصوا وزاطوا واحتفلوا بذلك احتفالا كبيرا بأن شربوا وسكروا طوال الليل فى قمرة كبير المهندسين « عبده صالح عبده » وهم يهتفون

ويصبحون : « ماكنية ، ماكنية بس .. ماكنية ، الماكنية ويس !! » ورغم أن السكر وشرب الخمر ممنوع على السفن المصرية جميعها بحكم القانون البحرى المصرى ، إلا أن كبير الضباط لم يستطع أن يفعل شيئا لأنه - كما قال لى - يعلم أن المقصود بهذه المظاهرة المخمورة الصاخبة هو استفزازه هو شخصا حتى يتدخل حفظا للنظام فى السفينة وتطبيقا لقانون البحر بحكم مسئولياته ككبير ضباط ، وذلك بالضبط هو ما يريدونه حتى يهينونه ويحرقونه ويهزأوه !! ..

السفينة البنانية « مستترا »

، لبنانية الجنسية ترفع علم ألمانيا الشرقية ، موجودة الآن فى ميناء « قيسار » ترسو على رصيف قريب منا .. قبطانها مصرى اسمه « جلال الجزار » كان ضابطا فى السلاح البحرى المصرى قبل أن يتجه للبحرية التجارية .. لم أسعد بمعرفة القبطان « جلال الجزار » من قبل لكنه هو كان يعرفنى من خلال كتبى التى قرأها هو وأولاده .. فلما عرف بوجودى فى ميناء « قيسار » أرسل لى أحد ضباطه يحمل لى دعوة منه لزيارة سفينته .. وكانت الدعوة موجهة لى « سلمى » أيضا على اعتبار أن زوجة القبطان « الجزار » وابنته وابنه معه على سفينته فى هذه الرحلة .. و .. قبلنا الدعوة ..

يبدو - والله أعلم - أن ناس البحر ضخيم طاقق ومش طبيعيين .. والظاهر أن تصورهم أن الموت قريب منهم فى كل متر يقطعونه فى الماء وأن الغرق قد ينقض عليهم فجأة فى أى لحظة ، يجعلهم طامحين وفاقدين ، وأحيانا قلاات الأدب ، وحاقدين على الناس الذين ليس البحر مهنتهم ، لتخليهم أن حياتهم معرضة لخطر الموت غرقا دائما بينما ناس البر بعيدين عن هذا الخطر آمنين منه ..

ذهبتنا فى المساء

إلى السفينة « سترا » .. استقبلنا القبطان « جلال الجزار » وابنته « إيمان » وإبنه « محمد » الطالب فى كلية الهندسة بجامعة الإسكندرية .. وقعدنا ودرشنا وتكلمنا فى موضوعات عامة بين الصحافة والأدب والبحر .. ثم على مائدة العشاء انضم إلينا الضابط الذى كان قد حمل لى فى الصباح دعوة القبطان « الجزار » .. على العشاء انفتحت مناقشة سياسية لا أول لها ولا آخر ، موضوعها : « جمال عبد الناصر » .. لم أعد أحب أن أتكلم فى هذا الموضوع بالذات .. الذين يحبون الكلام فيه قلة منهم مورتورين لأنهم أضرىروا فى عهد « عبد الناصر » لسبب أو لآخر ويحملونه شخصا مسئولية ما حدث لهم - (أعرف سيدة أصيب إينها الوحيد بتسمم من أكلة كشرى ومات ، فكرهت « عبد الناصر » حتى الآن !!) - أما أغلبية الذين يكرهون « عبد الناصر » فهم مطيباتية أو منافقين : مطيباتية لرؤسائهم الذين يكرهون « عبد الناصر » ، أو منافقين لأنهم يتصورون أنهم باعلان كراهيتهم - الآن - لـ « عبد الناصر » سوف يفرح بهم ويسعد الرئيس الحالى !! ..

مأعلينا ، إنفتح على مائدة العشاء موضوع « عبد الناصر » ، وظللت طوال السهرة بعد ذلك وأنا أحاول أن أقفل هذا الموضوع دون جدوى : القبطان « الجزائر » مصر على أن يحكى لى الأضرار التى أصابته فى عهد « عبد الناصر » ، وضابطه الذى معنا على مائدة العشاء يحاول أن يبدو فى مظهر المزايد المتعاطف مع ما يرويه القبطان بإعلان كراهيته هو الآخر لـ « عبد الناصر » وحين لم يجد منى تجاوبا مع نفاقه وجليطته ومداهنته الصغيرة ، فوجئت به يبرز رأسه بصلافة وغطرسة وقلة أدب وهو يقول : « الظاهر إن الأستاذ حسين مش قادر يفهم وما عنددوش الحاساسية الصحفية الكافية !!!!! » هذا الصبى الذى كان تلميذا فى إعدادى يوم مات « عبد الناصر » قد أصدر « حكمه » على (حساسيتى الصحفية) لأننى لم أوافق على كلامه الهائىف التافه ولم أتركه يستطرد فى كلامه وإنما نططت فى كرسيه فوراً بشراسة وغلظة وتعالى وغطاظة : « لحظة من فضلك قبل ما تكمل كلامك . . إن مكانوش وانت صغير علموك فى البيت إنك لازم تحترم الأكبر منك لأن الكبار لهم احترامهم ، فلازم تعرف كويس أوى إنى بأفهم أكثر منك ألف مرة لأنى أكبر منك سنا بـ ١٥ سنة على الأقل ، وإذا كان أكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة فأبقى أنا أعرف أكثر من سعادتك بمليون سنة . . لازم تعرف حدودك وحدود مركزك وأصول الكلام والتخاطب مع الأكبر منك فى السن وفى المركز . . الموضوع الى انت بتتكلم فيه أنا أفهم فيه أكثر منك مليون مرة لأنى صحنى ودى شغلتي ، لكن إنت مجرد راجل بحار رايع جاي فى البحر مش أكثر من كده ، ويادوب تفهم فى البحر تفهم فى الميه تفهم فى شحن المركب فى تفرغ المركب فى دهان المركب بالبوية ، والمفروض إنك تتكلم فى الى إنت تعرفه بس ، وبأدب برضه ، لكن مسائل السياسة دى انت بعيد عنها تماما ومالكش فيها لأنك - زى ماهو واضح من طريقتك فى الكلام وطريقتك فى المناقشة - ماتفهمش فيها »

كان يحاول أن (يتنطط على اكتافى) إرضاء لقبطانه ، فلما فوجئى بغلظتى معه حاول أن يتراجع بغير انتظام واعتذر عن تصرفه بأنه لم يكن يقصد ما قاله ، فتركته يعتذر على راحته خصوصا بعد أن شعر القبطان « الجزائر » بأن الموقف قد باخ وأصبح سخيفا ويوشك أن يتأزم ، ولما أراد ضابطه أن يستطرد فى الكلام بعد اعتذاره قلت له بضيق وقرص : « لا . . الموضوع ده خلاص بنقفله وبتتكلم فى حاجة تانية تكون خفيفة ومريحة تقدر تشترك فيها وتقول حاجة . . نتكلم عن الرقاصات عن الكباريات عن اهللس عن مجلة الشبكة . . حاجة زى كده تناسب سنك » !!!!!

وسكت تماما طول الوقت بعد ذلك حتى انتهت سهرتنا مع القبطان « الجزائر » . . . ولكن :

بمجرد
آت
أقلت
السفينة

« سنترا » فى اليوم التالى فى طريقها إلى هامبورج ، فوجئت بـ « على أير : طالب » كبير ضباط سفينتنا يجبرنى بأن ضابط السفينة « سنترا » قد أعطاه رسالة موجهة منه إلى رئيس تحرير مجلة (الإذاعة والتلفزيون) ، ليقوم « على » بإرسالها إلى رئيس

التحرير إذا نشرت عنه شيئا في المجلة ، تكذيب مقديما لما سوف أنشره عنه !! . . بطريقة (يكاد المريب يقول خذوني) أو (اللي على رأسه بطحة بيحسس عليها) !!

هناك بعض الناس يدفعهم حبهم للشهرة وأمل حياتهم في أن تكتب الصحف أساءهم يوماً ولو حتى في صفحة الحوادث .. لكنني لن أجعل صديقنا هذا ينال غرضه .. لن أريجه وأهدى سره وأؤنوله الل في باله ولن أنشر اسمه .. وإنما سأنشر، فقط، ورسالته إلى رئيس التحرير حتى يطمئن بالاً إلى أن رسالته قد أبلغت وهذا هو نص رسالته :

السيد رئيس مجلس إدارة مجلة الإذاعة والتلفزيون .

بعد التحية - هذا هو ردی علی السید الصحفي حسین قدری علی ماجاء ذكره فی مجلتكم
بصفحة بتاريخ

إذا جاءت مذمتي من ناقص

فهى الشهادة لى بأتى كامل!!!!!!

انتهت الرسالة التي كتبها صاحبها يكذب فيها ما سأنشره قبل أن يعرف أصلا ماذا سوف اكتبه ، وقبل أن أنشر منه حرفا واحدا !!!!!!!!!!!!!

ولست أدري لماذا تتداخل الصور في خيالي الآن ، فأرى هذا البحار الشيط وقد أصبح يوما ما - بأحلاقه هذه - قبطانا للسفينة «رمسيس الـ ... ثالث» . . .

غريب
أمر
رجال

رجال

البحر المصريين ، وهذه مشكلة فعلا ، فانه اذا اخطأ أوساء فرد واحد في فئة معينة ، فإن إساءته تمتد لتمس الفئة التي يمثلها كلها ، وتصبح هذه الفئة متهمه بأنها - عموما - فئة سيئة . . فما بالك فعلا لو أن الطابع المميز لهذه الفئة في أغلب أفرادها هو النصف فات السنة !!!؟ . . .

سوء تفاهم حدث ليلة أمس في ملهى الـ SONY بين سفرجى باشا من سفيتنا وبحار مصرى آخر من السفينة اللبنانية « مسترا » .. فعاتب البحار سفرجى باشا قائلا : « جرى إيه يأتى .. عيب كله .. ده احنا مصريين زى بعض » .. فكان رد سفرجى باشا عليه وهما في محل عام أجنبى في مدينة أوروبية : « يلعن أبوك لأبو المصريين اللي انت منهم لأبو مصر اللي جانتك » ..!!!!

كانت نتيجة ذلك شيئا غريبا تماما : شاب لبناني كان جالسا في الملهى على مقربة منها ، انفض على سفرجى باشا وفقعه علقه محترمة لها العجب ، وورم له عينه اليسرى وجراه قدماه كارتب جيان لم يجد قبطانه الى جواره ليحميه !! ثار الحار اللبناني لأن « مصر » أهنت وشتمت . . وثار أكثر حين عرف أن الذى يشتم مصر هو واحد « مصرى » وأصر على أن يضربه ، وضربه

فعلا . . . بل وأصر على بأنه سوف يذهب إليه في سفينته « رمسيس الثانى » فى اليوم التالى ليضربه مرة أخرى أمام كل الناس المصريين الذين عليها . . وجاء اليوم فعلا على سفينتنا لكن ضباطنا هداؤوه واعتذروا له وطيبوا خاطره ، وجاء سفرجى باشا يجرى لكى يعتذر إليه بنفسه . . ماهى علقه امبارح لسه واجعاه!!!!!!!!!!!!!!

ثار اللبنانى من أجل مصر ولم يثر المصريون من أجلها . . . وآه يابلد منكوبة بأبنائها . . بعض أبنائها !!

الفصل السابع عشر

مرفود
أسبوع ..
ويجيب
ولى أمره !

.. وحين تحركت السفينة

اللبنانية « أورابيا » صباح اليوم لتبتعد عن رصيف ميناء « فيسار » عائدة إلى الإسكندرية ، كان على ظهرها الزميل « خيرى شلى » يسبقنا إلى أرض الوطن ، ليكون هناك قبلنا بستة أسابيع كاملة . . بعد أن لم يحتمل الوحدة والغربة وانقطاع وسيلة الإتصال والتفاهم بينه وبين الناس هنا لعدم معرفته بأى لغة أجنبية ، وبعد أن لم يحتمل البعد عن البيت والأسرة والأولاد . . وبعد أن صدمته صدمة شديدة ويعثره غمًا - وأتعبته نفسيا أيضا - الحرية الهائلة التى تتمتع بها الفتاة الأوروبية هنا وفى كل مكان فى أوروبا ذهب إليه معنا فى هذه الرحلة . .
لك الله يا « خيرى » . . . الغلطة غلطتنا إحنا ، فقد كان يجب أن نجعله يمر بمرحلة انتقال تهيئية قبل أن نجىء به إلى أوروبا ، ولو لفترة قليلة فى الإسكندرية مثلا !!! . .

خاطر غريب يملؤنى

كلما قدمت لأحد خدمة ما أوتوسطت له فى أمر كبير : أتوقع الغدر والنكران والإساءة وعض اليد التى قدمت الجميل . . لذا عودت نفسى - من زمان - على أن أبتعد فورًا الى أكبر مسافة ممكنة عمن أقدم له خدمة ما
على أى حال : ربنا يستر !!! . .

الاشاعة التى انطلقت

فى السفينة أمس تأكد اليوم صحتها . . وجاءت التفاصيل بأن رئيس مجلس الإدارة « حسين زاهر ياقوت » لم (يعزل من منصبه) بالضبط كما قال القبطان ، لكن الذى حدث أنه (رقى) وكيلا لوزارة النقل البحرى بحالها . . أما الذين عزلوا من مناصبهم فهم « كل » أعضاء مجلس إدارة الشركة ، بما فيهم « عدلى عبد المعطى » مدير عام الشركة للشئون الإدارية ، وأيضا كل مديرى الادارات الكبار الذين كان الجميع هنا على سفينتنا يجارون بالشكوى منهم !!! . .
يبدو أن إنقلابا قد وقع فى الشركة !!! . . .

« الدناوة »
وحشة
وفراغة

العين وحشة والطمع يقل ما جمع كما قالوا في الأمثال الشعبية زمان . دخلت
و« سلمى » محلا لنشتري بعض الأشياء .. لفت نظر « سلمى » كيس من
النابولون به ٣٠ مشبكا من مشابك الغسيل البلاستيك الملونة بألوان زاهية جميلة .. « سلمى »
لا تعرف اللغة الألمانية وأنا أعرفها طرايطيش ؛ لكننى أجيد قراءة الأرقام والأعداد بكل اللغات
الأوروبية !! .. طلبت منى أن أقرأ لها السعر المكتوب على كيس المشابك فوجدته ١١ فينيك ألماني ؛
يعنى مايقارب ١١ مليا مصريا .. ورغم أنها لم يكن فى برنامج مشترياتنا أن تشتري مشابك غسيل
من أوروبا إلا أن .. كما قدمت - الطمع وفراغة العين والدناوة طبع أصيل فى كل مصرى مهما بلغ
مركزه ومهما بلغت درجة ثقافته .. سألتنى وكأنها تستأذنى : « إيه رأيك ؟ آخذ كيس
مشابك ؟ » .. دأتمته حوالى قرش صاغ ، مش حايخسر !! .. بما أنها تستأذنى فبكبرياء الذى يمنح
التصريح قلت لها : « خدى لك كيسين ثلاثة مادام المشابك رخيصة أوى كده ، الحسبة كلها مش
حايكمل ٤ صاغ !! .. فرحت بتصريحى وأخذت ٣ أكياس بها ٩٠ مشبكا ، ووضعتها فى السلة مع
مشترياتنا ، وذهبت إلى فتاة الخزينة التى دقت لها على الآلة الحاسبة حساب مشترواتها وطلبت منها
الحساب وفيه مايساوى جنيه كامل زيادة عما قدرنا !! .. ليه يا حسناء بايتاعة الخزينة ١٩ الجنيه ده
بتاع إيه ١٩ الـ ٩٩٠ فينيك دول إيه ؟! إحنا ماأخذناش حاجة ثمنها ٩٩٠ فينيك .. ثم إنك
ماأجملتش ثمن المشابك ١٩ .. وأجابت فتاة الخزينة الحسنة : « الـ ٩٩٠ فينيك دول هم ثمن
المشابك ياستى أبدا .. ثمن المشابك ٣٣ فينيك .. الكيس آه مكتوب عليه ١١
فينيك ، وإحنا أخذنا ٣ أكياس يبقوا ٣٣ فينيك يجيبى الـ ٩٩٠ فينيك دول إزاي ؟! » وتضحك
فتاة الخزينة الحسنة وتضحك كل البنات البائعات فى المحل على سذاجتنا وعلى فتاكتنا فى الوقت
نفسه .. و : « مادام انتوا مايتعرفوش ألماني مش تسألوا الأول وإحنا ندلكم ؟ المشبك الواحد هو
اللى بـ ١١ فينيك .. يعنى الكيس فيه ٣٠ مشبك بـ ٣٣٠ فينيك ، والـ ٣ أكياس فيهم ٩٠ مشبك
بـ ٩٩٠ فينيك !!

ودفعنا ١٠ ماركات كاماة فى شوية مشابك غسيل ملوين ، وخرجنا زى الـ ..
شاطرين !!

كنت
و« سلمى »
و« الحسينى »

الضابط الثانى عائدين من المدينة عصرا إلى قرب مدخل الميناء التقينا بالقبطان
وكبير الضباط عائدين من المدينة أيضا .. سرنا جميعا معا .. بعد خطوات
قابلتنا السيارة (الميكرو باص) التى تحمل الفتيات الموظفات فى الميناء تتحرك ببطء خارجة لتعود
بهن إلى بيوتهن .. تركنا القبطان فجأة وجرى بطوله الفارع وراءه « ميكرو باص » وهو يشوح

للتفتيات بيديه معا ويرسل هن قبلاته في الهواء ويضم كفيه ويضعهما على قلبه ثم يوجهها إلى البنات بطريقة تمثيلية - من باب الغزل والظرف وخفة الدم - وطبعا البنات الألمانية .

خطر على بالي تساؤل غريب جدا لحظتها وأنا أشهد هذا المنظر « الظريف » : لو أن ناظر مدرسة إعدادية في الإسكندرية ، ضبط أحد تلامذة مدرسته - ولنفرض أنه « شريف » ابن القبطان بتاعنا - يفعل مثل ذلك ويجري وراء سيارة مدرسة بنات - في اسكندرية طبعاً - ويلقى إلى التلميذات بقللاته في الهواء بنفس الطريقة .. كيف سيتصرف حضرة الناظر ؟!؟

وكان الجواب - في تصوّري - هو على الأقل : رُفد أسبوع ، ويحيب ولي أمره!

طال
شعري
الأكسرت

الأكثر
 المجعد كثيرا وتدلل على قنأى ، وأنا مصر على ألا أحلقه إلا بعد عودى الى القاهرة .. وتكرست عليه النصال ، أقصد كل الأمشاط المصرية التى أحضرها معى من القاهرة ، فاضطرت لشراء ١٠ أمشاط من هنا لتكملة الرحلة .. وربنا يستر ولا يتكسروش هم أيضا ونحن فى طريق عودتنا فى عرض البحر ، والا فسنظر أن ندخل ميناء لشراء أمشاط* أخرى

لَسْنَا
مِمَّا
يَقْرَبُ

يقرب

من شهر كامل الآن وسفينةنا راکنة كلفيت مجهول الأهل متروك في ملجأ ميناء «فيسار» لغاية مايبان له صاحب .. الخروج يوميا إلى المدينة الصغيرة الظرفية قطعاً يستهلك فلوسنا القليلة جداً التي خرجنا بها من مصر .. بمراجعة سريعة لرصيدنا الباقي اتضح أننا موشكين على الإفلاس تماماً من مبلغ المراكات الألمانية الذي استبدلناه عند دخولنا ألمانيا الشرقية .. «ديربني ياوزيرة» .. «التدابير لله ياملك» .. واحد من ضباط السفينة كان جالساً معنا ونحن نراجع حساباتنا ، تدخل في الحديث : «انتوا شاغلين نفسكم بإيه ؟» حكيكنا له احنا شاغلين نفسنا بإيه ، فقال مندهشاً : «هو انتو عملتوا (بنزس) والا ماعملتوش ؟!» .. «بنزس !؟» .. «آه بنزس .. عمرك ماسمعت على كلمة (بنزس) ؟ مأخذلتاش في المدرسة ؟» .. «أخذلتها .. لكن إيه علاقتها بالموقف اللى احنا فيه دلوقتي ؟!» .. وضحك الضابط وهو يسحب من يدي الورقة والقلم ليكتب هو : «بالعكس .. دى هي دى الحل الأعظم للموقف اللى انتوا فيه دلوقتي .. هو انتوا فاكرين إن البحارة المصريين مرتبائهم اللى يياخدوها تكفى المصاريف الكبيرة اللى بصرفوها هنا والمشتريات الموهلة اللى بييجيبوها من هنا ؟!» .. لكن بالـ (بنزس) بيقدروا يسوا اهاويل «إزاي يامولانا .. زدنا من علمكم أفادكم الله» .. «معاك قد إيه عملات أجنبية ، يعني مش مارك شرقى .. دولارات أو استرلينى أو مراكات

المانى؟! .. «معانا كذا دولار وكذا ماركات غربية .. بس دول مخصصتهم لباقي الرحلة فى
الوانى الثانية الى جانورها بعد كده» .. «ربع المبلغ ده يكفى .. تحوش الربع بس وتحليه على
جنب» .. «شلنا الربع وخليناه على جنب ، وبعدين؟! .. «وبعدين سيبوا الباقي على
أنا» .. «حانعمل ايه؟ .. ما احنا لازم نفهم على الأقل إيه اللى حانحصل بعده كده» ..
«ولاحاجة .. المبلغ ده حانخله لكم ٤ أضعاف .. بالبزنس» .. «شوف باه ، ماشئلاش
علينا .. ياتفهمنا كويس حانعمل إيه ، ياتقوم تلعب فى حقة ثانية» ..

«كل البحارة المصريين

- بحارة وضباط ومهندسين ، وحتى القباطين أنفسهم - يعملوا الى أنا حاقول
لكم عليه ده .. المبلغ العملات الأجنبية الى معاهم بيروحوا يشتروا بيه من
السوق الحرة الى داخل الميناء شوية حاجات ، غالبا سجاير أجنبية مستوردة ، وبمجرد مايجرجوا
بيها من باب السوق الحرة ألف واحد يشتري السجاير دى منهم بـ ٤ أضعاف المبلغ اللى هم
اشتروها بيه ، لكن بيدفع لهم بالمارك الألمانية الشرقى طبعاً .. وفى الحالة دى يقف المارك الألمانى
الشرقى على البهار المصرى بحوالى ٧ قروش بس بدلا من ٢٧ قرش سعر البنك فى مصر .. يعنى
تقريباً ربع سعره فى البنك .. وبالماركات الألمانية الشرقية دى ينزلوا البلد هنا يشتروا من المحلات
كل اللى هم عايزينه ، فتفت عليهم الحاجة بربع ثمنها الأصل المکتوب عليها .. ولما يرجعوا
اسكندرية يبيعوا الحاجات اللى اشتروها من هنا لتجار البضائع المستوردة وأصحاب البوتيكات بـ ٣
أضعاف السعر اللى اشتروها بيه من هنا .. وتعالى نحسب بالورقة والقلم : نفرض أن بحار
مصرى معاه ١٠ ماركات ألمانية غربية .. حايشتري بيهم سجاير من السوق الحرة هنا ، وبيبع
السجاير دى بـ ٤٠ مارك شرقى .. حايشتري بضائع من المحلات هنا بالك ٤٠ مارك شرقى وبيبيعها
فى اسكندرية بما يساوى ١٢٠ مارك شرقى ، يبقى ضاعف رأس ماله كام مرة ١٢ مرة ..
الخطورة هنا إنه يطب وهو داخل بمشترياته الميناء هنا فيفتشوه ويصادروا الى معاه ويبقى خسر الجلد
والسقط .. لكن الحكاية دى بتحصل قليل جدا ، وحتى لو كانت ، فالمجازفة والمغامرة برضه
تستاهل ، فيضاعفة الفلوس الى معاك ١٢ مرة دى حاجة تستحق - بالنسبة للبحار المصرى - إنه
يغامر عشاها ، وغالبا بينجح .. وبما إنكم إنتم بالذات الحاجات اللى حاشتروها من هنا
حاشتروها لنفسكم ومش حاتبيعوها للبوتيكات لما ترجعوا مصر ، فتبقى فلوسكم حانتضاعف ٤
مرات يس .. واحنا من ناحيتنا - كضباط السفينة - حانشيل عنكم عبء إنكم تعملوا الحكاية دى
بفسك .. وحانعملها إحنا عنكم .. هه .. موافقين؟! ..



General Organization of the Alexandria Library (1974)
Alexandria

يا خبر ؟!
الوافقين ؟!
ده إحنا

موافقين ونص .. على الأقل وفي أضعف الايمان - آل يعنى - علشان تبقى اكتملت تجربتنا الصحفية الى احنا جاين علشانها ومن أجل معايشة حياة البحارة المصريين معايشة كاملة .. ونبقى شغنا وجربنا بنفسنا كل جوانب حياة البحارة المصريين فى الموانئ الأوروبية ..

أيها السادة - وذلك إقرار منا ، وربنا يستر ويتبع الجمارك فى ألمانيا الشرقية مايكونوش بيعرفوا يقرأوا عربى - عشنا كأصحاب الملايين فى الفترة الباقية التى قضيناها فى ألمانيا الشرقية ، واشترينا منها كل الى نفسنا فيه وأكثر من اللى نفسنا فيه .. وعدنا معنا مهاديا للأسرة والأهل والأقارب والأصدقاء والأحباب .. وبارك الله فى البنسة !!!!! ..

ورغم أن
ذلك
هو

هو جانب من جوانب الإشتراكية : السجائر الأجنبية كاليات ، والكاليات مرفوضة أساسا فى إشتراكيتهم .. الشوكولاتة كاليات مرفوضة .. السيارات الشيك كاليات والكاليات مرفوضة .. كل ماهو أجنبى ومستورد لا محل له ولا مكان له هنا .. ليس ذلك فقط ، بل أن هذه الأصناف المعدودة من الكاليات لو أن مثيلاتها تصنع هنا محليا فستجدها أيضا غالية الى الدرجة التى تجعلك - حتى لو معاك فلوس - تردد كثيرا فى أن تشتريها ، وغالبا لن تشتريها اذا عرفت أن قطعة الشوكولاتة ، مثلا ، التى تشتريها من لندن بشلن واحد ، تدفع فيها هنا نحو ٥ ماركات ألمانية ، أو مايساوى ١٣٥ قرشا مصرياً - بالسعر الرسمى طبعاً - وهو مبلغ يشتري طن شوكولاتة من أى بلد غربى ، ويشتري الآن - رغم ارتفاع أسعار الشوكولاتة فى مصر - ١٥ قطعة شوكولاتة من نفس الحجم فى مصر ..

وإذا قارنا بين مفهوم الاشتراكية عندنا ومفهوم الإشتراكية عندهم .. فالإشتراكية عندنا هى الفوضى والفساد والمحسوبية والرشوة وكل ما يتصوره المرء من سوء فى أى نظام ممكن ، أو أى (لا نظام) ممكن .. والإشتراكية هنا هى السعر المطبوع على كل سلعة ، تباع به من برلين العاصمة الى جيفرين الى أصغر قرية فى ألمانيا الشرقية كلها .. هنا البائعة فى أى محل تجارى - و ٩٩,٩٪ من المحلات هنا قطاع عام - البائعة تقابلك بابتسامة وتودعك بابتسامة وفى غاية الأدب ، وتتحمل رذالتك وظرفك وخفة دمك - اذا كنت مصرياً من خفاف الدم إياهم - وتحشى أن تتجهجج فى وجهها فبرك رؤسائها .. وسواء اشتريت شيئا بـ ٢٠ فينيك - قرشين صاغ - أو قلبت لها المخل ككلمة دون أن تشتري شيئا فسوف تشكرك قبل أن تغادر المحل .. ولو قدمت لها سيجارة أو قطعة لُبَّان فإن البائعة تتلفت حولها فى رعب وفزع خشية أن يراها أحد وهى تأخذ منك قطعة اللبان ، وغالبا فلنأمر سترفضها بابتسامة أيضا .. وكل الأجهزة هنا فى خدمة الناس ، ويتساوى أمام القانون وأمام

النظام العام الكبير قبل الصغير ، حتى حاكم المدينة نفسه - عمدة « فيسار » - وهو ذاهب ليحضر حفلة رسمية الكل في استقباله فيها ، أبرز بطاقته الشخصية عند الباب ليسمح له رجل البوليس الألماني - الموظف عنده - بالدخول !!

والإشترائية عندنا : إسرقت قدردما تستطيع ، هلب قدردما تستطيع ، إهبش قدردما تستطيع واطلم قدردما تستطيع ، فإن أقصى عقاب سوف ينزل بك هو أنهم سوف ينقلونك من وظيفتك إلى : وظيفة أحسن وأكبر ، مجال السرقة والهلبش والتهلبيب فيها أحسن وأكبر !!!!!!

الإشترائية عندهم فكرة واضحة فعلا ، مفهومة فعلا ، منفذة فعلا ومطبقة فعلا الإشترائية عندنا ولا حاجة أبدا : مجرد ١٠ حروف لغة عربية ، فقط لا غير



للدهشة فعلا . . رخيصة إلى حد يثير العجب . . الناس هنا تكاد تكون تأكل ببلاش . . برطمان المرى الكبير جدا الشيك جدا الذى يساوى وحده - وهو فاضى - ٥٠ قرشا ، يباع ببارك ونصف - (ولتتعامل من الأسعار هنا بالسعر الحقيقى الفعلى للمارك الألماني الشرقي ، وهو ما يساوى ١٠ قروش مصرية) - فهو إذن يساوى ١٥ قرشا مصرية . . كيلو التفاح بـ ٦٥ فينيك أو ٦٥ قروش مصرية ، كيلو الكمثرى بـ ٧٠ فينيك أو سبعة قروش مصرية ، كيلو البرقوق الفاخر جدا اللذيذ جدا ببارك واحد . . زجاجة اللبن الكبيرة الضخمة فيها كوين كبيرين من اللبن غاية في الدسم ، بنصف مارك . . الفرخة المشوية كبيرة الحجم التى يكفى ربع فرخة منها لتلكم أى معدة مصرية مفجوعة ومملوؤها ، بما يساوى ٢٥ قرشا مصرية . . لو دخلت أشيك مطعم في البلد وتناولت عشاءك : نصف فرخة كاملة وخضار سوتيه وسلطات وكمية بطاطس ، وشربت بيرة أو بيسى كولا - لا يوجد هنا كوكاكولا التى نعرفها - فلن تدفع أكثر من ٥ مارك أو ٥٠ قرشا مصرية . . ده لو كنت لوحذك طبعاً !! . .

الأهم من ذلك أنك لو لففت المدينة كلها ، أو حتى مدن ألمانيا الشرقية كلها ، فسوف تجد نفس الصنف يباع بنفس السعر في كل مكان دون زيادة فينيك واحد - (ملهم واحد) - . . كما أن الأصناف كلها نوعيات جيدة وممتازة ، ليس فيها كمثرية ضاربة ولا تفاحة معطوبة ولا برقوقه خضراء ، ولا يضع لك البائع شوية برقوق كوينين فوق وش الكيس وبعد أن تصل الى بيتك تكتشف أن الكيس كله من تحت عنب فرط ، ومعفن كمان . . كل حاجة هنا نقاوة وممتازة وتصل إلى المستهلك بشكل جيد جدا وخدمة جيدة جدا وانسياب شديد . . طيلة الأربعين يوما تقريبا التى قضيناها في « فيسار » لم نلاحظ اختفاء أى صنف من الأصناف التى نراها . . كان البحارة المصريون يقبلون إقبالا شديدا على البرقوق الألماني اللطيف الذى يختلف شكله عن شكل البرقوق عندنا ، فلم يرتفع سعره ولا اختفى من المحلات والدكاكين ، ولم يأت واحد شحط شكله مريب ليميل على آذاننا في الشارع وهمس : « معايا برقوق ممتاز يا بيه ، صالة وبلكون » !! . .

وعن الملابس ، هناك

محلات خاصة بملابس العمال . . ليست العفريتة والأوفول ، وأنما ملابس شيك جدا وكويسة جدا وقطيفة وشمواه ومتفصلة جيدا وكل حاجة ، وفي هذه المحلات بائعات حسناوات زى الورد وزى القمر . . كل ما فى الأمر أن (أسعار) هذه المحلات رخيصة جدا وفى متناول العمال ، ومع ذلك فاللى عايز يشتري من غير العمال برضه يتفضل ، ما احنا كلنا عمال . .

ومحلات أخرى رخيصة جدا جدا مثل تلك التى اكتشفناها نحن وعرفها طاقم السفينة كله من بعدنا ، وشرحتها من قبل . . يكفى أنك تستطيع أن تشتري منها بنطلونا جديدا وچاكت جديدا . يعنى بدلة كاملة زى اللى لابسا « خيري » دى - بجنيهن ونصف مصريين ، لا يقل ثمنها لو اشتريتها أو مصلتها فى مصر عن ٨٠ أو ٩٠ جنيه مصرياً . . أغلى جزمة رأيتها هنا بما يساوى ٤ جنيهات مصرية : الجزمة التى تشتريها أنت وتتوارثها من بعدك أبناءك وأحفادك ، ومع ذلك فشكلها ظريف جدا ومودرن جدا . . أما الجزم الحريرى وجزم الأطفال فهى أرخص من ذلك كثيرا جدا . .

أسواق الحضار القطاع

العام . . فى أى مكان مكشوف هنا أو فى أى أرض فضاء ، يقام فيها - فى يوم وليلة كما رأينا بأنفسنا - سور أو مجموعة أكشاك مسقوفة تباع فيها كل أنواع الخضر والفواكه ، وكل صنف مكتوب عليه تسعيرته بخط كبير وواضح عدة مرات . . والستات والفتيات الألمانيات الحسنات واقفات فى طوابير طويلة أمام البائعة الحسناء التى تقف فى الكشك أو أمام (مشنة) أو (عربية يد) بعجلتين - زى اللى عندنا فى مصر بالضبط - وكل واحدة فى دورها بنظام شديد وبهدوء شديد وبلا أى ضجة أو لغط أو كلام أو دوشة . . لودلك عندنا فى مصر لكان صوتهن وصل من ميدان التحرير الى مصر الجديدة ، ويمكن إلى السويس . .

كل صنف هنا مطبوع عليه أو محفور عليه سعره بحيث لا يستطيع البائع أبدا أن يغالطك ، وبحيث يباع نفس الصنف فى « فيسمار » كما يباع فى « روستوك » كما يباع فى برلين العاصمة كما يباع فى أصغر قرية فى ألمانيا الشرقية كلها . . والذى رأيت فى أوروبا كلها من قبل رأيت هنا أيضا فى ألمانيا الشرقية هذه المرة ، أقل عدد ممكن من البائعات فى المحلات ثقة مطلقة فى أمانة الزبون وفى أنه لن يأخذ شيئا دون ين يدفع ثمنه . . وحتى لو حدث أن بعض ضعاف النفوس ملوا أيديهم الى بعض المروضات وسرقوا منها ، لنفرض . . فيكم سوف يسرقون فى اليوم الواحد . بجنيه ؟ بخمسة جنيهات ؟ بعشرة جنيهات ؟ . . ولو : يتفضلوا يسرقوا بعشرة جنيهات كل يوم من كل محل . . لكن مقابل ذلك : كم تبلغ أجور عدة آلاف من العاملات والعمال الزيادة يوميا لكى يحرسوا

المعروضات من أصحاب الأيدي الخفيفة ؟ .. هنا قطعاً تبقى السرقة أرحم وأوفر كثيراً من ملايين الماركات التي سوف تدفع أجور لأيدي عاملة زيادة في بلد يحتاج إلى أيدٍ عاملة في مليون مجال آخرهم من حراسة السلع والمعروضات .

ذلك
ليس
معناه

أن الناس هنا ملائكة أطهار بأجنحة بيضاء ولا سلندر وأنهم جميعاً حايروحووا الجنة ، فهنا أيضاً - أحياناً - يسرقون ويهرون - (لاحظوا أنني أقول « أحياناً » .. لاحظو فكرة « الاستثناء والقاعدة ») - !! .. هنا أيضاً يهربون السجائر الأجنبية ومبيعات السوق الحرة من داخل الميناء إلى خارجه : البحارة المصريون يشترونها بالعملة الصعبة ثم يبيعونها بأربعة أضعاف ثمنها لعمال وموظفي الميناء ، وهؤلاء يهربونها معهم وهم خارجون بعد انتهاء العمل ليبيعوها في السوق المحلية بضعف الثمن الذي يدفعونه للبحارة المصريين .. ظننت في البداية أن الألمان يشترون السجائر الأجنبية لمزاجهم الخاص ليدخنوها هم ، حتى رأيت حسناء ألمانية رقيقة تعمل في الميناء تشتري من البحارة المصريين ٤٠ كرتونة سجائر من ماركاة واحدة خلال أسبوع واحد ، فسألتها مندهشاً : « هل أنت مدخنة شرهة إلى هذا الحد ؟ ! ثم ماذا يعجبك في هذا النوع بالذات وهناك أنواع أخرى كثيرة أفضل منه ؟ ! » فأجابت باستنكار : « أنا شخصياً لا أدخن ، لكن كثير من الأصدقاء يفضلونه » !! .. وطبعاً لم يكن ممكناً أن أتصور أن هذه العاملة الشابة البسيطة « تعزم على أصدقائها » بـ ٨٠٠٠ سيجارة كل أسبوع ، ثمنها يساوي نحو ١٠٠٠ مارك ألماني أو نحو ١٦٠ جنيه مصرياً ، إلا إذا كانت تقف على ناصية شارعهم لتوزيعها مجاناً على الرايح والجاى ..

وأيضاً
يسرقون
من

بين كل عشرة محلات هنا - كلها قطاع عام - دخلتها لأشتري منها غولط في الحساب في محلين أو ثلاثة منها : تدق لك فتاة الخزينة حساب مشترياتك على الآلة الحاسبة أمامها ثم تقطع شريط الحساب وتقدمه لك فتدفع المبلغ المدون به من سكات وتخرج .. حاتحسب وراها ليه ؟ هي الماكينة حاتغلط ؟ .. حتى تصادف مرة أنه لم يكن في جيبى غير مبلغ محدد كنت مضطراً أن أشتري في حدوده فقط ولا أتجاوز طبعاً ، فحسبت قيمة مشترياتى قبل أن أتقدم بها إلى حسناء الخزينة ، واطمأننت إلى أن مشترواى على قد المبلغ الذى معى بالضبط حتى آخر فينيك أو مليم ألماني في جيبى .. لكننى فوجئت بشريط الحساب يطلب منى مبلغاً أكبر !! .. صحيح بمارك واحد فقط زيادة ، لكن هذا المارك الواحد ليس معى .. فاضطرت - عرجاً جداً - إلى أن أعيد حساباتى وأنا واقف أمام الخزينة ومعمل طابور طويل ورائى .. لكننى إكتشفت أننى أنا إلى صبح والماكينة - أو حسناء الماكينة - هي اللى غلط .. فرفعت حاجب الإتهام الأسير وزغرت للفتاة دون أن أتكلم نظرة معناها : « إيه يا بت يا حسناء انتى ؟ يعنى أشتكىكى

دلوحتى للحزب أخليم يودوكى سيبيريا تنفسحى لك كام سنة ؟! .. وفوجئت بالفتاة من سكيات ودون أن أتكلم أو أقول أى شىء أو حتى أحدد لها قيمة المبلغ الزيادة ، تسحب من درج الخزينة مارك واحد وتضعه أمامى بشويش وبالراحة خالص وهى تنظر فى عيني بنظرة متوسلة معناها - بالألمان - « فى عرضك يابيه .. إستر على الولايا ربنا يستر على ولاياك » ..

وسترت .. أصل البنت كانت عينيها حلوة وخسارة فى سيبيريا !! ..

٥٥

وذلك الولد الصغير

الذى لا يتجاوز عمره ١٢ أو ١٣ سنة على الأكثر .. كنا مجموعة من المصريين فى محل بيع أدوات كهربائية .. الرقابة غير موجودة هنا .. خذ ما تريد وضعه فى السلة التى معاك وتقدم إلى فتاة الخزينة لتحاسبها .. إنذفس ذلك الصبي الألمانى الصغير فى وسط مجموعة البحارة المصريين كأنه يشتري مثلهم ، ومد يده وأخذ زر كهرباء صغير وقلب فيه كأنما يتفرج عليه ، ثم - خلسة وبسرعة - وضعه فى جيبه !! .. كنت أقربه من بعيد وإحساسى الداخلى يقول لى أنه سوف يفعل شيئا كهذا ، وأردت أن أتفرج كيف يسرق الخواجات أنفسهم وكيف ينحرف الأولاد الصغار ليصبحوا مجرمين كبار فيما بعد .. ولم يكن الأمر يهمنى ولا يهمنى فى حاجة ، فانا لست حامى همى الشعب الألمانى وليست مسئولاً عن تنشئة الجيل الجديد فيه ، لكننى ومضت فى ذهنى فجأة فكرة غريبة : « هذا الولد الألمانى لم يكن ليمد يده هكذا إلا لأنه مدفوس فى وسطنا الآن نحن المصريين ، وحين - فى آخر اليوم - يكتشفون أن أشياء قد سرت من المحل فسوف يقولون على الفور أن المصريين هم الذين سرقوها ، ولن تتجه شكوكهم أبداً إلى واحد من مواطنيهم » !! .. يا ابن الـ ألمان !!! .. خطوتين وأصبحت إلى جواره وضعت يدي على كتفه وعصرت كتفه فى قبضتى بشدة كأي خبير مصرى عريق ، وأشرت إليه بيدي أن يخرج ما وضعه فى جيبه ويعيده إلى مكانه .. وحاول الولد أن يفلص من قبضتى وهو يرطن بالألمانية التى لا أعرفها ، وعلى صوته بدأت البائعات يلتفتن نحونا ، وأنا مازلت مصرا على أن أشير له بيدي بما معناه : « إطلع باللى فى جيبك ورجعه مطرحة .. يا حرامى يا لص » .. وأخرج الولد زر الكهرباء من جيبه وأعاده إلى مكانه ، وجاءت عاملة من عاملات المحل لتأخذه من يدي وتدفعه أمامها وهى تتيح الفرصة لكل العاملات أن يرين وجهه حتى يعرفنه ، حتى دفعته إلى خارج المحل .

هم أيضا .. يسرقون !! ..

نظام المعاشات هنا

أيضا ممتاز جدا .. منذ ١٠ سنوات فقط كان الحد الأدنى للمعاش أى إنسان هنا هو ١٤٠ مارك شهريا - حوالى ٢٢,٥ جنيه مصرى تقريبا - .. وظل هذا الحد الأدنى يتصاعد تدريجيا حتى وصل إلى ٢٣٠ مارك شهريا ابتداء من نهاية العام ١٩٧٦ - نحو

٣٧ جنيا مصريا - . . فالحكومة الألمانية الشرقية كلما زادت الحالة الاقتصادية للدولة تحسنا وتقدما كلما رعت هي أيضا من ناحيتها الحد الأدنى للمعاش دون أن يطلب منها المواطنون الألمان ذلك . . وقد نفذت ذلك فعلا عدة مرات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . .

ولكن ذلك هو الحد الأدنى فقط . . مستر « أوتو فاستر *Otto Faster* رجل البوليس السابق الألماني الذي كنت قد تعرفت به عند صديقتي الألمانية « زيناتي ميستير » ، تبعنا لمدة خدمته وتبعنا لوظيفته وتبعنا لآخر مرتب كان يتقاضاه قبل أن يصل إلى سن المعاش : فإن معاشه الآن ٦٣٠ مارك - نحو ١١٠ جنيهات مصرية تقريبا - وهو مجرد رجل بوليس . . وأيضا لأنه هو وزوجته كانا أعضاء في إتحاد العمال الألماني فإن الإتحاد يصرف لكل منهما كمعاش إضافي من الإتحاد ١٦٠ مارك . .

ذلك كله بالإضافة إلى الحقوق الأخرى التي يتمتع بها أصحاب المعاشات ، ومنها أن لهم تخفيضات كبيرة في الإنتقالات بالسبك الحديدية وكل وسائل المواصلات ، وأن يتناولوا طعامهم متى شاءوا - حتى لو كان ذلك كل يوم - في مطاعم الجهات التي كانوا يعملون بها قبل إحالتهم إلى المعاش ، في مقابل ٨٠ فينيك فقط للوجبة الكاملة ، يعني نحو ٨ قروش مصرية . . بالإضافة إلى العلاج والرعاية الصحية المجانية والدواء المجاني ، وإجراء العمليات الجراحية مجانا حتى لو استدعى الأمر بقاء المريض في المستشفى مدة غير محدودة .

أما إذا احتاجوا - بعد كل ذلك - إلى أية مبالغ أخرى ، فإنهم ببساطة جدا يكتبون إلى الحكومة فتعطيهام فوراً ما يطلبون !!

وبعد
الخروج
إلى

المعاش : ٦٥ عاما للرجل الألماني و ٦٠ للمرأة الألمانية ، فإنهم يستطيعان - وقتها فقط - أن يتحركوا بحرية كاملة إلى أي مكان في العالم الخارجي ألمانيا الشرقية . . قبل ذلك لا أحد من ألمانيا الشرقية ، ولا من أي دولة من الدول الشيوعية في أوروبا الشرقية كلها ، يستطيع أن يتحرك إلا في داخل نطاق الدائرة المقفلة للدول الشيوعية ، يذهب إلى أي دولة شيوعية فقط ، لكن يزور أي دولة غربية فممنوع تماما إلا في الحالات الإضطرارية الشديدة وبإجراءات طويلة جدا وشديدة التعقيد ، وعلى شرط أن تكون هناك ضمانات أكيدة تكفل عودته من هذه الزيارة . . من بين الضمانات إعتقال واحد من أشد المقرين إليه قبل سفره هو ، أحد والديه أو أخوته ، زوجته ، أحد أبنائه . . ولا يفرج عن هذا المعتقل إلا بعد عودة المسافر إلى وطنه مرة أخرى !!!!!



حكي لى كبير

ضباط سفينتنا « على أبو طالب » اليوم شيئا غريبا لم أصدقه . . قال أن واردة
عمال الرباط الألمان ، الذين يتولون تربيط البضائع المشحونة فوق سطح
السفن ، عدد أفرادها ٤ عمال ألمان يعملون لمدة ٦ ساعات ويتقاضون - في هذه الساعات الست
٦٠٠٠ مارك ، يعنى ١٥٠٠ مارك لكل واحد منهم - ٢٤٠ جنيه مصرياً للفرد بالسعر الرسمى أو
٤٠٥ جنيهات بالسعر الحر . . . في حين أنه - يستطرد كبير الضباط - لو قام بحارة السفينة
المصريون بنفس العمل تماماً وقاموا هم بتربيط البضائع فوق سفينتهم ، فإن مكافأة كل واحد من
الشركة صاحبة السفينة بعد العودة إلى الإسكندرية لن تزيد - مهما بلغ عدد الواردات التي عملها -
عن مرتب ٦ أيام فقط لا غير !!!!! يعنى لا يتقاضى الواحد منهم أكثر من جنيهات قليلة
لا يكمل عددها أصابع اليدين ، غير ما يستقطع من الضرائب والخصومات . .
المهم الذى لم أفهمه ، ولم يستطع كبير الضباط أيضاً أن يجد له سبباً ، لماذا ٦ أيام بالتحديد
وليس ٥ أو ٧ أو ١٩٨ . . . الله أعلم ، وعلم ذلك عند عباقرة لوغاريتمات الإدارة المصرية . . .

لكن ذلك وغيره

قطعاً هو السبب الذى يجعل البحارة والضباط والمهندسين المصريين يهربون
من العمل على السفن المصرية بمجرد أن يتم لهم (زفارة الهاسبور) !! . .
وذلك أيضاً تعبير بحرى جديد سمعته الليلة لأول مرة . . زفارة الهاسبور . . ومعناه أن المصريين
الذين يريدون أن يعملوا في البحر ولم يكونوا يعملون فيه من قبل ، لن تقبلهم السفن الأجنبية التي
تعطى لبحارتها مرتبات كبيرة مغرية ، لن تقبلهم للعمل بها وهم حديثو العهد بالبحر هكذا دون
خبرة ودون أن تكون على جوازات سفرهم البحرية تأشيرات تدل على أن صاحب الهاسبور قد خدم
في البحر مدة كافية من قبل . . لذا فإن البحار المصرى - ضابطاً أو مهندساً أو بحاراً - يقبل على
مضض أن يعمل على السفن المصرية ، وجميعها ملك لشركة واحدة هي الشركة المصرية للملاحة
البحرية صاحبة هذه السفينة و ٤٥ سفينة أخرى معها ، سنة أو سنتين أو عدة رحلات ، حتى
يحصل على عدد كاف من التأشيرات على جواز سفره ، فيكون بذلك قد (زفر) الهاسبور ، فتقبله
السفن الأجنبية للعمل بها على أنه صاحب خبرة سابقة ، ويتمتع بالمرتبات الكبيرة والإمزايات
الكثيرة التي تقدمها هذه السفن . .

وإذا كانت الاشتراكية المطبقة

في الدول الأوروبية الشرقية تسمح بأن تكون هناك نسبة واحد في المليون من
النأذج والعينات الرديئة ، التي تلقى جزاءها القاسى والرادع فوراً بمجرد
اكتشافها ، فإن اشتراكنا نحن هنا تسمح أيضاً بوجود نسبة واحد في المليون من النأذج والعينات

ال ، طيبة !! .. لا أظن أن عندهم سفينة من سفنهم ممكن أن يسمح لقبطانها بأن (يستلف) الفاصوليا البيضاء من سفينة أخرى تنف إلى جوار سفينته على الرصيف .. لا أظن أن أن اشتراكيتهم تسمح لقبطان من سفينة بأن (يشحت) كمية من الفول من سفينة أجنبية أخرى تجاوزه - كالسفينة اللبنانية (أورابيا ستار) مثلا !! - ، كأن سفينتنا مركب يتيم الأبوين مالئاش صاحب وليس لنا أهل .. لا أظن أن اشتراكيتهم تسمح بأن يحاول كل مسئول أن يخطف مسئوليات المسئول الأصغر منه ويجرده من سلطاته ليلبدو هو في شكل الأقوى والأعظم والأوحد .. القبطان يسحب سلطات كبير الضباط ويحيله إلى (خيال مآته) على السفينة زى قلته وكأنه غير موجود وهو (كبير) الضباط .. وكبير الضباط - بالتالى - يسحب سلطات الضابط الثانى ، والضابط الثانى يلغى سلطات الضابط الثالث .. وأجيال بعد أجيال - مش فى المجال البحرى فقط - تترى على ذلك وتكرر وتتعلم ذلك ، وحين تكرر هذه الأجيال وتتولى هى المناصب القيادية - فى السفن وفى غير السفن - تكرر مع المسئولين الأصغر منها نفس ما حدث معهم وهم فى بداية السلم : إنتقاما مما حدث لهم شخصيا ، لأن - وذلك هو المهم - ذلك هو الذى تعلموه ورأوه وعوملوا وتعاملوا به ..

من عجائب كوكب

السفينة « رمسيس الثانى » الراسية حتى ساعة تاريخه بلا عمل فى ميناء « فيسار » بالمانيا الشرقية منذ شهر كامل حتى الآن ، كبير الضباط وجد أن تعليماته التى أصدرها بالنسبة للمطبخ لا تنفذ : وأن أكل الضباط والمهندسين والبحارة ناقص عن المقرر لهم : والأكل الذى يقدم إليهم أصلا ردىء للغاية .. زعق وعمل هيبسة وزبقة ، فرد عليه رئيس السفريجية « برهام » زعيفا بزعيق ، وأصبحتنا نحن الموجودين فى الصالون لحظتها لا نعرف من منها كبير الضباط ومن منها رئيس السفريجية ، لأن رئيس السفريجية ردىء لكبير الضباط و (تشبلىق به) .. فأصدر كبير الضباط أمرا بإيقاف رئيس السفريجية عن العمل وبأن يلزم قمرة حتى تعود السفينة إلى الإسكندرية .. ذلك من سلطاته ومن حقه ، استعملها فى موضعها تماما .. ولكن

ذلك الأمر لم يستمر ولا دقيقة واحدة لأن القبطان ألغاه فورا وأمر رئيس السفريجية بأنه (ما يسألش فيه) - فى كبير الضباط يعنى - وأن يستمر فى العمل وكان كبير الضباط كان يغنى فى الحرام .. فأنغى بذلك شخصية كبير الضباط ومركزه واختصاصاته ، ويصبح « المسئول » مجردا من « المسئولية » .. يصبح كبير الضباط منظر فقط كما يقول هو دائما عن نفسه !!!!! ..

عظمة .. السئ يسود والنظام مفروض

وذلك لا يحدث من

القيادات العليا إلى القيادات التى تليها فقط ، إنما يتدرج أيضا من القيادات « التى تليها » إلى القيادات « التى تلى التى تليها » !! ، وهكذا ..

الضابط الثانى ، التالى فى الرتبة بعد كبير الضباط مباشرة ، مفروض أن هناك أجهزة معينة

نكون عهده السفينة ، هو الذى يتسلمها ويفحصها ويراجعها ويضمن إليها قبل قيام السفينة وقبل أن تبدأ رحلتها ، وتظل عهده بعد ذلك طول الرحلة وطالما هو موجود على السفينة كضابط ثان . .

الضابط الثانى على سفينتنا ، « الحسىنى شعبان » . . لم يتسلم عهده قبل قيام السفينة من الإسكندرية ، ولم يتسلمها خلال الرحلة من الإسكندرية إلى ألمانيا الشرقية ، ولم يتسلمها طوال الـ ٤٣ يوما التى قضيناها فى ألمانيا ، ولم يتسلمها خلال رحلة العودة من ألمانيا التى استغرقت ١٥ يوما . . وقبل وصول السفينة إلى الإسكندرية منية رحلتها بيومين فقط طلب منه كبير الضباط أن (يوقع) على أنه قد تسلم عهده منذ بدء الرحلة !! ورفض الضابط الثانى أن يتسلم العهدة - وعلى الورق فقط كان - ووجهة نظره فى ذلك سليمة ١٠٠٪ : أيه الى حكها الآن لكى يتسلم العهدة بعد أن ظلت فى حوزة كبير الضباط طوال مدة الرحلة ؟ ! واشمعى الآن فقط يريد يتخلص منها ويزحلقها على صاحبها الأصلى ؟ ! . . لكن المسألة كما قلت فى البداية أن كل مسئول يريد أن يلغى اختصاصات ومسئوليات المسئول الأقل منه درجة : قبطان يلغى الضباط ، كبير الضباط يلغى الضباط الثانى ، والضباط الثانى يلغى . . ألغ ألغ ألغ ! . . .

سفرجى باشا اليوم

على مائدة الغداء ظهرا - وما أكثر حكايات وحواديت سفرجى باشا هذا ، دلوعة القبطان - وضع سفرجى باشا الأكل على السفرة أمام الطالب البحرى « عابد شكرى » وهو يستغف ويؤنبه ويوبخه : « تانى ماتجيش متأخر على الغداء . . المرة دى أنا خاغدك ، لكن مرة ثانية بعد كده مفيش أكل علشانك » !! وهو يتقصع ويتأهل برمقة الوراق من أنه قادر على توزيع الإهانات على كل ناس السفينة - الكبار قبل الصغرين - مادام قد استطاع أن يبين القبطان نفسه دون أن يعاقبه القبطان . . علشان قبطانا حنين !! . .

وانتفض « عابد » واقفا ورفض أن يأكل ، وغادر الصالون كله وقد ازدرد وجهه من الغضب المكبوت ، فإنه يعلم جيدا أن مستقبله البحرى كله مرهون بأى كلمة تصدر منه لسفرجى باشا قبطان السفرجية ، فإن القبطان - وله فى ذلك سابقة مشهورة تعرفها السفينة كلها معى أنا شخصا - لا يقبل أى مساس بالسفرجى المفضل بتاعه مهما كان غخطا . . ولو أن « عابدا » أغضب سفرجى باشا بكلمة كده والا كده ولو حتى بكلمة عتاب ، لكان من المؤكد أن القبطان سيرفد « عابد » من على السفينة ويكتب فيه تقريرا يضع مستقبله تماما كضابط بحرى . .

وكان الضابط الثانى « الحسىنى » موجودا فى الصالون عندما حدث ذلك ، وهو المسئول عن الصالون وعن السفرجية ، ولم يتحرك ولم يتصرف كأنه لم ير شيئا وكأن شيئا لم يحدث أمامه . . ونقلت ماحدث الى كبير الضباط فى نفس اليوم - ككبير ضباط مسئول عن السفينة كلها بعد القبطان - فلم يفعل شيئا ولم يتخذ أى اجراء ، وأدى حال الدنيا !! . .

الطالب البحرى « عابد » هذا سوف يكون قبطانا يوما ما ، وقطعا سوف يفعل فى ضباطه الصغار حينذاك نفس ما يفعله الآن قبطانا الحنين مع ضباطه الصغار والكبار ، حتى جعلهم جميعا

هكذا ، يرعبهم سفرجى ويهينهم سفرجى ويز كرامتهم سفرجى .. سفرجى باشا .. قبطان
السفرجية

الشعب الأمريكى والشعب

الإنجليزى هما أكثر شعبين فى العالم يؤمنان بالتفاؤل والتشاؤم .. لكننى لم
أكن أعلم أن الشعب الألمانى أيضا ينافسها فى ذلك .. لعبة الحظ وبختك يا
ابو بخت وجرب حظك وشوف بختك يا صاحب الحظ والنصيب موجودة أيضا فى شوارع ألمانيا
وفى أرقى أحيائها التجارية : رجل يرتدى ملابس السهرة كاملة فى عز الصبح : الردنجات الذيل
الطويل والقبعة العالية وقد رشق حوها مجموعة من أوراق النقد الألمانى فئة ٥٠ ماركا ، وأمامه عربية
يد صغيرة جدا ليس عليها سوى رزم أوراق صغيرة مطوية فى حجم تذكرة الأوتوبيس أو أكبر
قليلا ، وقد ألّف سوله جمع كبير من الناس يتخاطفون من أمامه هذه الأوراق المطوية .. تدفع
ماركا واحدا - (نحو ١٠ قروش) - وتسحب ورقة من هذه الأوراق المطوية وتقرأ ما فيها وأنت
وبختك : قد تجد مكتوبا فيها أنك تكسب ٥ ماركات أو ١٠ ماركات ، فيصبح الخواجة ذو القبعة
العالية ويهلل : « ياخرب بيت الخواجات .. مال الخواجات راح بلاش يا جدهان .. قرب قرب
قرب » - باللغة الألمانية طبعاً - ويفضحك ويمرحكك ويملكك عليك الناس قبل أن يسلمك الماركات
الخمس أو العشرة .. وقد تجد فى هذه الورقة المطوية أمنية بالسعادة أو بالصحة أو بالنجاح أو
بالحب ، وقد تجد الستر .. وغالبا ، طبعاً ، ستجد الستر !! ..

وهنا أيضا تجد

محلات - قطاع عام - تباع الحظ وفتح عينك تاكل ملين .. تعرض مجموعة
من السلع والبضائع مختلفة المستويات : ابتداء من لعب الأطفال وياكوات
الشوكولاتة وساعات اليد والمنبهات وساعات الحائط ، إلى أطقم شاي وأطقم صينى ودراجات
وغسالات كهربائية وأجهزة راديو وغيرها .. كل سلعة مكتوب عليها رقم ما .. وتشترى تذكرة
بخت من البائعة وأنت وحظك : تكسب دراجة تكسب ثلاثة تكسب باكو شوكولاتة تكسب
الصلاة على النبى .. وطبعاً كل واحد يكسب سلعة من هذه السلع يقابله ألف واحد لا يكسبون
سوى الصلاة على النبى ..

والبخت فى هذه المحلات القطاع العام درجات ومستويات : تدفع ربع مارك فيكون من
نصيبك - لو كان لك نصيب وفزت - جوائز صغيرة بسيطة .. وتدفع نصف مارك فتأخذ تذكرة من
فئة أخرى جوائزها أكبر وأقيم .. وهكذا تتدرج قيمة تذكرة البخت - ولنسميها (التمول)
كما يحدث عندنا فى مصر تقريبا - من ربع مارك الى ٣ ماركات .. والتذكرة الكبيرة فئة الثلاث
ماركات هى التى تكسب الثلاثة أو الغسالة أو البوتاجاز ، ومين عارف يمكن كمان تكسب الفئة

الحسنة الموظفة في الدولة التي تتبع البحث لأصحاب البحث والنصيب ، وقرر رب . . قرب
قرب

حكايات البحر والبحارة

ما أكثرها ، والأكثر منها هي مقابلهم لبعضهم البعض . . « منير الشحات »
الضابط الثالث حكى لي قصة ظريفة عن شقاوات البحارة ، فقال أنه رست
سفينة مصرية في أحد موانئ دولة أفريقية من التي مازال مسموحا فيها بيع وشراء العبيد . . ونزل
بحاران مصريان واحد منهما أسمر جدا ولا يتكلم غير اللغة العربية ، ليسهرا في أحد بارات
المدينة . . وبالصدفة جاءت جلستهما في البار قرب رجل أوروبي أبيض من الذين يعملون في تجارة
الرقيق ، كلمة من هنا وكلمة من هناك وبالظرف المصري الشديد - البايع أحيانا - إنتقل الرجل
الأوروبي إلى مائدة البحاران المصريين ، وداربينه وبين البحار « الفاتح شوية » حديث طويل باللغة
الإنجليزية لم يفهم منه صديقنا البحار « الغامق كثير » ولا كلمة طبع . . ثم فتح الرجل الأوروبي
محفظة وأخرج منها رزمة من النقود أعطاها للبحار « الفاتح شوية » الذي وضعها في جيبه ثم
استأذن من زميله البحار الأسمر : « ٥ دقائق وأرجع حالا . . بس حاشيتي حاجة للمخاجة ده من
برة وأرجع على طول » . . وخرج صاحبا ولم يعد طبع . . وانتظره زميله البحار الأسمر ربع
ساعة : نصف ساعة . . فلما ذهب من الإنتظار أراد أن ينصرف ليعود إلى سفينته ، لكن الرجل
الأوروبي تشبث به ورفض أن يسمح له بالانصراف ، وصاحبا البحار الأسمر مش فاهم حاجة
أبدا ، ولم يكن أمامه إلا أن يفاهم مع الرجل الأوروبي باليد وبالركبة وبالدماغ !! . . وجاء
البوليس ليكشف المسألة كلها : البحار المصري « الفاتح شوية » الذي يتكلم الإنجليزية (باع)
زميله الأسمر إلى تاجر العبيد ، وقبض الثمن مقدما وزوغ وراح لحاله . . وتركها هما يتصرفان مع
بعض . . !!!

هزار . . لكن دمه ثقيل شوية !! . .

في بداية وصول

سفينتنا إلى ميناء « فيسبار » هنا وبدء تعاملنا مع بوابة جمرك الميناء دخولا
وخروجا لأول مرة ، استقبلنا رجال الجمرك بتحفز في البداية ، لكنهم بمجرد
أن رأوا جوازات سفرنا والبطاقات المعطاة لنا من إدارة الجوازات الألمانية حتى غيروا معاملتهم لنا
على الفور تماما وحيونا نحية طيبة وطلبوا منا أن نتفضل بالدخول ، دون حتى أن يسألونا عما معنا
أو يمشوه أو يفتحونه لبرونه !! . . ودخلنا بين دهشتنا الشديدة هذه المعاملة الطيبة زيادة من الزوم
التي لم نكن نتوقعها من السلطات الألمانية الشرقية التي سمعنا الكثير عن انغلاقها وتزمتها وشدتها
مع الجميع !! . .

لكن كبير الضباط « على أبو طالب » شرح لنا أن تصاريحنا المكتوبة باللغة الألمانية بها إشارات رمزية من إدارة الجوازات الألمانية مفهومة لرجال الجمارك بأننا (V.I.P.) أو (شخصيات هامة جدا) (Very Important Persons) لهاملتنا معاملة طيبة وعدم تفتيشنا !! ..

وفعلا ، طوال المدة التي بقيناها في ميناء « فيسار » - ٣٨ يوما - لم يتعرض لنا رجال الجمارك مرة واحدة ، لدرجة أنني أنا و « سلمى » دخلنا مرة نحمل كرسيين كبيرين من كراسي القرائدات ، ومرة ثانية طقم شاي كامل في صندوق كبير ، ومرة ثالثة حقيبة ملابس كبيرة مقلقة ، فلم يطالبونا حتى بفتحهم ..

وعرف ضباط وبحارة السفينة حكاية الـ (V.I.P.) هذه فاستغلوها هم أيضا من باب (إعطونا مما أعطاكم الله) ، وبدأوا يطلبون منا أن ندخل لهم معنا الأشياء التي يشترونها ويخشون أن يفقشهم بها رجال الجمارك عند بوابة مدخل الميناء .. وفعلا كنا نقوم لهم بذلك عن طيب خاطر .. والف حمد وشكر لك يارب على أننا (V.I.P.) !! ..

يبدو أن المسألة قد

تحتاج إلى « مكتب أمن » مصري في كل ميناء هام ترسو عليه كثيرا السفن المصرية ، وتكون مهمة « مكتب الأمن » هذا مراقبة تصرفات البحارة المصريين - خصوصا الكبار منهم - حفاظ على سمعة مصر التي تتمرط وتتهطل في بارات وعلب الليل في موانئ أوروبا ..

خناقة وشدة عنيف حدثا أمس ليلا في بار « كوربيانكا » بين قبطاننا و « عبده صالح عبده » كبير مهندسي السفينة ، كاد أن يصل إلى تماسك بالأيدي .. والسبب أن المهندس « عبده صالح عبده » كان سكرانا وأراد أن (يستلف) « سوزان » صديقة القبطان التي يسميها « عزيزة » ، لكي (تذهب) مع أحد مهندسي سفينة لبنانية موجودة في الميناء ، لأن المهندس اللبناني سفينته سترحل غدا وعازب يودع !! .. فتشاجر القبطان والباشمهندس المصريان وارتفع صوتا هما باللغة العربية أمام كل رواد البار الألماني من المصريين والعرب والألمان البحارة وغير البحارة .. فضيحة ، وحاجة نكسف !! ..

عند بوابة جمرك

الميناء تلتقي : « سلمى » وأنا والضابط الثالث « مدير الشحات » خارجين من الميناء ، والقبطان عائد إليه .. ويرى القبطان الكاميرا معلقة في كتف

« سلمى » ، ويرى أيضا حسناء المانية تجلس وحيدة على (دكة) خشبية للانتظار قرب مدخل الميناء ، فيجري - بظفره المعهود - ليجلس إلى جوار الحسناء الألمانية ويطلب من « سلمى » أن

تصوره معها ، ويقول للحسنة مشيراً إلى سفينتنا على مرمى البصر أنه قبطان هذه السفينة الراسية هناك . . لكن الفتاة تنتفض واقفة مغضبة وهي تقول له : « إنفضل إقعد على الدكة زى مانت عايز ، ده مكان عام . . لكن تتصور معايا وأتصور معاك ليه » ؟ . . ورفضت تماماً أن تعود إلى الجلوس على الدكة إلا بعد أن أغلقت « سلمى » الكاميرا وتركتها من يدها لتتدلى معلقة في كتفها . . ومضينا في طريقنا إلى خارج الميناء وتركنا القبطان مازال واقفاً يشير للفتاة إلى سفينة المصرية هناك وهو يؤكد لها أنه قبطان هذه السفينة !!!!!

سمعت حدوتة ظريفة

حدثت هنا في « فيسار » لبحار مصرى ناصح وفهلولى كان لازال حديث العهد بالميناء هنا : ذهب إلى السوق الحرة واشترى عدة خرطوشات سجائر ماركة (آستور) ، وهي أشهر ماركة سجائر أجنبية مطلوبة هنا ، وخرج يبحث لها عن مشتر في السوق السوداء . . وشاء له حظه العاثر أن يعرض بضاعته على أول شخص قابله وسأله : « ماذا معك في هذه الحقيبة ؟ » ففتح له البحار المصرى الحقيبة التي معه وأراه خرطوشات السجائر التي فيها وقال له : « سجائر (آستور) . . الخرطوشة بـ ٢٥ مارك » فقال له الرجل مفصصاً عن شخصيته : « كستم » - (أى أنه من ضباط الجمرك) - لكى يقبض عليه !! . . لكن صديقنا البحار الذى لا يعرف اللغة الإنجليزية لم يفهم معنى كلمة (كستم) وظن أن الرجل يطلب نوعاً آخر من السجائر إسمه (كستم) ، وأراد أن يفرجه ببضاعته الموجودة ، فقال في فهولة ونصاحة إسكدرانية : « آستور جود ، كستم نو جود » يعنى السجائر الآستور كويسة ، والسجائر الكستم مش كويسة !! . . وظل صديقنا البحار يردد : « آستور جود ، كستم نو جود » ورجل الجمارك يأخذه معه ليعرضه على رؤسائه واحداً بعد آخر والبحار يظن أن (الزبون) يستشير أصدقاءه في ماركة السجائر . . . حتى صادروا منه خرطوشات السجائر وكعموه الغرامة المقررة

وقتها فقط عرف غلطته وعرف معنى كلمة « كستم » . . ومع ذلك فقد خرج بحقيقته الفارغة وهو يردد - وهو فاهم معناها هذه المرة - : « طيب ما انا كان عندى حق برضه : كستم نو جود » !!!!!

أخيراً .. أخيراً .. أخيراً ..

وألّف حمد وشكر لك يارب . . بعد شهر كامل ٣٠ يوماً من وصولنا إلى ميناء « فيسار » وركبتنا على الرصيف بلا عمل كل هذه المدة : بدأ العمال الألمان في تفريغ سفينتنا الليلة في تمام الساعة العاشرة مساءً . . نسجد لله حمداً وشكراً . . صحيح أنه خلال تلك المدة وصلت إلى الميناء - بعدنا - ٣ سفن مصرية وعربية أخرى ، أفرغت جميعها شحناتها وأخذت شحنات جديدة ، ومضت في طريقها تكمل مشاويرها ورحلاتها وتركتنا راكبين في وقفنا

هذه زى ما احنا ، إلا أن الصبر مفتاح الفرج وطولة البال تبليغ الآمال وأهو الحمد لله أخيرا برضه ربنا فرجها علينا . . وبناء عليه فقد قررنا أنه - بإذن الله - سوف يصيخ هذا التاريخ هو العيد القومى للسفينة « رمسيس الثانى »

إحتفالا ببدء تفريخ

السفينة نزلنا نسهر الليلة في كانتين البحارة . . شلة من ضباط السفينة هرب النوم من عيوننا فخرجنا في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل نبحث عن مكان نذوب فيه في زحمة الناس . . كانتين البحارة داخل الميناء هو المكان الوحيد الذى يظل مفتوحا ليلا ونهارا لمدة ٢٤ ساعة في اليوم . . المصريون صوتهم على بطيعتهم وناس إجتماعيين ومفتحين ولا يحبون أن يخفوا أسرارهم . . في كل مكان عام قعدنا فيه شلة مصريين قال لنا الألمان - كما حدث الليلة - : « إيه الهيصه الى انتوا عاملينها دى ؟ . . ما توطوا صوتكم شوية . . إنتوا فاكرين نفسكم (أبذ الهليم هافز) ؟ » !!

الفصل الثامن عشر

من الذي
يخاف من
رجال
البوليس؟!

حكي لـ القبطان

اليوم ماحدث له مع الفتاة الألمانية الحسنة التي تركناه معها بالأمس قرب مدخل الميناء وهو يكاد أن يحلف لها على المصحف بأنه قبطان هذه السفينة المصرية الراسية هناك ؛ بعد أن رفضت أن تتصور معه . . قال أنه بعد انصرافنا جلس إلى جوارها على الدكة الخشبية محاولاً أن يوصل حبل الحديث معها ؛ فسأها : « هوانتى منتظرة حد والأجابة هنا تنفسحى فى الميناء ؟ » فقالت له أنها تنتظر زوجها فى هذا المكان كل يوم فى نفس الموعد ؛ فقال لها قلنا : « هوانتى جوزك بيشغل هنا فى الميناء ؟ » فأشارت له بإصبعها ناحية كشك بوابة مدخل الميناء حيث يقف رجال الجمارك الألمان الذين يثيرون زعب أهل السفينة كلهم لأتئهم يفتشونهم فى الدخول وفى الخروج ؛ وقالت : « هو ضابط الجمارك اللى واقف هناك ده ؟ ! ! . . ونظر القبطان ليجد الزوج الضابط يقف عند البوابة على بعد اقل من ١٠ أمتار منها ؛ عملاق طول وعرض كأحد أبطال الملاكمة المحترفين فى الوزن الثقيل ؛ وهو ينظر إلى حيث تقف زوجته والقبطان وقد رفع حاجب الأذى الأيسر . . ويتلعب القبطان ريقه بصعوبة وهو يبحث فى ذهنه بسرعة عن وسيلة يخرج من هذه الورطة بأقل « الأضرار » الممكنة ؛ فسأها : وائى كل يوم يتيجى تنظريه فى الميعاد ده ؟ فأجابت : أيوه . . علشان بابا بياخدنا معاه يوصلنا بعربيته لغاية بيتنا " فقال بائسا : " يعنى باباكى كمان جاي دلوقتى ؟ » فقالت ببساطة وهى تشير مرة أخرى إلى كشك البوابة : هو مش جاي ؛ لأنه هنا من الصبح . . هو رئيس جوزى اللى واقف جنبه ببيض لنا ده " ! ! . . وينظر القبطان الى الأب الذى يقف ينظر إليهما عن بعد ؛ ليكتشف أن الزوج الملاكم قطعاً سوف يكون أرحم كثيراً ! ! . . ويسقط فى يد القبطان الجسور فيحدث نفسه بالعربية قائلاً : " هابل . . دا الظاهر ان العيلة كلها مشرفة هنا . . مافاضلش غير ماما كمان علشان تكمل . . ولا تفهم الحسنة الألمانية من كلامه كله غير كلمة (ماما) ؛ فتشير برأسها إلى سيدة مدرعة نصف جزير تستطيع أن تحمل سفينته (رمسيس الثانى) بحالها بيد واحدة ؛ مقبلة عليها من يدابة الشارع . . . ! ! .

لم يكمل لى القبطان ماذا حدث بعد ذلك ؛ لكننى استنتجته وحدى من ملازمته للسفينة بعد ذلك وعدم خروجه منها - ومن باب قمرته - طيلة المدة التى يقيناها فى ميناء " فيسار " بعد ذلك ! ! . . .



« الحسينى » الضابط الثانى

.. مرض أمس فجأة .. كلف القبطان الطالب البحرى "عابد شكرى"
بأن يحل محل الضابط الثانى فى واديته ويقوم بعمله .. "عابد" سعيد
وفرحان للغاية بهذه المسئولية ويمارس مسئولياته الجديدة بكل همّة ونشاط وحماة ؛ ويكاد لا يغادر
سطح السفينة طوال الـ ٢٤ ساعة لمراقبة عمليات تفريغ العمال الألمان لشحنة السفينة .. يوم
يتخرج "عابد" ضابطا بحريا ويرقى حتى يصل إلى رتبة ضابط ثان فمّن يدري ؛ فقد يزهى من
هذه المسئولية ويتهرب منها .. يتأرض !! ..

حين نقلست للقيبان

ذات مرة مايقال عن اختفاء كمية اليايش التى كانت السفينة قد اشترتها
لحساب الخفلة التى أقامتها ليلة دخولنا ميناء "فيسمار" فلم تقدم فى الخفلة
وشوهد الكلب (حسان) يأكل البندق !! .. نسي القبطان أنه هو شخصيا الذى كان حكى لى
ذلك حين قال لى أنه يريد أن يشتري كسرة يكسر بها البندق لـ (حسان) .. فقال لى أن
الضابط الإدارى " سعد سلامة " قد استولى لنفسه - ولكلبه - على كمية اليايش المخصصة للطاقم
كله وللضيوف الألمان ؛ وأن القبطان لذلك قد أمر بخصم ثمن هذا اليايش على حساب الضابط
الإدارى شخصيا !! ..

فى الوقت نفسه يتهم " الخوجة " - الذى هو الضابط الإدارى - القبطان بأنه أفرط فى تدليل
الكلب بتقديم البونبون والشوكولاتة والبندق له حتى أفسد أخلاقه - أخلاق الكلب طبعاً - وجعله
كلب دلوعة ومايص ومدلل ؛ و" الخوجة " كان يريد أن يكون كلبا بوليسيا !! .. فى حين أنه -
للحقيقة والإنصاف - فإن (البيه الكلب) لا يأكل من يد صاحبه " الخوجة " سوى البيض المسلوق
المقشر والفرّاخ المحمرة وعلب السردين المستوردة .. وأذكر الآن أننا كنا قد طلبنا مرة فى العشاء
عليه سردين ؛ فقال لنا السرفجى " برهام " : " مفيش .. خلص .. وطبعاً عندهم حق
ومعذورين لأنهم مكانوش عاملين حسابنا والشركة صاحبة السفينة كانت جابية علب سردين على
قد كلب الخوجة دلوعة البطان !!!! ..

وبمناسبة (حسان) كلب

" الخوجة " ؛ فإن الطيبة البيطرية الألمانية لمياء "فيسمار" كانت قد كشفت
عليه عند وصولنا الميناء واكتشفت أنه سمران - ذا الكلب طبعاً - فأمرت بمنع
نزوله من على السفينة على الإطلاق والإدفعات السفينة غرامة قدرها ٢٠٠٠ مارك ؛ حتى لايفسد

أخلاق كلاب " فيسار " الإشرافية الملتزمة ؛ وحتى لا يعقر أحدا خارج السفينة ؛ لكن داخل السفينة . أتم إحراز معاه وهو حر معاكم : يعضكم تعضوه ؛ مالنش دعوة !!

لكن الذى حدث أن الكلب (حسان) وصاحبه كانا ينسلان كل يوم الى خارج السفينة علشان يفسحوا بعض فى (الأحراش والغابات) على حد الكلام " الخوجة " !! . . وطبعاً أجهزة الرقابة البوليسية هنا نشيطة جداً ؛ لانكاد ترى الكلب خارج السفينة حتى تبلغ الطيبة البيطرية الحسنة فتأتى الى السفينة جرى كالمجنونة لتحقيق كيف خرج الكلب الذى أصدرت أمرها بمنع خروجه !! . . وكم كلف الكلب القبطان سفينتنا من ويسكى وسجابر مستوردة ومنكر ؛ ليس لا سمح الله لأنه هو - أى الكلب - يشرب المنكر أو السجابر الـ (دانيل) ؛ فهو كلب ابن كلب صحيح لكنه مستقيم ودوغرى ووفى لبيته ولكلبته التى تركها وراءه فى الإسكندرية تنتظر عودته ؛ لكن لأنه كلما جاءت الطيبة البيطرية الألمانية الحسنة لشكوى من خروج الكلب رغم تعليماتها ؛ كان القبطان يغرقها فى الويسكى والمنكر والسجابر ويدعوها إلى الغداء وإلى العشاء - وأحياناً إلى الإفطار (!!) - حتى تنغاضى عن خروج الكلب و : معلنش المرة دى ياست الدكتور . . آخر مرة ياست الدكتور ومش حايعمل كده تانى وخلاص حانبه عليه بشدة " . . ومع ذلك يخرج (حسان) وصاحبه - برضه - فى اليوم التالى وفى الأيام التالية . . وكل يوم تأتى الدكتورة الحسنة لشكوى ؛ ولتكرر عملية (إكرامها) كل يوم . . حتى خيل لى فى وقت من الأوقات أن القبطان هو الذى يوعز للـ " خوجة " - أو حتى يأمره - بأن يأخذ الكلب يفسحه ؛ حتى يسعد القبطان بالزيارة اليومية للبيطرية الحسنة !!

وبمناشية الطيبة البيطرية

الحسنة ، فإننى فى أول مرة رأيتها فيها عند القبطان ؛ وعرفنى بها القبطان وعرفها بى ؛ قدمها لى على أنها : " الدكتورة فلانة " وبس ؛ وسكت . .

فأضافت هى فى شبه خجل بأنها طيبة بيطرية من أجل الحيوانات فقط . . فقلت لها مجاملاً منافقاً - لأن الست الحسنة فعلاً - : « لاشك أن الحيوانات فيسار هم أسعد حيوانات فى العالم » !! فسعدت البيطرية الحسنة بشدة هذه المجاملة النفاقية . . وأردت أن أسعدها أكثر وأقول لها أن طاقم السفينة كله يسعدو جداً لو أنها كانت هى الطيبة التى تعالجه ، لكنى لميت لسانى وسكت . . !!

من الذى يخاف

من رجال البوليس !! . . سؤال ليس محتاج إلى ذكاء كبير ولا عقريّة للإجابة عليه : الذى يخاف من رجال البوليس هم فقط : اللصوص . . لكن الإنسان الأمين الذى لا يتصرف من وراء ظهر القانون فى شيء ؛ لا يخشى أحداً ولا يخاف من أى

إنسان ولا حتى من سكوتلند يار- نفسها .. وقديما كان عندنا مجموعة أمثال شعبية ظريفة حول هذا الموضوع : (إمشي عدل يمتار عدوك فيك) و(ما عيب إلا العيب) وغيرها وعكسها ايضا يؤدى الى نفس المعنى : (اللى على راسه بطحة يحسس عليها) و(يكاد المريب يقول خذون) وهكذا ..

السؤال الذى ظل يلح على ذهنى دائما منذ أن بدأت تتغير معاملة القبطان لمجموعتنا ، مجموعة الصحفيين الموجودة على السفينة (ومسيس الثانى) فى رحلتها العذراء بدعوة من الشركة صاحبة السفينة نفسها: لماذا يضيق بنا بعض الناس هنا على السفينة ؟ لماذا هم شاييلينا على راسهم وزاعقين ، ويكادوا أن يصرخوا فى وجوهنا : « انتم ايه اللى جابكم معنا ؟ ماكننا مستريحين وعلى راحتنا خالص من غيركم .. مين قال للشركة اننا عايزين صحفيين معنا » .. لدرجة أن القبطان نفسه قال لى شخصيا مرة محققا : « أنا كنت فاكتر انكم طالعين معنا تنفسحوا ، لكن لو كانوا فى الشركة قالوا لى انكم طالعين معنا شغل وحاتكتبوا عن السفينة ، كنت رفضت آخذكم معايا » !! .. فلما قلت له مندهش مستنكرا : « وهل تملك وفى سلطانك أنك ترفض تعليقات لرئيس مجلس إدارة الشركة » ؟ ! « تلعمش وقال مرتبكا » لا طبعاً لأن موظف عنده .. لكن كنت أعتذر عن الرحلة دى وأنزل من على السفينة ويحبوا قبطان غيرى!!!!

إلى هذا الحد ؟ ! ليه ده كله ؟ ! وإيه اللى يخوفك ويرعبك كل هذا الخوف والرعب من وجود صحفيين معك على سفينتك مادام انت نظيف ومقيش حاجة تمسك ولا تؤثر فى سمعتك ؟ ! ..

لكننى كنت متأكدا أنه عنده حتى ١٠٠٪ ، وأنه معذور ١٠٠٪ فيها حدث منه من تصرفات نحونا على امتداد الرحلة حتى الآن ، تصاعدت بعد ذلك حتى وصلت الى مرحلة التصرفات الطائشة المجنونة البائسة أنفلت زمامها فلم تعد تدرى ماذا تفعل !! ..

ويبقى - بعد كل ذلك - السؤال السهل الذى اجابته واضحة جدا وبسيطة جدا : من الذى يخاف من رجال البوليس !!!

توقفنا فى « كرونا »

بأسبانيا ليلة واحدة ، فأخذت السفينة منها كمية مشتروات وأكل هائلة ، أغلبها لم تكن نحتاج إليها .. وتوقفنا فى « هولتوا » فى المانيا الغربية ليلة واحدة فأخذت السفينة منها كمية مشتريات وأكل هائلة أغلبها لم تكن نحتاج إليها .. توقفنا فى « برانسباتل » فى المانيا الغربية ليلة واحدة فأخذت منها سفينتنا كميات مشتروات وأكل هائلة أغلبها لم تكن نحتاج إليها .. وظللنا فى ميناء « فيسار » فى المانيا الشرقية ٤٣ يوما - منهم ٣٨ يوما على الرصيف - فلم تشتت سفينتنا شيئا من هنا بقرش صاغ واحد .. وظللنا ثلاثة اسابيع ونحن لانأكل على السفينة غير الارز واللحم كالكاوتش والفاصوليا البيضاء التى شحنتها من السفينة (المندرة) ولم يقدم للبحارة جميعهم - وقبلهم الضباط والمهندسين - أى فاكهة طول هذه المدة رغم أن الفاكهة فى البحر ليست ترفا ولا فلفظة ولا كماليات ، لكنها مقررة قانونا ضمن وجبات البحارة حفاظا على صحتهم وعلى قدرتهم على الإستمرار فى العمل ..

ليه هذا التجويع؟! وهل هو تقشف واقتصاد في النفقات وضغطا للمصروفات؟! لو كان ذلك لوافقنا عليه وقبلناه.. لكن ذلك - ببساطة جدا - لان جهات توريد الاغذية واحتياجات السفن في أوروبا الشرقية كلها - بما فيها ألمانيا الشرقية طبعاً - لا تدفع عملات لقباطنة السفن: عن المشتريات التي يشترونها، لكن موانى أوروبا الغربية والعالم الغربى كله تدفع ١٠٪ عمولة للقبطان عن كل دبوس إبرة يشتريه من هذه الموانى الغربية.. وهكذا الى مجموع يجوع والى يتفلق يتفلق، لكن لايد وأن تصل العمولة إلى جيب القبطان، بطريقة (أنا وبعدى الطوفان) .. وحين يذهب «برهام» رئيس السفرجية وحامل مفاتيح مخازن الأكل على السفينة ليقول للضابط الإدارى المسئول عن تزويد السفينة باحتياجاتها من الأكل وضمان انتظام وجوده باستمرار، ليقول له أن مخازن الأكل على السفينة شطبت ولم يعد فيها شئ، يصرخ الضابط الإدارى في وجهه بضيق وترى: «ما تشغلنشى بالمسائل التافهة دى!!» ويذهبون ليشحنوا فاصوليا بيضاء من السفينة (المتدرة) وفول مدمس من السفينة اللبنانية (أورابيا ستار)!! ..

ولما تأزمت الأمور

جدا وفاض صبر الناس على السفينة وبدأت اصوات افراد الطاقم من مهندسين وبحارة تعلو بالشكوى من رداءة الأكل وقلة الأكل، وأصبح الموقف مهددا بالانفجار، جاء الحل السهل وجاءت النجدة: كأننا في الصحراء ولسنا في مدينة طويلة عريضة يمكن أن نجد فيها كل ما نحتاج اليه، لكن عيب هذه المدينة أنها في ألمانيا الشرقية ولا تدفع للقبطان عملات على المشتريات منها.. جاءت النجدة على شكل عربة لورى ضخمة جدا مليئة بكل الخيرات من: ألمانيا الغربية!!!!!! .. جاءت مشتريات السفينة وطلبتها من دولة أخرى غير التي نحن فيها، من هامبورج في ألمانيا الغربية على بعد عدة مئات من الأميال.. لكن والله مادام هم الى بيدفعوا عمولة على المشتريات فقد كان علينا أن ننتظرهم حتى لو كانوا في القطب الجنوبي....

وتسابق سفرجية السفينة على تفريغ العربة اللورى الضخمة من حولتها التي جاءت وصامت السفينة من أجلها ٣ أسابيع كاملة: عشرات من صناديق الويسكى، والكوتيناك: والبييرة، وعلب الكوكاكولا والبيبيس كولا والـ (سفن آب) والـ (دانيه) و.. عدد ظريف من أجهزة التليفزيون، وأجهزة الراديو و... إلخ إلخ إلخ!!!!!! .. وجاء في نهاية قائمة احتياجات السفينة القادمة من هامبورج: الأكل!!!!!! ..

الأهم من ذلك

كله هو حالة البشر والرضا والسرور والسعادة التي عمت (بعض) الناس على السفينة نتيجة وصول هذه المشتريات من هامبورج ومعها العملات.. لأن هذا الـ (بعض) إما أنه يحصل على عملات مباشرة كبيرة: مثل القبطان الذي يحصل وحده

على ٥٠٪ من مبلغ العمولات مهما بلغت قيمة المشتريات .. ومثل كبير الضباط وكبير المهندسين والضباط الإداري الذي يحصل كل منهم على ٥٠٪ من العمولة على مشتريات القسم الذي يتبعه : كبير المهندسين عن مشتريات القسم الهندسي ، وكبير الضباط عن المشتريات المتعلقة بأجهزة ومعدات السفينة التي لا تدخل في اختصاص القسم الهندسي ، والضباط الإداري عن مشتريات الطعام واحتياجات المطبخ وأدوات نظافة السفينة ..

و (بعض) آخر ينالهم من الطيب نصيب من العمولة .. بمعنى أن كل رئيس قسم (يرش على الناس بتوعه) : كبير الضباط يرش على ضباط اللاسلكي و « بعض » الضباط المرضى عنهم منه : أيضا على رئيس بحارة السفينة و « بعض » البحارة المرضى عنهم منه .. وكبير المهندسين يرش على المهندس الثاني و « بعض » المهندسين المرضى عنهم منه .. والضباط الإداري يرش على « برهام » رئيس السفرجية .. يعني هؤلاء الناس (ينوهم من الحب جانب) ..

أما الـ (بعض) الثالث فهم سفرجية السفينة الذين يحصون على (بقشيش) تحت إسم (بدل شئالة) : لأنهم هم الذين يفرغون السيارة اللورى الكبيرة ويحملون شحنتها على أكفاهم من على الرصيف إلى داخل السفينة ..

شئ ظريف جدا

عرفته اليوم بمناسبة المشتريات التي جاءت من هامبورج .. وكنت قد كتبت في فصل آخر من قبل عن أن خرطوشة السجائر تباع على سفينتنا بـ ١٤٦ قرشا بينما تباعها السفينة (المنذرة) التي تتبع نفس الشركة صاحبة سفينتنا ، لبهارتها بـ ١٠٤ قرشا ، في حين أن كلتا السفينتين قد اشترت إحتياجاتها من السجائر من نفس الميناء : ميناء « كيل » بألمانيا الغربية !! .. وطبعاً ناس سفينتنا الأكابر ليسوا هبلا إلى الحد الذي يدفعون فيه من جيوبهم ١٤٦ قرشاً للخرطوشة .. الشركة تدفع ممكن ، البحارة الغلبة يدفعون يدفعون ممكن .. لكن الناس الأكابر : القبطان وكبير الضباط والضباط الإداري وكبير المهندسين ؛ إشتروا لأنفسهم ولحسابهم الخاص ؛ ومن نفس الميناء أيضاً ؛ كمية السجائر التي يحتاجونها هم شخصياً لاستعمالهم الشخصي - ولسبب آخر سيوضح فيما بعد قدام شوية (!!) - فاصبح السادة يدفعون للخرطوشة بـ ١٠٤ قرشاً والعبيد يدفعون نفس الخرطوشة بـ ١٤٦ قرشاً !! ..

وإذا لم تستح ؛ فدخن ماشئت !! ..
بالمنااسبة : أنا شخصياً لا أدخن !! ..

معنا على السفينة

مجموعة من مهندسي وفنيين الترسانة البحرية بالإسكندرية ؛ يرأسهم المهندس الشاب « أحمد الأعرج » .. جاءوا على السفينة « رمسيس الثاني » في رحلتها الأولى يمثلون الترسانة البحرية على اعتبار أنها هي التي قامت ببناء السفينة ؛ ومسئولية المهندس

« أحمد الأعرج » ؛ رئيس قسم بناء السفن في الترسانة ؛ هي مباشرة واختبار السفينة فنياً وهندسياً واكتشاف العيوب التي تظهر فيها خلال رحلتها الأولى في البحر قبل تسليمها تماماً للشركة ؛ وهو وحده الذى يقرر مدى هذه العيوب وحجمها وحاجتها إلى الإصلاح العاجل أو الإصلاح المؤجل .. وذلك معناه - بالتالى - أن مسؤوليته عن السفينة في رحلتها الأولى تجب وتلغى - أو على الأقل - تجمد مؤقتاً - مسؤولية كبير مهندسى السفينة الأصل « عبده صالح عبده » ؛ الذى يحصل لنفسه على عمولة قدرها ٥٠ ٪ من قيمة أى إصلاحات تجرى على السفينة .. وذلك مصدر رزق عظيم لو تعلمون لكبار المهندسين على السفن المصرية القطاع العام ؛ التى تجرى كل واحدة منها إصلاحات تقدر بعشرات الألوف من الجنيهات الإسترلينية فى كل رحلة من رحلاتها .. والظريف أن كل هذه العيوب « الخطيرة » التى تحتاج إلى إصلاحات « عاجلة » لا تكتشف إلا بعد أن تخرج السفينة من ميناء الاسكندرية وتبتعد عنه وصولاً إلى أقرب ميناء أوروبى يدفع العمولات بالعملة الصعبة !! ..

مأعلينا .. منذ بداية الرحلة والمهندس « عبده صالح عبده » يحاول أن (يحتوى) المهندس « أحمد الأعرج » ويطويه تحت باطه : فى كل سهرة من سهراته سواء على السفينة أو فى الأماكن العامة خارجها ؛ يدعو ويحاول أن يبسطه ويهيئه .. لكن المهندس « أحمد الأعرج » راجل زى حالائى : لا يبشرب ولا يبسكر ولا يبهلس ولا يبدخن حاجات من إياها ؛ ويزيد عنى كمان فى أنه رجل مصلى وتقى وورع .. فلما جاء وقت الجد وكتب كبير المهندسين « عبده صالح عبده » تقريراً طويلاً عريضاً بالإصلاحات التى (يرى) أن السفينة تحتاجها ؛ كانت المسألة تحتاج أن يوافق المهندس « أحمد الأعرج » على هذا التقرير على اعتبار أنه يمثل الترسانة البحرية ولا بد من الحصول على موافقته و « توقيعه » قبل إجراء أى إصلاحات .. لكن المهندس « الأعرج » رفض تماماً كل طلبات الإصلاح هذه لأن حالة السفينة جيدة جداً ولا تحتاج إلى أية إصلاحات ؛ وبالتالي فإن هذه الإصلاحات المطلوبة وهمية وغير حقيقية ؛ وستجرى على الورق فقط وبفواتير وهمية - (شرحتها من قبل .. حكاية الـ « Dry Bill ») - لكى يكبش الجميع وينهبوا فى المال السائب ؛ وهذا كلامى أنا شخصياً لأن « أحمد الأعرج » رجل مهذب لم يقله صراحة !!

رخصى المهندس « الأعرج »

أن يشارك فى عمليات الإصلاح الوهمية ؛ فتغيرت المعاملة بالنسبة إليه فوراً : المهندس « عبده صالح عبده » تعامل معه بشكل فظ جداً وشرس جداً ؛ وكتب خطاباً رسمياً موجهاً إلى المهندس « الأعرج » أطلع عليه القبطان الذى حوله بتأشيرة منه إلى « الأعرج » ؛ وقرأت أنا هذا الخطاب الرسمى الوقع جدا الذى كان يمكن أن يضع المهندس « عبده عبده » تحت طائلة قانون العقوبات بتهمة القذف ؛ لولا تدخل « أنيس أنسى » ممثل الشركة فى منطقة غرب أوروبا ؛ لكن تلك قصة أخرى تفاصيلها فى الفصل القادم .. لكنه كان واضحاً أن تصرف المهندس « الأعرج » - خريج كلية الهندسة - قد حرك عند المهندس « عبده عبده » العقدة القديمة الدائمة : عقدة كراهية الناس الذين تخرجوا من المدارس الصناعية ثم أصبحوا

مهندسين بالأقدمية ؛ للمهندسين الذين تخرجوا من كلية الهندسة . . بالإضافة إلى استقامة وأمانة المهندس « الأعرج » التي كانت واضحة للجميع على السفينة ؛ ويكفي دليلاً على أمانته أنه لو كان قد وافق على إجراء الإصلاحات المطلوبة فإنه كان قطعاً سينويه من الحب جانب ؛ وجانب كبير كيان ؛ لكنه رفض ؛ لأن القلوس عند « بعض » الناس - وهم قلة جداً للأسف - ليست هي كل شيء !! . .

وقد حضرت اليوم بالصدفة ؛ ولم يكن وجودي مرغوباً فيه قطعاً ؛ مناقشة حادة جرت بين القبطان الذي يهيم أن تتم هذه الإصلاحات الوهمية ؛ لأنه كما ذكرت من قبل يحصل على ٥٠٪ من قيمة العمولة على كل شيء تشتريه السفينة أو أية إصلاحات تجرى فيها ؛ وبين المهندس « الأعرج » ؛ وكنا جميعاً في مكتب وكيل الشركة في « فيسار » مطلوبين لانتظار مكالمات تليفونية من « أنيس أنسى » في هامبورج . . القبطان هاجم بشدة المهندس « الأعرج » لرفضه لتوقيع بالموافقة على الإصلاحات المطلوبة ؛ والمهندس « الأعرج » يرى أن هذه الإصلاحات غير مطلوبة أصلاً ؛ وحتى لو كانت مطلوبة فهي ليست عاجلة ولا ملحة ولا تمثل أى خطورة تهدد السفينة في رحلة العودة ؛ وإذا كان ولا بد أن تجرى فلتجرى في الترسانة البحرية المصرية بعد عودة السفينة إلى الإسكندرية ؛ لأن الترسانة تضم ٧٠٠٠ عاملاً لا يجدون ما يعملونه ؛ وليس هناك أى مبرر لإجراء إصلاحات وهمية والسلام في أوروبا لمجرد أن ينسبط القبطان ويقبض ٥٠٪ منها عمولة !! ويؤثر القبطان لكلام « الأعرج » ويهدد بأنه سوف يجرى الإصلاحات التي طلبها المهندس « عبده عبده » رغم كل شيء ؛ ويصمد « الأعرج » ثابتاً ويهدد جداً وباتسامة مثلية جداً يقول : « إنت حر طبعاً . . إنت قبطان السفينة . . صلح زى ما أنت عايز وأعمل زى ما أنت عايز ؛ لكن كون إني أحط إمضائي على حاجة فده مش حايجصل !! . . فيتحول القبطان من الثورة والتهديد إلى الرجاء والمحالة والملاينة وعلشان خاطري ، وبرضه « الأعرج » ثابت على موقفه

وإذا استمر الموقف هكذا ؛ واستطاع « أحمد الأعرج » أن يظل صامداً على موقفه أمام هذه الرزاوات والشفاعات والمحاولات حتى تعود السفينة إلى الإسكندرية ؛ فلن تكون هذه الرحلة خاسرة بالنسبة للشركة وحدها فقط ، لكن هناك اثنين آخرين سوف يخسران كثيراً . . وبالضيق العمولات التي كانت منتظرة بعد ١٩ شهراً قضاها كل واحد هذين الإثنين بعيداً عن البحر قبل هذه الرحلة !!!!!

لكنه
في
الوقت

نفسه : ومن باب (شغل المعلمة البحرية) : فإن القبطان في نفس الليلة بعد أن يس من تغيير موقف « الأعرج » ؛ ولكن يؤمن موقفه هو ؛ وبعد أن جمع تحت يده كل الطلبات التي قدمها له المهندس « عبده صالح عبده » طالباً إجراء إصلاحات فورية على السفينة ، ثم كتب للمهندس « عبده » مذكرة شديدة اللهجة يقول له فيها ما معناه : (إصلاحات إيه إني أنت عايزها ؟ ! . . دا أنت قعدت سنه ونصف تباشر ببناء هذه السفينة قطعة

قطعة في الترسانة البحرية ، والمفروض أنك لم تتسلمها من الترسانة إلا بعد أن وجدتها عال العال وأخر تمام .. وجاءى دلوقتي تقول لى إصلاحات ! ؟ إصلاحات إيه ؟ !) .. وحمله مسئولية أى تخريب يحدث فى الآت وأجهزة السفينة !!!!

وبذا خرج القبطان من الموقف كله زى الشعرة من العجينة ، و (دبس) فيه المسكين المهندس عبده عبده

لنا فانى لم

أندش اليوم حين عدت إلى السفينة ظهرا فاصطادنى المهندس « عبده صالح عبده » - وكنت قد قاطعته تماما منذ شهر كامل منذ تلك الليلة التى سكر فيها فى ملهى « كوربيانكا » وأساء التصرف - إصطادنى وأنا صاعد إلى قمرى ليستأذن بأدب شديد فى أن أتفضل عنده فى قمرته دقيقة واحدة !! .. وتفضلت .. وبدا مرتبكا جدا ومبعثرا جدا وهو يقول لى : « مش عارف أكلمك فى إيه والا فى إيه » قلت له برود : « إبتدى بأى حاجة والباقي يكر » فقال بعد تردد : « مثلا .. إنت زعلان منى ليه ؟ » قلت مندهشا : « هو أنت لسه ما اكتشفتش إنى زعلان منك غير الهاردة بس ، بعد شهر كامل من مقاطعتى لك ؟ ! ومع ذلك » وعددت له تصرفاته التى حدثت منه ليلة عيد ميلاد زميله المهندس « صبرى » فى ملهى الـ « كوربيانكا » .. فبهت وارتج عليه وتلخبط تماما وأنكر كل شىء حتى أنه كاد ينكر أنه كانت هناك حفلة أصلا ، وكاد أن ينكر أيضا أنه يوجد شخص اسمه المهندس « صبرى درويش مصطفى سالوسة » : وقال : « أنت كده بتجرحتى وتورى صورى على إنى إنسان وحش جدا وما عنديش أى أخلاق ؟ ! قلت بهدوء وبرود : « مضبوط لأن هو ده اللى حصل منك وهى دى صورتك فعلا !! » .. فعاد يكرر نفس الكلام كأنه يكلم نفسه أو كأنه لا يجد كلاما غيره ليقوله ، فرددت عليه نفس الرد : « لأن هو ده شكلك فعلا » : فقال وقد بدا عليه أنه يوشك أن يغمى عليه : « خلاص : ماعنديش كلام تانى أقوله » .. فقممت وخرجت من قمرته دون أن أحياه ..

مسكين .. خطبتين فى الراس توجع ، فيا بالك بثلاث خبطات .. فقد انهار تماما بعد ساعتين وبكى بالدموع كالأطفال أمام « أنيس أنسى » الذى هدده بالسجن .. ولكن : هذه قصة أخرى مكانها فى الفصل القادم ..

أجهزة التليفزيون الأنيقة

وأجهزة الراديو الشيك التى وصلت منذ عدة أيام من هامبورج ، تم توزيعها فى نفس اليوم : القبطان أخذ لنفسه جهاز تليفزيون وجهاز راديو ، كبير الضباط أخذ لنفسه جهاز راديو ، الضابط الإدارى أخذ لنفسه جهاز راديو ، كبير المهندسين أخذ لنفسه جهاز راديو .. وكلها راديوهاست مستوردة من ألمانيا الغربية بالعمللة الصعبة على حساب

الشركة صاحبة السفينة ، وعندنا في مصر أكثر من شركة تصنع أجهزة التلفزيون : وعندنا في مصر أكثر من شركة تصنع أجهزة الراديو : لكنها كلها شركات مصرية لا تدفع عمولات عن مبيعاتها . . لكن ذلك على العموم ليس هو المهم . . المهم أن الفنيمة قد وزعت بالكامل على أصحاب النصيب . . وبقي صالون الضابط الذي يجتمع فيه كل يوم ٢٠ ضابطا ومهندسا : وبقي صالون البحارة الذي يجتمع فيه كل يوم أكثر من ٢٠ بحارا : ليس في واحد منها جهاز راديو يسمعون منه أخبار العالم . . يعني ٤ أجهزة راديو وزعت على أربعة أفراد فقط ، و ٤١ فردا ليس لهم إلا الست . .

على أى حال فذلك في حد ذاته يعتبر تقدما : زمان كانت مصر مشهورة ومعروفة بأنها مجتمع الـ ١٠% : الآن على هذه السفينة زادت النسبة كثيرا لتصبح مجتمع الـ ١٠% . .

رضا . . حانئ ؟ إحنا كنا فين وبقينا فين . .

الفصل التاسع عشر

أسوأ الرحلات في التاريخ !

مع الاعتذار لأنيس منصور ..

الأموار على السفينة

تزداد الخبطة يوما بعد يوم ، والجو يتكهرب ويتوتر كل يوم أكثر من الذى قبله ..

عدت إلى السفينة اليوم متأخرا مساء ، وما كدت أستقر فى قمرى حتى دق بابها .. فتحت فوجدت السفرجى « أبو الغيط » أمامى ورأسه ملفوف بالقطن والشاش وغرقان دم وشكله متخرشم على الآخر : « مالك يا أبو الغيط ؟ إيه اللى حصل لك ؟ » .. ويدخل « أبو الغيط » - ٤٩ سنة ومن أكبر أفراد الطاقم سنا - ليتحلى لى قصة غريبة جدا كنت أسمعها فعلا لأول مرة ..

فى بداية رسو السفينة فى ميناء « فيسهار » طلب القبطان من « أبو الغيط » أن يبيع السجائر لحسابه - لحساب القبطان يعنى .. فلم يناع « أبو الغيط » وكله مكسب .. لكن القبطان إشتط أن يبيع « أبو الغيط » خرطوشة السجائر بـ ٣٥ مارك المانى ، فرفض « أبو الغيط » أن يبيعها بأكثر من ٢٥ مارك ، السعر الذى تباع به سرا لعمال الشحن والتفريغ الألمان داخل الميناء ، أما اذا استطاع أن يجازف ويمر بها من بوابة الجمر فكيف يبيعها خارج الميناء وفى وسط المدينة بـ ٥٠ مارك ، وفى هذه الحالة يكون الفرق لـ « أبو الغيط » شخصا كريح له لأنه هو الذى سيتحمل المجازفة والمخاطرة ولو ضبط فى يروح فى سنتين داهية !! .. رفض « أبو الغيط » إذن وأصر لقبطان ، فاعتذر « أبو الغيط » عن بيع السجائر لحساب القبطان ، فكانت النتيجة أن القبطان طرده من خدمة قمرته وأستبدل به السفرجى « عطيطو » .. لكن « عطيطو » شاب هادى وغلبان وفى حاله ولا يبهش ولا يبنش ولا يعرف يبيع سجائر ولا يعمل حاجة أبدا ويكاد لا يغادر السفينة على الإطلاق ، خيبه خالص « عطيطو » ده .. فعاد القبطان وأرسل ٨ خرطوشات سجائر مع « برهام » رئيس السفرجية لـ « أبو الغيط » ليبيعها لحسابه .. فأرسل له « أبو الغيط » ، مع برهام « رئيس السفرجية » برضه ، ٢٠٠ مارك ثمن السجائر على اعتبار أن ثمن الخرطوشة ٢٥ مارك كما أصر من قبل .. لكن القبطان اعتبر « أبو الغيط » مدبنا له بـ ٨٠ مارك : الفرق بين السعر الذى طلبه القبطان والسعر الذى دفعه « أبو الغيط » .. فكيف يحصل القبطان على هذه الماركات الـ ٨٠ ؟ ! ..



فى يوم تغيير

السفينة حين ذهبت مجموعة من الضباط والمهندسين إلى مدينة « چيقرين » ،
وتقرر أن يصرف لكل واحد من البحارة الذين بقوا في « فيسار » مبلغ ٤٠
مارك لكى يدبروا لأنفسهم المبيت والأكل في هذه الليلة الواحدة ، إحتجز القبطان مبلغ الـ ٤٠
مارك الخاصة بـ « أبو الغيط » !! . ولم يستطع « أبو الغيط » أن يتكلم أو يفتح فمه لأن القبطان ،
بساطة جدا : قبطان !! . . .

« أبو الغيط » معتاد كلما تجمع لديه من حصيلة بيع السجائر قدر من العملات المعدنية الألمانية
أن يذهب بها إلى شباك التذاكر في محطة السكة الحديد القريبة من الميناء ، ليستبدلها بعملات ورقية
حتى يسهل عليه إخفاؤها بدلا من العملات المعدنية التى تشخشخ في جيبه وتفضحه . . ذهب مرة
إلى محطة السكة الحديد كالمعتاد دون أن يدري أن هناك من يتعقبه ، وماكاد يتسلم من موظف
الشباك العملات الورقية حتى فوجئ بمن يمد يده من ورائه ليخطف الفلوس منه ويجرى
لكن المفاجأة الثانية كانت أشد وأقسى ، فإن الذى فعل ذلك لم يكن إلا : القبطان
شخصيا !!!!!!!

واحتاس « أبو الغيط » ولم يعرف ماذا يفعل ولا كيف يتصرف والناس كلها على محطة السكة
الحديد تنظر إليه مندهشة مترتبة ، هل يصرخ مستنجا : « يا شاويش . . . حرامى .. اتسرت »
ويجربى هو والبوليس وراء قبطانه حتى يسكوه ويسترد فلوسه ١٩ . أم يسكت وأمره إلى الله وبلاش
فضاليح في ميناء أجنبى ١٩ . . .

وقطعا اندهش الناس الألمان الذين كانوا واقفين في فناء المحطة وهم يرون « أبو الغيط » يمز
كفيه مستسلما ، ثم يمضى خارجا من المحطة في هدوء !!

وقصر الأيام ويحتاج

القبطان إلى فلوس أخرى ، فيرسل إلى « أبو الغيط » لبيع كمية سجائر
جديدة ، لكن « أبو الغيط » يرفض هذه المرة رفضا باتا لأنه لا يريد أن يتكرر
ماحدث مرة أخرى . . ومن هنا تبدأ المشاكل : القبطان هو سيد السفينة وأوامره واجبة التنفيذ
فورا : أصدر قرارا بمنع نزول السفريّة - بالذات - من السفينة على الإطلاق ، على أن ينزل كل
سفرجى يوما واحد كل أسبوع ، ولا ينزل إلا بعد الساعة السادسة والنصف مساء !!!!!!!
وأصدر تعليماته إلى كبير الضباط بسحب جوازات سفر السفريّة لتبقى عند القبطان شخصيا !! .
كل ذلك لكى يتكد على « أبو الغيط » ويوقف سوقه في بيع السجائر لحسابه الشخصى ، من باب
(فيها لا أخفيها) !! . . لكن السفريّة جميعهم ، وعلى رأسهم رئيسهم « برهام » ، رفضوا أن
يمنتلوا لهذا القرار غير المنطقى وغير المبرر . . كيف يكونوا في ميناء ويمرّوا من النزول من السفينة ،
هم بالذات وحدهم ، دوناً عن باقي أفراد الطاقم ١٩ . . ماذا فعلوا ليماقبوا هذا العقاب ١٩ . . ثم

كيف إذا نزلوا ينزلون بعد السادسة والنصف مساء في حين أن كل المحلات هنا تغلق أبوابها في السادسة ولا تفتحها مرة أخرى إلا في صباح اليوم التالي ١٩... كيف إذن يشترتون إحتياجاتهم ولوازمهم المطلوبة لهم وليوتهم ١٩!....

ولم يسلم ولا واحد منهم جواز سفره إلى كبير الضباط ، ورفضوا الإمتثال لهذه الأوامر غير المعقولة وظلوا يخرجون كل يوم في أوقات راحتهم على امتداد اليوم كله : بين وجبة الإفطار ووجبة الغداء ، وبين وجبة الغداء ووجبة العشاء ، وبعد وجبة العشاء

وزاد الطين يلته ماحدث

أمس ليلا - (وهذا الجزء لم يروه لي « أبو الغيط » شخصا ، لكن رواه لي آخرين بقصد أن يصل إلى عن غير طريق « أبو الغيط » ، حتى يصبح هو بريئا من تهمة إفشاء السر !!) - . . « أبو الغيط » كان أمس ليلا يسهر في الحديقة . . وعبرة « السهر في الحديقة » كان ممكنا أن تكون عبارة عادية جدا لا يقصد بها أى شئ آخر لو كانت أى حقيقة ، لكن الذين زاروا البلاد الشيوعية يعرفون أن الحديقة هناك هى مكان الناس « المعذورين في شقة » أو الى ماعدندمشمش غرفة نوم في بيتهم . . يعنى باختصار أن الحديقة في فترة المساء والسهرة تكون عبارة عن « غرف نوم جماعية كبيرة » ، يعلم الدولة ورعاية وحماية بوليسها !! . . وباعتراف وإقرار كل الناس الألمان العاديين هنا أن الحديقة هى المكان الذى يستطيع فيه الفتيات والشبان هنا أن يتبادلوا الجنس إذا لم يجدوا مكانا آخر . . والأسرة الألمانية التى ترفض استقبال صديق ابنتها أو صديقة ابنها في بيت الأسرة لآى سبب من الأسباب ، تعرف جيدا أنها « يلتقيان » في الحديقة !!!!!!!

ماعلينا ، كان « أبو الغيط » أمس ليلا في الحديقة لأصباب تسويقية . . كان يبيع سجائره لرواد الحديقة . . وفجأة وجد نفسه وجها لوجه أمام شخصية من كبار شخصيات السفينة ومعة فئاتين في سن ابنته !! وكان طبعيا بعد ذلك أن يحدث ماحدث اليوم عصر !!

أمر القبطان بجمع كل السفرجية في صالون البهارة في الطابق الأول من السفينة لأنه سيجمع بهم . . ونزل إليهم بنفسه ليوبخهم ويعتفهم لأنهم : « يبيعوا سجائر في المدينة ، والبوليس الألمان جاءه وكلمه في هذه المسألة ، وأنه أى البوليس الألمان - مش راضى يقبض عليهم علشان خاطر القبطان (!!) . . يعنى البوليس الألمان عامل خاطر برضه للقبطان !! . . وبناء عليه فقد أمر القبطان ، تانى ، بسحب جوازات سفر السفرجية لتبقى عنده شخصا ، حتى لا يغادر أحد منهم السفينة إلا بعلمه وبعد المرور عليه ليأخذ منه ، شخصا ، جواز سفره الذى لا يستطيع أن يغادر السفينة بدونه وإلا منه الجندى الألمان الذى يقف على بابها . . !! لكن السفرجية - للمرة الثانية أيضا - عصلجوا ورفضوا تنفيذ هذا الأمر . . وثارت مناقشة عنيفة واتهامات متبادلة بين « أبو الغيط » وبين القبطان ، إنتهت بأن دفع القبطان يده في وجه « أبو الغيط » الذى كان الغيط والحنق قد بلغا معه المنتهى ، وفي الوقت نفسه يعلم جيدا أن أى تصرف منه ضد القبطان سوف ينهى عمله

في البحر تماماً ويمكن يقطع عيشه من الشركة كلها ، فانتابته حالة عصبية وهستيرية عنيفة نتيجة لكبت مشاعره ، وانفجر فجأة مرة واحدة ، لكنه انفجر في نفسه شخصياً : دخل برأسه في خائط الصالون وظل يضرب رأسه في جدران الصالون كالمجنون حتى انفتحت دماغه . . واضطر كبير الضباط إلى التدخل وأمر البحارة بأن يمسكوا « أبو الغيط » ويقيدوا حركته ، وفي الوقت نفسه طلب من القبطان أن يغادر الصالون فوراً خوفاً من اشتعال الثورة في نفوس البحارة وحدوث مالا يحمد عقباه ولا يمكن بعد ذلك السيطرة عليه !! . . .

وقام كبير الضباط والضابط الثاني بتطهير جروح « أبو الغيط » وتضميد رأسه . . وجاء « أبو الغيط » ليشهدن على ماحدث لأنني لم أكن في السفينة عند حدوثه . . .

انتهت حكاية « أبو الغيط » والعهد على الراوى . . لكن الذي حدث بعدها هو أن السفرجية ظلوا - برضه - يخرجون من السفينة كل يوم وفي أى وقت يشاء ، تكسيرا لكلام القبطان وضارين بأوامره الغريبة عرض الحائط

حكي لى القبطان

اليوم حكاية غريبة ، مؤداها في النهاية أن الطبيب البيطرية الألمانية الحسنة إفتحت عليه غرفة نومه في قمرة في السادسة والنصف صباحاً ، بحجة أنها شاهدت حلماً غريباً أفزعها ، فجاءته على الفور لأنها تعرف أن الشرقيين مشهورون بتفسير الأحلام !! . . لكنه قال لها أن قدومها إليه في هذا الوقت المبكر جداً يمكن أن يثير الريبة والشبهات حوله وحولها ، خصوصاً وأن أحداً من أفراد السفينة لم يرها وهي داخلة لكنهم جميعاً سيرونها وهي خارجة من قمرة في ذلك الوقت ، وقد يظنون - أستغفر الله - بها السوء . . وطلب منها أن تنصرف فوراً وبسرعة على أن تعود إليه في وقت آخر ، فانصرفت من قمرة في الساعة صباحاً !! . . والقبطان يحكى لى هذه القصة بنفسه حتى إذا ماوصلتني عن طريق أى شخص آخر - لأن كل السفينة واثين ونمامين - أن الطبيب بشوهدت تخرج من قمرة القبطان قرب الفجر ، أكون أنا قد عرفت الحقيقة منه شخصياً !!

استغفر الله يا قبطان . . إن بعض الظن إثم !!!!!!!

وفى الوقت نفسه

يحكى لى القبطان قصة ظريفة أخرى من ذكرياته الشخصية ، حدثت له وهو طالب بحرى من نحو ٣٠ أو ٣٥ سنة . . قال أنه كان يتدرب على سفينة كان

الضابط الإدارى فيها المسئول عن المطبخ والمطعم والأكل إسمه « أحمد ثابت » . . وفي يوم من الأيام وجد الطالب البحرى - اللى هو القبطان الآن - دودة صغيرة في طبق المكرونة بالفرن الذى قدم

إليه على الغداء !! - (هي الحبكة الروائية عايزة كده : صينية مكرونة دخلت الفرن وظلت النار تحتها مشتعلة حتى استوت واحمرت ، لكن الدودة العنيدة فضلت معصلمجة وصاحبة . . . المخرج بتاعنا عايز كده !!) - المهم ، أخذ الطالب البحرى طبقه. وذهب إلى الضابط الإدارى « أحمد ثابت » وقال له : « عيب مايصحش يبقى فيه دود فى الأكل » . فشخط فيه الضابط الإدارى : « الدودة تبقى فى بيتكم ياشاطر مش هنا » . فما كان من الطالب البحرى - القبطان مازال يبرى القصة - إلا أن زنق الضابط الإدارى بيده فى ركن القمرة ولحوس وشه بطبق المكرونة بالفرن السخن المولع !! . فلما صاح الضابط الإدارى وصرخ بأعلى صوته مستنجدا أخرج الطالب البحرى خنجره من تحت رجل بنطلونه - (راجع أفلام فريد شوقى القديمة) - ورشقه فى الترابيزة أمام الضابط الإدارى وصرخ فى وجهه متوعدا : « وعهد الله لو فتحت بقك بكلمة واحدة لأقطع لسانك من اللغلوغ » !! . وطبعا الضابط الإدارى « أحمد ثابت » خاف على لغلوغه فلم يفتح فمه بكلمة واحدة !!!!!

أرى أن الوقت والمساحة لايسمحان بمناقشة تأثير الأفلام المصرية القديمة التى يعرضها التلفزيون العربى فى سهراته ، على الناشئين والأطفال وناقصى المداوك الذين من الممكن - نتيجة كثرة مشاهدتهم لهذه الأفلام - أن يتصوروا أشياء لم تحدث وأن يتخيلوا أنفسهم مكان أبطال هذه الأفلام والخناجر تحت رجل البنطلوب ورشق الخناجر فى الترابيزات والبونيات الحديد وما إلى ذلك

لكن محصلة هذه

الحدوة كلها أن القبطان يريد تخويفى وإرهابى بأنه سوف يفعل معى مافعا مع الضابط الإدارى « أحمد ثابت » و : « لو فتحت بقى بكلمة واحدة ف ، وعهد الله حاقطع لسانى من اللغلوغ » . . فإذا كنت خايف على لغلوغى يبقى ألم لسانى فى بقى وأسكت ؛ والإ . . .

حكاية (والإ) هذه هى التى سببت كل ما ماحدث بعد ذلك من مشاكل ومتاعب . . كانت المتاعب والمشاكل بينى وبين القبطان قد بدأت بعد أن اهديته فى بداية الرحلة نسخة من كتاب لى عن البحر أيضا عنوانه (راكبان على السفينة) . . كان قبل أن يقرأ الكتاب يظن أننى موفد من قبل الشركة صاحبة السفينة لعمل پروپاجاندا ودعاية وموضوعات إعلانية لحسابها عن السفينة « رمسيس » أو عن سفنها عموما ؛ لكنه بعد أن قرأ الكتاب إنخفض جدا من الصراحة الشديدة والنقد اللاذع الذى قرأه فيه ؛ ثم عرف من بعض بحارة السفينة « رمسيس » الذين تصادف أنهم كانوا قبل ذلك يعملون على نفس السفينة التى قمت عليها برحلتى السابقة موضوع الكتاب ؛ عرف منهم أن نشر سلسلة موضوعاتى عن رحلتى السابقة فى مجلة « الإذاعة والتلفزيون » قد نتج عنها إيقاف كبير ضباط « برنيس » وإبعاده عن البحر لمدة سنة كاملة ؛ وتنجيح مجلس إدارة الشركة بأكمله . . ومن هنا بدأت الصورة عند قبطاننا تختلف : الشركة باعته معه صحفى لسانه طويل ويبسح عن العيوب فقط لكى يكتب عنها ويهاجمها !؟ . . وبالفتاكة والفهلوة والحدافة إنخذ قرار

خطيرا : قرر أن يشكمنى ويكسر شوكتى ويضع انفى فى الأرض ويوربى العين الحمراء ؛ وبقى
إتغذى بى قبل أنا ما أتعشى به ؛ وبالشكل ده أخاف وأكش وأترعب منه وأعمل حسابه ألف مرة
قبل أن أكتب كلمة كده والا كده . . ومن هنا بدأت الصدمات بيتنا . هو يريد أن يلوى ذراعو
وأنا معصلج لأنى واحد على مثل هذه المواقف ومعتاد على مواجهتها . .

ولما كان قد قال لى مرة : « مش عارفين نوصل لك مين 1٩ . . لا انت بتسرك ولا بتحشش ولا
حتى بتشرب سجاير ؛ كنا عرفنا نيسطك ونهيك ونريحك على الآخر ؛ ولا انت بتاع نسوان ولا
انت بتاخذ فلوس » !! يعنى الراجل وضع أصابعه العشرة فى الشق منى . . ثم بدأت الأمور على
السفينة تتكشف أمام عيني ؛ وفى كل مرة تزداد سوءا ؛ كلها حدثت شىء على السفينة كان ممكنا أن
يحدث من قبل فى ظروف أخرى ولايهم له ؛ إهتم جدا هذه المرة وحمل همه لأننى موجود وهو يعرف
أننى أسمع كل شىء ويصلنى كل شىء وأكتب وأسجل كل شىء . . حتى شعرت فى الفترة الأخيرة
بعد أن حدثت أمامى ثورة الضباط على رداءة الأكل ؛ وحكاية الطيبة البيطرية التى خرجت من
قمرته مهروله فى الساعة صباحا ؛ والكلب (حسان) الذى يأكل البندق والفراخ المشوية ؛
وحكاية العمولات ؛ وحكاية « أبو الغيط » المطروح ؛ وحكايات الحديقة ومطعة الأنوبيس وأنوبيس
الموظفات . . شعرت بأنه قد بدأ يدخل فى مرحلة اليأس التى قد تدفعه إلى التهور ليفعل شيئا
خطيرا أو شيئا عنيفا معى . . لست أخشى على نفسى شخصا فقد روضت نفسى على مواجهة أى
شىء حين اخترت لنفسى مهنة البحث عن المتاعب ؛ وهذه هى أهون أنواع المتاعب التى نلاقيها
كصحفيين . . لكن وجود « سلمى » معى هذه المرة وخوفى من أن يحدث لها شىء ؛ على الأقل
أن تواجه تصرفا سخيفا فى أولى رحلاتها الصحفية ؛ وهى أمانة فى رقبتي . . لذا : قررت أن أقطع
رحلتنا على السفينة « رمسيس الثانى » ونعود إلى مصر بالطائرة بشكل عاجل . .

لكى
نقطع
رحلتنا

ونعود إلى مصر بالطائرة ؛ ينبغى أن نخطر الشركة صاحبة السفينة فى
الإسكندرية برغبتنا فى ذلك ؛ وأسبابه ؛ حتى تعطى أمرا لوكيلها هنا فى
" فيسار " بأن يحجز لنا أماكن على الطائرة ويوصل لنا على التاشيرات اللازمة ويرعى أمورنا حتى
نعود إلى مصر . . طبعاً لم يكن ممكنا أن أقول للشركة فى البرقية التى سارسلها إليها من هنا عن
طريق الـ (تليكس) عن غناوى من أن يتصرف القبطان تصرفات طائشة أو مجنونة بالنسبة لى أو
لساعدق « سلمى » . . فكتبت برقية إلى رئيس مجلس إدارة الشركة أخبره فيها بأن الرحلة قد
طالت أكثر كثيرا مما كان متفقا معى على مدتها . . كان المفروض - كما قيل لى فى الإسكندرية قبل
بدء الرحلة - أن تكون مدتها ٤٠ يوما ؛ وها قد مضت ٥٠ يوما وياقتر . . أماننا شهر آخر كامل على
الأقل ؛ وأيضا نقودنا التى خرجنا بها من مصر على أساس أنها سوف تكفىنا ٤٠ يوما قد نفذت . .
لذا فإننا نستأذنه - رئيس الشركة - فى عودتنا إلى مصر بالطائرة فوراً . .

لكى أرسل برقية أو (تليكس) من هنا إلى الشركة فى الإسكندرية فينبغى أن يرسل من مكتب
وكيل الشركة هنا ؛ لأنه هو الذى لديه جهاز الـ (تليكس) . . وكيل الشركة لا يرسل أى برقية إلا

إذا كانت قد مرت على القبطان ووافق عليها . . لذا فقام كان ولابد أن أخبر القبطان وأحصل على موافقته على إرسال الرقية للشركة . . ولأذى توقعته حدث تماماً . . رفض في البداية أن يوصل الرقية ؛ على اعتبار أن الشركة لن ترد عليها على الإطلاق ؛ لأن رئيس الشركة الذى يعرفنا - يعرف مجموعة الصحفيين - مشى ؛ ورئيس الشركة الجديد لا يعلم شيئاً عن هذا الموضوع وليس لديه أى فكرة عن وجود صحفيين سأل السفينة "رئيسى الثانى" أصلاً!! .

هكذا قرر القبطان

وهو على بعد آلاف الأميال من الإسكندرية أن رئيس مجلس الإدارة الجديد لا يعلم شيئاً عن وجودنا ؛ راجل طيشة ماعدوش خبر عن حاجة أبدا ؛ أما القبطان البعيد عن الشركة بآلاف الأميال فهو وحده المعلم بكل أمور الشركة حتى وهو بعيد عنها . . وقال - شامتا - أننى إذا أردت أن أكمل الرحلة وليس معى نقود فعلى أن أبقى فى قمرى لا أغادرها وأضع يدى على خدى - هذا هو تعبيره بانضبط - أما إذا أردت أن أترك السفينة الآن فمع السلامة وكل ما فى الأمر أنه سوف يبلغ البوليس الألمانى هنا أن : « الراجل ده أخذ شنطته وساب السفينة ومشى . . بس علشان البوليس يبقى عنده خبر ويتصرف هو معاك » !! . . قلت له ببساطة جداً أننى فى هذه الحالة سوف أذهب الى السفارة المصرية فى برلين وأحكى كل شئ للسفير هناك ؛ فقال القبطان : « روح له ؛ السفير مش حايقدر يعمل لك حاجة » !! . . فلما أصررت على أن أرسل الرقية للشركة فى الاسكندرية والشركة هى التى تتصرف وليس هو ؛ رفض وقال : « فى الحالة دى تبعت الرقية على حسابك إنت » !! آل معنى زقنى فى ركن . . وكشف أوراقه كلها حين تصور أنه وجد الفرصة الآن لينتقم منى وأظهر كل اخلافه على آخرها . . قلت له : « ولو . . والمهم إن الرقية تبعت » فقال : « ما هو أنا ممكن أوافق عليها ؛ وإنت تخرج من هنا وأنا أقول لوكيل الشركة ما بيعتهاش »!!

المهم أنه فى النهاية وأمام إصرارى وافق على أن ترسل الرقية ؛ وأعطاها لوكيل الشركة أمامى فعلاً . . لكنه فى الوقت نفسه أصدر تعليمات جديدة بشكل معاملتنا اعتبار من الآن - على اعتبار أنه فهم من الرقية أننا أفلسنا تماماً ولم يعد معنا نقود - فبدأت سلسلة من التصرفات الحكيمة الدنيئة التى توضح أن مسألة الأكل مسألة هامة جداً بالنسبة إليه : منع كوب اللبن الذى كان يقدم لـ « سلمى » كل يوم عصراً لأنها لاتشرب الشاى ؛ وتعلل « برهام » رئيس السفىرجية بأن اللبن الذى كان على السفينة خلص !! . . اللبن خلص فجأة ونحن فى ميناء والسفينة ممكن أن تشتري طن لبن كل يوم ؛ السفينة التى اشترت طقم تليفزيونات وطقم أجهزة راديو فاخرة وعشرات من صناديق الويسكى والكوكاكولا والكوكاكولا والبيبسى كولا ؛ لم تتسع ميزانيتها - غلابة يا عيني - لشراء لبن لطاقم السفينة - وهو مقرر لهم رسمياً - ويقول لنا « برهام » بسداغة وبرود : « اذا كنتم عايزين لبن أبقوا اشترؤا من الكا ؛ ذا اللبن هنا رخيص أوى القرازة بنص مارك » !! . . فلما جاء موعد الشاى بعد ذلك قيل لنا أن الشاى أيضاً خلص وسنشترى شاى من المانيا الغربية حين نذهب إليها بعد أسبوعين باذن الله !! . . وفى اليوم التالى لم تقدم لنا وجبة الإفطار بحجة أن السفىرجى

كان مش فاضى لأنه كان يقدم الإفطار للقبطان الذى استيقظ بدرى على غير العادة !! كأنما إذا أظفر القبطان يوما مابدرى فلن يفطر أحد على السفينة غيره !! . .

وإذا كان « أنيس منصور،

قد أصدر كتابا أسماه « أعجب الرحلات فى التاريخ » فإنى أفكر فى أن أجعل هذه المسلسلة عن رحلتنا هذه بعنوان « أسوأ الرحلات فى التاريخ » !! . .
وإذا كنت قد ظننت أننى قد قابلت فى رحلتى السابقة على السفينة (برنيس) أسوأ رجل ببحر ممكن أن أقابله فى حياتى ؛ فإنى كنت وإهما ؛ لأننى فى رحلتى هذه على السفينة « رمسيس الثانى » قد قابلت (الأسوأ) . . على الأقل « عباس جاد الله » كان شرسا لكنه لم يكن شريرا ؛ وعلى الأقل « عباس جاد الله » كان دمه خفيف فى أغلب الأحيان ؛ وعلى الأقل « عباس جاد الله » كان عاقلا . . ومن المؤكد أن صديقنا هذا : (الأسوأ) ؛ قد لاقى فى طفولته وصباه تعذيبا بشعا ومعاملة شديدة السوء بالغه القسوة ؛ جعلته فى كبره يحاول أن يتنقم من كل من يوقعه سوء الحظ تحت يده . . فإنه يعانى فعلا من عقدة الرغبة الجارفة التى تتملكه لتعذيب الآخرين . . ولو كان هذا الرجل قبطانا لسفينة ركاب لأفلست الشركة تماما بعد رحلة واحدة ؛ فإنها لن تجد بعدها راكبا واحدا يجازف بالسفر مع هذا القبطان الذى يتلذذ بتعذيب الناس ؛ وفى هذه الحالة يكون السفر سيرا على الأقدام أسهل وأضمن وأمن

أرسل القبطان يطلبنى

صباحا بدرى جدا . . أرسل السفريجى « عطيطو » ولم يستعمل التليفون . . ضايقتنى ذلك فتعمدت ألا أذهب إليه إلا بعد ساعة كاملة ؛ فلم أجده فى قمرته . . وفى طريق عودتى الى قمرتى وجدته فى قمرة كبير الضباط . . دخلت وقلت : « صباح الخير » فلم يرد ؛ ووجه لى كلاما يفيد أن صورة البرقية التى أرسلتها إلى رئيس مجلس الإدارة عنده وأنه سوف يرسلها لى ؛ فلم أعلق على كلامه وإنما قلت بجفاء : « أنا قلت صباح الخير فى الأول » فرد : « صباح النور » قلت بجفاء ايضا : « إنت طلبتنى ؟ » فقال وهويش برقيته إلى أعلى كديك بلدى يريد أيعبر عن استيائه من شىء ما : « آه . . بس الكلام ده كان من ساعة » . . جأى لى بعد ساعة ١٩ قلت ببرود : « على ماصحيت وحلقت ذقنى وأخذت دش وليست وقريت الجرايد . . ومن غير كده وكده أنا ماباخرجش من كابيتى عادة غير هو فى الميعاد ده كده » !! . . ولاحظ هو اننى اتكلم بما يشبه الغيظ .

فقال مداريا : « ال (تلکس) الى أنت بعته الصورة عندى . . تستلمها وتمضى الإيصال . . إنكلف ٤٧ مارك وربع : علشان المبلغ ده أول ما المركب توصل الإسكندرية . . مش أحنا نحط السلم من هنا وأنت تنزل جبرى وما نعرفش نجبيك . . لا . . تدفع قبل ما تنزل من السفينة !! . . قلت ساخرا : « لا اتظمن . . مش حا نزل على السلم ، ومش

أنا إلى حادف ثمن التلكس ده ، الشركة إلى حادفده « قال بكبرياء : « لا أنت إلى حادفده . . أنا باقول إنك إنت إلى حادفده « قلت مبتسما بهدوء شديد : « ما تسبب المسألة دى لرئيس مجلس الإدارة هو إلى يقرر إذا كنت أنا إلى أدفع والا الشركة هى إلى تدفع « فقال ثائرا : « أنا هنا رئيس مجلس الإدارة « قلت ببرود : « لا . . إنت هنا قبطان وبس ، بس أنت مش واخد بالك . . وهنا دخل الضابط الإدارى ومعه صورة الـ (تلكس) وإيصال مكتوب أعطاه لى لأوقعه ، لكنى أبقيت الإثنين فى يدى حتى قرأت صورة الـ (تلكس) بإمعان وأطمأننت إلى أنها نفس الصيغة التى كتبتها بالضبط قد أرسلت إلى رئيس مجلس إدارة الشركة بالإسكندرية : ثم قرأت الإيصال المطلوب منى أن أوقعه ، ولم تعجبني صيغته : فألقيتها على مكتب كبير الضباط وسألت « على أبو طالب « إن كان عنده ورقة بيضاء فقام وأحضر لى . . وجلست إلى مكتبه بينما جلس القبطان على كنبه فى مواجهة ، وبدأت أكتب فسألنى القبطان مندهشا حين رأى أكتب : « بتكتب إيه ؟ « فقلت وأنا مستمر فى الكتابة : « دلوقتى جاتعرف « وإنتهيت من كتابة صيغة أخرى للإيصال قرأتها له فقال فى غيظ : « وإيه يعنى لما تخفى على الإيصال الأولانى . . ماهو ده زى ده ؟ « قلت : « مادام أنت شايف إن ده زى ده ، إيه إلى زعلك ؟ . . على العموم هى دى الصيغة إلى أنا أرضى أمضيها « قال فى ضيق وغيظ : « بس فيه نظام لازم تتبعه « قلت فى برود : « أتبعه لما أكون مقتنع بيه « فقال : « ده نظامنا إحنا ومش مهم تقتنع أولا تقتنع . . وحين تكون فى روما فافعل مثلى يفعل أهل روما « قلت ببرود : « لما يكون إلى بيعملوه أهل روما مش عاجبني مش حاسمه . . يعنى لما يكونوا أهل روما لصوص وحرامية ويبسرقوا ، مش حاسرق زيهم علشان هم ينسطوا !! . . فقال : « أنا مش فاهم أنت بتصرف كده ليه ، ؟ قلت ، علشان سعادتك باعت لى السفرجى يستدعيني لمقابلتك « قال : « طيب وكنت عايزن أعمل إيه ؟ « قلت : « تتكلم فى التليفون . . تطلبني فى التليفون آجى لك « قال : « وعهد الله ما أعرف غرة تليفونك « قلت فى سخرية : « مكتوبة عندك فى الكاينة جنب تليفونك على طول . . وطلبتي فيها ألف، مرة قبل كده « قال متخطبا : « مارضتش أضرب لك تليفون فى الميعاد ده علشان ما أزعجكش : قلت يمكن تكون نايم ولا حاجة « قلت : « وهو السفرجى بتاعك إلى جه دق على الباب ما أزمجنيش ؟ . . وخفت ما تزعجنيش الساعة ٩ ونص الصبح وما كنتش بتخاف تزعجني لما كنت بتطلبني الساعة اتنين بعد نص الليل علشان آجى أسهر معاك ؟ ! . . ووجد نفسه مش عارف يقول إيه فقال باستهانة وباستهتار ويصوت مرتفع : « وإيه يعنى لما أبعت لك السفرجى ؟ أنا القبطان ولما أبعت لأى حد لازم يجيني دوغرى !!! . . وانفجر الموقف بعنف شديد وارتفع صوتانا على الآخر ، وصرخت فى وجهه بغيظ شديد : « وأنا حسين قدرى ولى إحترامى ولى مكانتى ولى مركزى ، أن مكانشى عندك خير أديك عرفت « فقال بلا مبالاة وهو يصرخ أيضا : « الكلام ده على الـ . . إنت هنا فى سفينتى وأن الحاكم الأمر التامى هنا !!! . . كلانا الآن يصرخ ويتكلم بأعلى صوتنا حتى نسمعنا السفينة كلها : وفيسار كلها ، والملايا الشرقية كلها إذا أمكن : « أنا حسين قدرى على البر وفى البحر وفى أى مكان فى الدنيا . . أنا حسين قدرى وأنا لايس هدومى وأنا قالع ملط وواقف تحت الدش . . إحترامى محفوظ ومكانتى محفوظة مع الجن الأحمر مش معاك أنت بس . . وإوعى تتصور إن فيه فى مصر الآن حد كبير على العقاب أو كبير على إنه يتجازى ؟ . . أكبر منك وأعظم منك ألف مرة إتعاقبوا وتحاسبوا واتجازوا رؤساء وزراء إتعاقبوا ودخلوا السجن لما غلطوا ، وأنت الغلط مالك من فوقك ومن تحتك . .

إنت مش حاسس إنت بتعمل إيه والا بتصرف إزاي ؟ !... وهذات قليلا بعد أن أفرغت طاقتي العصبية وقلت كل ما أريد وكل ما في نفسي واسترحت . . وسكت هو الآخر حين رآني سكتت : وحاول أن يلم الموضوع فبدأ يتكلم في موضوعات أخرى وعن كتبي التي تفتقر إلى المرونة وليس فيها ما يجذب القارئ فقلت له : « ما تشغلش بالك أنت بكتبي وكتاباتي ، خلى المسألة دى لي أنا اللي أتشغل بيها . . أنا شكل كتابتي كده ومش حا أغيرها علشان أبسط سعادتك » فقال متظافرا : « إنت إكتب اللى أنت عايزه وأنا كيان حاكب عنك . . دا أنا حاكب عنك كتابة فقلت ببرود : « هي الرحلة دى غالبا حاتنتهي على كده . . أنت حاترجع منها كاتب ، وأنا حارجع منها قبطان » واستطرد وأنا أقوم منصرفا : « بس أنا حاكون قبطان كويس » !!! . .



أن تنتهي المسألة هذا الحد . . لذا فإني لم إندش حين فتح معي كبير الضباط في اليوم التالي موضوعا غريبا جدا أن يثار الآن فيه أى كلام بعده ٥٠ يوم من بدء الرحلة ، بعد أن كادت الرحلة أن تأخذ طريق العودة . . واضح أن القبطان يصدر كبير الضباط ليكلمني في هذا الموضوع حتى يتلقى كبير الضباط رد الفعل مني وحتى أصطدم وأنا به « على أبو طالب » . . القبطان أصدر قرارا بمنع صعود الأكل إلى القمرات ، وبأن ينزل الجميع ليتناولوا طعامهم في الصالون تحت في الوجبات الثلاث : الإفطار والغداء والعشاء !! . . ولما كان لا أحد في السفينة كلها يرسل اليه الأكل في قمرة غير خمسة فقط : القبطان ، والمهندس « عبده صالح عبده » : « سلمى » وأنا . . دعنا من القبطان فهو : قبطان ، لكن الآخرين . . سألت « على أبو طالب » : « وهل سيسرى هذا القرار على المهندس عبده وصبرى سالوسة ؟ ! » فرد بطريقة غريبة جدا فيها استغلاب وفيها واحد مغلوب على أمره : « ما تسألني عن المهندس عبده وسالوسة . . دول ناس عاقين وما يسمعوش الكلام ولا يطيعوا أوامر ولا قانون » !! . . قلت مندهشا : « يعنى إذن فرمان ده صادر علشان أنا وسلمى بس ؟ ! . . إحتا اللى مش عاقين وناس مهذيين ونسمع الكلام ونطيع القانون علشان كده بتصدر لنا قرارات متفصلة على مقاسنا ما حدش ينفذهها إلا إحتا ؟ ! . . لا ياعلى ، القرار ده أنا مش حانفذه . . ولو ماطلعيلش الفطار بكه الصبح في ميعاده يتقوا إتنم مانعين عنى الأكل وحابيلج البوليس الألماني هنا وأبلغ السفير المصرى في برلين وأبلغ رئيس مجلس إدارة الشركة في إسكندرية وأنيس أنسى في هامبورج وحسن صبرى في بولندا : وحابيلج اتحاد الصحفيين الدولى في تشيكوسلوفاكيا : وحالقب الدنيا فوق دماغكم هنا . . ولو القبطان ماطلعيلش ، أنا كيان مش حانزل أتغدى وحاضر عن الأكل وأحلكم مسؤولية اللى يحصل بعد كده . . أنا معتبر على السفينة هنا (راكب) والتذكرة اللى معايا بتقول إني (راكب) ومن حتى إني أكل في القمرة بتاعى وقت ما أنا عايز . . مش حانزل الصالون ياعلى حتى لو المهندسين نزلوا . . وبلاش نتناقص في الموضوع ده أكثر من كده : لأنى مش حانفذ القرار اللى القبطان مفصله على مقاسى ده !!! . .



وعاد كبير الضباط

عصر اليوم نفسه ليبلغني أن القبطان مصر على رأيه : وانه - أى القبطان - زيادة في العند والتنكيل والإستشارة قد أعفى المهندسين « عبده صالح » و « سالوسة » من هذا القرار لأن القانون المصرى يعطيها هذا الحق .. هذا الحق الذى يمنعه على الركاب !! .. فقلت لـ « على » : « وكان فين القانون منذ بدأت الرحلة من ٥٢ يوما .. والا القانون المصرى ده صدر جديد النهاردة الصبح بس وجالكُم على التكلُس دلوقتى حالا ؟ ! » .. فحاول « على » بأن يقتنعى بأن : « طيب تعالى نروح سوا عند القبطان نكلمه فى المسألة دى .. وأنا متأكد أنك لما تتكلم كويس وبطريقة كويسة حايصهين عن تنفيذ القرار ده !! » ..

آه .. إذن فهذا هو المطلوب يا سعادة القبطان : أن اتحابل عليك واترجك وأروح لك لحد عندك علشان أقبل الاعتاب و (تسمع شكوى) و (تنظر فيها) ؟ ! .. لا يا سيدى مش حارحك وزى لما يحصل يحصل .. والبادى أظلم ..

وفعلا : جاء السفريجى

« عطيطو » مساء إلى قمرى ليخبرنى بأنه قد صدرت تعليقات إلى المطبخ بعدم إرسال الوجبات إلى الصحفيين فوق ، وإنما إذا كنا عايزين نتعشى تحت فى الصالون نتفضل

ولم نتعشى الليلة - « سلمى » ولا أنا - لا فى قمراتنا ولا فى الصالون .. بعد اذ قال : « سلمى » أنها تتبعنى أنا وأن الذى سيسرى على سيسرى عليها هى الأخرى وأثارت هذا المسألة لغطا بين ضباط السفينة الشبان : واتصل بى بعضهم بالتليفون ليتأكد مما حدث بعد أن ظنوها مجرد إشاعة ..

وكحركة خلفية شهمة

جدا فى ظاهرة حقيرة فى باطنها : طلبنى كبير الضباط بالتليفون فى الساعة الحادية عشر ليلا لأذهب إليه فى قمرة لأنه يريدنى لأمر هام : وهناك وجدت عنده الضباط الثانى « الحسينى » : وحاول الإثنان إغرائى بتناول العشاء الذى وجدته موضوعا على المائدة فى القمرة على أنه عشاء كبير الضباط شخصيا !! .. فلما رفضت وسألت « على » ساعرا : « وإيه اللى طلع الأكل ده هنا ؟ ! مش القرار بيقول مفيش أكل يطلع فى القمرات ؟ ! » حاول « على » بأن يضغط على من (إيدى اللى بتوجعنى) قائلا : « على الأقل علشان الأنسة سلمى

ضعيفة وحانتعب ومش حاستحمل .. وهى ذنبها إيه ؟ .. طيب خد لها هى الأكل ده إذا كنت
انت مش عايز تأكله !!!!! ...

عالم غريب غريب غريب عالم البحر هذا .. لم أعرف حقيقة ما إذا كان هؤلاء الناس ضباط
بحرين بصحيح أم قراصنة ...

وسهرت الليلة فكبت

١٠ برقيات باللغة الإنجليزية سارسلها غداً صباحاً إلى مصر : إلى رئيس
مجلس إدارة الشركة في الإسكندرية ، إلى وزير النقل البحرى فى
الإسكندرية ، .. إلى « أنيس أنسى » ممثل الشركة فى غرب أوروبا فى هامبورج .. إلى « حسن
صبرى » ممثل الشركة فى شمال أوروبا فى بولندا .. إلى رئيس الوزراء فى القاهرة .. إلى وزير
الداخلية فى مصر .. إلى نقابة الصحفيين فى مصر .. إلى إتحاد المحررين الألمان فى برلين .. إلى
الاتحاد الدولى للصحفيين فى تشيكوسلوفاكيا .. إلى رئيس تحرير مجلة « الإذاعة والتلفزيون » فى
القاهرة .. فى دامت المعركة قد بدأت فلتستمر إلى آخر مداها ولتتحمل الشركة نتيجة
تصرفات قبطانها الـ .. عاقل جداً ..

الفصل العشرون

الرجل ..
والصرصار !

عم زكريا خيل الرجل

العجوز الذى يغسل الأطباق فى مطبخ السفينة .. جاء يندق باب قمرى فى الساعة السادسة صباحا ليسألنى ماذا أريد إن أكل أنا والست « سلمى » ١٩ .. وقبل أن أفىق من دهشتى لأرد عليه كان هو يستطرد بإباء وعزة وشهامة أولاد البلد الحقيقين : « أوعى تفتكر إنى حاجيب لك حاجة من المركب هنا ؟ .. أنا معايا فلوس وحانزل البلد أجيب لك الى تؤمر بيه »

لفتة كريمة هائلة وتصرف عميق المغزى من إنسان بسيط جدا : مجرد عامل يغسل الصحون فى المطبخ ، يقابله فى الناحية الأخرى تصرف آخر لإنسان المفروض فيه أنه كبير ، لكن تصرفه حقير ، حين يمنح الطعام عن إنسان آخر .. لكن الإنسانية والأخلاق عمرها ماكانت بالوظيفة ولا المركز ... وكمن من إنسان مركزة كبير لكنه هو نفسه حقير كصرصار من صراصير المجارى ، وكمن من رجل بسيط ، لكنه « رجل » وذلك يكفيه

وكان طبيعا ألا يرسل

إلينا طعام الإفطار اليوم فى قمراتنا مادام العشاء ليلة أمس قد منعه .. الغرب فى الأمر أن السفرجى « عطيطو » جاء صباحا يحمل لى الشاى واللبن !! مددهش .. يعنى السفرجى ممكن أن يجيى بالشاى واللبن فى القمرة لكن الأكل لا !! .. ورفضت الشاى واللبن طبعا وأعدته مع « عطيطو » .. الناس دول هبل ومايفكروش .. شاى ولبن إيه الى باعتينه !! .. ضحيج لو أعطيت للمجنون ألف عقل على عقله حايفضل برضه مجنون « مادام الأساس فيه هو الجنان حاجيب العقل منين ١٩ ..

لكن أولاد البلد

- رغم ذلك - ليسوا جميعا عينة واحدة ولا طينة واحدة .. وبقدر مايفضل ابن البلد عن بيته ويحاول أن يخرج عنها ويعمل أفندى ويتمحك فى طبقة أعلى منه ، بقدر ما تتغير أخلاقه فلا يحصل إبن البلد ولا هو قدر يبقى أفندى

«برهام» رئيس السفرجية ، وهو الآن أفندى شيك ومنظر وطول وعرض .. «برهام» يقابلي صدقة على سلم السفينة وأنا عائد عصرًا فيقول لي بـ «شهامة» و «شجاعة» و «فروسية» : «أنا كنت ناوي أتحدى الأوامر وأطلع لك الأكل بنفسى فى القمرة بتاعتك فوق .. لكن رجعت قلت ياواد بلاش مشاكل وخليك إنت بعيد .. إنت عارف ياأستاذ حسيب إنا مافيش فى إيدنا حاجة !!» ...



الشركة فى الميناء قابلت صديقى مستر «شتيجان» وحكى له ماحدث ، فأخذن لنقابل معا المدير العام لأحكى له ماحدث مرة أخرى ، وطلبت منه أن يرسل البرقيات العشرة التى كتبته للمسئولين فى مصر ، وأن يطلب لى على التليفون السفير المصرى فى برلين ، وأن يذهب معى بعد ذلك إلى مدير الميناء وإلى البوليس الألمانى وإلى عمدة المدينة ، لكن يحاطوا جميعا علما بما يحدث ويأن قبطان سفينتنا المصرية قد منع الطعام عنى وعن الزميلة الصحفية التى على السفينة أيضا ، وأنا - بالتالى - مضربان عن الطعام منذ ٢٤ ساعة ...

وحاول الوكيل أن يقنعنى بأن هذه مسألة داخلية بيننا وبين القبطان نسويها نحن داخليا ونتفاهم مع القبطان وديا ، وأنه - حتى - لا علاقة له أصلا بهذا الموضوع كله لأن المفروض أن علاقته بقبطان السفينة فقط ولا علاقة له بالأفراد عليها ، وأنه لن يستطيع أن يرسل برقيات إلى مصر إلا إذا وقع عليها القبطان واعتمدها !! - (يعنى مطلوب منى أن أحصل على موافقة القبطان على أن أشكوه) - .. فقلت للوكيل ببساطة جدا أننى ماجئت إليه إلا لأننى تصورت أنه مادام يمثل الشركة هنا فانه بالتالى يمثلها فى مواجهة المتاعب التى تحدث للناس الموجودين على سفنها ، لكن مادمت كنت فأهم هذه المسألة غلط فإننى اعتذر إليه عن سوء فهمى ، وسأذهب أنا بنفسى ، ودون حاجة إليه ، إلى البوليس الألمانى وإلى مستر «دومكه» مدير الميناء وإلى عمدة المدينة مستر «شراى» لى أضع المشكلة كلها أمامهم وأتركهم يتصرفون .. فإذا لم يفعلوا جميعهم شيئا فسوف أرسل برقية عادية من مكتب التلغراف إلى السفير المصرى فى برلين أطلب منه الحضور حالا إلى هنا ليتصرف هو شخصيا فى هذا الموقف ...



تشددى وإصرارى ، فالبوليس الألمانى الشرقى شىء مرعب يحاول أى إنسان هنا مهما كان مركزه أن يتجنبه ويتحاشاه ويتبعد عن طريقه .. وطلب الوكيل منها أن أترك له مهلة ربع ساعة فقط يذهب فيها بنفسه إلى السفينة ليلتقى بالقبطان ويناقش معه هذه المشكلة ...

وذهب فعلا ، وعاد ليقول لى أن القبطان مصر على تنفيذ رأيه مهما حدث ومهما كانت النتيجة ، وأنه - أى القبطان - قد وافق على أن أرسل البرقيات التى أريد إرسالها إلى أى إنسان فى الدنيا على

شرط أن أوقع على إيصال بسداد تكاليفها للشركة في الأسكندرية بعد عودتي ١١ - (واضح جدا أنه ، فعلا ، قلبه على فلوس الشركة وأموال الشركة ومصلحة الشركة ١١) . . . ولم أمانع طبعاً ، وأعطيت البرقيات للوكيل ليرسلها ، وطلبت منه أن يطلب لي برلين تليفونيا لأكلم هناك السفير المصري « مصطفى توفيق » . . وأخذ الرجل البرقيات من يدي وهو يكاد يبكي لأنه يعرف جيداً أن الدنيا حانتطريق فوق دماغه وأن الموقف لو انفجر هكذا فسوف يكون أول من يصيبه رذاذه هنا ، من السلطات الألمانية الشرقية ومن الحزب ومن الحكومة الألمانية أيضاً . . وحاول مرة أخرى أن يقتنعني بأن نذهب معا إلى السفينة ونقابل القبطان لنحاول أن نجد حلاً غير ذلك ، لكنني أصرت على موقفى فقلب البرقيات في يده وقرأها كلها واحدة بعد أخرى ، وبعد كل واحدة يزداد وجهه إمتقاعاً واصفراراً ، حتى وصل إلى البرقية التي كتبته إلى رئيس الوزراء المصري فقال مفزوعاً متوسلاً : « ورئيس الوزراء أيضاً ؟ طيب بلاش دى » . .

ثم رجاني رجاء أخيراً و : « بعدها فإعمل ماشئت وسأنفذ لك كل ماتطلبه » . . . طلب مني أن أمهله ٤ ساعات فقط ، ٤ ساعات بالعدد ، فقط لاغير . . إن لم يستطع أن يتصرف خلالها فإن لي كل الحرية في أن أفعل ما أشاء . . « ماذا سوف تفعل بإسيادة الوكيل ؟ » . . « سأتصل بكابتن أنيس أنسى ممثل الشركة في غرب أوروبا في هامبورج . . وأنا واثق أنه قادر على حل كل الأمور ، فإن لديه كل السلطة ليفعل أى شيء وهو رئيس مجلس إدارة فعل للشركة في أوروبا كلها وليس في غرب أوروبا فقط . . ما رأيك ؟ ٤ ساعات فقط . . وقبل الظهر - أنا متأكد - سيكون كل شيء قد إنتهى وتكون المشكلة قد حلت تماماً . . أرجوك أن توافق » !! . .

**ووافقت ..
والتقطت
الرجل**

أنفاسه وتنفس الصعداء كأنما طفاً أخيراً فوق سطح الماء ، لكنني في الوقت نفسه أصرت على أن أكلم السفير المصري في برلين لكي يكون في الصورة ويعرف كل ماحدث . .

وكلمت السفير « مصطفى توفيق » في برلين ، وكنا قد تكلمنا عدة مرات من قبل خلال فترة وجودي في « فيسار » ورويت له كل ماحدث بالتفصيل وشرحت له الموقف تماماً ، وقلت له أن القبطان منع عنا الطعام أنا و « سلمى » وبالتالي فإننا مضربان عن الطعام منذ ٢٤ ساعة . . وأني كتبت برقيات لأرسلها الى رئيس الوزراء في مصر ووزيري الداخلية والنقل البحري واتحادى الصحفيين العالمى والألماني وممثل الشركة في هامبورج وفي جيدانسلخ إلخ إلخ . . وأني رأيت أن أتصل به أولاً لأنه هو السفير المصرى المسئول عن المصريين هنا جميعهم . .

و - ببساطة جدا - طلب السفير مني ألا أأكل في السفينة وأن : « إنزل كل في رستوران يأخى » !! . . . منطق عظيم جداً كان - في الحقيقة غائباً عني وعن تفكيرى فعلاً ، وهذه هي ميزة التفكير الدبلوماسى في .

حل المشاكل : السهل الممتنع !! .. قلت للسفير أن المسألة ليست مسألة رستوران وإنما هي مسألة موقف ومبدأ ومسألة تصرف غريب جدا جدا من قبطان سفينة مصرية أعطى نفسه الحق في أن يمنع الطعام عن الركاب ؛ وأنتى أظن - على قدر معلوماتي - أنه ولا رئيس الجمهورية نفسه يملك حق منع الطعام عن أى إنسان حتى لو كان مجرما أو خائنا أو جاسوسا .. فليس هناك إنسان في الدنيا يملك حق تجويع إنسان آخر وحرمانه من الطعام ؛ وأنتى بعد ذلك كله لا أستطيع - مهما كان الشكل الذى سينتهى اليه الموقف - لا أستطيع أن أطمئن الى عودتي على سفينة واحدة مع هذا القبطان غير طبيعى التصرفات " ..

وانتقل انفعالى إلى السفير فثار هو الآخر وقال لى : " طيب ماتعملش أنت حاجة أبدا إلا لما اطلبك أنا في التليفون تانى " وقال أنه سوف يطلب القبطان على التليفون ويشوف إيه الحكاية وأن أطمئن جدا إلى أن هذا الموقف سوف ينتهى بالشكل الذى يرضينى .. وأنه سوف يتصل به مرة أخرى بعد أن يكلم القبطان ..

وقبل أن تنتهى المكالمة بينى وبين السفير "مصطفى توفيق" عدت الى تذكرته مرة أخرى بأنتى و "سلمى" ممنوع عنا الطعام منذ ٢٤ ساعة ؛ وأنا لن نستطيع أن نستمر في ذلك طويلا ؛ لكننا أيضا لن نعدل عن موقفنا مهما كانت الظروف ..



الشركة فعلا .. فقبل أن تمضى الساعات الأربع التى طلبها منى كمهلة ؛ كان القبطان "أنيس أنسى" قد وصل فعلا الى "فيسار" .. والتقيت به بالصدفة وأنا خارج من الميناء : سيارة شيك جدا أمريكية الطراز ذات أرقام المانية غريبة تتوقف إلى جانبي فجأة في الشارع ليطل منها رجل أشيب وقور ليقول لى بلهجة مصرية واضحة وهو ينظر في عيني كأنما يختبر فراسته : "السلام عليكم .. ماتعرفش من فضلك البوليس بتاع هنا فين ؟" قلت له على الفور وقد استتجبت شخصيته ولم أشأ أن أبدو أقل منه ذكاء : "أنت القبطان أنيس أنسى ؟" فقال وهو يفتح باب السيارة لينزل منها مرحا واثقا : "تبقى أنت الأستاذ حسين قدرى" .. ورحب بى بشدة ويصدق ؛ وركبنا معا في سيارته وهو يطلب منى أن أحكى له ما حدث بالضبط ؛ فلما رويته لى اتسعت عيناه من الدهشة والذهول وهو يسألنى : "هو مين القبطان ده الى معاكم ؟ قلت له : "فلان" فقال وقد زالت دهشته : "ياه ... دا راجل مجنون وطول عمره مجنون وملخبط الدنيا ومفيش رحلة طلعتها إلا ورجع منها عامل مشاكل مع كل الناس" .. وطلب منى أن أطمئن تماما إلى أنه سوف ينهى هذا الموقف بالشكل الذى يرضينى تماما ؛ ليس ذلك فقط ؛ وإنما هو أيضا لا يستطيع أن يطمئن إلى اتقاننا الرحلة مع هذا القبطان بعد ذلك ؛ ولذا فسوف يرتب لنا بمجرد عودته إلى هامبورج مساء اليوم أن تنتقل غدا الى سفينة مصرية أخرى تابعة لنفس الشركة موجودة الآن في ميناء هامبورج ؛ لكى نعود معها إلى الاسكندرية ..

وفسى السفينة يجمعنا

نحن الأربعة فقط : أنيس أنسى " وأنا ووكيل الشركة والقبطان ؛ إجتاع
مغلقي في قمرة القبطان . . ومحاول " أنيس أنسى " في البداية أن يجعل الموقف
يمر بهدوء فيقول أن الرحلة في البحر حين تطول يفقد الناس على السفينة اعصابهم نتيجة بعدهم
عن بيوتهم وأولادهم ؛ وقطعا القبطان لا يقصد ما حدث وأن من حق الأستاذ حسين أن يأكل في
قمرته أو في المكان الذي يستريح فيه . . لكن القبطان - المخضوض فعلا من وصول " أنيس
أنسى " المفاجيء من هامبورج الذي لم يكن يتوقعه ولم يكن يخطر على باله أن يحدث سريعا جدا
هكذا - يحاول أن يقلص وأن يبدو متأسفا ؛ فيقول في احتجاج معاتبا : " لا ياقبطان أنيس . .
إنت كده بتركة على " . . ثم يكذب ويحاول أن يغير الحقائق ويحكى أشياء لاعلاقة لها بالموضوع على
الإطلاق محاولا كعادته أن يشوش على الموضوع الأصلي ؛ لكن " أنيس أنسى " صده بجفاء وحزم
بأن الحق في جانبه تماما وأن من حق كراكب أن أتناول طعامي في قمرتي وقتا أشاء ؛ وفي الوقت
نفسه فإن ذلك ليس من حق الباشمهندسين كما يدعي القبطان !! . فقال القبطان مدافعا بتخاذل
بأن الباشمهندسين " هم اللي ضحكوا عليه وفهموه كده " !! . . الرجل الذي له ٣٨ سنة في البحر
منذ كان في الرابعة عشرة من عمره ؛ وله ١٧ سنة في وظيفة قبطان ؛ لا يعرف إن كان من حق
الباشمهندسين أن يتناولوا طعامهم في قمراتهم أم لا . . لكنه - كما هو واضح - يعلم ومتأكد جيدا
أن ذلك ليس من حق الكراكب !! . . ويتضح أيضا أن ذلك خطأ . . ربنا يستر والمهندسين ما
يضحكوش عليه كمان ويقولوا له السفينة بتاعته بتسير بالتبن والعلف والعليق . . .

وحسب " أنيس أنسى "

الموقف بأن ذلك حقنا تماما أن نتناول طعامنا في قمرتنا ؛ وأنه ترضية منه -
ومن القبطان - واعتذارا لنا وردا لاعتبارنا ؛ سوف نتناول الغداء الآن جميعا
على مائدة القبطان شخصيا وفي قمرته شخصيا ؛ و : ذلك رومي !! - من الحاجات اللي متدكنة
للمناسبات القبطانية السعيدة !! - . . وقام " أنيس أنسى " ليطلب " سلمى " من قمرتها بالتليفون
ليطلب منها أن تقبل إعتذاره الشخصى عما حدث ؛ ويطلب منها أن تنضم إلينا في هذه الوليمة
الرومي !!

وأيضا قال أنه من حقنا مادامت الرحلة قد طالعت عن المدة المقررة لها ؛ أن تتحمل الشركة
صاحبة السفينة تكاليف عودتنا بالطائرة إذا شئنا ؛ أو تتحمل هى قيمة بدل سفرنا عن المدة التى
زادت عن البرنامج الأصل . . وسلمنى مائه مارك غربى مؤقتا ونحت حساب بدل سفر المستحق لنا
عن المدة الزائدة ؛ على أن يتم تسوية الموضوع كله بمجرد وصولنا إلى هامبورج غدا لنلتحق بالسفينة
المصرية الأخرى هناك . . وأهدانى أيضا قلمه الخمر جاف الشيك جدا المصنوع من الصلب ؛
كاعتذار وترضية وعربونا لصداقة جديدة بيننا ؛ ولكى أكتب مقالاتي القادمة (بقلم أنيس
أنسى) . .

وبما أن الموضوع قد انتهى بسلام هكذا ؛ فإنه لم يند هناك منها . . فيقرأ من برقيتي إلى رئيس مجلس إدارة الشركة التي أقول له فيها أن قبطان السفينة يتصرف كشخص غير طبيعي طبعاً لإرسال هذه البرقيات . . ومد " أنيس أنسى " يده وأخذها من يد وكيل الشركة ليقرأ بصوت عال وعلى سمع من القبطان والجميع - بطريقة ذكية جداً وخبيثة جداً - أسماء المسؤولين المرسلة إليهم البرقيات وأجزاء سريعة - ويجنون ؛ فانخفض القبطان وغضب وقال : " ما هي دي وحشة أوى دي " فلم وصل " أنيس أنسى " في قراءة أسماء المسؤولين إلى إسم رئيس الوزراء لإصفر وجه القبطان وبهت وانهار تماماً وصاح مدعوراً : " رئيس الوزراء !؟ رئيس الوزراء !؟ هي المسألة كانت محتاجة لرئيس الوزراء !؟ " فقلت له مندهشاً : ياسلام !؟ هو انت عايز تمنع الأكل عن اثنين مصريين ؛ وصحفيين ؛ والمسألة ماتوصلشلى لرئيس الوزراء ورئيس الجمهورية كيان !؟ . . واضح إنك طيب جدا !؟ " . . .

ساعات قليلة جدا

هي التي أمضاها " أنيس أنسى " على السفينة ؛ بل وفي " فيسار " كلها ؛ فإنه في نفس المساء عاد إلى هامبورج في ألمانيا الغربية بعد أن أعاد كل شيء إلى موضعة على السفينة المجنونة ؛ ووضع كل واحد في مكانه الصحيح ؛ وحسم كل الأمور . . مسألة قيادة أولاً ؛ إذا اهتزت القيادة اهتز كل الناس تحتها وتصرفوا على كيفهم وخبطوا الدنيا ؛ وإذا كان رب البيت بالدف ضارباً فشيمة أهل بيته الرقص والمهلس والمهيافة والتصرفات المجنونة ؛ ولهم في (رب يبتهم) القدوة والمثل والنموذج . .

فبل أن يترك " أنيس أنسى " السفينة كان أيضاً قد أنهى الموقف الهندسى المتأزم . . إنها بحسم شديد لصالح مهندس الترسانة " أحمد الأعرج " وكان في صفه تماماً وأعطاه الحق تماماً وأنه هو المسئول مسئولة كاملة عن السفينة تماماً . . وقال " أنيس أنسى " للمهندس " عبده عبده " أن تصرفاته - فنيا وهندسيا وأخلاقيا - يمكن أن تذهب به إلى السجن ؛ حتى أن المهندس بكى بالدموع أمام " أنيس أنسى " و" الأعرج " والقبطان وهو يعتذر عن خطئه بأنه لم يكن يعرف ذلك !! . . . راجل باشمهندس بحرى مند عدة سنوات وعامل أبو على ودائماً مبرق عينيه ورافع حاجب ومنزل حاجب زى فريد شوقي وعادل أدهم وفي الآخر يعيط زى ليلي حمادة وزيزي البدرأوى ويقول أنه ماكاشنى يعرف !!!

وآه ياشركة ضحكك من ظرفها الشركات !! . .

الظريف الظريف جدا

جدا جدا جدا . . أن القبطان بعد أن انتهت الأزمة بيننا بالصلح وإن إلى فات مات وخلص نبتدى من الأول ؛ حين سمع أنيس أنسى " يقول أنسى " وسلمي " سوف نتنقل إلى سفينة أخرى هامبورج ؛ وناقش " أنيس أنسى " معى ترتيب سيارة

تقلنا وحقايتنا من السفينة "رمسيس الثانى" من "فيسار" الى هامبورج ؛ تطوع القبطان ليقول بشهامة : " ماتشغلش نفسك بشنطكم وحاجاتكم ؛ سيوها لى وأنا أخذها لكم معايا إسكندرية"!!!!!!

قمرق التى فتحت فى غياى أثناء وجودنا فى مدينة "جيفرين" وحقايتى التى فتشت تفتيشا بوليسيا ؛ يريدن أن أتركها له ليأخذها معه إلى الإسكندرية !! . . الرجل الذى لم يكن أمينا علينا وعلى حياتنا شخصا ؛ يريدنا أن نتسامنه على حقايتنا ليأخذها (معه) إلى الإسكندرية !!!

لا يا قبطان ؛ متشكرين ؛ كتر خيرك

الأكثر
من
ذلك

ظرفا بكثير جدا ، جدا جدا أيضا ، أننا حين جلسنا الليلة ، « سلمى » وأنا ، ناقش المسألة من جميع جوانبها وجوها . . رأينا أننا لو تركنا السفينة « رمسيس الثانى » الآن وانتقلنا إلى سفينة أخرى ، فإن رحلتنا لا تكون قد اكتملت ، ونكون قد هربنا من الموقف ، وشكل العمل الصحفى الذى بدأناه وتحملنا متاعبه ومشاكله وزدائه طول هذه الفترة ، لم نستطع أن نصمد له حتى النهاية . . .

لذا . . قررنا أن نصرف النظر عن الانتقال إلى السفينة الأخرى فى هامبورج . . ونكمل الرحلة حتى النهاية مع السفينة « رمسيس الثانى » وليكن مايكون ، وعلى قلبهم لظولون !!

الشيء
الوحيد
السدى

يدهشنى فى الموضوع كله وأفكر فيه دائما هو : « ياقوت » ؛ لماذا فعلت هذا بأخيك ١٩ . . لماذا أرسلنى « حسين زاهر ياقوت » رئيس مجلس الإدارة السابق مع هذا القبطان بالذات إذا كان يعلم هذه هى سمعته وشهرته وأنه مجنون وبتاع مشاكل ١٩ . . هل كان لـ « ياقوت » غرض من ذلك ١٩ . . هل كان يريد أن يضع أمامى عينة من نوعية الناس الذين يتعامل معهم ، لكى أعذره ١٩ . . أم كان يريد أن أرى بنفسى كيف يدور العمل فى شركة كبار المسؤولين فيها نوعية هذا القبطان ١٩ . . أم كان يريد أن يضعنى أنا شخصا فى مطب مع رجل مجنون ، ولماذا ١١٩

أسئلة لم أستطع حتى الآن أن أعثر على إجابات لها



أعلنت إذاعة القاهرة

التي نسمع برنامجها العام هنا بوضوح جدا . أن غدا هو أول أيام شهر رمضان في مصر وكل سنة واحنا طيبين . . سادس رمضان يأتى على وأنا في أوروبا ، منهم ثلاث رمضانات - بأعيادهم - قضيتهم كاملين في أوروبا . . نسمع إذاعة القاهرة طول الليل : الأوبريت الإذاعي العظيم (رابعة العدوية) الذي غنت فيه أم كلثوم مجموعة من أغانيها الرائعة ، كان مذاقه على آذاننا جديدا تماما ونحن نسمعه هنا على بعد آلاف الأميال عن مصر

ومن نظام الشركة

صاحبة السفينة أنه حين يأتى شهر رمضان على سفينة من سفنها وهي في رحلة من رحلاتها في البحر ، فإنه يصرف لكل فرد من أفراد الطاقم ٢ كيلو ياميش كهدية من الشركة . . لكن الضابط الإداري لسفينةنا - الذي كان كلبه يأكل البندق - أفنى بأنه في هذه المرة سيصرف لكل فرد كيلو ياميش واحد فقط . . فلما قيل له : « ليه ياسعد أفندى !؟ الفرق ده لمصلحة مين !؟ إذا كانت الشركة نفسها - اللى حاتدفع - بتقول ٢ كيلو ، إنت تقول واحد ليه !؟ » . . فكان رده : « من غير ليه . . هو كده ، وابقوا اشتكوا للشربة لما ترجعوا اسكندرية !! » . . غلاسة وغثاة ، لانه يعلم جيدا أنهم حتى لو اشتكوا للشركة بعد العودة وطلع عندهم حق فإنها سوف تصبح مجرد شكوى لكنهم لن يصرفوا كيلو الياميش الفرق في الاسكندرية ، لأن بعد العيد مايفتلس ياميش !!

أول سحور ليلية

أول رمضان . . الأربعة الكبار على السفينة لم يتسحروا مع أفراد الطاقم ، وكان الواجب أن يفعلوا ولو هذه الليلة فقط من باب المشاركة في الإحتفال . . لكنهم تناولوا سحورهم في بار « كوربيانكا » محتفلين بقدم شهر رمضان المعظم أعاده الله عليهم باليمن والعمولات . .

على السحور قدموا لنا صنف الحلو طبق مهلبية بالزبيب وجوز الهند ، فتساءلت « سلمى » : « هم ماجابوش ياميش والا إيه ؟ » فردد الضابط الثانى « الحسىنى » : « هم جابوا » ، لـ (حسان) . . لكن هو مايبحبش الزبيب ولا جوز الهند ، فنزلوهم لنا احنا !!



الأيام تجری بسرعة

البرق .. لنا هنا الآن في « فيسار » ٤١ يوما ، حدثت فيها أحداث ، والتقينا بناس أحببناهم وناس أحبونا .. وعرفنا شوارع هذه المدينة الصغيرة الجميلة وعرفتنا وألفناها واعتدنا عليها وألفتنا واعتادت علينا .. واكتسب وجودنا فيها شكل الاعتياد والتعود ، حتى أن فكرة السفر والرحيل عنها غابت تماما عن أذهاننا فلم نعد نفكر فيها .. للدرجة أن الأمر كان مفاجأة لنا ظهر اليوم حين علمنا أن عملية شحن السفينة سوف تكتمل تماما ظهر بعد غد ، ونرحل لنستأنف مشوار رحلتنا عصر اليوم نفسه .. فخرجنا في اللساء وفي القلب غصة نودع المدينة الظرفية الصغيرة ونملا عيوننا منها ، من كل شيء فيها .. ستوحشنا جدا « ريناتي » الجميلة الحزينة .. ستوحشنا جدا « ساينا » التفاحة الشقراء المرحية وحبوية بنت الـ ١٩ الجميلة .. ستوحشنا صديقنا العجوز « شتيجان » بأحاديثه الظرفية وخبطة دمه .. ستوحشنا البائعات الحسنאות الجميلات في محلات المدينة ، وجميعهن لانعرف أسماءهن ولايعرفن أسماءنا ، لكن الألفة كانت موجودة بيننا وبينهن طول الوقت حتى أننا كنا حين نلتقي بهن في شوارع المدينة الصغيرة بعد انتهاء عملهن كنا نحياهن وكن يحيهن ويتسمن لنا .. سيوحشنا « الواد اللواء » الذي كان يقف في كشكه الزجاجي أمام سفينتنا يحرسها ويحرسنا ، رغم ماسببه لنا من المتاعب في آخر يوم لنا في « فيسار » ...

آخر يوم لنا

في « فيسار » .. غدا تبدأ رحلة العودة .. كالعادة دائما في اللحظات الأخيرة من النهايات يكتشف المرء عشرات الأشياء الصغيرة قد نسي أن يقوم بها مؤجلا إياها يوما بعد يوم ، حتى يكتشف أن الوقت قد سرقه وأنه لم يبق إلا أقل القليل ...

اكتشفت « سلمى » اليوم أنها قد صورت كل شيء في « فيسار » ونسيت شيئا هاما جدا في نظرها من الناحية الصحفية : نسيت أن تصور (الواد اللواء) الواقف على باب السفينة .. لكن كان لازال أمامنا وقت لتدارك هذا النسيان ...

ونحن نزالان من السفينة صباح اليوم دارت « سلمى » بكاميراتها وراء الكشك الزجاجي من الناحية الأخرى وانتظرت حتى مد « الواد اللواء » يده من داخل الكشك ليسلمني جواز سفري ، و « تك » .. التفتت له صورة ... وشعر هو بما حدث فالتفت إلى « سلمى » ورفع يده في وجهها أن NO NO NO .. فسألته أنا بتساذج إن كان ذلك ممنوعا ؟ فقال أنه ممنوع .. وانتهى الأمر عند هذا الحد ...



بسعد عودتنا إلى

السفينة ظهرها مكدت لهتقر في قمرق حتى رن جرس التليفون ، وعلى الطرف الآخر من الخط جاءنى صوت « الحسىنى » الضابط الثانى مضطربا مرتبكاً يقول أن عنده ضابطين من البوليس الألمانى يريدان تفتيش قمرق الآن فوراً وحالا ، وهما يعرفان أنه يكلمنى الآن ، ويسألنى إن كان هناك شىء يجب إخفاؤه فأخفيه قبل وصولهما عندى !!!!!.....

خطر على بالى لحظتها بسرعة جدا كل الخواطر السيئة الممكنة : القبطان أو المهندس « عبده عبده » دسا لى شيئا غير قانونى فى قمرق علشان أروح أنا فى داهية قبل أن أكتب عنها مايتصوران أنه حايدويهم هم فى داهية ؟! ... « محمد أفندى عبد الباسط » ضابط اللاسلكى دس لى دسيئة عند البوليس الألمانى لكى يفتشوا قمرق فأكون قد اتهدلت ، على الأقل ، قبل أن أنشر صورته مع فتياته الحسنات فى نادى البحارة ؟! أو على الأقل لكى تسوء سمعتى أنا قبل أن تسوء سمعته هو ؟! .. أم هم رجال الجيالك الألمان الذين يروننى داخل الميناء كل يوم شابل حاجات ومحتاجات ، فأرسلوا رجال البوليس الألمانى ليروا ما اذا كانت هذه الأشياء والمشتريات لى ، فمن أين لى بالنقد التى اشتريتها بها ؟! .. واذا لم تكن لى فاين ذهبت ولحساب من ؟! .. و ... و ..

..... و إلخ إلخ إلخ

ألف خاطر وخاطر ، وكلها خواطر سوداء متشائمة ، مرت بذهى بسرعة جدا وأنا أرتدى ملاسى - بسرعة جدا أيضا - لكى أفتح القمرة لضباط البوليس الألمان الذين كانوا قد بدأوا يدقون باب القمرة من الخارج بإلحاح وهم ينادونى من وراء الباب : « افتح الباب يامستر كادرى !!!!!..... »

وفتحت الباب لأجد أمامى اثنين من ضباط البوليس الألمانى مرابطين تماما على باب القمرة فى تحفز كأنها يتصوران أو يتوقعان أننى سأخرج إليهما وفى يدى مدفع رشاش .. فلما رأبانى أكمل قفل أزرار قميصى هدا قليلا ... وكان « على أبو طالب » كبير ضباط السفينة وراءهما يحاول إقناعهما بأن نذهب جميعا عنده فى مكتبه لتتكلم فى مكتبه و : « نشوف إيه الموضوع »!! ..

فى قمرة على

أبو طالب « لم أكن قد لمت أعصاب واستجمعت نفسى بعد .. كنت مبثرا تماما من الداخل وإن كان وجهى لا يعكس ما فى داخلى .. »

واحد من الضباطين الألمانين - الواضح أنه الأكبر رتبة - لا يتكلم الإنجليزية : والآخر يتكلمها خفيف .. فوجئت بسؤاله الغريب جدا : « مستر كادرى .. هل أنت صحفى

معتمد ؟ .. إندهشت جدا من كلمة (معتمد) فقلت له بحدة : « ماذا تقصد بكلمة (معتمد) ؟ ! أنا عضو الإتحاد الدولى للصحفيين » فتدرك ليقول : « أقصد هل أنت في بلادنا في مهمة رسمية ؟ » قلت « طبعاً » قال : « لتكتب عن الناس هنا ؟ » - (قالها بالضبط : *To Write about our People* - قلت : « ليس بالضبط .. لكن لاكتب عن السفينة المصرية الجديدة » رمسيس الثانى » فى رحلتها الأولى .. . وتدخل « على أبو طالب » كبير الضباط السفينة ليشرح للضباطين الألمانين بإسهاب الغرض من رحلتى شرحا رأيته - من وجهة نظرى - أكثر من اللازم : فلما حاولت أن أستوقفه قال لى باللغة العربية : « معلى أصل الناس دول أغبياء ولازم الحاجة تتشرح لهم وتفهمهم لهم بالشكل الكبير أوى ده علشان يفهموا على راحتهم .. . ماتنساش إنك فى دولة شيوعية !!

وعاد ضابط البوليس الألمانى يقول لى بإنجليزته الركيكة فى لهجة تقريرية كأنه يقرأ كلاما مكتوبا : « اليوم وأنت نازل من السفينة المصرية صباحا التقطت السيدة زميلتك صورة واحدة للجندي الألمانى الواقف عند مدخل السفينة وهو يتناولك جواز سفره .. . ولما كان التصوير فى الميناء هنا ممنوعا لأسباب متعلقة بالأمن ويحتاج إلى تصريح خاص وإجراءات خاصة ، فإننا نريد هذا الفيلم كله !!!!

وتذكرت
ما حدث
فى

الصباح : وعجبت لهذه الضجة كلها من غير مناسبة إلا أن يكون هؤلاء الناس مش لاقين فعلا حاجة يعملوها فى هذه المدينة الهادئة زيادة عن اللزوم إلى أحد الدواعى .. . لكننى لم أشأ أن أثير مشكلة البوليس الألمانى الشرقى شئى مربع يحاول أى إنسان هنا معها كان مركزه أن يتجنبه ويتحاشاه ويتعد عن طريقه .. . وأيضاً تذكرت كلام « أنيس أنس » يوم كان معنا هنا منذ نحو أسبوع : لا تصطدم مع البوليس الألمانى الشرقى أبداً ولا تضع نفسك فى طريقه ، فهم ناس التفاهم معاهم صعب جداً : لأنهم لا يفهمون أصلاً !! .. .

قلت للضابط الألمانى أن زميلتى كانت تقصد تصوير سفينتنا المصرية وليس الجندي الألمانى الواقف عند مدخلها : فهل تصوير سفينتنا ممنوع علينا : « الممنوع هو التصوير فى موانئنا : وسفينتكم فى مينائنا .. . قلت : « على أى حال إن الفيلم مازال فى الكاميرا حتى الآن : وسأحضره لكم » وقمت من مكانى لأحضر الفيلم من « سلمى » : لكننى فوجئت بالظابطيين الألمانين يبهان واقفين ليرافقانى !! .. . ولم أشأ أن أخض « سلمى » بمنظر ضابطى بوليس ألمانين يقتحمان عليها قمرتها : فأشرت إليهما أن يجلسا ويستريحا : ولم أخرج أنا أيضاً : وطلبت « سلمى » بالتليفون وطلبت منها أن تحضر الكاميرا وتأتى إلى قمرة كبير الضباط .. . وكنت قد قررت أن أسلم إليهما الفيلم حتى لا نتحدث مشاكل والسفينة سترحل غداً ، خصوصاً وقد تذكرت أن الفيلم ليست به صور لها أهمية كبيرة يخشى من ضياعها : ويمكن الإستغناء عن الفيلم كله إذا لزم الأمر بما قد يسببه من مشاكل وتعطيل .. .

وجاءت « سلمى » وأخرجت الفيلم من الكاميرا وأعطته للضابطيين الألمانين ، اللذين وعدا
بأنهما سوف يعيدانه إلينا غدا صباحا بعد أن يقطعا منه صورة جنديها الألماني على باب السفينة :
الواد اللواء !! ..

مدهشة

« سلمى »

سوف

تكون صحيفة ممتازة يوما ما .. أعصابها زى الحديد .. بمجرد أن غادر
الضابطان الألمانيان السفينة قالت لى بلا مبالاة : « ياشيخ خضتنى .. أنا
افتكرت أن فيه حاجة كبيرة حصلت وإنهم حايستجنونا » وضحكك ضحكة عصبية
قصيرة : ثم سقطت مغمى عليها !!!! ... » .

الفصل الحادي والعشرون

إنهم
ينهبون
البحر .. نهباً !

الحقيقة أننى لم

أكن أتوقع ولا بنسبة فى المليون أن يحدث ذلك ، لكنه حدث : فى الصباح التالى مباشرة ، وبدرى جدا قبل أن أستيقظ من النوم . . جاء ضابطا البوليس الألمانيان وسألا عنى ، فلما قيل لهما أننى لا أزال نائما تركا الفيلم الذى أخذهاه بالأمس مع أحد ضباط السفينة ، مع اعتذارهما الشديد عن إزعاجهما لى أمس !! . .

منتهى الدوق والأدب والأخلاق ومعرفة حدود اللياقة فى العمل وعدم تجاوزها . . قاما بتحميمض الفيلم ، وقطعا منه فقط الصورة التى التقطتها « سلمى » لـ (الواد اللواء) : وأعادا لنا باقى الفيلم . .

مدهش : حين جاء

يوم الرحيل تذكرت الآن فقط أن السفير « مصطفى توفيق » سفيرنا فى برلين لم يتصل بى !! . . سبعة أيام كاملة مرت منذ ذلك اليوم الذى إتصلت به فيه وقلت له أن قبطاننا منع عنا الطعام أنا و « سلمى » منذ ٢٤ ساعة قبلها ، ووعد بأنه سيتدخل فوراً لإنهاء هذا الموقف الغريب . . لكن يبدو أن « فورا » هذه مقاييسها تختلف من شخص لآخر . . يبدو أن سعادة السفير « مصطفى توفيق » صحته كويسه وقادر أن يتحمل الجوع - أو التجويع والحرمان من الطعام - لمدة أطول كثيرا من هذه الأيام السبعة التى مرت حتى الآن دون أن يسأل عن صحة سلامتنا فيها ، لذا فقد أعتبر أن المسألة غير عاجلة ولما يفضى لها يبقى ينظر فيها على مهله . . فإنه منذ ذلك اليوم لم يفعل شيئا على الإطلاق ولا حتى اتصل بالقبطان ليسأله عما حدث : كما قال لى القبطان نفسه حين سألته بعد ذلك !! . .

قطعا تأكد لى الآن أنه صحيح فعلا ما سمعته كثيرا من قبل عن أن رجال سفاراتنا المصرية فى الخارج عموما لا يريدون وجع قلب ولا جع دماغ وعازين يبقوا مستريحين ، لا يشوفوا مصريين ولا مصريين يروحوا لهم . . وليحى التمثيل الدبلوماسى المصرى فى الخارج . . . يعيش يعيش

قلبي مع سعيد

بيومى "بحار سفيتتنا وحظه السىء . . الرجل محجوز فى المستشفى من بعد وصولنا الى هنا بأيام قليلة . . أول رحلة له فى البحر بعد أن نحول من ترزى سيدات إلى (زيات بحرى) !! ويبدو أن البحر غمضة وبعثه وعمل فيه عايله ولم يستطع أن يتواءم معه ؛ فإنا أن وصلنا الى "فيسار" حتى كان قد انهار تماماً ؛ وأخذ الضابط "الحسينى" الى المستشفى ليكشف الأطباء الالمان أنه مسكين (بايظ خالص من جوا) ؛ فأجروا له عمليتين جراحيتين : المصران الأعور ؛ ودوالى فى ساقه . . وظل طوال الـ ٣٨ يوما راقدًا فى المستشفى حتى الآن . . ولما جاء يوم الرحيل رفض الأطباء الالمان أن يسمحوا بخروجه من المستشفى لسببين : الأول أن علاجه لم ينته بعد حتى الآن ؛ والسبب الثانى أن صحته لم تعد تتحمل ركوب البحر مرة أخرى ولا العودة فى السفينة أيضا . . لذا فقد تقرر أن تتركه السفينة وراءها هنا ؛ على أن يعود الى مصر بالطائرة بمجرد أن تسمح حالته الصحية بذلك بعد أن يتم شفاؤه . .

وقطعا موقف صعب جدا على نفسية "سعيد بيومى" أن يشعر ليس فقط بأن رحلته الأولى الى اوروبيا قضاها كلها فى المستشفى ؛ بل أن يجد أيضا سفينته قد رحلت وعادت الى مصر وتركته وراءها هنا وحيدا ؛ وهو لا يعرف حتى لغة التفاهم مع هؤلاء الناس الالمان الى هنا . . . لعله الآن نادم أشد الندم على تركه مهنته ترزى السيدات . .

سألت الضابط "الحسينى" ماذا فعلوا لبحارهم الذى سيتركونه وراءهم مريضا فى المستشفى فقال انه بمجرد خروج "سعيد" من المستشفى سيصرف له وكيل الشركة (بدل سفر) قدره ٦ مارك المائى عن كل يوم قضاءه فى المستشفى ؛ وهو قد قضى فيها أكثر من شهر الآن ؛ ويرتب له الإقامة الكاملة فى أحد فنادق "فيسار" حتى يتم ترحيله الى مصر بالطائرة ؛ وايضا سيتقاضى ٦ ماركات (مصرف جيب) حتى يوم سفره عائدا الى مصر . . .

قطعا ٦ ماركات يوميا مبلغ ضئيل جدا فى اوروبيا حتى لو كان سيفتقه طفل صغير . . والدليل على ذلك أن المجموعة من طاقم السفينة الذين ذهبوا الى "جيثرين" يوم تبخير سفيتتنا قد اقاموا فى افخر فنادقها عجمان وتقاضى كل واحد منهم فوق ذلك ٢٠ مارك كمصرف شخصى له . . فلم هذه التفرقة فى التعامل بين بحار مريض وبحار سليم ؛ وأين تذهب - أيضا - هذه الماركات الـ ١٤ الفرق ١٩ . . علم ذلك عند ربى وعند واضعى اللوغاريتمات البحرية فى الشركة المصرية للملاحة !! . . .

دخل القبطان قمره

كبير الضباط فوجد النجار يقوم بتركيب إيريال راديو فى نافذة القمرة . . المفروض فى حالة كهذه لو أن للقبطان أية ملاحظات حول الموضوع أن يقولها لكبير الضباط نفسه ؛ ووحدهما تماما وليس أمام البحارة ؛ حرصا على كرامة كبير الضباط ومركزه

وهيبته أمام مرؤسيه من البحارة .. لكن القبطان تجاهل كبير الضباط تماماً وشخط في النجار :
 " لا ياريس .. لا لا لا ياريسدى .. بلاش الهباب اللى بتعمله ده .. شيل شيل .. أنا مش عايز
 الحاجات دى تتعمل فى المركب بتاعى !!

وقف النجار العجوز مخرجاً خجلاناً من الموقف السخيف الذى أصبح فيه " كبير " الضباط !!
 وثار كبير الضباط أيضاً لكرامته ؛ لكنها ثورة هادئة طيبة في البداية ؛ فقال باحتجاج ؛ مجرد
 احتجاج ؛ " ليه بس يا قبطان ؟ ما هو كل الناس فى المركب عاملة (أرايل) .. انت عامل ايريال
 عندك ؛ وكل واحد من الاثنين الباشمهندسين عامل إيريال عنده ؛ إشمعنى أنا ؟ !؟ فرد القبطان
 برذالة وتحكم وعناد ؛ " أنا قلت لا يعنى لأ " .. فنثار " على " هذه المرة ثورة حقيقية ؛ أول مرة على
 امتداد الرحلة أراه يفعل ذلك .. صرخ وزعق غاضباً ؛ " يعنى أنا بس اللى طرطور وأنا بس اللى
 طيشة ؟ طيب هه ؛ مش عايز ايريال خالص ومش عايز الراديو نفسه كيان ؛ مالوش لازمه بأه مادام
 مش حايشغل " .. وخطف الايريال من النجار والقى به فى البحر من نافذة قمرة .. فالتقت
 القبطان للضابط الإدارى " سعد سلامة " الذى جاء على صوت الزعيق ؛ وقال له أمراً : " شيل
 ياسعد الراديو ده نزله تحت فى صالون الضباط "

وشال سعد راديو كبير الضباط لكنه لم ينزله تحت فى صالون الضباط ؛ بل أخذه عنده فى قمرة
 ليصبح عنده راديوهين ، وزيادة الخير خيرين !!
 ويس .. إنتهت الحكاية !! ..

وقبل الموعــد المحــدد

لرحيل السفينة عن الميناء ؛ جاء ضباط الـ (كسـم) أو ضباط الإنبارك الألمان
 ليفتشوا السفينة قبل رحيلها ؛ بحثاً - فى الدرجة الأولى من الأهمية - عن أى

شخص ألماني شرقي يفكر فى الهرب من المانيا الشرقية الى دول اوربوا الغربية - (وللسفن المصرية
 بالذات ؛ ولقبطاننا بالذات ؛ سابقة شهيرة فى هذا الموضوع) ... وأيضاً فتشوا السفينة وبحارتها
 وقمراتها وكيانها بحثاً عن المشتريات الممكن أن تكون زائدة عن المبالغ التى صرفت للبحارة بالشكل
 الرسمى ...

وضباط الجمارك الالمان مش بيغلوسوا أوى عادة ؛ لكنهم وجدوا فى قمرة واحد من البحارة
 حقينة كبيرة جداً مليئة بالأحذية الألمانية الجديدة المشتراة من " فيسار " وكان المبلغ (الرسمى)
 الذى صرف لهذا البحار هو ٢٠ مارك فقط ؛ يعنى يادرب يشتري فردة جزمة ومش جديدة أوى
 كيان ؛ أو يشتري ؛ بالكثير ؛ جزمة كاوتش فردتين !! .. لكنه استطاع أن يشتري كل ذلك عن
 طريق استئثار رصيده الشخصى من العملات الاجنبية فى عمليات الـ (بنس) التى تكلمت عنها
 فى فصل سابق ..

ووجدوا في قمرة ضابط الالاسلكى "محمد افندى عبد الباسط" مبلغ ٢٠٠٠ زروتا هولندى - نحو ٢٠ جنيه مصرى - كان (مدكنها) ليفزو بها نادى (الإ تتركلوب) في روتردام وقلوب حسناوات نادى روتردام ؛ لكن رجال الجهارك صَادروها فأجلوا الغزو الماركون الى رحلة قادمة باذن الله والجنابات أكثر من الرايحات و(دار الـ "إنتركلوب" في روتردام على حالها والحسناوات باقيات والغازى نعيم) على وزن بيت الشعر الشهير (دار ابن لقمان على حالها والقيد باقى والطواشى صبيح)

وبمجرد نزول رجال

الجهارك الألمانية من السفينة رفع السلم النازل منها الى ارض الميناء ؛ يعنى انه لم يعد مسموحا لآى شخص بالصعود الى السفينة أو النزول منها بعد ذلك . . . وفى الساعة الثالثة إلا ربعا عصرا اطلقت صفاراتها تحيى وتودع المدينة الصغيرة الطريقة التى بقينا على أرضها ٣٨ يوما كاملة ؛ لنبدأ مشوار العودة ارض الوطن الذى سوف يستغرق نحو ١٥ يوما آخرين اذا لم تلعب خزانات مياه الشرب في سفينتنا لعبتها الطريقة مرة أخرى في مشوار العودة ايضا ؛ فنضطر الى أن ندخل ميناء جديدا كل عدة ايام لتزود بمياه شرب جديدة بدلا من تلك التى تتسلى هاربة من خزاناتنا الى عرض البحر من وراء ظهر مهندسينا العظام

وحين بدأت السفينة

تتحرك وقد أخذت وجهتها الى الاسكندرية في رحلة العودة ؛ بدأ عدد كبير من أهل السفينة يجهزون حقائبهم لمغادرتها نهائيا بمجرد وصولها الى الاسكندرية ؛ بعد ان (تطوعوا) لعدم الخروج عليها مرة ثانية مع قبطانها الحال ؛ طبعاً لأنهم ميسوطين منه جدا وأحبوه في هذه الرحلة جدا . . مجموعة الضباط جميعهم بلا استثناء ؛ كبير الضباط "عل ابو طالب" ؛ الضباط الثانى "الحسينى شعبان" الضباط الثالث "منير الشحات" وحتى الطالب البحرى "عابد شكرى" قرر أنه لن يستمر في العمل مع هذا القبطان حتى لو أدى الأمر الى أن يترك البحر خالص . . السفرجية جميعهم بلا استثناء - خصوصا بعد أزمتته الشهيرة معهم - قرروا ترك السفينة ؛ عم سيد ناصف " كبير الطباخين ؛ برهام رئيس السفرجية ؛ ابو الغيط المبوطح في نافوخته ، عطيطو الذى يتشاهم منه القبطان لانه ولد في نفس اليوم الذى مات فيه شقيق للقبطان ؛ هذه - للحقيقة وللإتصاف - ليست غلطة "عطيطو" نفسه بمقدار ما هى غلطة ام عطيطو التى كان يجب ان تراعى هذه المسألة وتؤجل ولادته شهرا واحدا او حتى شهرين ؛ هى الدنيا كانت حاتطير يعنى ؟! . . وحتى صفى القبطان وحببية سفرجى باشا ؛ قال انه مش طالع البحر خالص بعد هذه الرحلة ؛ وتوبه والنبي توبة !!

وكان "عم سيد ناصف" الطباخ قد قال للضابط الإداري "سعد سلامة" انه سيرفض الخروج الى البحر بعد ذلك على سفينة واحدة معه - أى مع الضابط الادارى - أو مع القبطان ؛ وانه سوف يترك سفينتنا بمجرد وصولها الى الإسكندرية . فاستدعاه القبطان وسأله ان كان قد قال ذلك حقيقة ؟ وكان الرجل الطباخ شجاعا حين اجاب بنعم وكرر كلامه مرة اخرى امام القبطان نفسه !! . فالشجاعة لا علاقة ابدأ بالمناصب ؛ ورب طباخ فقير غلبان لكنه غنى بشجاعته ؛ ورب شخص آخر مركزه كبير لكنه شديد الفقر في الشجاعة . . عنده انيميا في شجاعته . .

سست ساعات فقط

هى التى تستغرقها السفينة في رحلتها من ألمانيا الشرقية في بحر البلطيق قبل أن نصل الى بداية قناة "كيل" التى سنعبورها الى بحر الشمال ؛ قبل أن نأخذ مسارنا لطريق عودتنا . . عشنا أياما من رمضان في ألمانيا الشرقية ؛ وسوف نفطر اليوم في عرض البحر ؛ بحر البلطيق الذى نبحر فيه الآن ؛ وفي طريق عودتنا سوف نفطر كل يوم امام دولة مختلفة وحسب التوقيت المحل لها : سنفطر يوما في ألمانيا الغربية ويوما في هولندا ويوما في إنجلترا وفي فرنسا ؛ يوما في اسبانيا ويوما في البرتغال ويوما في مراكش ويوما في الجزائر ويوما في تونس ويوما في ليبيا ويوما امام مرسى مطروح في الارض المصرية . . ثم في الاسكندرية . . بلدنا . .

« محمد أفندى نعيم » ضابط اللاسلكي زعلان لأن نكد عليه وأنيه وويخه حين عثر ضابط الجهارك الألمان على ٢٠٠٠ زروتا في قمرته . . ومن لحظتها و« نعيم » قلبها دراما وسابق العوج ومبطل الإذاعة الداخلية في السفينة حتى لا يستمع أفراد الطقم إلى قرآن المغرب ومذيع الإفطار من إذاعة القاهرة . . ومع ذلك ينزل بكل تباته ليفطر مع الصائمين كأنه كان صائما !! . . الأولاد الأشقياء ضباط السفينة الشبان غيروا إسمه وأطلقوا عليه : « محمد أفندى جحيم » !!

المرشد الهولندي مستمر

« بيير سكيبر *Pierre Schipper* » هو الذى يقود سفينتنا الآن منذ خرونها من ميناء « فيسار » وسيظل يقودها نحو خمسة أو ستة أيام في بحر البلطيق حتى تعبر قناة « كيل » : ثم في بحر الشمال مروراً بألمانيا الغربية وهولندا وبلجيكا وفرنسا وإنجلترا ، حتى نعبّر القنال الإنجليزي : ولا يتركنا إلا عند نهاية سواحل إنجلترا ومدخل خليج الـ (باسكاي) . .

فوجئت الليلة في موعد الإفطار الرمضاني بمستر « سكيبر » يدخل الى صالون الضباط ليجلس معي أنا و« سلمى » على مائدتنا لكى (يفطر) معنا !! مستر « سكيبر » ليس صائما مثلنا ؛ لكن موعد أفطارنا نحن في رمضان هو نفس موعد عشاء مستر « سكيبر » !! . .

مستر « بير سكيبر » هولندي عمره سبعين سنة الآن . . هولندي الأب فرنسي الأم يعيش في « دنكرك » بفرنسا منذ سنوات بعيدة . . لديه ٤ أولاد وبنت واحدة . . إبنة الأكبر يعيش في أسبانيا ويعمل سمسار للعقارات . . إبنة الثاني يعيش في روتردام ويعمل مديرا لفرع شركة إنجليزية كبيرة لصناعة العدد والآلات . . إبنة الثالث موضوع فخره واعتزازه لأنه حصل على الدكتوراه في الاقتصاد وعمره ٢٧ سنة فقط ويعمل الآن في وظيفة كبيرة جداً في شركة (I . B . M) للعقود الإلكترونية . . إبنة الرابع هو أصغر أبنائه وعمره ١٨ سنة فقط : أتم دراسته الثانوية في (دوفر) على ساحل إنجلترا التي تواجه مدينة « دنكرك » على الساحل الفرنسي حيث تعيش الأسرة الآن : لكنه سوف يلتحق بالجامعة في دنكرك أو في باريس هذا العام . . أما الابنة الوحيدة لمستر « سكيبر » فعمرها ٣٣ سنة : وهي قد تأخرت كثيرا في دارستها الجامعية لأنها كانت سكرتيرة لإتحاد الطالبات الجامعيات في فرنسا ولها نشاط جامعي كبير : حتى تزوجت متأخرة جدا منذ سنوات قليلة : فتركت لإتحاد الطالبات وتركت الجامعة بحالها دون أن تحصل على شهادتها ، وتفرغت لبيتها وأولادها ومناكفة زوجها الموظف الكبير في ترسانة روتردام البحرية في هولندا . .



« سكيبر » أن زوجته الحالية هي الزوجة رقم ٢ في حياته وأم ابنه الأخير ، وأن فارق السن بينها ١٤ عاما - طبعاً بين مستر « سكيبر » وزوجته وليس بينه وبين إبنة - لأنه كان في الثامنة والأربعين وكانت هي في الرابعة والثلاثين حين تزوجا منذ ٢٢ سنة . . وقد تأخرت هي كثيرا في الزواج لأنها كانت لا تحب الرجال وتحشاهم ، لكنه استطاع أن يجعلها لا تحشى الرجال ، ويمضي زمن طويل الآن على زواجها أصبح الرجال الآن هم الذين يخشونها بعد أن أصبحت في السادسة والخمسين الآن . .

ويحكى لي مستر « سكيبر » أيضا أنه كان قبطانا للمدمرة حربية هولندية أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) وحارب ضد الألمان لمدة ٦ سنوات بعيدا عن وطنه هولندا الذي كان الألمان يحتلون طيلة سنوات الحرب : فلما تحررت هولندا وعاد إليها وجد روتردام قد تهدمت تماما وتحولت إلى إنقاض وخرائب ، ووجد بيته حاليا تماما وأولاده - الأطفال وقتها - قد ضاعوا منه في زحام الحرب بعد أن جاعوا ولم يجدوا ما يأكلونه فهجوا من البيت ومن المنطقة كلها ، حتى التأم شمل الجميع مرة أخرى بعد إنتهاء الحرب . .

وبعد الحرب كانت السفن الهولندية ، ومثلها في ذلك سفن أي دولة أخرى إشتكت في الحرب ، أما أنها غرقت أو أصيب القليل جدا الذي بقي منها بأضرار بالغة أعطيها أو عطلتها . . فكانت النتيجة عدة آلاف من رجال البحر الهولنديين وعدد قليل جدا جدا من السفن . . فاضطر مستر « سكيبر » ، قبطان المدمرة الحربية أثناء الحرب ، إلى أن يقبل وظيفة « ووتش أو فيسار » وهي وظيفة صغيرة جدا جدا على السفن تقل كثيرا عن وظيفة (ضابط رابع) وتكاد تقارب عمل الطالب البحري !! وهذه هي الحرب ونتائج الحرب . .

ولم يطق الكابتن « سكبير » شكل الحياة هكذا ، فذهب إلى أمريكا ليعمل هناك . . ورغم أنهم رحبوا به جد هناك وأعطوه عملا لائقا ومرتبيا كبيرا إلا أنه أيضا لم يطق شكل الحياة الأمريكية والتحرر الزائد الذي يعيش فيه الشعب الأمريكي . . في تقديره وجددهم ناس غير مثقفين على الإطلاق ، والكوييسين فيهم ثقافتهم محدودة جدا ، ووجد الشعب الأمريك عموما غير متعلم لكن معهم فلوس ومليونيرات . . لم يطق مستر « سكبير » جهل الأمريكان وعدم احترامهم للتقاليد الأوروبية : فترك أمريكا بعد ٩ شهور فقط وعاد إلى فرنسا ليستقر في دنكرك منذ ذلك الوقت وليبدأ السلم من أوله من جديد : حتى يصبح بعد فترة مرشدا بحريا في ٣ بحار متصلة : بحر البلطيق وبحر الشمال والقتال الإنجليزي . . ولو رأيت مستر « سكبير » الآن وهو يتكلم ويعبر وينفعل بكل ملامح وجهه الملء بالحياة والنشاط : لما قدرت له عمرا أكثر من ٤٥ سنة على الأكثر : ولما صدقت أبدا أن هذا الرجل عمره ٧٠ سنة الآن ومازال يعمل ، وعمله يدر عليه ٢٠٠٠ جنيه إسترليني شهريا في المتوسط . . وهو في السنوات العشرين الأخيرة يكاد يكون متخصصا في إرشاد السفن المصرية : لذا فهو يعرف كل القباطنة والضباط البحريين المصريين : ويناقش معك أمور الشركة المصرية للملاحة صباحة ٤٥ سفينة تسير أغلبها في هذا الخط الملاحي بالذات : خط شمال أوروبا ، كما لو كان موظفا في هذه الشركة طول عمره !! . .

السؤال مستر سكبير

: ليس العمل الذي يقوم به مرهقا بالنسبة لسنه الآن . . فيقول سوق أنه يظل يقوم بإرشاد السفن إلى آخر يوم في حياته : لأنه - أولا يحبه ، وثانيا لأنه يحب البحر نفسه ولا يطيق البعد عنه ، رغم أن هذا العمل يأخذ منه كل وقته تماما ، وأحيانا يعود إلى بيته في دنكرك لمجرد أن يأخذ حماما ويغير ملابسه فقط ثم يعود إلى البحر من جديد . . وأنه يقوم بهذه الرحلة الطويلة بين ٣ إلى ٨ مرات في الشهر الواحد ، ويتقاضى في المرة الواحدة ٥٠٠ جنيه استرليني ، يعنى أن دخله يتراوح بين ١٥٠٠ جنيه إلى ٤٠٠٠ جنيه إسترليني في الشهر الواحد . . لكن الشيء الوحيد الذي يضايقه في كل ذلك هو اضطراره إلى السفر من دنكرك إلى « فيسار » في كل مرة يرشد فيها سفينة من « فيسار » ، لأن ذلك يستغرق منه يوما كاملا بضيق في التنقل من قطار إلى قطار حتى يصل من دنكرك إلى « فيسار »

مستر سكبير يعكس

لى كل الوقت ويجيب على أسئلتى كل الوقت ، بعد أن انتقلنا معا من مائدة الإفطار إلى غرفة القيادة في السفينة . . لكنه فجأة يسألنى سؤالا غريبا : « ماذا عن حرية الصحافة في مصر ؟ ! » وأحكى له النكتة المصرية الشهيرة عن الموظف الذى يقول لأصدقائه أنه سعيد جدا بالحرية الممنوحة والمتاحة له في وظيفته الجديدة : يذهب إلى مكتبه على حريته وفى أى وقت يعجبه قبل الساعة الثامنة صباحا : ويغادر مكتبه على حريته وفى أى وقت

يعجبه بعد الساعة الثانية ظهراً !! .. ويضحك مستر « سكبير » حتى يكاد يقع على ظهره من الضحك .. ويقول لى أنه لم ير حرية الصحافة أو صحافة حرة قدر صحافة إنجلترا وهولندا .. صحافة إنجلترا - مثلاً - التى كانت سعيدة جداً سنة ١٩٧٣ عندما تزوجت الأميرة الإنجليزية « آن » بنت ملكة إنجلترا من خطيبها الشاب الوسيم الضابط « مارك فليس » ، هى نفسها التى تهاجم الآن بشدة نصرة « مارك » : لدرجة إنها تنكت على إسمه « مارك » .. آل يعنى « مارك » ألماني واحد » أو قطعة عملة صغيرة !! ..

فى نفس المساء

فى الساعة الحادية عشر ليلاً ، وصلت السفينة إلى « هولتناو » عند مدخل قناة « كيل » فى ألمانيا الغربية ، حيث كان مقرضاً أن تتوقف عندها لمدة يومين لتزود بالوقود ويبيع بعض معدات تربيط الشحنة على السفينة .. وبين « هولتناو » ومدينة « كيل » ربع ساعة فقط بالترام .. مدينة « كيل » *KIEL* مدينة كبيرة وطريقة مثل « هامبورج » و « بريمن » و « مانهايم » .. لكن آخر الأخبار أو آخر التعليمات جاءت غيبية لآمال أهل السفينة تماماً .. « سدرت الأوامر من مكتب الشركة فى هامبورج - « أنيس أنسى » - بأن نغير قناة « كيل » الآن فوراً دون أن نتوقف إلا نحو نصف ساعة فقط : فنظل نعب طول الليل حتى نصل إلى نهايتها فى الثامنة صباحاً حيث مدينة « برانسباتل » : وهى مدينة ألمانية صغيرة ..

واكتداه آخر فرصة

للهمس صاعت الليلة كذلك .. كان أكابر السفينة ينوون شراء كميات من (البوية) لدهان السفين أثناء رحلة العودة ، وطبعاً كانت العمولة فيها ستكون كبيرة .. لكنهم فوجئوا عند وصول السفينة إلى « هولتناو » بأن الشركة فى الإسكندرية قد تركت لهم كميات من (البوية) وزنها طن كامل ، تكفى السفينة ٥ أو ٦ رحلات أخرى قادمة ، ودفعت الشركة ثمنها فعلاً وهجر لجنة المشتريات العمولة لأنفسهم !! .. قطعاً لا القبطان ولا كبير الضباط استطاعا النوم الليلة من التكد ، فقد ضاع منها ٥٠٠ مارك ألماني غريب على الأقل ، بعد أن عرفت لجان المشتريات فى الشركة اللعبة ، وأصبح التنافس الآن على من يخطف العظمة قبل الآخر !!!!!!!

مع ذلك، فبرضه

(جراب الحاوى مايخلاش) .. وبرغم أن أحداً على السفينة لم يشتر من الكوكاكولا الأسباني إياها أم ١٣ قرشاً للزجاجة الواحدة ، إلا أنه من المأل السابب إشتروا مرة أخرى صنف كولا آخر من « فيسبار » إسمه « كلوب كولا » ، وهو صنف ألماني

شرقى ردىء للغاية ذقت شفطة واحدة منه ذات مرة حين كنا في مدينة « روستوك » منذ شهر تقريبا ، ولازالت معدنى مقلوبة منه حت الآن .. وبرغم تكدس الصنفان - الأسبانى - والألمانى الشرقى - فى مخازن السفينة ، إلا أنه برضه من مال الحكومة السابى ومال الشركة القطاع العام السابى ، ولوجه الـ ١٠٪ العمولة حتى لو اتخربت الدنيا ، إشتريت السفينة مرة ثالثة كمية صناديق بيبسى كولا من « برانستابل » فى ألمانيا الغربية فى زجاجات صغيرة جدا أصغر من المعتاد عندنا ، سعر الزجاجة الواحدة ٨,٥ قرش مصرية على السفينة !! .. ويرضه طبعاً رفض طاقم السفينة أن يشربوها. أو يشربوها ، فدخلت مخزن إلى جوار شقيقتيها الأسبانية والألمانية الشرقية !!

شئ مخزن فعلا .. وبأيها السادة الكبار فى الشركة المصرية للملاحة البحرية بشارع النصر فى الإسكندرية ، هل عرفتم الآن من أين تأتى مئات صناديق علب الكوكاكولا والبيبسى كولا والـ « سقن آب » والبيرة المستوردة التى تملأ أرصفة شارع الشواربى فى القاهرة وشارعى صفية زغول وسعد زغول فى الاسكندرية ؟! .. يستوردها قباطنة الشركة المصرية للملاحة البحرية بشارع النصر بالإسكندرية ، من أموال الشركة بالعملة الصعبة لحساب تجار شواربى وسعد زغول وصفية زغول بالعملة السهلة

وقد إيه بلدنا مصر دى طيبة جدا : تمنح بالشمال مانعهم باليمين ..

وبالنسبة : تشيعة أو نكتة سمعتها من بحارة سفينتنا ولم أفهمها ، فإذا كان فيه حد طيب وابن حلال يفهمها لى أكون شاكر متناً .. النكتة تقول أن شارع سعد زغول فى الاسكندرية سيتغير اسمه بعد عودة سفينتنا ليصبح اسمه الجديد : شارع سعد زغول .. أبوزيد !! إنتهت النكتة !!

القبطان « سعد زغلول »

أبو زيد « قال مرة ونحن نتكلم عن التهريب ، حين سألته كيف يستطيع البحارة أن يخرجوا من ميناء الإسكندرية بكل هذه الأشياء التى اشتروها من موانى أوروبا وعادوا بها معهم على السفينة ؟! .. قال لى : « أنا لوحيت ، بكرة الصبح تلاقى مدخنة المركب دى عندى فى البيت فوق السطوح »! .. تأكيداً أنه يستطيع اخراج أى شئ مهمها بلغ حجمه من ميناء الاسكندرية !!

ونحن نمبر قناة

« كيل » ليلا سألت « سلمى القبطان » : « قدامنا قد أياه على مانوصل إسكندرية فأجاب القبطان متظافراً : بإذن الله بسرعة .. أوعدك بأننا سوف نهبط البحر نهياً » فاستعت عيننا « سلمى » من الدهشة وهى تقول : « حتى كمان ؟! » !!!!!!!!!!!!!!!

الفصل الثانى والعشرون

رسالة
من
« بريجيت » !

إذا كانت «برانسباتل» هذه قرية

صغيرة فعلا ، فعقبال يارب مانشوف هذا النظام وهذه النظافة وهذه الأناقة
والشياكة في عاصمتنا القاهرة . . .

هز المرشد الهولندي مستر «سكير» كتفيه ومط شفتيه حين عرف أننا ستوقف اليوم في
« برانسباتل » Brunsbuttel وقال عنها أنها : « مجرد قرية صغيرة » . . . الذى يثير تفكيرى جدا
وأنا فى أوروبا سؤال دائم لا يتغير : « مالذى يملكه هؤلاء الناس أكثر منا ، حتى يستطيعوا أن يجعلوا
مدنهم وقراهم بهذا النظام وهذه النظافة والأناقة ؟ . . وكيف يستطيعون أن يجعلوا حياتهم عموما
بهذا الانضباط ؟ . . ولكن حتى يفتح الله علىّ بإجابة لهذا السؤال ، أكرر مرة أخرى : إذا كانت
« برانسباتل » هذه قرية ، فعقبال يارب مانشوف القاهرة عاصمة بلادنا وأكبر مدينة فى القارة
الإفريقية كلها ، مثل هذه القرية !! . . .

ليست صيناء الضبط

. . لانستطيع أن نقول ذلك ، فليس فيها أرصفة مخصصة لرسو السفن ، بل
حتى أتصور أنهم لو أرادوا أن ينشئوا هذه الأرصفة فلن يجدوا لها مكانا . .
فكل هو موجود الآن فعلا مجرد (مكان) أو (مكانين) يشبهان محطات البنزين العادية لكنها على
شاطئ القناة مباشرة ، تتوقف عندهما سفينة واحدة أو سفينتان لساعات قليلة لمجرد أن فقط تزود
بالوقود ، ثم - بسرعة - تمضى فى سبيلها . . .

يبين محطة البنزين

البحرية هذه وبين منطقة وسط المدينة شارع طويل قطعناه ، سيرا على
الأقدام ، فى ربع ساعة . ليست قرية على الإطلاق قطعا ، إنما هى - على
الأقل - مدينة صغيرة لاتقل عن « فيسار » لا فى الإتساع ولا فى الشوارع ولا فى الحدائق ولا فى حاجة
أبدا ، إن لم تكن تزيد عنها فى أنها أكثر شياكة وأكثر « أوروبية » . . تشبه الى حد كبير جدا ضاحية

المعادى جدا في أنظف وأشيك حالاتها : شارع تجارى رئيسى واحد إسمه « كوخ ستراس » *Koog StraBe* توجد فيه أغلب المحلات التجارية ، أما باقى « برانسباتل » فعبارة عن شوارع صغيرة أو كبيرة مليئة بالفيلات الأنيقة جدا الشيك للغاية ، وكل فيلا أمامها حديقة الصغيرة المحتق بها جدا والمزروعة بأشجار التفاح .. وغالبا مايجد في الحديقة حسناء ألمانية زى القمر ممشوقة القد والقوام ترتدى البنطلون الـ « جينز » وبلوزة صغيرة قصيرة تكشف عن بطنها الألمانى ، والجوانتى المطاط في يديها ، تعمل بنفسها في الحديقة . تسقى الزرع وتشذب الورد وتقلب الطين ، وشكلها غاية في البهاء كأنها ممثلة سينا تمثل دورا في فيلم بالألوان

المحلات في شارع « كوخ ستراس » أشيك جدا وأفخر جدا وأظرف جدا من محلات « فيسار » و « جيفرين » و « روستوك » في ألمانيا الشرقية ، أيضا أغلى جدا : ولعة نار .. الأسعار هنا مش معقولة تجعلك تتردد كثيرا في شراء أى شىء أى شىء هنا أغلى كثيرا من أى مكان في أوروبا الشرقية كلها .. وألمانيا الغربية عموما من أغلى دول أوروبا .. الرخيص هنا فقط هى المأكولات والمشروبات بشكل عام ، ويبدو أن كلتا الألمانيتين : الشرقية والغربية ، مهتمتان بتوفير الغذاء لمواطنيهما بأرخص الأسعار الممكنة ..



« برانسباتل » الآن فيها أوكازيون ... وفى الأوكازيون تجد أشياء رخيصة جدا : بنطلون رجالي عادى جدا : بـ ٣٠ جنيه مصرى !! قميص أفرنجى بسيط جدا : بـ ١٨ جنيه مصرى !! أرخص حذاء في محلات المدينة كلها - هو اللى أنل لابسـه ده - بعشرة جنيهات مصرية كاملة !! أرخص شراب رجالي بجنيه ونصف ، وهل جـرا .. ولازم الواحد هنا في هذه الظروف يستعمل تعبير شيك وغالى زى « هلم جـرا » كده .. على الأقل لكى ينفس عما به .. والحمد لله لم نصل إلى « برانسباتل » في غير أيام الأوكازيون والأسعار عادية ، كان الواحد انتنق !! ..

« سلمى » اتبهلت على الأذواق والشياكة والجمال والذوق والرقه والظرف وحسن العرض في محلات « برانسباتل » وطلبت ان تشتري المدينة كلها وتأخذها معها على السفينة لكنها - كأت بنت كبيرة وعاقلة وشاطرة وبتسمع الكلام - هدأت فوراً حين قرأت الأسعار ، وقنعت بأن تشتري ، فقط نصف المدينة !! ..

ومناسبة الأوكازيون : بعض المحلات هنا تستخدم في الاعلان عن الأوكازيون بها : الطائرات !! .. طائرة تحلق في سماء المدينة وترسم بالدخان إسم محل شهير من محلات « برانسباتل » !! .. وبعد كده يقول المرشد مستر « سكبير » أنها : « مجرد قطع صغيرة » ..



من اللحظة الأولى

تلاحظ مدى الإختلاف ومدى الفارق بين الفتاة الألمانية الشرقية والفتاة الألمانية الغربية . . البنت الألمانية الشرقية يمتلكك ، يكفي أن تنظر إليها في الشارع وهي ماشية لكي تتجى على طول تكلمك وتلزمك فيك ولتأمن فيك : تخرج معك وتسهر معك وتأخذك معها آخر السهرة إلى بيتها إذا أمكن ، فإذا لم يكن ممكنا في بيتها ففي الحدائق متنسح للجميع . . وإلى أقصى حد : مستعد تحمّل منك وتنجب منك دسنة .

أطفال دون أن تطالبك لا بخطوبة ولا بزواج ولا حتى بالاعتراف بـ "أطفالك" . . أما البنت الألمانية الغربية فهي ليست (رمية) : تراك تنظر إليها في الشارع فتتظر هي إليك لمجرد الفضول ومن باب العلم بالشيء ولأنك تبدو غريبا . . فإذا عاكستها أو غازلتها لن تعبرك . . أما إذا تجاسرت وكلمتها فانها غالبا لن ترد عليك . . ويبدو أن الحالة الاقتصادية والوضع السياسي يلعبان دورا كبيرا في تكوين شخصية كل من البنت الألمانية الشرقية والألمانية الغربية . . لذا فقد كان اتعسنا جدا هنا في برانسياتل " هو " محمد افندي عبد الباسط ماركوني " لأن سوقه مكائش ماشى هنا !! .

محل كبير طويل

فاخر جدا يبيع الأحذية ؛ وقفنا نتفرج على الأحذية المعروضة في فاترينة المحل من الخارج ؛ ومن خلال الفاترينة الزجاجية نرى أيضا المحل كله من الداخل ونرى الشقراوتين الحسناتين باهرق الجمال تبيعان الجزم في الداخل . . ليس في المحل غيرهما فقط بائعين . . ونرى الزبون او الزبونة يدخلان المحل ؛ فتنحنى الحسنة البائعة وتركع على ركبتها امامه لتخلع له حذاءه وتضع له بيدها الشقراء البضة الرشيقة الجميلة الحذاء الجديد في قدميه لتقيسه له ؛ والزبون قطعاً غاية في السعادة وهذا البدر المنور يركع تحت قدميه . . تكفى ابتسامتها ووجها الصبوح !! . . طفت بعيني في الفاترينة بسرعة أبحت عن أرخص حذاء معروض فيها ، استقرت عيناى على سعره فقلبت : " أدفع عشرة جنيهات من عمري وتركع هذه الحسنة تحت قدمي لدقيقة واحدة وتلبسني الحذاء بيدها !! . . ودخلت المحل مسرعا قبل ان اعيد التفكير في مسألة العشر جنيهات وأرجع في كلامي . . ودخل ورائي سلمى " و" الحسني " . . إستقبلتنا ملكة جمال العالم - قطعنا هي كذلك - بابتسامه مشرقة مضئمة مرحبة . . أشرت لها على الحذاء في الفاترينة ثم أسرع بالجلوس على الكرسي في انتظارها . . ذهبت فأحضرت لي الحذاء المطلوب ؛ وفككت رباطه ؛ وركعت على ركبتها ووضعت الحذاء أمام قدمي ؛ ثم . . هبت واقفة مرة أخرى وقالت لي من بعيد : " دعنا نرى ما اذا كان هذا المقاس يناسبك !! "

إفريقي أنا . . مش قد المقام الأوروبي . . لو كان شعري اصفر وعيناى زرقاء لقاسته لي بيدها . . لكني في نظرها ملون لا استحق منها ذلك . . ودفعت العشرة جنيهات وخرجت زى الشاطر !! .

ظريفة جدا هذه

المسألة : المانيا الغربية - أيضا - تضع على عملتها المدينة فئة المارك الواحد صورة صقر قريش !! . شوف ازاى كنا ظالمين الناس الالمان الغربيين واتايهم من قريش زينا !! .

عائدون من المدينة

إلى السفينة عبر الشارع الطويل الموصل من المدينة إلى (محطة البنزين البحرية) التي ترسو إلى جوارها سفينتنا .. قبل بضع عشرات الأمتار من السفينة يتوقف إلى جوارنا تاكسى ويطل منه القبطان برأسه : " راجعين كمان ليه يافقرا ياغلاية ؟ مامعاكوش فلوس تركبوا تاكسى ؟! اطلعوا حاوصلكم " .. وفتح لنا الباب التاكسى وركبنا هذه البضعة عشرات من الأمتار .. حين توقف التاكسى أمام السفينة وضع القبطان يده في جيبه وأخرج يضع قطع عملات صغيرة عدها قال لنا : " اللى معاه ماركات فكة ييجيها " !! .. أخذ منى ٢ مارك ومن الحسينى ٢ مارك ومن سلمى ٤ مارك واكمل عليها ودفع للسائق : ١٠ ماركات !! .. كأننا لم نركب على حسابنا فقط ؛ بل ساهمنا ايضا في دفع الجزء الأكبر من حساب التاكسى الذى لف به القبطان المدينة كلها من الصبح .. ولو كنا نحن قد أخذنا تاكسى على حسابنا من وسط المدينة إلى السفينة لدفعنا له مارك ونصف على الاكثر !!

وطلعت المسألة ليست جدعنة ولاشهامة ولا توصيلة لوجة الله ولا حاجة ابدا .. طلعت حركة " قرنة " وبرجعة إسكندراى ليس إلا !!

كان من حظى

كصحنى ؛ أنا رزقى دائما في رجلى ؛ أنهم كانوا اليوم يعيدون رصف جزء من الشارع الرئيسى هنا في المدينة الالمانية الصغيرة .. فرأينا شكل الفارق المهول بيننا وبينهم في شيء بسيط جدا : مجرد رصف جزء من شارع .. لكنه يعتبر مقياسا لكل الأشياء الأخرى عندنا وعندهم : عندنا نرحم الشارع بمعدات مهولة كأننا رايجين نحارب وكأنا معدات العبور ؛ وغالبا ماتكون هذه المعدات سوداء مهيبة من القار والزفت وفي غاية القذارة ؛ والقزآن الكبير الملىء بالزفت المغلى وتحتة نار عظيمة ولا نار جهنم تملأ الشارع كله هبابا وزفتا ورائحة حريق ؛ والعمال أنفسهم كأنهم سعداء جدا بشكلهم المهييب وملابسهم المنزقة المهلهلة التي ليست ولم تكن ولا كانت لها لون محدد في يوم من الايام .. ويشيرون ضجعة هائلة ودوشة وزعيق ويعملون في تيم وضيق وقرق كأنهم محكوم عليهم بالأشغال الشقة ينفذون الحكم .. وحين ينتهون من لكلكة الشارع وتلصيقه أى كلام يذهبون ويتروكون كل شيء وراءهم كأنهم نسيوه أو قد

فاجأهم الطوفان فهربوا وتركوا وراءهم أشياءهم ؛ لكي يتعثر فيها سكان الشارع والمارة فيه ويتكبدون ويتوسخون وينهبون ؛ ويجعلون السكان يندمون ندما شديدا على أنهم فرحوا يوما ما حين رأوا شارعهم على وشك أن يرصف أو يعاد رصفه ...



لم أنتبه الى ان هناك عملا يجري في الشارع ؛ من فرط الهدوء والسكون ؛ إلا حين وجدت الشارع مقسوما بالطول الى نصفين بحبال تتدلى منها شرائط قصيرة ملونة صفراء وحمراء مدهونة بالفسفور ؛ فظننت أن أحدا يقيم حفلة عيد ميلاد في وسط الشارع !!! لكن اتضح ان هذه الشرايط الملونة الفوسفورية لكي تنير بالليل حين تنعكس عليها أضواء كشافات السيارات فينتبه السائقون إلى أن هناك منطقة عمل .. المعدات التي يعملون بها وعليها في غاية النظافة والأناقة كأنها لسه خارجة من المصنع الآن حالا ؛ وتعمل بدون أى صوت وبنظام ظريف جدا كأنهم يفرشون غرفة الصالون في بيت أوروبي مودون .. والعمال أنفسهم لو لم يكونوا بمسكون آلاتهم في أيديهم ويعملون بها لظننتهم مارة عاديين يتمشون في الشارع ؛ ملابسهم عادية جدا ونظيفة ووجوههم مشرقة مبتسمة لاعمه .. ولا بأس من كلمة غزل لهذه نظرة إعجاب لتلك ؛ على الماشي أيضا وهم يعملون وفي أيديهم الجوانتيات المطاط او جوانتيات الشغل .. فإذا انتهى العمل او في فترة الراحة من الساعة ١٢ ظهرا الى الساعة الثانية ، تجمعت كل هذه الادوات والالات والمعدات في ركن صغير جدا حوله ستائر من البلاستيك غير الشفاف ؛ حتى لاتزحم الشارع وحتى تخفيها عن عيون المارة ...



في الشارع أثناء العمل في إعادة رصفه يتغير- مؤقتا- بشكل ظريف جدا ودقيق جدا .. فلأن الشارع يعاد رصف نصفه بالطول ؛ يعني نصف بحر الشارع ملغى مؤقتا ؛ فإنه يصبح في هذه الحالة (اتجاه واحد) .. لكن هذا الـ (اتجاه واحد) يتغير مرة كل دقيقتين .. إزاي ؟ ... ساشرح لكم :

إشارة مرور مؤقتة (نقالي) أو متحركة : عامود إشارة مرور عادى جدا بالوانها الثلاثة الاحمر والاصفر والاخضر ؛ لكنه موضوع على عجلات ويعمل بالبطارية بحيث يتبادل النورين الاحمر والاخضر الإضاءة كل دقيقتين .. واحدة من إشارة المرور النقالي هذه توضع في بداية منطقة الرصف ؛ وواحدة أخرى عند نهايتها ... وتعملان بالتبادل بحيث يفتح الطريق امام السيارات القادمة من أحد الاتجاهين في الوقت الذي يكون فيه مغلقا أمام السيارات القادمة من الاتجاه الآخر ؛ ثم ينعكس كل دقيقتين ؛ في توقيت منتظم كأي إشارة مرور عادية ...



وبعد أن ينتهى الإصلاح وتنتهى مهمة إشارة المرور المؤقتة ؛ تأتى سيارة صغيرة لتحملها إلى المخزن أو إلى أى مكان آخر . . فإذا كان هذا المكان الآخر قريبا فانه من الممكن دفعها بسهولة جدا - لأنها بعجلات كما قدمت - الى هذا المكان الآخر القريب . .

وأيضا لاحظت هنا

شيئا ظريفا في مواعيد خروج المدارس . . وهنا لم ار على الإطلاق عساكر مرور عند الإشارات أو عند التقاطعات ؛ بل لعل أتذكر الآن أننى لم أر عساكر بوليس على الإطلاق في " برانسباتل " . . ويبدو أنهم ليس لديهم ؛ أيضا ؛ لصوص !! . . لاحظت عند كل إشارة من الإشارات المرور في المدينة الصغيرة أنه توجد في مواعيد خروج المدارس سيدتان مقطوعتان تلبسان فساتينها العادية + كاسكتة حراء مميزة ؛ ونحملان في أيديهما شيئا كمضرب البنج بونج : أحد وجهيه لونه أحر الآخر لونه أخضر . . وتتولى هاتان السيدتان تنظيم عبور الأطفال العائدين من مدارسهم لتقاطعات الشوارع . . والأطفال مسبقون ومقدمون على السيارات : السيارات تتوقف لكي يعبر الأطفال الذين تنفتح أمامهم كل الإشارات فورا . .

فى مكتتب البريد

عثرت « سلمى » على نشرة توزع مجانا ، شديدة الأناقة مطبوعة بالألوان الجميلة على ورق كوشيه لميع فاخر : وفيها صور لخمس تليفونات ملونة شيك . . ظلتها « سلمى » إعلانا عن محل بيع أجهزة التليفونات ، وهى تعرف أننى أريد أن أشتري جهاز تليفون . . لكنى حين فحصت الإعلان إكتشفت شيئا ظريفا جدا سوف يصيب الناس عندنا فى مصر بـ (صدمة تليفونية) كبيرة : هذا الإعلان ليس عن بيع أجهزة تليفونات كما خطر على ذهن « سلمى » : لكنه إعلان « من » شركة التليفونات فى المدينة عن : تركيب تليفونات لمن يرغب !!!!!

الإعلان يقول بك : (لا تعيش بدون تليفون . . كيف تتركب تليفونا فى البيت عندك خلال ساعة واحدة) !! . . وينشرون لك صورةا لخمس موديلات وألوان جذابة لكي تختار منها ما يوافق لون غرفة مكتبك أو غرفة نومك أو غرفة الصالون فى بيتك !! . . تركيب التليفونات عندهم يحتاج إلى ترغيب وإغراءات وإعلانات ، وعندنا يحتاج ، فقط ، إلى إنتظار عدة سنوات : ولكن - وذلك قدرنا - هذه مسألة أخرى

فى الشارع هنا

لا تجد أوراقا ولا زبالا ولا أى حاجة ملقاة على الأرض . . السلال التى تضعه فيها مهملاتك وترمى فيها ما تشاء منشرة بكثرة كل عدة أمتار : وليس لديك عذر أبدا لتلقى أى شئ على الأرض . . وبالمناسبة أيضا : لم أر هنا - مش عارف ليه - أحدا يدخن

في الشوارع ولا في الدكاكين والمحلات ولا في الـ (سوبر ماركت) .. ويبدو أن المحافظ هنا إيدو جامدة شوية عن المحافظ بتاعنا .. في دور السينما في القاهرة حين يظهر في فترة الإستراحة ذلك الإعلان الظريف الذي يقول لك (ممنوع التدخين بأمر المحافظ) فإننا لا نستطيع أن نراه لأن دخان السجائر يكون يملأ صالة السينما بحيث لا نرى الشاشة ولا الإعلان ، طبعاً، إلى عليها !! ..

المهم : ونحن سائرين في أحد شوارع « برانسباتل » الجائنية ، لفت نظرنا ورقة مطوية ومطبقة بعناية مرمية على الأرض ، شكلها يبدو وكأنها رسالة وقعت من شخص ما .. « سلمى » - الفضولية - التقطت الورقة المطبقة ووضعتها في جيبها بسرعة حتى لا يراها أحد ، حتى عدنا إلى السفينة وفتحناها ، لنجد بها لعبة ألمانية طريقة تكاد تكون تشبه ألعاب البخت والحظ عندنا : مع شيء من التطوير الذي يناسب العقلية الأوروبية والتفكير الأوروبي الحديث و « التطور » الأوروبي في كل شيء

الرسالة من فتاة ألمانية إلى : صاحب الحظ والنصيب الذي يعثر عليها في الطريق حيث رمتها صاحبها ، تقول فيها أنها وحيدة في الوقت الحالى ، وتطلب صديقاً تختاره بهذه الطريقة حتى يكون الحظ وحده هو الذى ساقه إليها .. وتكتب إسمها : « بريجيت Brigit » ورقم تليفونها في « برانسباتل » « 04852 / 8563 - ٨٥٦٣ - ٠٤٨٥٢ » !!!!!!!

تمت في لحظة لو أننى كنت وحيداً أنا أيضاً حتى أستطيع أن « أخفف » عن « بريجيت » المسكينة وحدتها .. ولما كان ذلك متعذراً وغير ممكن في الوقت الحالى بالنسبة لى شخصياً ، نظراً لضيق الوقت وضيق « الظروف » ، فقد نزلت من السفينة مرة أخرى وتركت رسالة « بريجيت » في الشارع حيث وجدتها ، حتى يعثر عليها صاحب الحظ والنصيب « المحلى » الذى يتولى عنى مهمة إزالة وحلة « بريجيت » الطريقة !!!!!!!

ظاهرة
واضحة
جداً

في أوروبا كلها لاحظتها من قبل في رحلات السابقة ، ولا حظتها بشدة هذه المرة : أغلب الأوروبيون لا يعرفون غير لغتهم المحلية فقط .. في إنجلترا لا يعرفون غير الإنجليزية ، وفي فرنسا لا يتكلمون غير الفرنسية ، وفي ألمانيا مشكلة أن تعثر على أحد يتكلم غير الألمانية .. والذى تجده - أو تجدها - تعرف اللغة الإنجليزية أو الفرنسية قليلاً تجدها تشعر بكثير من الزهو وهى تطرطش بها وأغلب كلامها خطأ .. أما الذى - أو التى - تحيد اللغة الإنجليزية فعلاً فهى تبقى عظيمة وتشعر بمنتهى الثقة والإعزاز وتتصرف بكبرياء وتواضع - في الوقت نفسه - الذين يملكون شيئاً عظيماً

لماذا
فانتا
حين

كنا نقف أمام مكتب البريد في « برنسباتل » ظهر اليوم : ووقفت إلى جوارنا حسناء ألمانية شابة وسيمة التقاطيع رقيقة القد ، فاختلطنا أنا و « سلمى » على تقدير عمرها : أنا قلت أنها في نحو الثانية والعشرين : أما « سلمى » فقالت أنها قد تعدت

الثلاثين .. وحسنت « سلمى » الموقف بأن قالت : « طيب ما نساها هي ؟ ! » .. سألت الألمانية الحسنة إن كانت تعرف اللغة الإنجليزية ؟ فأجابت على الفور والسعادة تشرق على وجهها : « نعم » فرويت لها أنني وزميلتي قد إختلفنا على تقدير عمرها ، فسألتي بإنجليزية سليمة جدا ورقيقة جدا كتغريد بلبل صغير تحت التمرين ، عن السن الذى قدرته أنا لها والسن الذى قدرته « سلمى » .. قلت - منافقا - أنني قدرت سنها بأكثر من ١٨ سنة ، وأن زميلتي قدرته بأكثر من ٢٣ سنة - (لم أذكر لها حكاية الـ ٣٢ سنة حتى لا أتسبب فى إساءة العلاقات بين مصر وألمانيا الغربية !!) .. فغردت البلبل الألمانى ضاحكة بأن صديقتي تكسب الرهان لأنها هي الأقرب إلى الصواب ، فإن « كاتى » الرقيقة عمرها ٢٥ سنة ..

ويتصل بیتنا الحديث

فتسألنا « كاتى » عن جنسيتها فنقول لها أننا مصريون ، فتسأل : وهل تقبيل هنا فى هذه المدينة ؟ .. فنقول لها أننا نمر بها مروراً عبراً لمدة يومين فقط لأن سفينتنا توقفت هنا لتزود بالوقود .. فنقول لنا أنها هي الأخرى ليست من « برانساتال » لكنها من مدينة أخرى صغيرة مثلها بالقرب من فرانكفورت ، وهى هنا فى زيارة سريعة كسائحة ضمن جولات تقوم بها كلما اتسع وقتها لتتعرف على وطنها ألمانيا .. ثم تسألنا من أى مدينة فى مصر نحن ؟ .. ونحن نقول لها أننا من القاهرة تسع عينها - العسلتان الجميلتان - إعجاباً وإنبهاراً وهى تقول أن القاهرة مدينة عظيمة سمعت عنها كثيراً وأن كانت الفرصة لم تنح لها بعد لراها ، وإن كان ذلك فى برنامجها يوماً ما بعد عدة سنوات .. سألته مندهشاً : « ولماذا بعد عدة سنوات ؟ .. لماذا ليس قريباً ؟ » فقالت ضاحكة : « لأننى حتى العام الماضى فقط كنت طالبة وكنت أتقاضى مصروفي من أبى ، فكنت أدخر منه على قدر استطاعتي لأستطيع أن أزور البلاد التى أحبها ، لكننى لم أستطيع أن أزور غير اليونان فقط .. أما الآن وقد تخرجت وأصبحت مدرسة ، فإننى أوفر من مرتبى الشخصى .. وأستطردت وهى لا تزال تضحك : « والذى أدخره من مرتبى أنا أقل كثيراً مما كنت أدخره من مصروفي من أبى .. لذا فإن الأمر قد يستغرق عدة سنوات قبل أن أستطيع زيارة القاهرة » ..

وكأعزب جدا وكرجل

يحب الجمال أينما كان حتى وهو مغلول الآن بزميلة ذات كوى حد ، وجهت إلى « كاتى » الجميلة الدعوة - باسم شباب مصر - لتزهد بلادنا فى أقدم وقت ، ولتعتبر نفسها ضيفتي على الرحب والسعة ، على اعتبار أننا شعب ودود يحب كل الشعوب الصديقة و (يفتح لها ذراعيه) !! ..
فيا شباب مصر ... إستعدوا ..

الفصل الثالث والعشرون

شركة
الملاكمون
العرب . !

يومان مرا على

رحيلنا من «برانسباتل» .. أخذنا الكلام عن المدينة الصغيرة الطريفة
فنسيت أن أذكر عدة أشياء حدثت ونحن هناك .. أشياء تستحق أن تروى
ولو لمجرد إضافة ألوان وأصواء جديدة على صورة عالم البحر والحياة في البحر من خلال رجال البحر
المصريين الـ .. قطاع عام ١١ ..

حين أستقرت سفيتنا على رصيف محطة البنزين البحرية في «برانسباتل» ذلك الصباح كنت
لحظتها أقف في قمرة كبير الضباط ، ومعنا الضابط الثاني «الحسيني» ومستر «سكير» المرشد
المولندي ، حين دخل وكيل الشركة في «برانسباتل» ، ورحب به كبير الضباط بشدة وتهليل ،
وجلس الرجل أمامه وفتح حقيبته السمبوتيت ليخرج منها ظروف وأوراق يعطيها لـ «على» ..
وهنا حدث شيء غريب ، أعقبه شيء أغرب

هب الضابط الثاني «الحسيني» من مكانه واقفا وجاء إلى ناحيتي ليأخذني من كتفي ليجعلني
أطل من شباك القمرة إلى خارج السفينة وهو يفتح موضوعا للحديث لا مناسبة له ولا معنى على
الإطلاق ، لمجرد أن يشغل انتباهي ويبعد نظري عما يدور بين الوكيل وكبير الضباط !! .. ولما
كانت حركة «الحسيني» مكشوفة جدا وشكلها واضح جدا وبلدى جدا ، فقد نهزته بضيق وقلت
له : « ده وقته يا حسينى ؟ بعدين نتكلم فى المسألة دى » .. وعلى الفور يأتى التصرف الأغرب من
كبير الضباط نفسه ؛ حين رفع رأسه نحونا - «الحسيني» وأنا - وقال : « عن إذنكم شوية
يا جماعة .. لا مؤاخذه !! .. وخرجنا .. وقام كبير الضباط وأغلق باب قمرة
وراءنا !!!!! ..

مرة ثانية وثالثة ورابعة وعاشرة : لا يخاف من رجال البوليس إلا اللصوص .. ماهى السرية
الممكن أن تكون في أوراق عادية متعلقة بالسفينة وعمل السفينة ومهمة السفينة ممكن أن يعطيها
الوكيل لكبير الضباط ١٩ .. لكننى على أى حال بعد الخبرة التى اكتسبتها فى أكثر من شهرين الآن
على هذه السفينة - أقدر «الظروف» وأعذر كبير الضباط .. و «الظروف» هنا بمعناها الذى يعرفه
كل الناس وتعرفه الشركة فى الإسكندرية : «الظروف المغلفة» التى تحتوى على «اللى فيه
القسمة» !! ..

وبطريقة (اللى على رأسه بطحة يحبس عليها) ، بمجرد أن دخلت باب قمرى رن جرس
التليفون : «الحسيني» يطلبنى ليحاول أن يزيل عن نفسى أثر ماحدث .. وبمجرد أن وضعت

الساعة يرن جرس التليفون مرة أخرى : كبير الضباط .و الآخر يسترضيني على اعتبار إن « البحر كده » وإن « دا حال البحر » !! .

على أى حال أيها السادة أنا لست رجل بحر ، وهذه المسائل لاهمنى إلا بقدر ما فيها من عمل صحفى ومن رأى منكم منكرا فليغيره بيده أو بلسانه أو بقلمه أو بقلبه وهو أضعف الايمان . . . وما أن مرحلة أقوى الايمان : اليد واللسان ، ليست من اختصاصى ، ومرحلة أضعف الإيمان لسه بدرى عليها جدا معايا ، طالما أننى مازلت صحفيا ، فها أنذا أحاول أن أغيره بقلمى ، واللهم أنى قد أبلغت فاشهد ، ويبدو أنك وحدك الذى تشهد ، والشركة - القطاع العام - لاتشهد ، والوزارة لا تشهد ، والدولة كيان لاتشهد !! .

طيلة الفترة التى

قضيتها فى « برانسباتل » و الخوجة أو الضابط الإدارى يلف طول النهار فى شوارع المدينة الألمانية الصغيرة بحثا فى « أجانسات » السيارات عن سيارة مرسيدس آخر موديل ليشتريا !!! وبصرف النظر عن كون عمنا « سعد سلامة » الذى تكاد وظيفته تمائل وظيفة أمين خازن ليس إلا ، بصرف النظر عن احتمال كونه مليونيرا متكررا فى ملابس أمين خزن وأنا لا أعرف والى مايعرفك مجهلك ، لكننى لم أكن أتصور أنه طلع هذه الرحلة وفى محفظته ثمانية آلاف أو عشرة آلاف جنيه استرلينى أو ٢٥ - ٣٠ ألف مارك ألماني ليشتريا بها المرسيدس التى يبحث عنها تيجى إزاي الحكاية دى !!!

ويينما السفينة فى

لحظاتها الأخيرة فى « برانسباتل » تستعد لمغادرة « رصيف البترول » ، كان السفريجة ينقلون عشرات الأصناف التى استوردتها السفينة من المدينة

الصغيرة . . كنت أقف فى جانب غرفة القيادة المطل على الرصيف أنا والقبطان و « منير الشحات » الضابط الثالث و « عادل أبو الخشب » ضابط اللاسلكى و لاعب الكرة السابق المشهور . . وأعجبني شكل صناديق علب الزبادى الألمانية التى يحملها السفريجة صاعدين بها إلى السفينة ، ولست أدري أى خاطر جعلنى أفكر فى عدها . . عُدتها فوجدتها ٧ صناديق وكل صندوق فيه ١٨ علية زبادى . . فقلت للقبطان مندهشا : « وهنم الـ ١٢٦ علية دول حايفكفوا الطقم كله لغاية مانوصل مصر ، دول يادوب ٣ أيام بس » !! فرد القبطان على الفور : « دول ٣٠٠ علية مش ١٢٦ ، وحايفكفوا الطقم أسبوع مش ٣ أيام » أكذب أى شئ فى الدنيا الا نظرى ، طول عمره ٦ على ٦ : « لا يا قبطان ١٢٦ بس . . . لا ٣٠٠ » . . . « تراهن ١؟ » . . . وراهننت على أن الزبادى لن يكفى الطاقم غير ٣ أيام بس على اعتبار أن على السفينة الآن ٤٦ فردا فقط وقد كان ، ولم يقدم الزبادى للطاقم إلا ٣ أيام فقط ، وكسبت الرهان

هل فهِمتم الآن معنى الـ « DRY BILL » أو « الفاتورة على الورق فقط » .. هي هذه الحالة بالضبط : الفاتورة التي يقع عليها المستولون على السفينة بأنهم قد تسلموا ٣٠٠ علبة زبادى ، في حين أنهم لم يتسلموا غير ١٢٦ فقط ، أما الـ ١٧٤ علبة الباقية فيؤخذ « حقها ناشف » .. ويا بخت من نفع واستنفع .. ونحسبها مع بعض : ١٧٤ علبة زبادى \times ٦٨ = ١١٨,٣٢ من المارك الألماني ثمن العلبة الواحدة .. وذلك أصلا بنجر مبالغ فيه جدالعلبة زبادى فى أوروبا ، وهو بالشكل دم يشاوى أكثر من ٢٠ قرشا للعلبة الواحدة .. على أى حال ، دعنا من ذلك الآن ولنكمل الحصة (: ١٧٤ علبة \times ٦٨ = ١١٨,٣٢ من المارك = ١١٨,٣٢ مارك ألماني \times ٣٠ قرش مصرى سعر المارك الألماني الغربى فى السوق السوداء = نحو ٣٥,٥ جنيه مصرى .. مجرد الفرق فى ثمن شوية علب زبادى هو ٣٥,٥ جنيهها ... وماخفى كان أعظم ، وأظرف وأكثر!!!!!!

عرفتم ليه كبير الضباط وزعمى من مكتبه ولم يكن يريدنى أن أكون موجودا أثناء وجود وكيل الشركة فى « برانسباتل » ١١٩ ...

فنى السادسة مساء

لإنتهينا من المروز أمام سواحل إنجلترا وفرنسا .. مستر « سكبير » المرشد الهولندى انتهت مهمته وجاء لنش من مدينة « بريكسهام » على الساحل الإنجليزي ليأخذه من سفينتنا فى عرض البحر ...

وفى منتصف الليل كنا ندخل مرة أخرى خليج الـ « باسكاي » الرهيب الذى يرعب كل سفن العالم .. الداخلى فيه مفقود والخارج منه مولود .. ولدت منه ١٥ مرة من قبل وهذه هي المرة الـ ١٢ التى أعبره فيها ، فيارب سهل ونخرج منه على خير هذه المرة أيضا ، ف ٣٠ ساعة فى الـ « باسكاي » ليست شيئا هينا

وظلت السفينة طول الليل « تدرفل » وتتايل على جانبيها بشكل صعب جدا ، وكل شيء مغلق فى القمرة تحول إلى بندول ساعة حائط يتأرجح مع ميل السفينة بزاوية ٦٠ درجة يمينا ، ثم يعود فيتايل معها ٦٠ درجة أخرى شمالا ... وتدرىكم القمرة كلها بكل مافيها من زجاجات وأشياء موضوعة على الحوض ورف الحوض أورف الحائط ، واندلقت كل هذه الأشياء وكادت أن تنكسر لولا ستر رينا .. وظللنا هكذا طول الليل .. ليلة عصيبة لم أذق فيها للنوم طعما ويا سادل أستر استر يارب واجعلنا تعبر الـ « باسكاي » على خير ، فلا زال أمامنا فيه يوم كامل ، ٢٤ ساعة أخرى .. خصوصا وأن قوارب النجاة المغلقة قد اخذتم تماما ولم تعد موجودة فى مكانها على السفينة ، الظاهر بأعوجها ، كما أن تجربة الغرق برضه لم تتم حتى الآن .. ورينا يستر!!

أما « سلمى » فلم تشعر بشيء من ذلك كله ، لأنها أخذت المسألة من قصيرها وتناولت الألقاص النومة ، وظلت طيلة الـ ٤٢ ساعة تستيقظ من النوم لتسأل : « البسكاي خلص والا لسه ؟ » ثم تتناول قرص البنوم وتعود إلى النوم مرة أخرى أرونة جدا الست دى : لم تصدق أن الـ « بسكاي » قد انتهت الا حين رأت بعينها شواطئ أسبانيا على سيارنا فأطمأنت الى أننا قد عبرنا الـ « بسكاي » بالسلامة والحمد لله ...

والحمد لله أنهـا

لم تكن مستيقظة وعرفت بما حدث ، فلا أحد يدري كيف كان ممكناً أن يكون رد الفعل عندهما لو عرفت بأننا : تنبأ في وسط الـ

« باسكاي » !!!!!!!

ذلك حدث فعلاً ، وهذا هو السبب في أنني قلت في بداية الفقرة الماضية أننا سنعبّر الـ « باسكاي » في ٣٠ ساعة ، ثم قلت في نهايتها أننا عبرناه فعلاً في ٤٢ ساعة

فقد كان المفروض أن تنتهي من عبور الـ « باسكاي » قبل الرابعة صباحاً . بعد يوم وربع من تركنا سواحل إنجلترا وراءنا ، وحينذاك تبدلنا أعضاء الشاطئ الأسباني . . لكن الذي حدث أن الساعة الرابعة صباحاً جاءت دون أن يظهر الشاطئ الأسباني ، والسادسة صباحاً جاءت دون أن يظهر الشاطئ الأسباني ، ثم الثامنة صباحاً والعاشر صباحاً . . وما لم يكن الشاطئ الأسباني قد انتقل من مكانه وطلع أجازه مثلاً ، فإننا نكون نحن إلى مش ماشيين في طريقنا صبح وأن اتجاه السفينة قد تغير دون أن نشعر . . وتغير إلى أين ؟! الله أعلم . . قد نكون نتوغل بشدة في قلب خليج الـ (باسكاي) نفسه ويبقى إلى راح راح قلبي شكوتك لله . . أو نكون نتوغل في الاتجاه الآخر ناحية المحيط الأطلنطي في اتجاه أمريكا !! ..

ويتضح أن السفينة قد سوتحت مينا لمسافة ٢٠ ميلاً في وسط الأطلنطي في اتجاه أمريكا فعلاً قبل أن يكتشفوا ذلك . . ولو كانت المسألة قد طالت شوية زيادة لكان من المحتمل أن نكون الآن قربنا نوبل أمريكا ، ولكن من المحتمل أيضاً أن نكتشف في سكتنا قارة جديدة نسميها « أدريكا » على إسمي ، ويأكلنا الهنود الحمر بمجرد أن تطول أيديهم سفيتتنا . .

ورغم أن « الحسيني » الضابط

الثاني ، الذي حدث ذلك في واديته ، قد أبلغ القبطان بما حدث بمجرد أن اكتشف أننا تايهين في وسط البحر ، إلا أن القبطان لم يصعد إلى غرفة القيادة إلا بعد إبلاغه بثلاث ساعات ونصف !! . . راجل وإثنى من نفسه جداً ومن أنه قادر على أن يقود السفينة أو يصحح مسارها وهو في غرفة نومه . . فهو لا يصعد إلى غرفة القيادة إلا إذا كنا داخلين ميناء أو خارجين من ميناء . . ولإلنصاف ، فهو قد صعد فعلاً مرة واحدة أخرى : يوم أراد تصوير الكلب (حسان) وهو يلعب معه بقطعة الثلج ، الشهادة لله !! . .

وبالمناسبة ، مادام جت السيرة ، فكل القباطنة المصريين حير جداً ما عدا قبطاننا العظيم : هو وحده اللي يفهم في البحر ، وإي قبطان تيجي سيرته في كلامنا يقول عنه على الفور : « أنا عارفه كويس . . دا حمار ولا يفهم حاجة أبداً » !! . .

السراج الأهليلج مستري

مسدس صوت لعبة قد عقله الصباح ، ودابر يطرع بيه طول الليل على
السفينة فيوقظ النائمين ويزعجهم .. آل يعنى فارس بنى جحش أو فارس

بنى هيفان ..

قفست الس ذهنسى

اليوم فكرة وأنا فى غرفة القيادة صباحا بعد تصحيح مسار السفينة لتعود إلى
خط سيرها الأصيل ، واطمان الجميع ، ورأيت القبطان يلاعب « الحسى »
ملاكمة فى غرفة القيادة ، و « الحسى » - ضابط الواردية المسئول - يجرى منه فى كل اتجاه ..
وتذكرت مباريات المصارعة الحرة التى نراها فى التلفزيون فى مصر .. ففكرت فى أنها قطعاً سوف
تكون فكرة ظريفة جداً لو أننا عملنا شركة استثمار أجنبى نسميها (شركة الملاكمون العرب) ،
ونولى رئاستها لقبطاننا الملاك ، وتقام ملاكياتها دائماً - كنوع من الابتكار وكطابع مميز للشركة
الجديدة - فى غرف القيادة فى السفن وبين ضباطها البحريين فقط ..

ما رأيكم فى فكرى ١٩ ..

وانا أنظر فمن

نافذة قمرى الى البحر هبط على فجأة شيطان الشعر ومعه الوحى ، فشرعت
أنظم قصيدة رائعة مطلعها :

ويا أيها البحر الغويط كأنما

ثم توقفت .. شيطان هايف صحيح ، فقد انصرف شيطان الشعر فجأة كما جاء فجأة قبل أن
أكمل نظم حتى البيت الأول من القصيدة .. ويبدو أنه شيطان شعر إشتراكي ملتزم - ملتزم -
فقط - بمواعيد الإنصراف !!

هل تذكرون الفزورة

التي كانت نقال لنا زمان واحنا صغيرين : « أيها أثقل : قنطار قطن أم قنطار
حديد ؟ » ، وكنا - لسذاجتنا ولأننا لسه عيال - نقول على الفور : « قنطار
الحديد طبعاً » .. لكن حل الفزورة يكون هو أن قنطار القطن وقنطار الحديد يتساويان فى الوزن
لأن كليهما : قنطار ١١ ..

بعد تعامل مع البحر اكتشفت أننا كنا زمان ناصحين وفاهمين وبنقول حل الفوزة صبح ،
لأننى عرفت الآن أن - على سفن البضائع - قنطار الحديد أثقل من قنطار القطن .. إزاي ١٩ ..

لنتصور أن عندك حقيبتين متساويتان في « الحجم » بالضبط .. سعة « الفراغ » في داخل كل
منهما متساوية بالضبط .. ملأت واحدة منها حتى آخرها بعلب أدوية فارغة ، علب الورق المقوى
الصغيرة التي توضع فيها الأدوية .. وملأت الحقيبة الأخرى حتى آخرها أيضا ، لكن بكتل من
الحديد .. أى من الحقيبتين ستكون أثقل من الأخرى ١٩ ..

مفيش نسبة قطعاً .. الحقيبة التي فيها علب الأدوية الفارغة ستكون خفيفة كالريشة بالمقارنة
بالحقيبة الثانية التي فيها كتل الحديد ، رغم أن « حجم » الحقيبتين واحد بالضبط ..

ذلك تماما ما يحدث بالنسبة لسفن شحن البضائع : سفن محملة بعربات سكة حديد مثلا أو
بآلات ومكينات وأجهزة حديدية ، فإنها ستكون ثقيلة الوزن .. نفس السفينة هي لو حملتها
بشحنة قطن ، مثلا ، فإنها ستكون خفيفة كالريشة بالمقاييس إلى شحنة الحديد ..

وذلك ما حدث بالضبط

مع سفينتنا : ونحن خارجون من الإسكندرية في طريقنا إلى أوروبا كانت
شحنة السفينة أرز وغزل نسج ، فكانت الحمولة ثقيلة نوعا ما ، وذلك
يعطى السفينة في البحر شكل الثبات والاستقرار والإتزان .. أما في رحلة العودة من أوروبا فكانت
شحنتها عبارة عن كمية هائلة من : الزجاجات الفارغة !! .. زجاجات فارغة تستخدم في تعبئة
البيرة ، تشتريها مصر من ألمانيا - فاضية - لتعبأ وتملأ في مصر ثم يعاد تصديرها مرة أخرى ، لكن
المهم أن الشحنة كانت زجاجات فارغة .. لذا كانت الشحنة ، والسفينة ، خفيفة الوزن جدا ،
مما يجعلها هشة وضعيفة جدا كلعبة صغيرة أمام هبات الريح والعواصف ، وأمام الأمواج العالية أو
حتى نصف العالية !! .. لذا فإن رحلة العودة بالنسبة اليها متعبة أكثر من رحلة الذهاب - خصوصا
ونحن في بحر الشمال وفي خليج الـ (باسكاي) - فالسفينة تشق طريقها في البحر بصعوبة لأنها
خفيفة ، والأمواج العالية تجعلها تتأرجح على الجانبين أكثر كثيرا ..

وحين سألت عن

.. « البحر قد إيه » قالوا لي أنه بين ٣ و ٥ .. طبعا حكاية « البحر قد
إيه ؟ » هذه وحكاية « بين ٣ و ٥ » غير مفهومة بالنسبة للقارئ العادي الذي
ليس له علاقة بالبحر ، ولم تكن مفهومة بالنسبة لي زمان ، لولا ما اكتسبته من شوية الخبرة ومعرفة
ومعلومات بحرية بعد ٦ رحلات طويلة في البحر ..



حتى الأمواج أيضا لها درجات في ارتفاعها وعلوها ، تتراوح بين درجة واحدة و ١٣ درجة . .
ولتقريب المسألة الى الأذهان قليلا ، فلنفترض أنك تسكن في عمارة مكونة من ١٣ دورا . . فإذا
كانت الأسانسيرات شغالة وكويسة لم تكن هناك مشكلة ولا حاجة . . أما إذا تعطلت الأسانسيرات
وأصبح من المحتم على السكان أن يصعدوا على السلم - كما يحدث كثيرا في العمارة الى أنا ساكن
فيها في ميدان رمسيس في القاهرة - فإن ساكن الدور الأول سوف يصعد على السلم بخفياء نشيطا
على اعتبار أن المشوار قريب وسهل والمسألة بسيطة - (البحر ثمرة واحد) - . . ساكن الدور الثاني
سوف يسلمون أمرهم الى الله ويتهدون ويصعدون على السلم بتناقل شوية ، لكن برضه المسألة
محتملة الى حد ما وتهون - (البحر ثمرة ٢) - . . ساكن الدورين الثالث والرابع سوف يسبون
ويخطون ويلعنون وهم صاعدين ٣ أو ٤ أدوار على السلم ، وسوف يتعبون جدا صعودا وهبوطا -
(البحر ثمرة ٣ و ٤) - . . أما ساكن الأدوار من ٥ الى ٧ فان المسألة تصبح بالنسبة إليهم في غاية
التعب وحايظ قطع قلبهم ومسكين حالهم حايظقى يصعب على الكافر - (البحر ثمرة ٥ الى ثمرة
٧) - . . أما ساكن الأدوار من ٨ الى ١٢ فإن المسألة تصبح بالنسبة إليهم كارثة ومصيبة والصعود
على السلم هنا تبيته مسألة مشكوك فيها جدا ، من مستوى « رينا كبير » و « ينكتب لهم عمر
جديد » و « ياخفى اللطاف نجنا مما نخاف » و « بالظيف اللطف يارب » - (البحر بين ٨
١٢) - . . أما ساكن الدور الـ ١٣ فهذه مسألة بالعكس ليست غيفة على الإطلاق : تضع في
بطنك بطيخة صيفي وتطمئن غاما وتدخل قمرتك وتغلق بابها عليك من الداخل وتستلقي على
سريرك وتنام ولا تفكر في أى شيء على الإطلاق ، فإنك لن تكون محتاجا إلى التفكير بعد ذلك
أبدا ، لأنك حاتنام مش حاتصحى تانى !!!



. . بسرعة فات أكثر من ثلث شهر رمضان وباقى أمامنا نحو ١٠ أيام أخرى
قبل أن نصل إلى الإسكندرية . . ولعل شهر رمضان هذا العام هو أغرب
رمضان مر على « سلمى » حتى الآن . . فقد بدأت في ألمانيا الشرقية ، وقضت جزءا منه في ألمانيا
الغربية ، وجزءا كبيرا منه في وسط البحر ، وغالبا ستقضى أجزاء أخرى منه في الموانئ الجديدة التي
سوف تتوقف عندها قبل أن نصل إلى الإسكندرية ، وبعد ذلك سوف يتبقى منه عدة أيام تقضيها
في بيتها وفي وسط أسرته في مصر . .

وإذا كان ذلك قد حدث لـ « سلمى » مرة واحدة حتى الآن ، وقد يتصاد أن يحدث لها مرة
أخرى أو مرتين بعد ذلك - إذا لم تتوب عن الصحافة بعد هذه الرحلة - فإن ذلك يحدث للبحارة
وأهل البحر طول عمرهم وطالما هم يعملون في البحر ، فعل قدر علمي أن البحر لا يأخذ أجازة في
رمضان !! . .



وعلى ذكر شهر

رمضان .. فإن مواعيد الإفطار على السفينة تختلف وتتباين تبانيا شديدا يوما بعد آخر ، تبعا للموقع الذى توجد فيه السفينة كل يوم ، لأننا ماشيين طوال الـ ٢٤ ساعة طبعاً دون توقف ، وبالتالي فإن خطوط الطول والعرض التى تقطعها السفينة تتغير كل يوم ، بل كل ساعة ..

أول أمس أفطرنا ٨,١٥ مساء .. أمس أفطرنا ٧,٥٠ مساء ، بفارق ٢٥ دقيقة .. اليوم أفطرنا فى التاسعة إلا ثلاثاً مساء ، بفارق ٥٠ دقيقة عن أمس .. غدا نطفر فى العاشرة إلا ثلاث مساء .. يعنى بفارق ساعتين كاملتين عن أمس وبساعة كاملة عن اليوم .. المفروض إن كل ده يتحسب لنا (أوفر تايم) عند محاسبتنا لدخول الجنة !! ..

شعري طال جدا

جدا حتى أصبح يضايقنى تماماً .. ثلاثة شهور كاملة الآن لم أحلقه فيها . ليس تسريحه أو تمشيطة فقط هو الذى يضايقنى ويتعبنى جدا ، لكن مجرد وجوده هكذا فوق رأسى أصبح مثيراً لعصبيتى كأننى أحمل فوق رأسى هما ثقيلاً .. والله يكون فى عون الذين يحملون فوق رؤوسهم فرش تنفيض وزحافات أسقف !!

أما ذقنى فأنا مستريح منها تماماً .. عودت نفسى منذ بداية هذه الرحلة ألا أحلقها إلا إذا كنا داخلين ميناء .. بحجة أننى « أريحها » !! ..

السفينة المصرية « الشرقية »

التابعة لنفس الشركة صاحبة سفينتنا .. مرت إلى جوارنا اليوم فى عكس اتجاهنا ، فى طريقها إلى أوروبا .. تبادلنا السفينتان ، باللاسلكى فى عرض البحر ، آخر الأخبار فى مصر وآخر الأخبار فى أوروبا .. أهم الأخبار عند أهل سفينتنا هو صدور حركة ترقية لضباط السفن فى الشركة فى الإسكندرية خلال وجودنا نحن فى أوروبا .. الضباطين « منير الشحات » و « الحسينى شعبان » من ضباط سفينتنا تمت ترقيتهما وتثبيتهما فى رتبة (ضابط ثان) ، وأثار ذلك موجة من السرور والسعادة والإنبساط بين ضباط السفينة .. فى ظلام غرفة القيادة فى الثانية بعد منتصف الليل احتفل الضباط بترقية زميلهم « منير » .. إحتفالاً على قد الحال وعلى قد الظروف : غلب (سينالكو) مستوردة وتفتح .. السفرجى « عطيطو » شارك فى الاحتفال طبق كبير من البرقوق قدمه هدية من عنده ، حبا فى « منير » وفرحاً لترقيته !! ..

« عابده »
الطالب
البحري

.. خرجت إلى ممشى السفينة أستششق هواء نقيا فوجدت « عابده » يتمشى وحيدا رايح جاي رايح جاي وهو يردد في انهما - واستغراق شديدين : « الله ينور ، الله ينور الله ينور الله ينور » !! .. سألته في دهشة شديدة وقد ظننت أن الفتى قد أصيب بحالة دروشة نتيجة بقاءه مدة طويلة في البحر : « مالك يا عابده ، كفا الله الشر ؟ » .. فأجاب بسرعة : « ولا حاجة . بس باذاكر علشان أستعد لامتحان رتبة كبير ضباط » !! .. وعاد يردد بسرعة - كأننى عطلته بسؤالى - : الله ينور الله ينور الله ينور .. !! ..

« الله ينور » هذه هى العبارة التى لا يكف « على أبو طالب » كبير ضباط سفينتنا عن ترديدها بمناسبة وبدون مناسبة من باب التشجيع للبحارة ورفعوا لمعنوياتهم كلما قاموا بأى شئ مهم كان هذا الشئ هائفا وثافها ، حتى والسفرجى يقدم له الشاى أو كوباية ميه .. وهو يردددها بشكل آلى كأنها جاهزة على لسانه بنتلكك « على » أى فرصة للخروج .. لدرجة أننى أتصور أنه لو جاءه واحد من ضباطه يجرى ليخبره بأن السفينة بتغرق ، فسيرد « على » على الفور : « عال .. الله ينور »!!!! ..

« عابده »
أبو
طالب

- بالمناسبة - عمره من عمر « مراد العلالى » قبطان السفينة (المندرة) ، و « العلالى » قبطان منذ ٤ سنوات و « على » لازال كبيرا للضباط فقط حتى الآن .. كلما تكلم « على » افعلت مناسبة ليقول ويكرر أنه أقدم كبير ضباط فى لشركة وأن كل (كبار الضباط) فى الشركة الآن تلاسذته وتدريبوا على يديه !! ..

والله يا « علوة » أنا لو مطرحك كنت أنكسف أقول الحكاية دى .. لأن ده معناه ان كل كبار الضباط على سفن الشركة كانوا ضباط صغيرين وتمرنوا على ايديك ثم صادوا واتفروا عليك وعدوك وسابوك وفاتوك وانت لسه واقف مطرحك زى ما انت !! .. معلش يا « تشيف » .. بلاش انت تقول الحكاية دى تانى ، وأنا من ناحيتى مش حانشرها !! ..

وبمناسبة
كبير
الضباط

أيضا .. فإن « على أبو طالب » - بعد رحيل « خيرى شلبى » عائدا الى مصر قبلنا بنحو شهر تقريبا - ظل يصبر على تذكرتى بين حين وآخر بأنه - أى « على » - دفع عن « خيرى » قيمة ما استهلكه من سجاير وبيرة طوال فترة وجوده على سفينتنا .. حتى فوجئت اليوم بالضبط الإدارى « سعد سلامة » يقول لى أنه هو - أيضا - قد دفع عن « خيرى » قيمة البيرة والسجاير اللذين استهلكهما خلال وجوده معنا !!!! ..

أيا كان منها الصادق وأيا منها الكذاب ، فمنك الله يا « خيرى » .. فضحنتا !! ..

قاربنا أن ننتهي من المحيط

الأطلنطي ومن المرور أمام سواحل البرتغال وأسبانيا لندخل مضيق جبل طارق ، وبالتالي فقد اقتربنا جدا من سواحل مراكش .. أصبحنا الآن نرى إرسال تلفزيون المغرب بوضوح جدا على سفينتنا .. بعد الإفطار اليوم رأينا القرآن الكريم والتواشيح الدينية من المرحوم الشيخ « سيد النقشبندی » ، وبرنامج (أسماء الله الحسنى) .. شهر رمضان بعيدا عن مصر لا طعام له ولا روح ولا معنى ..

المياه انتهت تماما

على السفينة فيها يبدو .. ليس هناك نقطة مياه واحدة في حنفيات حوض قمرق ولا في دورة المياه ولا في دش الحمام ، وبالتالي فلم أتشطف ولا غسلت وجهي ولا أخذت دش ولا خرجت من باب قمرق على الإطلاق إلا بعد أن أمر لي كبير الضباط بجردل مياه من حنفية المطبخ أحضره لي السفرجي « عطيطو » ف (تيممت) بقليل جدا منه ، واحتفظت بباقي المياه في الجردل عندى في القمرة ، ينفع وقت زفقه ، ما حدث عارف الظروف فيها ايه تال ..

لكن المهم أننا بذلك يكون من الضروري جدا أن ندخل إلى أقرب ميناء بشكل عاجل جدا ، إن لم يكن اليوم فغدا .. أقرب الموانئ إلينا الآن هما ميناء « طنجة » المدينة الدولية عند ملتقى جبل طارق بالمحيط الأطلنطي ، أو ميناء « سوتا » بعد عبورنا جبل طارق بقليل على الشاطئ المغربى .. وسوف نعب مضيق جبل طارق إلى مدخل البحر الأبيض غدا قرب العاشرة مساء ..

آخر خبر وصل

الآن فقط : تقرر فعلا أن ندخبل ميناء « سوتا » غدا بعد منتصف الليل

الفصل الرابع والعشرون

السوق
البيضاء
تكسب !



النقطة الصغيرة جدا كراس دبوس على الخريطة لا تكاد تبين ولا تكاد ترى ، هى من المدن القليلة جدا فى العالم الآن التى لها وضع مشابه : الأرض أرض أفريقية ، والحكم أو الإدارة أوروبية . الأرض أرض المغرب والحكم حكم أسبانيا ، إمتدادا لاحتلال إسبانيا للصحراء الأسبانية التى جلت عنها مؤخرا منذ فترة لترك ثلاثة دول عربية تتنازع عليها : المغرب والجزائر وموريتانيا . ومع ذلك فقد كان جلاء أسبانيا عنها بالإسم فقط ، لكن الموظفين والعمال والمرشدين والبحارة فى الميناء جميعهم أسبان ، ورجال البوليس والشرطة أسبان ، والإدارة لا زالت أسبانية ، وأغلب محلاتها أسبانية وأوروبية ، وتعامل بالعملةين معا فى وقت واحد : البيزطة الأسبانية والعملة المغربية !! .



.. ميناء احتياطى .. لا تدخله السفن عادة إلا فى حالة الضرورة القصوى .. « طنجة » قريبة جدا منها وكبيرة جدا عنها (و طريقة) جدا عنها .. لكن « سوتا » ميناء هادىء مريح ، الخدمات البحرية فيه سريعة لأنه لا يستقبل إلا عددا قليلا جدا من السفن .. لم تكن هناك غير سفينة واحدة حين دخلت سفيتنا « سونا » ، ولم تصل فى اليوم التالى طوله غير سفينة واحدة حتى تركنا نحن « سوتا » .. وحين رسونا نحن قرب منتصف الليل وقبل أن تصل سفيتنا إلى الرصيف كان هناك عدد من تاكسيات المدينة الصغيرة قد شعر بمجيئنا - ونحن لا زلنا فى عرض البحر - فجاءوا جرى ليكونوا فى انتظارنا ، ترقبا لتوصيلة إلى وسط المدينة : ٥ دقائق بالتاكسى و ١٠ دقائق سيرا على الأقدام ، أو ترقبا لأى شئ يمكن أن يبيعه ويكسب منه سائقو التاكسيات النشيطة التى جاءت ..



مالطة ولاكرونا وهولتوناو

و« كيل » و« برانسباتل » ، ومثلهم في ذلك « سوتا » ، موانئ مفتوحة : تنزل من السفينة فتجد نفسك في المدينة مباشرة . . لا بوابات ولا أسوار ولا حواجز ولا حرس ولا بوليس ولا جمارك : خذ شطنتك في إيدك واتمشى خطوتين تجد نفسك في وسط المدينة دوغرى . . لن تجد مخبرا ببالطوكاكي يستوقفك ليفتشك ، ولن تجد شاويشا يضع نفسه في طريقك ليقبض المعلوم . . أنت في وسط المدينة مباشرة : معك شيء تريد أن تبيعه ؟ إتفضل بيع . . تريد أن تشتري أى شيء ؟ إتفضل اشترى الى انت عايزه وخذ شطنتك في إيدك وعد إلى سفينتك مرة أخرى ومع السلامة . . بدون رسوم وبدون جمارك ولا معونة شتاء ولا صريية دفاع

المصدينة تكاد تقارب

بورسعيد حجما . . متوسطة الإتساع لكنها ظريفة جدا وجميلة جدا ، تجمع في خلطة متجانسة جدا بين الجمال العربى في المنطقة القديمة منها ، والجمال الأوروبي في نظامها ومخلاتها ومبانيها وعمارتها وشوارعها . . اللغة السائدة فيها هى الأسبانية . . وتجمع في شوارعها أيضا جنبا إلى جنب العبادة المغربية ذات القناع الذى يخفى وجه المرأة ، والعبادة الرجالي مقفولة الصدر والطربوش المغربى الأحمر ، إلى جانب الميكروچيب والبنطلونات الـ (جينز) والفساتين القصيرة جدا والمشلح والمقور والمدور وأحدث الصيحات الأوروبية في الأزياء والملابس والسلع والمعرضات . . وتجمع أيضا بين المحلات على النظام الأوروبي الشيك جدا وطريقة العرض المودرن شديدة الجاذبية ، الى جانب المحلات المغربية التى تبيع السلع العربية التقليدية كالملايس المغربية الطراز والعقود والأساور والخلائيل العربية التى تكاد تشبه بضائع خان الخليلى عندنا في القاهرة . .

وأياضا الأسواق المغربية

الشهرة التى تشبه سوق باب اللوق عندنا لكنها عبارة عن مبنى أو عمارة واحدة مبنية بنظام خاص لتكون كلها سوقا من عدة طوابق وله عدة أبواب ، لكن ليس هناك بائع واحد فارش بضاعته على أبوابه . . السوق فى

داخل العمارة فقط المقسمة إلى عدد كبير جدا من المحلات الموزعة حسب التقسيم النوعي : محلات الجزارة وبيع الدواجن والطيور المذبوحة ولحمة الرأس والكرشة والفشة والكوارع وما إليها - بالطريقة المصرية - كلها في جناح واحد متعاقبة وراء بعضها ، وكلها تضع التسعيرة ، وكلها تلتزم بالتسعيرة . . محلات الفاكهة كلها وراء بعضها متجاورة أيضا ، وأيضا تضع التسعيرة وتلتزم بالتسعيرة . . وبالمناسبة : الفاكهة هنا فاخرة جدا وممتازة جدا ، ولكنها أيضا غالية عنها في الكثير من البلاد الأوروبية ، وغالية جدا عن مصر ، وغالية جدا عن بلاد أوروبا الشرقية . . مجرد ملحوظة . .

لكن فيها عدا الأكل ، فبشكل عام كل ما يخطر على بالك من الأصناف والمنتجات الأوروبية موجود هنا في هذه المدينة الصغيرة التي لا يزيد حجمها على الخريطة على رأس دبوس . . وبأسعار أرخص كثيرا جدا عن كثير من الدول الأوروبية ، خصوصا عن مثيلاتها في ألمانيا الغربية ، آخر دولة زرناها . . مع ذلك فأننى أنصحك إذا كنت في « سوتا » - أو في أسبانيا عموما - ألا تشتري من المحلات التي أصحابها هنود . . محلات شيك صحيح وفاخرة صحيح وتضوى من النظام والنظافة والأناقة وحسن الاستعداد والتجهيز مثلها مثل كل المحلات الأسبانية ، لكن الأسعار فيها أغلى من أى محلات أخرى - حتى الأسبانية - بنسبة ٢٥ ٪ على الأقل !! . .

والواضح
تماما
هنا

أن الأسبان في المدينة - وأسبانيا تواجه « سوتا » على الشاطئ الآخر من البحر الأبيض - أكثر كثيرا من المغاربة أصحاب البلد الأصليين . . لكن الوجود المغربي ، مع ذلك ، موجود وملحوظ . . أما بالنسبة لمستوى الجمال ، وهذه نقطة هامة يجب أن تنتبه إليها جامعة الدول العربية ، فإن الجمال الأوروبي هنا مكتسح الملعب . . البنات الأسبانيات يكسبن على طول الخط . . المباراة من جانب واحد فقط . .

شرطية المرور الحسنة الوسيمة بملابسها الرسمية الشيك وقبعاتها الظرفية ، أشبه بمضيفة طائرة زى القمر ، مانيكان ، طائرتها متأخرة في الإصلاح فجاءت بدلا من قعدة البيت تستعرض حسناتها على الناس في الشارع . .



الفيري بوت أو المعبدية

هنا هو أحد معالم « سوتا » الكبيرة ، ومحطته على الشاطئ تكاد تشبه مطارا . . الـ (فيري بوت) هو سفينة الركاب التي تعمل في خط قصير منتظم بين ميناء جبل طارق على الشاطئ الأوروبي وبين مدينة « سوتا » على الشاطئ الأفريقي . . تعبر عرض البحر الأبيض في ثلثي ساعة : ٤٠ دقيقة . . تأخذ السياح من جبل طارق في أوروبا إلى « سوتا » في المغرب في قارة أفريقيا بأجر زهيد جدا وبسرعة جدا ، وبلا جوازات سفر ولا رجال بوليس يفتشونك وأنت طالع وأنت نازل . . لذا فحركة السياحة نشيطة جدا في المدينة المغربية الصغيرة هنا . . وتستطيع أن تأتي في الصباح من أوروبا لتقضي يوم طول النهار أو حتى عدة ساعات - إن شالله حتى نصف ساعة - في أفريقيا ، ثم تعود مع نفس الـ « فيري بوت » مرة أخرى إلى أوروبا . . الأكثر من ذلك أن تستطيع أن تكون موظفا في أوروبا - جبل طارق - وبيتك في أفريقيا - « سوتا » أو « طنجة » - أو العكس . . وتنزل من بيتك كل صباح ذاهبا إلى مكتبك في قارة أخرى - ثم تعود ظهرا أو بعد انتهاء العمل لتتناول غداءك في بيتك في أوروبا مع أولادك وأسرتك !! . . عظمة ، وتقارب جغرافي بين القارات ، عقبال ما يبقى تقارب سياسى واجتماعى وفى المستوى المعيشى وفى كل شيء . . يارب . .

أظرف شئى هنا

أنك لا تجد سوق سوداء ، إنما تجد سوقا بيضاء !! . . استبدال العملات يتم خارج البنك - في السوق السوداء - أرخص من البنك !! . . المارك الألماني الغربى خارج البنك بـ ٢٤ بيزتة أسبانية ، وفى البنك بـ ٢٦,٥ بيزتة !! . . يعنى السوق السوداء هنا سوق بيضاء الى يتعامل فيها يبقى أهبل لأن البنك يعطيه أكثر !! . .

ونحن نتجول فى

شوارع « سوتا » شاهدت مبنى ضخمة لشركة أسبانية كبيرة لفت نظرى إسمها . . تركيبة الإسم تكاد تشبه شيئا أعرفه . . ليس غريبا على نظرى وليس غريبا على أذن . . قرأت الإسم على مهبل فوجدته . .

« أدرياسيدس » .. « أدري / ياسيدس » .. « قدرى ياسيدس » !! .. فرحت وتفاءلت خيرا واستبشرت .. مين عارف ؟ !

العسكري الأسباني الظريف

الذى استوقفنى قرب الميناء وأعطانى بيزنة أسبانية جديدة لامعة - قرش صباغ مصرى اقربيا - وطلب منى أن أعطيه أى قطعة عملة مصرية لأنه يجمع العملات المعدنية من كل بلاد العالم .. لم يكن فى جيبى وقتها ولا ملين واحد مصرى ، فطلبت منه أن يأتى معى الى السفينة - على بعد ١٠ دقائق فقط من مكاننا - وأنا أعطيه مجموعة من العملات المعدنية المصرية ؛ لكنه لم يستطع أن يترك موقعه فاعتذر لى ، لكنه رفض أن أعيد اليه البيزنة الأسبانية التى أعطاها لى .. كتر خير .. راجل ذوق ..

وشطبت « سوتا » على

آخر عملة أجنبية كانت معى أو مع « سلمى » .. أفلسنا تماما كلانا ولم يبق معنا غير قطعة معدنية واحدة فئة خمسة بيزتات أسبانية ، يعنى شلن مصرى ، لا تكفى ولا لشراء رغيف فينو حاف .. ببساطة جدا وأمام محل بقالة ذاق « سلمى » من كل أصناف الجبنة والطرشى والمخللات المعروضة أمام باب المحل ، وأفطرت هى بهذه الطريقة وشبعنا وحمدت ربنا .. ثم نظرت الى محل فكهانى يبدو على البعد وقالت : « تعالى بأه نحلى » !! ..

تهريب السجائر هو هو

فى كل ميناء فى العالم مهما كانت ظروفه السياسية والاجتماعية .. هنا أيضا فى « سوتا » حدث ذلك : عشرات من صناديق السجائر الكبيرة الضخمة - ٥٠ خرطوشة فى الصندوق الواحد ٥٠٠ علبة فى الصندوق الواحد : ١٠,٠٠٠ سيجارة فى الصندوق الواحد !! - عشرات الصناديق نزلت من السفينة عيانا جهارا تحت أنظار رجال البوليس للأسبان وأمام أعين القبطان وكبير الضباط وصغار الضباط ، دون أن يتدخل أى واحد من الطرفين فى الموضوع ، بالعكس ، رجل البوليس الأسبانى النشيط ساعد فى تحميل صناديق السجائر من السفينة الى الحقائق الخلفية لسيارات التاكسى الواقفة فى الإنتظار .. وضباط سفينتنا من ناحيتهم أبدوا دهشتهم الشديدة لـ : دهشتى أنا !!!! ! « مندهش ليه ؟ ! ماهو كده كويس

جدا وعال العال .. خَلَّى الناس تسترزق وتاكل عيش .. وأحسن لنا - كضباط مسئولين على السفينة - علشان رجال الجيارك المصريين لما يطلعوا السفينة يفتشوها لما نوصل ما يلاقوش حاجة كده والاكده لا سمح الله .. ثم : مادام القبطان موجود على السفينة وشايف كل حاجة ، واحنا مالتنا أحتنا ؟ .. وجود القبطان يلغى وجودنا أحتنا وسلطته تلغى سلطتنا أحتنا ، ومادام هو موجود يبقى شايف وعارف ، وهو المسئول !! ..

تذكرت أننى كنت

قد أذهشت جدا ونحن فى « برانسباتل » حين رأيت كمية السجائر الأجنبية المستوردة التى وصلت إلى السفينة من المتعهد : المفروض أن لكل ضابط حصة يومية محددة : ٥٠ سيجارة فى اليوم ، ولكل بحار ٣٠ سيجارة فى اليوم .. فهل سوف يستهلك الطاقم - ٤٢ ضابط وبحارا - كل هذه الكمية الهائلة التى وردت من السجائر ، فى خلال عشرة أيام فقط حتى نصل إلى الإسكندرية ؟ ! ..

لكننى اكتشفت الآن أننى كنت طيبا وساذجا وعلى نيات زيادة عن اللزوم : فلم أكن أعرف أن الشركة المصرية للملاحة البحرية قد أصبحت فرعاً دولياً منتقلاً من شركة النصر للاستيراد والتصدير ، وأصبحت تستورد السجائر الأمريكية من ألمانيا الغربية لتعيد تصديرها إلى أسبانيا ، وأهو كله مكسب وكله مائى .. وبأ شركة راجعى كشوف مشتريات السفينة فى « كيل » وفى « برانسباتل » .. هذا إذا كانت هذه الأشياء قد دخلت أصلاً فى كشوف رسمية فعلاً ولم تدخل - من برة برة - فى الكشوف « الشخصية » فقط !! ...

كتر من الأبايسج

مادام إنت رابع .. الناس هنا على السفينة يتصرفون أمامنا - كصحفيين - ببساطة جدا كأنهم يعلمون أن هذه الرحلة سوف تكون آخر رحلة لهم فى البحر !! .. يسرقوا ويهلبوا ويهربوا ويهبشوا كجائع مفجوع فى آخر وجهه له فى الدنيا ، وبيعملوا زى ما هم عايزين قدامنا والى يحصل يحصل ، بطريقة (ضربوا الأعور على عينه) ولما بقى نوصل إسكندرية يبقى يحلها ربنا !! ..

إما إنهم مطمئنين تماماً إلى أن مفيش حد من الشركة - لسبب أو لآخر - سوف يستطيع أن يفعل لهم شيئاً .. أو أنهم مطمئنين تماماً إلى أن المسئولين فى الشركة حين يقرأون هذا الكلام منشورا سوف يهزون أكتافهم ويقولون : « يا شيخ .. ده كلام بخرايد » !! .. فعمليات التهريب تحدث أمامنا علنا وعينى عينك .. وحين نهت إليها كبير الضباط قال فى البداية : « وأنا مالى .. دى حاجات المهندسين .. والمهندسين مش تبعى » ثم يبرى مدافعا هو والضابط الثانى فى حماس شديد ، على إعتبار أن تهريب السجائر هنا فى أى ميناء قبل العودة إلى الإسكندرية يجنب

السفينة المتاعب الممكن أن تواجهها إذا تعرضت للتفتيش من رجال الجمارك المصريين في الإسكندرية ، المفروض ألا يجدوا مع أى بحار أو ضابط أكثر من خرطوشتين سجائر أو ٣٠ علبة فقط ، والباقي يصادر ويدفع صاحبه غرامة ثلاثة جنيهات كاملة عن كل خرطوشة زيادة !! . . .
 وحين أقول لكبير الضباط : « هي مش الحاجات دي جاءت إلى السفينة أصلا بعلملك أنت ويكشف كتبه أنت شخصيا ووقعته أنت شخصيا ؟ ! » لي : « طيب وأنا مالي . . واحد عايز يشتري بفلوسه كلها سجائر : مش هو حر ؟ ! أقدر أمنعه ازاي ؟ ! . . ولو كان عايز يشتري بيها أفيون وحشيش أو كوكايين يا على ؟ ! . . تمنعه والا لا ؟ ! » . . « أمنعه طبعاً » . « دي زى دي يا كبير . . ياللى وزعت بنفسك قائمة أسعار المشتريات من الترانزيت على البحارة والضباط والمهندسين . . وجمعت أنت طلباتهم كلها في كشف واحد وأعطيته للمتعهد بإيدك علشان يجيب لهم هذه الطلبات . . كنت عارف أن ممنوع دخول كل هذه الكميات من السجائر ميناء الإسكندرية والا لأ ؟ ! كنت عارف . . » وكنت متصورا إن الطقم حايدخنوا كل هذه الكميات المهولة - بالإضافة إلى الكميات المخصصة لهم أصلا من تموين السفينة - في خلال ١٠ أيام قبل ما يوصلوا إسكندرية ؟ ! ويرد كبير الضباط موروطاً : « لأطبع مش ممكن » . . « إذن عارف إن هذه الكميات المهولة من السجائر بتشتريها السفينة بالعملة بتاعة الدولة : بتاعة مصر ، علشان تتباع في موانئ ثانية قبل ما السفينة توصل إسكندرية ؟ ! . . »

وصمت كبير الضباط الصمت البليغ ، ولا يجيب !! . .

وإذن : فحكاية لعبة

خزانات المياه هذه وتسرب مياه الشرب من خزانات السفينة وانتهائها كل عدة أيام ، لعبة وانكشفت . . لعبة لعبها القبطان والباشمهندس تحت ذقن مهندس الترسانة الشريف فعلا العفيف فعلا ، الذى رفض أن يشترك معهم فيها ، لكى يروا دخول السفينة إلى ميناء جديدة كل عدة أيام !! . . .

وإذا كانت الشركة في الاسكندرية وممثل الشركة في هامبورج : « أنيس أنسى » ، قد أقتنعا واستجابا لوجهة نظر مهندس الترسانة « أحمد الأعرج » ورفضت إجراء الإصلاحات الوهمية التى طلبها باشمهندس السفينة ، والتى كان سيتيج عنها عمولات الشيء الفلاخ ، فإن في ميدان الاستيراد والتصدير « الشخصى » متسع للجميع وأنف الشركة في الأرض وأنف الدولة في الأرض ، كان هذه السفينة ملكهم شخصيا يشغلونها لحسابهم الخاص والشركة تخسر تتحرق مش مهم : وعلى رأى القبطان : هي بتاعتنا ؟ ! . . .



عبدنا السفينة

الساعة ١٢ ظهرا بالضبط كتعليمات القبطان لنا قبل أن ننزل في الصباح . .
ولما رأينا أنه لا تبدو أية دلائل على قرب تحرك السفينة حالا فقد سألناه إذا كان
الممكن أن ننزل إلى المدينة مرة أخرى لتلقط مجموعة صور ونعود خلال نصف ساعة ؟ ! . . فنظر
إلى ساعته ماركه تبتوس وقال لنا بدقة شديدة : « السفينة حاتطلع بعد ٦ دقائق بالضبط » !! . .
خلاص إذن : إنتهى الوقت . . وصعدنا إلى قمراتنا نتهيا للرحيل . . نظرت - بالصدفة - من
شباك قمرق فوجدت سفرجى بأشا نازلا من السفينة متجها إلى المدينة . . كدت أن أناديه وأقول
له : « إرجع يا بجنون . . إرجع يا طايش . . القبطان قال أن السفينة حاتطلع بعد ٦ دقائق » . .
لكنى عدت فقلت لنفسى ساخرا : « بأه أنا برضه الى حا أقول له إن القبطان قال ؟ ! »

وسكتت ولم أقل شيئا . . ولم يعد السفرجى بأشا من المدينة إلا في الساعة مساء . . وتحركت
السفينة بعدها فورا في نحو الساعة والرابع مساء !!!!!!!

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته !!!!!!!

الفصل الخامس والعشرون

القبطان
إنسرق
يا رجاله !

اليوم ظهرا ، القبطان

يصرخ في كبير الضباط بأعلى صوته .. يبدو أن المياه المجفونة قد عادت تمارس جنازتها مرة أخرى قبل أن تمر ٢٤ ساعة على مغادرتنا « سوتا » .. كبير الضباط ترك المياه مفتوحة على طول منذ مغادرتنا « سوتا » ، وكان المفروض - في تقدير القبطان - أن تظل تفتح ٣ مرات فقط في اليوم كما حدث في الأيام الأخيرة لنا منذ تركنا وراءنا سواحل إنجلترا والـ (باسكاي) والأطلنطي وقبل أن ندخل « سوتا » : من ٧ إلى ٩ صباحا ، ومن ١٢ إلى ٢ ظهرا ، ومن ٧ إلى ٩ مساء ..

يبدو - والله أعلم - أن هناك كمية من البضائع التي « للتصدير الشخصي » لم يتم توزيعها بعد !! .. ويبدو أيضا - بناء على ذلك - أن مالطة سوف تكون آخر ميناء تتوقف عنده سفينتنا قبل أن تصل إلى الإسكندرية !! .

نسمع الآن إذاعة

الشرق الأوسط وإعلاناتها وبرامجها الرمضانية بوضوح جدا كأننا في قلب القاهرة ، وكنا قد بدأنا نسمعها خافتة منذ أن عبرنا مضيق جبل طارق ودخلنا البحر الأبيض المتوسط .. يا أهلا يا مصر .. وحشتينا ..

منك لله يا « خيرى »

.. فضحتنا بسذاجتك وقرويتك وانهبالك بأوروبا وأنت معنا هناك ، وفضحتنا وكسفتنا مع كل الناس هنا حتى بعد أن تركتنا وعدت الى مصر .. كبير الضباط جاء اليوم بعد العاشرة مساء يديق باب قمرتى بإلحاح ، وافتح لأجده ووراءه اثنين من ضباطه ، ويقول لي وابتسامة صفراء لزجة شامتة - وفيها معان أخرى أيضا غير ذلك - على شفتي : « هو الأستاذ خيرى يكون زمانه وصل مصر دلوقتى ؟ » !! .. إندهشت .. هذه الكتيبة البحرية كلها وطاقم ضباط السفينة كلهم متجمعين وسايين شغلهم وجاين لى ، فقط ،

يسألوننى هذا السؤال الهائىف الساذج ؟! .. ثم أنا إيش عرفنى أصلا إنه وصل فعلا والا لا ..
 « ليه السؤال ده يا على ؟ خير ؟ .. فيه حاجة حصلت ؟ » .. ويرد كبير الضباط وابتسامته
 الصفراء للزجة الشامتة - التى فيها معان أخرى أيضا - مازالت على شفثيه : « أبدا .. اصلنا
 سمعنا فى الراديو دلوقتى فى إذاعة البرنامج العام تمثيلية قالوا عنها إنها (ترجمة وإعداد خيرى
 شلبى) ، فقلنا إن الأستاذ خيرى قطعنا وصل مصر من مدة ، ولحق اتعلم لغة اجنبية ،
 وأجادها ، وترجم عنها التمثيلية دى ، وأعدنا للإذاعة ، واتمظلت ، واتسجلت ، واتذاعت ..
 فحبينا نتطمئن عليه منك «!!

منك لله يا « خيرى » ، فضحتنا وضحكت الناس علينا وأخرجتنا قدام اللى يسوا واللى ..
 يسوا برضه !!



وعادت المياه على السفينة تفتح ٤ مرات فى اليوم ، كل مرة ساعتين فقط ، حتى يمكن تلافى
 لدخول ميناء جديد ..



وبدا حر مصر فى ذلك الوقت من السنة - نهايات الصيف - يقترب من هنا ونحن مازلنا قبل
 مالملة باربعة أيام ..



كما كنت قد توقعت تماما . قرب نهاية الرحلة عاد (سفيرجى باشا) إلى خدمة قمرة
 القبطان ، والظفرما يطلعش من اللحم برضه .. وتطلبى إيه يا مرجانة ؟ سلامتك عندى بالدنيا يا
 سيدى ، عاملة لك قطايف بايدى ، خد دوق كده ... وابتسامة على جانب الوجه فى استحياء
 وخجل



كلما اقتربنا من لحظة العودة إلى مصر كلما ازداد قلقى من ناحية القاهرة وأخبار القاهرة ،
 ويا ترى ما الذى حدث فى القاهرة خلال فترة غيابنا ؟ .. البيت والأسرة ومين مات ومين عاش
 ومين مرض ومين خف ؟ .. وأخبار المجلة وأخبار الشغل وأخبار الاذاعة و و و
 وربنا يستر ونلاقى كل حاجة كويسة وسليمة باذن الله ..



القبطان يشكو لى اليوم من أن المهندسين مزرجنين معاه لأن الإصلاح الذى طلبوه لم
 يتم !! .. هو يشكو الآن ، وهو أول من يعلم أن المسائل كانت مترتبة بيته وبينهم ، وأنه كان
 سيضع فى جيبه الشخصى ٥٠ ٪ من عمولة الإصلاحات التى لم تتم ، والباقى لكبير مهندسى
 للسفينة وهو يرش على رجالته بمعرفته !! ..

وكمون أن الإصلاحات التي كان

المهندس « عبده صالح عبده » يطلب إجرائها على السفينة ومصر عليها ،
 كون أن هذه الإصلاحات لم تتم وعدل عنها بعد الموقف الشجاع الثابت
 المخلص الذي وقفه مهندس الترسانة « احمد الأعرج » ومعارضته لها ، والمواجهة العنيفة - أو
 المصارحة العنيفة - التي حدثت يوم كان معنا هنا « أنيس أنسي » ممثل الشركة في غرب أوروبا ،
 وكون أن السفينة قد استطاعت فعلا أن تقوم برحلة العودة كاملة بسلام وأمان ولم يحدث أى
 شيء على الإطلاق ولم تتعطل ولا ثانية واحدة ، فذلك معناه أن هذه الإصلاحات فعلا لم تكن
 ضرورية ولم تكن مطلوبة .. وبالمفتوح أكثر : كانت إصلاحات وهمية لم تكن ستنفذ أصلا وإنما
 « Dry Bill » حسب الاصطلاح البحرى الهبشى المبرى الشفطى : إصلاحات على الورق فقط ،
 ورق الفواتير ، والشركة تدفع : فاتورة - فقط ليس إلا - بإصلاحات قيمتها ٢٠ ألف جنيه مثلا ..
 الورشة الأجنبية التى تعطى الفاتورة ، مجرد الفاتورة ، تتقاضى مقابلها ألف جنيه دون أن تقوم بأية
 إصلاحات ودون أن تغرم شيئا أو تتكلف شيئا .. وباقي المبلغ - الـ ١٩ ألف جنيه - يدخل جيوب
 السادة الأكابر الذين تجرى الإصلاحات بناء على طلبهم .. ويكون نصيب القبطان نصف هذا
 المبلغ ، وكبير الضباط بنوّه من الحب جانب ، والنصف الآخر من المبلغ لكبير المهندسين وهو
 يفرق بمعرفته على الحيايب !! .. وادفعى يا شركة ، واخسرى يا شركة ، ويتخرب بيتك -
 بالعملة الصعبة - يا شركة .. وإذا ضربنا هذه التصرّفات وهذا المال الساب ٤٥ × سفينة تملكها
 الشركة المصرية القطاع العام فلا تتسأل بعد ذلك باندهاش : « يا اخويا شركة كبيرة زى دى
 بتخسر ليه ١٩ ، مع أن فيه شركات قطاع خاص عندها سفينتين والا ثلاثة وما شين زى الساعة
 وبتكسب كل سنة الشيء الفلاق !! » ..

وبعد ذلك تتسأل نحن - بسذاجة شديدة - : « لماذا يتكالب رجال البحر ويتقاتلون من أجل
 الخروج على السفن رغم مرتباتهم الصغيرة نسبيا ؟ » .. واقد عرفنا الآن فقط السبب : قطعنا فى
 سبيل المجد والشهرة ما هم يفعلون ، ومن أجل أن تذكر أسماؤهم فى صفحات كتب التاريخ
 البحرى لمصر العظيمة الخالدة !! ..



الساعة ٢,٣٠ بعد منتصف الليل ، غر الآن أمام سواحل الجزائر .. وكلها يومين وغر امام
 مالطة ، وبعد يومين ونصف آخرين نصل إلى الإسكندرية .. هانت ..

السرقه والهبش حتى

آخر لحظة - علنا وعينى عينك : السفينة اشترت من « برانسباتل » ٦٠ كيلو
 ياميش و ٦٠ كيلو مسكرات - قراصية ومشمشية - .. وزعوا اليوم على أفراد
 الطاقم الـ ٤٤ - أنا و « سلمى » لا طبعاً - كل فرد كيلو ياميش واحد فقط لا غير ، وتبقى ١٦ كيلو

ياميش + ٦٠ كيلو (بحالهم) مسكرات ، قيل أنهم حايتمعملوا حلويات ومشمشية تقدم مع الإفطار والسحور . . ولم يحدث ذلك ولا مرة واحدة حتى الآن رغم مرور ١٠ أيام على مغادرتنا «برانسباتل» و ١٤ يوما من رمضان ، ولم يبق إلا ٣ أيام فقط على نهاية الرحلة .

غالبا الكمية الكبيرة الباقية هذه هي نصيب أهم شخص على السفينة : الكلب (حسان) !! . . .



مرزنا اليوم أمام سواحل الجزائر وسواحل تونس . . غدا فجرا نمر أمام سواحل ليبيا . . غدا عصرا أو مساء نمر أمام جزيرة مالطة . . مالطة هي (ميدان التحرير) بتاع البحر الأبيض المتوسط . . عندها نعرف أنه باقي أماننا ٦٠ ساعة بالضبط على الإسكندرية . . يا مقرب البعيد يارب .

فهرست

الموضوع	الصفحة
● الإهداء	٥
● مقدمة	٧
● الفصل الأول	
● إلى أوروبا داخل تابوت	١١
● الفصل الثاني	
● أسد السفينة رمسيس	١٩
● الفصل الثالث	
● كتاكيت مالطة وبرغوت باشا	٢٩
● الفصل الرابع	
● كلب الليل	٤١
● الفصل الخامس	
● هرقل والقراصنة	٥٣
● الفصل السادس	
● كلية خضر العطار البحرية	٦١
● الفصل السابع	
● سفر جي باشا	٧٥
● الفصل الثامن	
● سفينة من يولاق	٨٣
● الفصل التاسع	
● أنبوبة بوتاجاز شقراء	٩٧
● الفصل العاشر	
● إنفجار أو جبل الجليد العائم	١٠٩
● الفصل الحادي عشر	
● الفلاح الفصيح في أوروبا	١٢٣

الصفحة

الموضوع

١٣٥	● الفصل الثاني عشر ●
١٣٥	● سقط خيرى سهوا
١٥٣	● الفصل الثالث عشر ●
١٥٣	● الحب ينتظر على الرصيف
١٦٧	● الفصل الرابع عشر ●
١٦٧	● لا أحد يشترى قطرة في كيس مقفول
١٧٩	● الفصل الخامس عشر ●
١٧٩	● الكونتيسة وماما الحاجة وحسان يأكل البندق
١٩٧	● الفصل السادس عشر ●
١٩٧	● السفينة تباع في المزاد العلني
٢١١	● الفصل السابع عشر ●
٢١١	● مرفود أسبوع ويجيب ولي أمره
٢٣١	● الفصل الثامن عشر ●
٢٣١	● من الذي يخاف من رجال البوليس
٢٤٣	● الفصل التاسع عشر ●
٢٤٣	● أسوأ الرحلات في التاريخ
٢٥٧	● الفصل العشرون ●
٢٥٧	● الرجل والصرصار
٢٧١	● الفصل الحادي والعشرون ●
٢٧١	● انهم ينهبون البحر نهباً
٢٨٣	● الفصل الثاني والعشرون ●
٢٨٣	● رسالة من بريجيت
٢٩٣	● الفصل الثالث والعشرون ●
٢٩٣	● شركة الملاكمون العرب
٣٠٥	● الفصل الرابع والعشرون ●
٣٠٥	● السوق البيضاء تكسب
٣١٥	● الفصل الخامس والعشرون ●
٣١٥	● القبطان إنسرق يارجاله

شركة توزيع كهرباء البحيرة والمناطق الشمالية والغربية

رائدة شركات توزيع وبيع الطاقة الكهربائية

- جهود مكثفة لتوفير احتياجات مشروعات التنمية من الطاقة الكهربائية .
- خطة طموحة للنهوض بعمليات الكشف والتحصيل .
- تحسين مستويات الأداء لضمان استمرار التغذية للمشاركين .
- مقومات النجاح : الاهتمام بالعنصر البشرى - تطوير عمليات الصيانة - مواكبة التطور العلمى .
- أرقام قياسية لتقليل الفاقد ، وتحقيق الفائض ، وإصلاح الأعطال الكهربائية .
- لقاءات شهرية منتظمة بين المسؤولين فى الشركة والمحليات للتعرف على مشاكل المواطنين وحلها .



● المهندس مختار فاضل محمد رئيس مجلس إدارة الشركة
والعضو المنتدب ●



الطاقة بكافة صورها على مر التاريخ كانت ومازالت شريان الحياة ونقطة الانطلاق على طريق التنمية والتقدم .. وتاريخ الإنسانية بأكمله في حقيقته ليس سوى تاريخ لتقدم سيطرة الإنسان وتحكمه في إنتاج وتحويل واستخدام الطاقة ، وفي نفس الوقت فإن تحقيق أى خطة من خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية يتطلب توفير الطاقة الكهربائية كمصدر رئيسي لتشغيل المشروعات الزراعية والصناعية والسياحية وكذلك مشروعات التعمير والمرافق والخدمات .

وإذا كان انتاج الكهرباء والطاقة من الأمور الهامة لمواجهة حاجات الانسان الضرورية ومتطلبات الانتاج فإن توزيع الطاقة الكهربائية للوفاء بهذه الاحتياجات هو السبيل الأمثل لتحقيق الغاية والهدف وهو توفير خدمة كهربائية متكاملة للمواطن المصرى .. والمتابع

لنشاط شركات توزيع القوى الكهربائية لابد وأن يشيد بالجهود المخلصة والخلاقة التي يقودها بكفاءة واقتدار المهندس محمد ماهر أباطة ، وتقوم بها شركة توزيع كهرباء البحيرة والمناطق الشمالية والغربية والتي أصبحت نموذجا يحتذى به في مجال توزيع وبيع الطاقة الكهربائية وكذلك أعمال الصيانة والتشغيل والكشف والتحصيل ..

وفي لقاء مع المهندس مختار فاضل رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب لشركة توزيع كهرباء البحيرة والمناطق الشمالية والغربية - لإلقاء الضوء على نشاط الشركة والإنجازات التي حققتها قال سيادته : النشاط الأساسي للشركة هو توزيع وبيع الطاقة الكهربائية لحافظة البحيرة ، وجزء من محافظة المنوفية ممثلا في مدينة السادات كما يمتد نشاط الشركة الى مساحات شاسعة ومناطق مترامية الأطراف يحدها من الجنوب آخر مدينة السادات ، ومن الشرق محافظتا كفر الشيخ والغربية ، ومن الشمال محافظة الاسكندرية ، ومن الغرب الحدود الليبية المصرية .. وقد نجحت الشركة بفضل الجهود المخلصة لأبنائها والبالغ عددهم ٤٠٠٠ عامل من مهندسين وفنيين وإداريين من تحقيق نتائج تتجاوز المستهدف في زمن قياسى في مجال تغذية وتوريد الطاقة الكهربائية لحوالى ٦٠٠٠٠ مشترك على الجهود المتوسطة والمنخفضة ، وفي مجال التنمية الاقتصادية تقوم الشركة بتوزيع الطاقة للأغراض الصناعية والزراعية وتغذية المشاريع الزراعية بالنوارية بالطاقة اللازمة لتشغيل الآلات الخاصة برفع المياه ، وتغذية مصانع النسيج والحديد في كفر الدوار ودمهور بالكهرباء اللازمة لتشغيل هذه المصانع وفي نفس الوقت تقوم الشركة بدور كبير في مجال صيانة الشبكات وتنفيذ المشروعات للغير .

مقومات النجاح

وانطلاقا من إيمان إدارة الشركة بأن معايير نجاح أى شركة في مجال توزيع وبيع الطاقة يرتبط بالتطور الذى تحققه في مجال تحسين مستوى معيشة العاملين ، وتقليل الفاقد ، وضمان استمرار التغذية الكهربائية والقضاء على مشاكل الانقطاعات ، وكذلك التطور المستمر في مجال الكشف والتحصيل - قامت ادارة الشركة بقيادة المهندس مختار فاضل منذ توليه المسئولية بعمل هيكل وظيفي جديد تم بموجبه تسكين العاملين على وظائفهم الأمر الذى أدى الى دفع عجلة الانتاج في مختلف مواقع العمل .

● وفي مجال التحصيل وضعت ادارة الشركة الخطط العملية المناسبة بما يؤدى الى تحصيل المتأخرات وذلك من خلال التعاون بين جميع العاملين بالشركة ومساهمة المسؤولين بالنقابة ، واتباع طريقة حديثة لتحصيل متأخرات كبيرة جدا كانت لدى المشتركين .

● وبالنسبة للتغذية الكهربائية تم وضع خطتين لتحسين استمرارية الطاقة ، وتحسين مستوى الاداء في الشركة ، ومن المستهدف الانتهاء من تنفيذ خطط تحسين الاداء بالشركة خلال العامين القادمين .

❶ وفي مجال النهوض بمستوى الخدمة وتحسين العلاقة بين الشركة وجمهور المشتركين تقوم الشركة بجهود مكثفة بتقديم خدمة جيدة و متميزة في مجال الكشف والتحصيل وقد أدى ذلك الى تشجيع المشتركين على التعاون معها وعدم الماطلة في تسديد قيمة الفواتير .. وتنفيذا لتوجيهات السيد الوزير المهندس محمد ماهر أباطة - للمسؤولين عن الكهرباء بضرورة العمل على تحسين العلاقة بين شركات التوزيع والجمهور قامت إدارة شركة توزيع كهرباء البحيرة والمناطق الشمالية والغربية بتطوير اللوائح والنظم التي تنظم العلاقة بين الشركة والجمهور وخاصة في مجال التحصيل حيث تقوم بتقسيط تراكمات الاستهلاك لدى العملاء دون اضافة أى فوائد أو أرباح .

تعاون وثيق مع الشركات الشقيقة

وحول التعاون بين شركة توزيع كهرباء البحيرة والمناطق الشمالية والغربية وبين شركات التوزيع الأخرى قال المهندس مختار فاضل رئيس مجلس الإدارة ، والعضو المنتدب إن هناك تعاوناً وثيقاً بيننا وبين الشركات المجاورة في العديد من المجالات أولها التقسيم والتعامل مع الجمهور حسب قرب مصدر التيار الكهربائي للقرية أو المشترك بمعنى أن الشركة يمكنها أن تحصل على الكهرباء من شركة أخرى مجاورة لمنطقة من المناطق التابعة لها وتكون قريبة من مصدر تيار الشركة الشقيقة ثم تقوم بحسابتها ، ومن ناحية أخرى فإن شركة توزيع كهرباء البحيرة تبذل قصارى جهدها في سبيل التعاون الفنى بينها وبين الشركات الشقيقة عن طريق تبادل البحوث والآراء ، وتبادل الطول الخاصة بالمشاكل المشتركة .. وأيضاً إيفاد العاملين للتدريب في مراكز التدريب الموجودة فيها .

قانون قطاع الأعمال حقق المصلحة العامة

وفي سؤال حول مدى تأثير قانون قطاع الأعمال على مسيرة العمل والانتاج بالشركة أجاب المهندس مختار فاضل بأن قانون قطاع الأعمال صدر لتحرير القطاع العام من الروتين واعتماد الوحدات الاقتصادية على نفسها وهذا هدف عظيم .. كما أن القانون في حد ذاته قانون مرن يعطى للشركة حقوقاً كثيرة تمكنها من تغيير المرتبات لصالح العمل والعاملين .. وتوفير الفرص المناسبة لكل شركة لزيادة الانتاج وزيادة الأرباح وهو ما يحقق الصالح العام .

مساهمة التقدم العلمى والتكنولوجى

وفي مجال التجديد والتحديث ، ومواكبة التقدم العلمى والتكنولوجى تقوم الشركة بإيفاد العاملين بها للحصول على دورات تدريبية داخل الجامعات المصرية ، وأنشأت العديد من مراكز التدريب التابعة لها والتي تضم مدربين أكفاء على أعلى مستوى من

الخبرة وفي نفس الوقت تحرص شركة توزيع كهرباء البحيرة على الوقوف على آخر ما انتهى اليه الآخرون من تقنية حديثة وتكنولوجيا متطورة في مجال نشاطها لمواكبة التطور العلمي والتقدم العالمي .

تحسين مستويات الأداء

وعن الاهداف العاجلة للشركة أكد المهندس مختار فاضل رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب أن الهدف الأول الذى تسعى الشركة لتحقيقه هو تحسين المتحصلات من الجمهور وتوفير السيولة اللازمة التى تمكنها من توفير الاستثمارات المطلوبة لتنفيذ مشروعاتها والقيام بدورها على أكمل وجه ، وأشار الى أن تحقيق ذلك يتطلب مجموعة كبيرة على أعلى مستوى علمى وفنى للمساعدة على حل هذه المشكلة بكافة الوسائل .. وأيضاً لتنفيذ الخطط الطموحة للشركة لتحسين الأداء وتقليل انقطاعات التيار ، وتغيير الأعمدة ، وصيانة المحولات ، وإحلال وتجديد الشبكات بسعات أكبر وهو ما تضعه ادارة شركة توزيع كهرباء البحيرة أمامها في خططها الاستراتيجية التى تعمل من خلالها .

حل مشاكل أراضى الخريجين

وبالنسبة لدور الشركة في حل مشاكل أراضى الخريجين والتى تقع في زمام نشاطها قال المهندس مختار فاضل : إن شركات الزراعة أصلحت الأراضى وسلمتها للخريجين بدون عقود ، كما قامت وزارة الرى بترك محطات رفع المياه دون أن تضع أساس توزيع قيمة الكهرباء التى تخص الطلبات علماً بأن الطلبة الواحدة تخدم حوالى ٢٠٠ فرد ، ومن ثم فإن السؤال الذى يطرح نفسه وبإلحاح شديد هو كيف تتعامل شركة توزيع كهرباء البحيرة مع مائتى فرد يستفيدون من الطلبة وبأى أسس أو أسلوب ؟ ورغم أنه لا يمكن تقسيم قيمة الكهرباء على هذه المجموعة الا ان الشركة توصلت الى العديد من الحلول عن طريق حساب الاستهلاك السنوى وقسمته على عدد الافدنة لكل محطة رفع على ان يقسم المبلغ الى نصفين الاول يدفع للشركة في شهر يونيو اما النصف الثانى فيستحق سداده في شهر نوفمبر .

وبالنسبة لمنازل الخريجين فقد تم حل هذه المشكلة عن طريق توصيل التيار لكل منزل بعدد خاص له .. وفيما يتعلق بالشركات الزراعية الكبيرة فنحن نقوم بالتعاون معا لحل المشاكل بناء على خطاب من الدكتور يوسف والى نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة .. وبالفعل امكن حل الكثير من المشاكل بين شركة توزيع كهرباء البحيرة وشركات توزيع الاراضى على الخريجين عن طريق تحصيل جزء كبير من المتأخرات المالية الخاصة بالشركة بمساعدة السيد نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة ونعمل حالياً على حل المشاكل المتبقية .

الاعتماد على الذات

وتحقيقا لسياسة الدولة الرامية الى الاعتماد على الذات وتوسيع قاعدة التصنيع المحلي تقوم الشركة بشراء الخامات لتصنيع أعمدة الانارة وملحقاتها داخل الشركة كما تلعب دورا كبيرا في تشجيع الصناعة الوطنية بتعاونها مع شركة الماكو وشراء منتجاتها من المحولات والصناعات الكهربائية الاخرى .. وقد أدت سياسة الاعتماد على الذات وتوسيع قاعدة التصنيع التي تنتهجها الشركة الى توفير مبالغ هائلة كانت تنفق في شراء الكثير من المستلزمات فضلا عن ان ذلك كان له ابلغ الاثر في تعظيم الانتاج ، وتحقيق الاستغلال الامثل للطاقت البشرية والفنية والمادية بالشركة .

تلاحم الاجهزة التنفيذية والشعبية

وحول العلاقة بين شركة توزيع كهرباء البحيرة والمناطق الشمالية والغربية والتنظيمات الشعبية في المناطق التي تقع في اطار نشاطها قال المهندس مختار فاضل : لاشك ان تلاحم الاجهزة الشعبية والتنفيذية له عظيم الاثر في حل مشاكل الجماهير ومن هذا المنطلق حرصت على وضع نظام فريد من نوعه وهو الالتقاء بصفة شهرية منتظمة برؤساء المدن وأعضاء المجالس المحلية للتعرف على مشاكل المواطنين ووضع الحلول العملية والمناسبة لها ، ومن خلال هذه اللقاءات أحرص على شرح خطط الشركة في المراكز والمدن والقرى في مجالات الإنارة ، والإصلاح ، والإحلال ، والتجديد ، كما أتناقش معهم في معدلات الاداء والبرامج المستقبلية لتطويرها .. واستطيع ان اؤكد ان تلاحم المحليات مع الشركة كان له ابلغ الاثر في حل مشاكل جمهور المشتركين .

كأس الإنتاج

وقبل أن أغادر مكتبه سألت المسئول الاول عن توزيع كهرباء البحيرة والمناطق الشمالية والغربية - المهندس مختار فاضل - عن طموحاته وتطلعاته كرئيس لمجلس ادارة شركة وطنية قدمت الكثير والكثير لتوفير خدمة كهربائية متكاملة للمواطن المصرى فأجاب بابتسامة كلها أمل وتفاؤل أتطلع الى حصول شركة توزيع كهرباء البحيرة والمناطق الشمالية والغربية على كأس الإنتاج في العام القادم بإذن الله ، ونحن من جانبنا نبذل اقصى ما لدينا من جهد وعرق لتحقيق هذه الامنية الغالية واضعين في الاعتبار ان نبدا من حيث انتهى الآخرون .. وان ننظر دائما للامام واضاف قائلا : ان جميع التقارير التي امامى بالنسبة لنصف السنة الماضية تبشر بالخير حيث حققنا ارباحا تتجاوز المستهدف بكثير خلال هذه الفترة أعنى ضعف المستهدف والحمد لله .

وبعد عزيزى القارئ

إن ملحمة العمل والإنجاز في شركة توزيع كهرباء البحيرة والمناطق الشمالية والغربية
تقدم قصة نجاح جديدة على خريطة الكهرباء المصرية .. أبطالها من أبناء مصر المخلصين
لوطنهم يخططون للمستقبل بعقول متفتحة ويحفرون طريق الأمل بسواعد قوية .

عنوان وتليفونات الشركة

دمنهـور شارع الجمهورية	فاكسميل : ٣٣٨٠٣٠
رئيس مجلس الإدارة	ت : ٣٣٨٠٣٠
سمويتشـن الشركة	ت : ٣٣٧٠٨٣
	٣٧٦٩٦٥
	٣٧٦٣٧٥
سويتشـن مينى الشؤون التجارية بدمنهـور	ت : ٣٣٨٧٠٠
فرع كهرباء مطروح	ت : ٣٩٤٤١٣٢

الآراء والأفكار الواردة في هذا المطبوع مسئولية المؤلف

كافة حقوق النشر والنقل والطبع والترجمة محفوظة للناس

مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

رقم الايداع ٤٠٦٠ / ١٩٩٣

رقم دولى ٩ - ٠٢١ - ٢٢٩ - ٩٧٧ I.S.B.N



حين اختار الكاتب المنحفي حسين قدرى
لنفسه ان يخصص في ادب الرحلات من ٢٥
سنة ، كان قد وضع قدمه على الطريق
الصحيح فعلا ، فسرعان ما اصبحت كتبه
هي الأكثر توزيعا من ناحية ، وحفاوة من
النقاد من ناحية اخرى .. فإنيك حين تقرا
كتبا لحسين قدرى فانت تشعر انك تجلس
إلى صديق شخصي يحكي لك ما حدث له في
رحلاته .. واسلوبه الجذاب الشيق
المشاكس المثلء بالشقاوة والظرف
و، العفوية ، يجعلك لاتملك إلا ان تضحك
بصوت عال وانت تقرا له ..

وتأملت رحلات وكتب حسين قدرى :
[رحلة إلى جزر الكناريات] ، [صعلكة في
بيروت] ، [مذكرات شاب مصري يغسل
الأطباق في لندن] ، [١١٧ يوما في
الصحراء] ، [رحلة إلى دولة ترانز
ستور] ، [راكبان على السفينة] ، [هروب
إلى الفضاء] ، [مذكرات سائح مصري في
مصر] ، وغيرها .. حتى أراد ان يقوم
بتجربة جديدة في عالم الكتابة الأدبية لم
يسبقه إليها احد ، فلم بهذه المبالاة :
تجربة ان يقوم كاتبان معا برحلة واحدة ،
يشاهدان فيها كل شيء معا في نفس الوقت
ونفس الجو ونفس الظروف ، ثم يكتب كل
منهما عن الرحلة بطريقته واسلوبه ..
وكانت نتيجة هذه المبالاة الأدبية الصحفية
الكتاب الذي بين يديك الآن : [يوميات
سفينة مجنونة] !

« سعيد نور الدين »

جنيحات